طريق الناجين
في بيان عقيدة الموحدين

الجزء الأول

تأليف
سرحان بن غزاي العتيبي

سم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى له الحمد في الأولى والآخرة وله الحكم وإليه المرجع والصلاة والسلام على من بعثه ربه هادياً وبشيراً وداعيـــاً إلى الله بإذنــه وسراجاً منيراً فصلوات الله وسلامه عليه إلى يوم قيام الأبدان وعلى آله وصحبه الكرام وسلم تسليماً كثيراً أما بعد /

فإن العقيدة الصحيحة هي طريق النجاة ومفتاح الوصول إلى دار السلام فلا يمكن أن يـــدخل الجنة من فسدت عقيدته وقرنها بالشرك أو كان منافقاً يظهر الإيمان ويبطن الكفر أو ارتكب ناقضاً من نواقض العقيدة ، فلذا كان لزاماً على من أراد الوصول إلى دار الســـلام وحســـن المقام عند الملك العلام أن يتعلم العقيدة الصحيحة فيعمل بها ويدع ما خالفها ، ولَمَّا كانـــت العقيدة الإسلامية هي العقيدة التي لا يقبل الله من أحدٍ بعدها غيرها كما قال تعالى{وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) سورة آل عمران لـــذا ينبغـــي معرفتها حق المعرفة والإيمان بها واتباعها .

ولَمَّا رأيت أن المؤلفين في العقائد قد تبحر كلٌ منهم في جانبٍ من جوانب هذا العلم فمنـــهم من كتب في جانب التوحيد والشرك ومنهم من صنف في الإيمان والكفر ومنهم مـــن أفـــرد الأسماء والصفات ومنهم من كتب في القدر ومنهم من كتب في أشراط الساعة ومنهم مـــن كتب في الولاء والبراء ومنهم من كتب في بيان عقيدةٍ من العقائد الضالة والرد عليها إلى غير ذلك . فأحببت أن أجمع مختصر هذه العلوم في كتابٍ واحد حتى يسهل على طالب العلـــم معرفة هذه الفنون بأسهل أمرٍ وأقرب طريق ثم من أراد التبحر بعد ذلـــك في جانـــبٍ مـــن الجوانب سهل عليه ذلك لأنه قد ألم بأهم ما في هذا الجانب ، وكذلك تيسيراً على مـــن أراد شرح مختصرٍ من المختصرات التي جمعت هذه الفنون دون توضيحٍ كاف فيكفيه هذا الكتاب عناء البحث في المطولات أو جمع أقوال الشراح وما ذاك إلا تيسيراً للدعاة لنشر هذا العلـــم الذي هو أول دعوة الرسل وأول واجبٍ على المكلفين ، فنسأل الله أن ينفع بـــه وأن يعيننـــا

على إتمامه إنه جوادٌ كريم ٠

((أهمية معرفة العقيدة الصحيحة))

١ –أن العقيدة الصحيحة هي مفتاح قبول الأعمال فلا يقبل عمل أحدٍ كائناً من كان حتى يعتقد العقيدة الصحيحة الخالية من الشرك والكفر ألا وهي عقيدة الإسلام كما قال تعالى عن الكفار {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا} (٢٣) سورة الفرقان وقال تعالى عن المنافقين {وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ} (٥٤) سورة التوبة وقال تعالى لمن عداهم {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنْ الشَّاكِرِينَ} (٦٦) سورة الزمر ٠

٢ –أن تعلم العقيدة الصحيحة ومعرفتها سلامةٌ بإذن الله من الزيغ والإنحراف وراء أهل الأهواء والمبتدعة والضلال ، وذلك لأن الإنسان قد يقابل في حياته خلقاً من أهل الضلالة والإنحراف وكثيرٌ منهم لديه حججٌ شيطانية وشبهٌ إبليسية وأفكارٌ مضلة فإذا صادفت هذه الشبه قلباً خالياً من العلم فربما تلبَّس بها ووقع فيها يظنها حقاً لجهله وقلة علمه ولذلك كان لزاماً على من أراد نجاة نفسه ونجاة من يعول من أبناءه ونساءه أن يتعلم العقيدة الصحيحة ويعلمها لهم خاصةً في هذا الزمن الذي سهل فيه على هؤلاء الضلّال الإتصال بالناس من خلال وسائل الإعلام كالقنوات الفضائية والراديو والأنترنت وغيرها ٠

٣ –أن معرفة العقيدة السليمة تزيد الإيمان في قلب المؤمن حين يعلم عظمة الرب جل وعلا وقدرته من خلال أسمائه الحسنى وصفاته العلا ويعرف فضل ربه عليه بإرسال الرسل وإنزال الكتب ويعرف ما يجب عليه من حق الله عز وجل ويعرف ما يكون في المستقبل من أمور

الساعة فيستعد لها ويحذر منها ونحو ذلك .

المدخل

إلى علم العقيدة

((أهم المصطلحات في علم العقيدة))

العقيدة لغة / مأخوذة من العقد وهو الشد والربط بإحكام

اصطلاحاً / العقيدة هي الأسس التي يقوم عليها الدين.

الهدى لغة / الدلالة والبيان

واصطلاحاً / ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

و ينقسم الهدى إلى قسمين :

١-هدى دلالة وبيان وهو الذي يقدر عليه الرسل وأتباعهم ودليله قوله تعالى { إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } (٧) سورة الرعد وقوله تعالى{ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (٥٢) سورة الشورى وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه (لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم) متفق عليه

٢- هدى التوفيق والإلهام وهو الذي لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وهو المذكور في قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} (٥٦) سورة القصص وقوله {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء } (٢٧٢) سورة البقرة وقوله {إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ} (٣٧) سورة النحل

الدين /جميع ما شرعه الله من الأحكام وله معانٍ أُخر كالحساب وغيره

وأركانه ثلاثة (الإيمان والإسلام والإحسان)

السلف / معناها الذين سلفوا ومضوا من القدوات . فسلف الأمة هم صدر هذه الأمة من الصحابة التابعين وأئمة الهدى في القرون الثلاثة الفاضلة

الصراط المستقيم/ قيل إنه القرآن وقيل الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل الإسلام وقيل هو الطريق الذي نصبه الله لعباده على ألسنة رسله وجعله موصلاً لعباده إليه ولا طريق لهم سواء وهو إفراده بالعبودية وإفراد رسله بالطاعة وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً

عبده ورسوله وهو الهدى ودين الحق وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به .

الصدِّيق / هو الذي صدق في قوله وفعله الكثير الصدق المصدق بما جاء به الرسل من غير تباطؤ .

الشهيد/ كل من عدهم النبي صلى الله عليه وسلم من الشهداء فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا يا رسول الله من قتل في سبيل الله فهو شهيد قال (إن شهداء أمتي إذاً لقليل من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في الطاعون فهو شهيد ومن مات في البطن فهو شهيد) رواه مسلم . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الشهداء خمسة المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله) متفق عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله المبطون شهيد والغريق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمطعون شهيد وصاحب الحريق شهيد والذي يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيد) رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وعند أحمد (والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة) حسنه الألباني .

الأبدال / قيل هم الأولياء والعباد وقيل هم الذين يجددون الدين يخلف بعضهم بعضاً في الذب عنه كما في الحديث (يبعث الله لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دنيها) فكأنه يتبدل بعضهم ببعض والله تعالى أعلم ، وقد رأيت الأحاديث التي فيها ذكر الأبدال قد ضعفها الإمام الألباني رحمه الله كحديث (إن أبدال أمتي لم يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن إنما دخلوها برحمة الله وسخاوة الأنفس وسلامة الصدور ورحمة لجميع المسلمين) قال الألباني ضعيف جداً انظر حديث رقم: ١٣٥٦ في ضعيف الجامع. وحديث (يكون اختلافٌ عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة فيأتيه أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث إليه بعثٌ من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشو رجلٌ من قريش أخواله كلب فيبعث إليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال

ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) ضعفه الألباني انظر حديث رقم: ٦٤٣٩ في ضعيف الجامع. وحديث (علامة أبدال أمتي أنهم لا يلعنون شيئا أبداً) قال الألباني : موضوع انظر حديث رقم: ٣٧٢٠ في ضعيف الجامع.

الأئمة / هم العلماء المقتدى بهم قال تعالى{وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ} (٢٤) سورة السجدة قال بعض العلماء بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين .

السنة / لغة الطريقة .

وشرعاً / أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وإقراراته .

وأهل السنة والجماعة / هم الذين اجتمعوا على الأخذ بكتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم باطنًا وظاهرًا في الاعتقادات والأقوال والأعمال ونُسبوا إليها لتمسكهم بها دون الطرق الأخرى المنحرفة ، ووصفوا بالجماعة لأنهم التزموا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالجماعة ولأنهم اجتمعوا على الحق وأجمعوا عليه واجتمعوا على ما عليه سلف الأمة ولهذا يسمون السلف ويسمون الطائفة المنصورة لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفةٌ من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة) رواه الترمذي وصححه الألباني وهو عند مسلم بلفظ (لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) ويسمون أهل الحديث لأنهم العاملون بحديث النبي صلى الله عليه وسلم رواية ودراية ويسمون أهل الأثر لأنهم على أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أثر السلف الصالح ويسمون الفرقة الناجية لقول النبي صلى الله عليه وسلم (ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا واحدة) رواه أبو داود وبن ماجة وغيرهما وصححه الألباني

والذين خالفوا السنة و لم يخرجوا من الملة يسمون أهل الأهواء وأهل الافتراق وأهل البدع والفرق المفارقة لأنهم اتبعوا السبل التي نهى الله عنها ونهى عنها الرسول صلى الله عليه وسلم فلا يخرجون من مسمى الإسلام لكنهم لا يسمون أهل السنة والجماعة .

وأهل القبلة / هم من يدَّعون الإسلام حتى من ارتكب الكبائر والفواحش التي دون الكفر والشرك كالزنا والسرقة والقتل ، أو حتى من ارتكب بدعاً ما دامت لا تخرجه من الملة فهو

من أهل القبلة لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تخفروا الله في ذمته) رواه البخاري
الفاسق / كل من ارتكب كبيرةً أو أصر على صغيرة ويسمى عاصياً وفاسقاً، وهو كسائر المؤمنين لا يخرج من الإيمان بمعصيته ولا يسلب عنه الإيمان بالكلية بل يقال مؤمنٌ ناقص الإيمان أو يقال مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته أو يقال مؤمنٌ عاصي ونحو ذلك وليس بكافر خلافاً للخوارج ولا في منزلةٍ بين منزلتين خلافاً للمعتزلة. وحكمه في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة وإن شاء عذبه بقدر ذنبه ومصيره إلى الجنة وعند الخوارج والمعتزلة وغيرهم من الوعيدية من أتى كبيرةً ومات من غير توبة فهو في النار خالداً مخلداً فيها وسيأتي الرد عليهم إن شاء الله مفصلاً في كتاب الإيمان والكفر .
الفسوق / الخروج عن طاعة الله وارتكاب محارمه .
الكبيرة / هي كل ذنب توعد عليه بالنار، أو اللعنة، أو الغضب في الآخرة كقوله تعالى{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (٩٣) سورة النساء أو ترتب عليه حدٌ في الدنيا كقوله تعالى{وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣٨) سورة المائدة وقوله تعالى {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ } (٢) سورة النور أو نفي عن صاحبه الإيمان كقوله صلى الله عليه وسلم (والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن . قيل من يا رسول الله ؟ قال الذي لا يأمن جاره بوائقه) متفق عليه أو قيل فيه ليس منا مثل قوله صلى الله عليه وسلم (من حمل علينا السلاح فليس منا ومن غشنا فليس منا) رواه مسلم أو برئ منه النبي صلى الله عليه وسلم كقوله (أنا بريءٌ من كل مسلمٍ يقيم بين أظهر المشركين) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني انظر حديث رقم: ١٤٦١ في صحيح الجامع. وكقوله صلى الله عليه وسلم (يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم فإن محمدا بريء منه) رواه أبو داود وصححه الألباني ونحو ذلك ويمكن أن يضاف إلى ذلك ترك الواجبات والفرائض عند من لا يرى تركها كفر .

الصغائر / هي كل ذنبٍ دون الكبيرة كالبصاق في المسجد والبيع فيه وإنشاد الضالة فيه ونحو ذلك فهذه تكفرها الأعمال الصالحة قال تعالى{إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا} (٣١) سورة النساء قال تعالى{الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ } (٣٢) سورة النجم قال حذيفة رضي الله عنه (فتنة الرجل في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة والصوم والحج والزكاة) رواه بن ماجة وصححه الألباني ولكن ينبغي الحذر من الإصرار على الصغائر فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على المرء حتى يهلكنه) رواه أحمد والطبراني وحسنه الألباني انظر حديث رقم (٢٦٨٧) في صحيح الجامع قال العلماء : الإصرار على الصغائر يحيلها إلى كبائر ، وقالوا : لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمت من عصيت وهو الله جل في علاه ، وقد اتفق الفقهاء على أن الكبائر لايكفرها إلا التوبة منها واختلفوا فيمن أقيم عليه الحد هل يكون كفارةً له فالذي رجحه العثيمين وغيره أنه يكون كفارة والله تعالى أعلم ،

الكفر / هو التغطية لأن الكافر قد غطى وجحد نعمة الله عليه ،

الشرك / التسوية والمقارنة وذلك لأن المشركين يجعلون مع الله شريكاً يسوونه به في العبادة ، وأما من لا يعبد الله مطلقاً ولا يعترف به فذلك ملحدٌ ،

النفاق / أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر،

الظلم / سلب الحق وإعطاءه للغير ،

والكفر والشرك والفسق والنفاق والظلم الوارد في نصوص الوحيين نوعان :

الأول / أصغر لا يخرج من الملة ولا يخلد صاحبه في النار إن دخلها ،

الثاني / أكبر مخرجٌ من الملة ويخلد صاحبه في النار ،

فمثال الكفر الأصغر قول النبي صلى الله عليه وسلم (اثنتان في الناس هما بهم كفر الطعن في الأنساب والنياحة على الميت) رواه مسلم

ومثال الكفر الأكبر قول النبي صلى الله عليه وسلم (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر) رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني انظر حديث رقم (٤١٤٣) في صحيح الجامع

ومثال الشرك الأصغر الرياء قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن أخوف ما أخـاف علـيكم الشرك الأصغر الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنـتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء) رواه أحمد وصححه الألباني انظر حديث رقم(١٥٥٥) في صحيح الجامع.

ومثال الشرك الأكبر اتخاذ الشفعاء عند الله قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُـرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّـمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١٨) سورة يونس

ومثال الفسق الأصغر ارتكاب الكبائر التي دون الشرك والكفر الأكبر كالزنا والربا وأكـل مال اليتيم ونحو ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) متفق عليه ومراده الفسق الأصغر والكفر الأصغر إذ جاء في النصوص ما يدل علـى أن فاعـل هذين العملين لا يخرج من الإسلام .

ومثال الفسق الأكبر قوله تعالى {مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِـإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ} (٥) سورة الحشر أي اليهود لأنهم خرجوا عن طاعة الرحمن إلى طاعة الهوى والشيطان ووقعوا في الكفر الأكبر فسموا فساقاً لذلك لكن ليس هو كفسق عصاة الموحدين فهؤلاء فسقهم فسقٌ أكبر مخرجٌ من الملة وأما الموحدين ففسقهم دون ذلك .

ومثال النفاق الأصغر ارتكاب بعض أنواع النفاق العملي كالكذب والخيانة وإخلاف الوعد لقول النبي صلى الله عليه وسلم (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهـد غدر وإذا خاصم فجر) متفق عليه

ومثال النفاق الأكبر النفاق الإعتقادي وهو إظهار الإيمان وابطان الكفر الأكبر .

ومثال الظلم الأصغر قوله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِـنْهُمْ ظَـالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (٣٢) سورة فاطر أي ظالمٌ لنفسه بالمعاصي حين أوقعها فيما فيه عذابها وخسرانها .

ومثال الظلم الأكبر قوله تعالى{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَـا تُشْـرِكْ بِاللَّـهِ إِنَّ

الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (١٣) سورة لقمان

((أصناف أهل البدع))

ينقسم أهل البدع إلى طوائف وأحزاب ومذاهب متعددة ويمكن تصنيفهم على النحو التالي :

الصنف الأول / المبتدعة في باب الإيمان والكفر وينقسمون إلى وعيدية ومرجئة .

١- الوعيدية / وهم طائفتان : الخوارج ويرون أن صاحب الكبيرة كافرٌ وليس بمؤمن وأنه مخلدٌ في النار ، والمعتزلة : ويرون أنه مخلدٌ في النار لا كن ليس بكافر بل هو في مترلةٍ بين الإيمان والكفر غير أنها لا تنفعه عندهم في الآخرة .

٢-المرجئة / ويرون أنه لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وعليه فإن المؤمن لا يدخل النار ولو ارتكب الفواحش والمنكرات وإيمانه كإيمان أفضل الناس لا فرق .

ومحل الضلالة عند الفريقين / أنهم جعلوا الإيمان جزءاً واحداً لا يزيد ولا ينقص فإما أن يكون مؤمناً كامل الإيمان وإما أن يكون كافراً ، فلمَّا رأى الوعيدية أدلة الوعيد وأن صاحب الكبائر يدخل النار قالوا إذن ليس بمؤمن إذ لو كان مؤمناً لما دخلها كسائر المؤمنين إذ الإيمان واحد ، والمرجئة رأوا أدلة الرجاء وأن الله يغفر الذنوب التي دون الشرك قالوا إذن هو مؤمن كسائر المؤمنين فلا يدخل النار مثلهم إذ الإيمان واحد .

وقال أهل الحق / ليس الإيمان واحد بل هو متفاوت يزيد وينقص وعليه فإن صاحب الكبيرة مؤمنٌ ناقص الإيمان ومصيره في الآخرة أنه تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بقدر ذنوبه وإن شاء غفر له ومآله إلى الجنة فلا يخلد في النار .

الصنف الثاني / في باب الأسماء الصفات وينقسمون إلى ممثلة ومعطلة .

١- الممثلة أو المشبهه وهم الذين يشبهون صفات الرب بصفات المخلوقين وقد كان منهم الروافض فأول من قال بالتمثيل هو الرافضي هشام بن الحكم ثم تحول الرافضة إلى معطلة .

٢- المعطلة وهم طوائف شتى منهم من يعطل الأسماء والصفات كالجهمية ومنهم من يعطل الصفات دون الأسماء كالمعتزلة ومنهم من يثبت بعض الصفات ويعطل بعضها كالأشاعرة ، وفتنتهم جميعاً أنهم رأوا أن في الإثبات تمثيلاً ففروا من ذلك إلى التعطيل .

ومذهب أهل الحق / إثبات ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله من غير تمثيلٍ ولا تعطيل ومن غير تكييفٍ ولا تأويل فقد قال تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى فقوله ((ليس كمثله شيء)) ردٌ على الممثلة وقوله ((وهو السميع البصير)) ردٌ على المعطلة ، ولا يستلزم الإثبات التمثيل فإننا نثبت مثلاً للنملة يد فلا يقتضي ذلك أن تكون مثل يد الفيل فهذا بين المخلوقات فكيف بين الخالق والمخلوق .

الصنف الثالث / في باب الصحابة وينقسمون إلى غالين وقالين

١-القالين : وهم الروافض وهؤلاء يبغضون الصحابة ويكفرونهم ويرون أنهم ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم من أهل النار .

٢- الغالين : وهم طوائف من الصوفية وغيرهم ويرون جواز الاستشفاع والتوسط بالصحابة عند الله ، ويتقربون إليهم بالقرابين والنذور وأصناف الشركيات عند قبورهم .

ومذهب أهل الحق / محبة الصحابة وموالاتهم والذب عنهم وبغض من يبغضهم ، لكن من غير غلوٍ فيهم فلا يصرف لهم مما هو من محض حق الله شيء .

الصنف الرابع / في باب آل البيت وينقسمون إلى غالين وقالين

١- الغالين : وهم الروافض وطوائف من الصوفية وغيرهم ويرون جواز الاستشفاع والتوسط بهم عند الله ويتقربون إليهم بالقرابين والنذور وأصناف الشركيات عند قبورهم .

القالين : وهم النواصب الذين نصبوا العداء والبغض لآل البيت .

ومذهب أهل الحق / محبة آل البيت وموالاتهم والذب عنهم وبغض من يبغضهم ، لكن من غير غلوٍ فيهم فلا يصرف لهم مما هو من محض حق الله شيء .

الصنف الخامس / في باب القدر وينقسمون إلى قدرية وجبرية :
١- القدرية : وهم الذين يقولون لا قدر والأمر أنف أي مستأنف أي جديد ليس مكتوباً في اللوح المحفوظ والإنسان يخلق فعله من غير مشيئة الله ولا إرادته ، وقد كان أوائلهم أيضاً ينكرون علم الله السابق ويقولون إن الله لا يعلمه حتى يفعله العبد ، ثم لمَّا رأوا أن هذا القول ممقوت قالوا : يعلمه ولكن لم يقدره .
والحقيقة أنهم مخصومون بقولهم هذا وقد كان السلف يقولون (ناظروهم بالعلم فإن انكروه كفروا وإن أقروا به خصموا) لأنه إذا علمه فقد شاءه وقدَّر أن يكون فيبطل مذهبهم ، وإذا قالوا لا يعلمه فقد نسبوا لله الجهل وذلك غاية الضلال والكفر .

٢- الجبرية : ويقولون إنه ليس للإنسان مشيئة بل هو مجبور ، وكل ما يفعله ويقع عليه فهو بقضاءٍ وقدر ليس له فيه أي اختيار بل هو كالريشة في مهب الريح . وهؤلاء خالفوا العقل كما خالفوا النقل فإن الإنسان يدرك أنه يفعل الشيء بإرادته من غير إجبار أحد .

وقال أهل المعتقد الصحيح / إن للعبد مشيئة وإرادة لكنها تابعة لمشيئة الله وإرادته كما قال تعالى {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٢٩) سورة التكوير
فقد كتب الله مقادير كل شيء ، ويسر الإنسان لفعل ما قدر له ، فلا يفعل الإنسان شيئاً إلا وهو مقدرٌ مكتوبٌ عليه قد شاءه الله عليه ، لكن هذا لا يعني أن الإنسان مجبور بل هو يفعل بإرادته ومشيئته واختياره من غير إجبار لكن هذه المشيئة والإرادة تابعةٌ لمشيئة الله فقد علم الله أنه سيفعل كذا فشاءه له ولو شاء لمنعه فمشيئة العبد تابعةٌ لمشيئة الله .

((تاريخ ظهور البدع))

أول بدعةٍ ظهرت في الإسلام هي بدعة الخوارج فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر له ائذن لي أضرب عنقه فقال دعه (فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله إلى رصافه إلى نضيه وهو قدحه إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجلٌ أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقةٍ من الناس) قال أبو سعيد أشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأُتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته . متفق عليه ومن بدعهم تكفير المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وتكفير الصحابة الذين حدثت بينهم الفتنة كعليٍ ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم والخوارج لا يقبلون السنة ويفسرون القران على أهوائهم ويرون كفر مرتكب الكبيرة وأنه مخلدٌ في النار ، وكان خروجهم زمن عليٍ رضي الله عنه فقاتلهم في النهروان وانتصر عليهم فتفرقوا ومن فرقهم الموجودة في هذا العصر فرقة الإباضية في عمان وغيرها .

ثم ظهرت بدعة الرافضة في عهد الخلفاء الراشدين على يد عبد الله بن سبأ الذي يُدعى بن السوداء وكان يهودياً من أهل اليمن قدم المدينة زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه وأظهر الإسلام نفاقاً ليهدم الإسلام من الداخل وأظهر التشيع لآل البيت ومناصرة عليٍ رضي الله عنه وتبعه على ذلك قومٌ من الفرس وغيرهم وسعوا في قتل عثمان وتفريق الأمة لكن علياً رضي الله عنه حاربهم وأحرق من أمسكه منهم بالنار وفرَّ من فرَّ منهم إلى بلاد فارس

ونشروا المذهب خفيةً لكنه لم يظهر حتى زمن المختار بن عبيد الثقفي الذي ادعى أنه يطالب بدم الحسين والثأر له وتبعه على ذلك أقوام واستولى على أكثر مدن العراق وسبب خروجه كما قيل لما انهزم التوابين الذين يطالبون بدم الحسين بقيادة سليمان بن صرد وكانوا من أهل السنة ندموا على عدم نصرتهم للحسين فخرجوا على الدولة الأموية فهُزِموا وقتل قائدهم سليمان بن صرد رضي الله عنه وكان صحابياً جليلاً فانتهز المختار هذه الفرصة وقال أنا الذي أطالب بدم الحسين وتبعه قومٌ ظنوا أنه صادق وإنما كان يريد الإمارة وقتل جمعاً ممن شاركوا في قتل الحسين فزادت شعبيته وكثر أنصاره فاستولى على الكوفة وأكثر أجزاء العراق ولما استقر له الأمر ادعى النبوة وأظهر أموراً منكرة فنفر منه الناس وأرسل عبد الله بن الزبير أخاه مصعب لقتاله فقتله مصعب سنة ٦٧هـ فتفرق الشيعة أحزاباً وفرقاً ، ومن أشهر فرقهم الجعفرية والإسماعيلية والزيدية وغيرها ويعتقدون جميعاً سوى الزيدية كفر الصحابة وأنهم ارتدوا بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ويلعنون أبا بكر وعمر وعثمان ويرون أنهم اغتصبوا الخلافة من علي التي أوصى النبي صلى الله عليه وسلم له بها ومن معتقداتهم القول على الله بالبداء والقول بتحريف القران ولا يقبلون السنة ويقولون بعصمة الأئمة ويغلون فيهم غلاءً فاحشاً حتى قالوا إنهم يعلمون الغيب ويدبرون الكون ويصرفون لهم أنواعاً من العبادات كالذبح والنذر والسجود وغيرها وهم قدرية معطلة وبالجملة فهم شر طوائف المبتدعة حتى قيل إنهم شرٌ من اليهود والنصارى قال القحطاني في نونيته :

لا تعتقد دين الروافض إنهم   شر البرية شيعة الشيطان

ثم ظهرت القدرية في آخر عهد الصحابة فنفوا العلم والقدر وقالوا الأمر أنف والله لا يعلم الأشياء قبل وقوعها ، وأول من أظهر القول بالقدر معبد الجهني وقيل إنه أخذه عن رجلٍ نصرانيٍ أسلم ثم رجع إلى نصرانيته اسمه سوسن ، وأخذ عن معبد غيلان الدمشقي الذي قتله هشام بن عبد الملك الأموي سنة ١٠٥هـ وقد أنكر هذا القول من الصحابة عبد الله بن عمر وعبادة بن الصامت وغيرهم رضي الله عنهم وروى مسلم عن يحي بن يعمر قال : كان

أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفِقَ لنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما داخلاً المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ فقلت : أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرؤون القران ويتقفرون العلم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال بن عمر : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم وأنهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر .

ثم ظهرت بدعة الإرجاء في آخر القرن الأول وقالوا لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة وأول من قال بالإرجاء هو الجهم بن صفوان عليه من الله ما يستحق فإنه أحدث في الإسلام ثلاث بدعٍ عظيمة منها هذه البدعة بدعة الإرجاء وبدعة إنكار الصفات وبدعة القول بالجبر ، وقد تأثر بعض الفقهاء من الحنفية ببدعة الإرجاء إلا أنهم أوجبوا الأعمال وقالوا بإثم وعقوبة من لم يعملها ، وأما المرجئة الخلص فيرون أنه لا عقوبة على المؤمن ولو ترك الأعمال بالكلية وارتكب الموبقات وهذا قولٌ شنيع وضلالٌ مبين يدعوا إلى ترك الدين .

ثم ظهرت بدعة الإعتزال في أوائل القرن الثاني وقالوا إن العاصي ليس بمؤمن وليس بكافر بل هو في منزلةٍ بين المنزلتين لكنه مخلدٌ في النار ، ثم تلقفوا بدعة إنكار الصفات من الجهمية كما سيأتي ويرجع المعتزلة إلى رجلٍ يقال له واصل بن عطاء كان من تلاميذ الحسن البصري فطرده لما أظهر بدعه وقيل إنه هو الذي انعزل فسمي اتباعه بالمعتزلة لذلك ، وأخذ عن واصل عمرو بن عبيد المتوفى سنة ١٤٤هـ ثم انتشر هذا المذهب زمن المأمون حين اعتنق هذا المذهب فدعم أتباعه ونصر أربابه وأجبر الناس على الدخول فيه بقوة السلطان وقام

سوق دعاته كبشر المريسي وأحمد بن أبي دؤاد والجاحظ وغيرهم لكنهم خذلوا والحمـــد لله وعاد أمرهم وبالاً عليهم كما سيأتي في قصة خلق القران ٠ والمعتزلـــة لا يقبلـــون الســـنة ويسموها أخبار آحاد ، ويقوم مذهبهم على أصولٍ خمسة هي (العدل ، والتوحيد ، وإنفاذ الوعيد ، والمترلة بين المترلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ويقصدون بالعدل إنكار القدر وبالتوحيد إنكار الصفات وبإنفاذ الوعيد إنكار الخروج من النـــار لمرتكـــب الكـــبيرة وبالمترلة بين المترلتين إنكار أن يكون مرتكب الكبيرة مؤمناً وبالأمر بالمعروف والنـــهي عـــن المنكر إنكار السمع والطاعة للسلطان ، والمعتزلة لم ينقرضوا كما يعتقد بعض النـــاس بـــل كتبهم ما زالت متداولةً مشهورة مثل كتاب الكشاف للزمخشري وكتاب الغنيـــة وكتـــاب متشابه القران لعبد الجبار الهمذاني وغيرها ٠

ثم ظهرت بدعة التعطيل وإنكار الصفات وأول من عرف بذلك الجعد بن درهم فقتله خالـــد القسري أمير العراق في عام ١٢٤هـــ في يوم عيد الأضحى قام فخطب الناس ثم قالوا ضحوا أيها الناس تقبل الله ضحاياكم فإني مضحيٍ بالجعد بن درهم فإنه يزعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً و لم يتخذ إبراهيم خليلاً فترل فذبحه فقال بن القيم :

ولأجل ذا ضحى بجعـــدٍ خالد　　　القسري يوم ذبائح القربان
إذ قـــال إبراهيم ليس خليلـــه　　　كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كل صاحب سنةٍ　　　لله درك من أخي قـــربان

لكن أخذها عنه ونشرها المجرم الجهم بن صفوان وإليه تنسب فيقال الجهمية ونســـبت إليـــه أقوالٌ شنيعةٌ في إنكار الصفات حتى أنه تمنى أن يحك من المصاحف قول الله تعالى {الـــرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٥) سورة طـــه وقتله سلم بن أحوز البلخي سنة ١٢٨هـــ فأخـــذها عنـــه المعتزلة ثم أخذها عنهم أهل الكلام من الأشاعرة والكلابية والماتريدية وغيرهم مع فروقـــاتٍ طفيفة ربما تعرضنا إليها في ثنايا هذا الكتاب ٠

((أشهر كتب العقيدة عند أهل الحق))

كتب أهل الحق كثيرةٌ جداً لكن من أشهرها /

١-كتاب الرد على الجهمية وكتاب الرد على الكافر العنيد للإمام عثمان بن سعيد الدارمي

٢-الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل

٣-خلق أفعال العباد للإمام محمد بن إسماعيل البخاري

٤-كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل

٥-كتاب السنة لأبي بكر الخلال

٦-كتاب السنة لابن أبي عاصم

٧-كتاب إعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي

٨-كتاب الشريعة للإمام الآجري

٩-كتاب التوحيد للإمام بن خزيمة

١٠-كتاب التوحيد وكتاب الإيمان لابن منده

١١-كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام

١٢-كتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة

١٣-كتب شيخ الإسلام بن تيمية كالواسطية والحموية والتدمرية وغيرها

١٤-كتب بن قيم الجوزية كالصواعق المرسلة وطريق الهجرتين وغيرهما

١٥-كتب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ككتاب التوحيد وكشف الشبهات والأصول الثلاثة وغيرها .

١٦-كتب أئمة الدعوة من أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذهم ومن آخرهم الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ بن باز والشيخ بن عثيمين والشيخ صالح الفوزان وغيرهم .

((صفات أهل المعتقد الصحيح))

١-أن منهجهم توقيفي على الكتاب والسنة فهم يأخذون معتقدهم من الكتاب والسنة ويعرضون عن قول كل من خالفهما كائناً من كان .

٢-يعتقدون أنه لا يتعارض النقل الصحيح من الكتاب والسنة مع العقل السليم وعند توهم التعارض فيقدمون النقل على العقل .

٣-أنهم يأخذون بأخبار الآحاد الصحيحة في إثبات أمور الاعتقاد ، خلافاً لما عليه أغلب الطوائف المبتدعة في رد أغلب السنة بحجة أنها أخبار آحاد ، وسموها ظنون وقالوا إنها لا تقبل في العقائد ، وما ذاك إلا لأنها تتصادم مع عقائدهم الفاسدة .

٤-أن اعتقادهم لا يتغير ولا يتبدل على مرِّ الأزمنة لأنه مبني على رواسخ ثابتة وأدلة يقينية من الكتاب والسنة خلافاً لما عداها من المعتقدات التي تتغير من حينٍ لآخر .
فمثلاً / القدرية كان أوائلهم ينكرون علم الله السابق بالأشياء مع إنكار تقديرها ، ولكن لما كان هذا القول مقبوحًا لدى من لديه ذرة عقل أنكره متأخروهم ورفضوه ، وقالوا : يعلمها ولكنه لم يخلقها .
والرافضة كانوا في أول أمرهم ممثلة ثم صاروا في آخر الأمر معطلة ، وتفرقوا إلى فرقٍ وأحزابٍ كثيرة بعد أن كانوا فرقةً واحدة ومثلهم المعتزلة والخوارج وغيرهم .
وهذا الاختلاف والاضطراب دليل فساد المعتقد ، بينما تجد أهل المعتقد الصحيح أهل السنة أصولهم واحدة وعقيدتهم واحدة لم تتغير منذ العصر الأول .

٥-منهجهم يتميز بالوضوح فليس فيه لبسٌ ولا كتمان ولذلك وصفه النبي صلى الله عليه

وسلم بالبياض فقال (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالــك ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفــاء الراشــدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ) رواه أحمد وبن ماجه والحاكم وصححه الألباني انظر حديث رقم: ٤٣٦٩ في صحيح الجامع

٦-تكفل الله بحفظ مصدر عقيدتهم وهو الكتاب والسنة قال عز وجل ﴿إِنَّا نَحْــنُ نَزَّلْنَــا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩]

٧-أنهم متمسكون بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المعتقد الصحيح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الإفتراق (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقــة كلها في النار إلا واحدة) . قالوا : من هي يا رسول الله ؟ قال (من كان على مثل ما أنــا عليه وأصحابي) رواه الترمذي وغيره وحسنه الألباني انظر حديث رقم (٥٣٤٣) في صحيح الجامع

٨-أنهم لا يتركون معتقدهم بغضاً له وقد يتركه بعضهم طمعاً في دنيا وهم قلة ومعظمهــم من الجهال لا من العلماء بخلاف ما عداها من المعتقدات فنرى عودة كبار المتعمقين فيها إلى الحق وتركهم لمعتقداتهم بغضاً لها وعرفاناً بفسادها ، ومن ذلك /

قال الغزالي (أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام) اهـــ .

وقال الشهرستاني

لعمــري لقــد طفــت المعاهد كلها وســيرت طــرفي بــين تلــك المعــالم

فلم أر إلا واضــعًا كف حائــرٍ على ذقــنٍ أو قــارعًا ســن نــادم

ولقد رد عليه الإمام الصنعاني فقال :

لعلك يا أستاذ ما زرت أحمداً رسول العلا المبعوث من خير هاشم

فو الله لو قد زرته الدهر مرةً لــما صرت نهباً للنسور القشاعم

ويقول الرازي وهو المتبحر في علم الكلام مخبراً عن نهاية أمره :

نهايــة إقدام العــقــول عــقــال وأكــثــر سعــي العــالمــين ضــلال

وأرواحنا فـــي وحشة مـــن جسومنا وحـــاصــــــل دنيــانـــا أذى ووبـــال

ولـــم نستفد مـــن بحثنا طول عمرنا ســـوى أن جمعـــنا فيـــه قيـــل وقـــال

ثم قال : لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فلم أرها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، اقرأ في الإثبات ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ واقرأ في النفي ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ﴿ ولا يحيطون بـــه علمًـــا ﴾ ، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي ١٠هـــ .

ويقول الجويني : لقد خضت البحر الخضم وتركت أهل الإسلام وعلومهم وخضت في الذي نهوني عنه والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لي وها أنا أموت على عقيدة أمي ١٠هـــ فهذه بعض اعترافات كبارهم ورجوعهم إلى مذهب السلف وهذا دليل على صحة مذهب السلف وأنه المتوافق مع الفطر السليمة والأفهام المستقيمة ٠

٩-أن أهل المعتقد الصحيح أهل السنة هم المنصورون بالحجة والسيف ، فكلمتـــهم ظـــاهرة ورايتهم عالية ، وما كان الله ليؤيدهم ويديم نصرهم لولا أنهم على الحق ، إذ من المعلوم أنـــه يمتنع في عدل الله وحكمته جل وعلا أن يديم نصر الباطل وأن يعلي كلمة السوء ٠

١٠-أن عقيدتهم وسط بين طرفين بين أهل الغلو وبين أهل التساهل ٠ ومن الأمثلة علـــى وسطية أهل السنة ما يلي :

أ-يعتقد اليهود أن عيسى عليه السلام كذابٌ وابن بغي بينما يعتقد النصارى أنه الله أو ابـــن الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا فتوسط المسلمون في ذلك وقـــالوا : هـــو عبدالله ورسوله فقولهم : عبد الله ردٌ على النصارى الذين غلوا فيه ، وقولهم : ورســـوله رد على اليهود الذين كذبوه وأهانوه ٠

ب-يعتقد اليهود في الحائض أنها نجسة العين وبناءً عليه لا يجوز مؤاكلتها ولا مجالستها ولا الحديث معها ولا مسها لأنها عندهم نجسةٌ قذرة ، بينما يعتقد النصارى جواز فعل كل شيء معها حتى الجماع ، وفي الإسلام لا يجوز الجماع وما عداه جائز .

ج-وسطيتهم في باب الأسماء والصفات بين الممثلة الذين شبهوا الله بخلقه وبين المعطلة الذين نفوا عنه صفات الكمال والجلال ، وعند أهل السنة إثباتٌ بلا تمثيل وتتريهٌ بلا تعطيل .

د-وسطيتهم في باب القدر بين الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبورٌ على فعل المعصية والطاعة وإنما هو كالريشة في مهب الريح فلا مشيئة له مطلقاً، وبين القدرية الذين يقولون لا قدر والأمر أنف والإنسان يخلق فعله ، فقال أهل السنة : للإنسان مشيئة لاكنها تابعةٌ لمشيئة الله تعالى كما قال تعالى {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٢٩) سورة التكوير

هـ- وسطيتهم في باب الإيمان والكفر بين الوعيدية الذين يكفرون بفعل الكبيرة وبين المرجئة الذين يقولون لا يضر مع الإيمان معصية وإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء .

و- وسطيتهم في باب الصحابة وآل البيت بين النواصب الذين يغلون في الصحابة ويسبون آل البيت ، وبين الروافض الذين يسبون الصحابة ويغلون في آل البيت والسنة يعظمونهم جميعاً ولا يغلون فيهم .

* * *

((مصادر التلقي والإستدلال عند أهل المعتقد الصحيح أهل السنة))

المصدر الأول / كتاب الله

والمرجع في فهم كتاب الله وتفسيره يكون عن طريق النصوص المبينة لذلك كتفسير القرآن بالقرآن وتفسير القران بالسنة ثم تفسير القرآن بأقوال الصحابة لأنهم هم الذين عاينوا التتريل وتلقوا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحملوا أمانة البلاغ للأمة وإنما وصلنا القران من طريقهم وهم أعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستعان بلغة العرب في فهم معاني الكلمات لأنه نزل بلغتهم ، وأما ما يفعله أهل البدع من الخوض في الباطن كما يفعل الباطنية ونحوهم ممن يدَّعون أن للقران ظاهراً وباطناً وأن هذا الباطن يخالف الظاهر وقد اختصوا بعلمه فهذا من ضلالهم وتلبيسهم على الناس ٠

المصدر الثاني /

سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة وإن كانت آحاداً في العقائد وغيرها وذلك لأن أهل الأهواء والبدع وجدوا أن مبادئهم وأصولهم تتصادم مع بعض النصوص ، فكان من حيلهم أن زعموا أن النصوص التي تصادم أصولهم أحاديث آحاد وسموها ظنون وقالوا إنها لا تقبل في العقائد ، وما ذاك إلا حمايةً لعقائدهم الفاسدة ٠

المصدر الثالث /

إجماع السلف الصالح والأمة وهذا الإجماع مبني على الكتاب والسنة ، قال تعالى {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (١١٥) سورة النساء وقال تعالى {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ

} (١٠) سورة الشورى وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تجتمع أمتي على ضلالة)

أبرز القواعد في طريقة التلقي والإستدلال من هذه المصادر ما يلي :

١- يجب أن لا يعارض شيء من نصوص الكتاب والسنة الصحيحة بقياس ولا ذوق ولا كشف ولا قول شيخ ولا إمام ولا غيرهم .

فالقياس غير وارد في العقيدة لأننا إذا قسنا عالم الغيب على الشهادة وقعنا في الزلل وربما رددنا نصوص الشريعة ، ففي نصوص الشرع مثلاً ما يدل على أن المؤمن يوسع له في قبره مد بصره ويفتح له باباً إلى الجنة ويأتيه ملكان فيجلسانه وغير ذلك فهذا كله من أمور الغيب فلو أردنا أن نقيسه على الشهادة لأنكرنا ذلك إذ يستحيل في عالم الشهادة مثل هذه الأمور إذ القبر يكاد يضيق بصاحبه فكيف يدخل معه ملكان ويجلسانه ولو فتحنا القبر لوجدناه كما هو لم يوسع فيه و لم يضيق على صاحبه فنقول هذا كله عالم شهادة وعذاب القبر ونعيمه عالم غيبٍ فلا يقاس هذا على هذا ومن قاس وقع في الخطأ ، وهكذا كثيراً من أمور الإعتقاد هي غيبية فلا تقاس على عالم الشهادة .

والذوق لا يصح في الشريعة لأن هناك من أهل الأهواء والبدع من يزعمون أن بعض الأولياء أو بعض الصالحين إذا تذوقوا شيئًا أو مالت نفوسهم إليه فإنه يعتبر حقاً وشرعاً وهذا غير صحيح لأن الدين لا يبنى على التشهي وميل النفس وإنما يبنى على الخضوع والاستجابة لله عزّ وجلّ ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

وما يسمى بالكشف لا يصح في الشريعة لأن من أهل البدع من يزعمون أن من الصالحين وغيرهم من ينكشف له شيء من أمر الغيب أو من أحكام الحلال والحرام دون تقيد بالكتاب والسنة وهذا باطل لا دليل عليه وهو مدخل للشيطان .

وينبغي أن لا نعرض الكتاب والسنة على أقوال المشايخ والعلماء والأئمة والأولياء ، بل العكس أن نعرض جميع أقوال الناس مهما بلغوا من العلم على نصوص الدين وقواعده فما وافقها قبلناه وما عارضها رمينا به عرض الحائط .

٢- يجب البعد عن الابتداع في الدين فأصول الدين كلها قد بينها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس لأحدٍ أن يحدث شيئاً زاعماً أنه من الدين فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه ، ولمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) .

٣-العقل موافق للنقل الصحيح وعند توهم التعارض يقدم النقل لأن هناك أمرٌ يلتبس على كثير من الناس وهو أنهم يزعمون أن الله عزّ وجلّ جعل العقل مناط التكليف فهو الذي كلف بالنظر في النصوص وعلل الشرع واستنباط الأحكام من ذلك ، وهو الذي كلف بالإتعاظ والإعتبارإلى آخره ، فنقول نعم ولكن هل كلف بأن يضع ديناً مع دين الله عز وجل

٤-يجب الالتزام بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة وخاصةً في أمور العقيدة ويجب تجنب الألفاظ البدعية التي أحدثها الناس فأسماء الله مثلاً توقيفية في ألفاظها فلا نأتي بألفاظ أدبية أو فلسفية أو غيرها فنعبر بها عن الله عز وجل ، كتسمية بعضهم له جل وعلا بالصانع أو العقل الفعال ونحو ذلك فهذا منكرٌ عظيم ، وهكذا في صفاته جل وعلا كالتعبير عن الذات بالجسم وعن العلو بالجهة وغير ذلك فهذه أيضاً لا تجوز وهي منكرٌ عظيم يجب التوبة منه والرجوع إلى المصطلحات الشرعية فلا يغني عنها شيء ولو ظُنَّ أنه مرادفٌ لها . وأما طريقة التعامل مع المتلفظين بالألفاظ المجملة المحتملة للخطأ والصواب فيستفسر عن معناها الذي أرادوه فإن كان حقاً أثبت بلفظ شرعي وإن كان باطلا رد ، مثل تعبير بعض الناس عن علو الله عز وجل سبحانه بالجهة ، فنقول لهم ماذا تريدون بالجهة؟ فإن قالوا نريد أن نثبت علو الله عز وجل فنقول: إذًا المعنى صحيح لكن كلمة جهة باطلة ، فعبروا بلفظ العلو واتركوا الجهة . وإن قالوا أردنا المكان الذي يحوي . فهنا نقول اللفظ باطل والمعنى أيضاً باطل فالله عز وجل سبحانه متره عن أن يحويه مكان .

(((المصدر الأول للتلقي عند أهل السنة)))

((القران الكريم))

القران لغةً / مصدر قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً قال تعالى {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} (١٨) سورة القيامة أي قراءته ٠

وقيل إن المعنى عائدٌ إلى الجمع والضم فالقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض ، وسمي القرآن بذلك لكونه يجمع ثمرة جميع العلوم كالكتب السابقة وأخبار المبدأ والمعاد والأحكام والمواعظ والطب والعلوم الإنسانية وغير ذلك كما قال تعالى{ مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ } (٣٨) سورة الأنعام

القران اصطلاحاً / هو كلام الله عز وجل المترل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم المتعبد بتلاوته المعجز بأقصر سورةٍ منه ٠

فقولنا / كلام الله : يخرج ما عداه من كلام البشر والجن والملائكة وغيرهم

وقولنا / المترل على محمد صلى الله عليه وسلم : يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله عليهم الصلاة والسلام ، ويخرج أيضاً كلام الله الذي لم يترله على أحد إذ كلام الله لا حصر له كما قال تعالى {قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} (١٠٩) سورة الكهف وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٧) سورة لقمان

وقولنا / المتعبد بتلاوته : يخرج الحديث القدسي فإنه لا يتعبد بتلاوته ٠

((أبرز خصائص القران))

١-أنه محفوظٌ من الزيادة والنقصان والتحريف والضياع كما قال تعالى{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر وأما الكتب السابقة فقد وكل الله حفظها إلى من أنزلت عليهم كما قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء } (٤٤) سورة المائدة فلم يحفظوه بل أضاعوه وحرفوه ، وأما القران فقد تكفل الله بحفظه وهيأ جل وعلا لحفظه أسباباً فمن ذلك أن جعل العرب أمةً تعتمد على الحفظ فكانوا يحفظون القصائد الطوال والخطب وغيرها من أول ما يسمعونها وهكذا حفظوا القران ثم زرع حبه وتعظيمه في نفوسهم فصاروا يحرصون على تعلمه وتعليمه لأبنائهم ومن يحبون حتى انتشر حفظه وفهمه بين الأمة ، والحكمة في حفظه والله تعالى أعلم لأنه آخر كتابٍ يحمل آخر رسالةٍ تبقى إلى قيام الساعة .

٢-أنه المعجزة الخالدة الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من الأنبياء من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) متفق عليه .

٣-أنه خاتم الكتب السماوية الناسخ لها والمهيمن عليها .

٤-أنه يؤجر بتلاوته فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترمذي وصححه الألباني حديث رقم (٦٤٦٩) في صحيح الجامع

٥-أنه سهلٌ ميسر للتلاوة والحفظ والفهم كما قال تعالى {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } (١٧) سورة القمر

٦-عدم الملل من تكرار تلاوته وترديد حفظه وتدارسه بل العكس من ذلك كلما ازداد من قراءته وتدارسه كلما ازداد له حباً وشوقاً إلى المزيد من ذلك .

((العقيدة الصحيحة في القران))

عقيدة أهل الحق في القران / أنه كلام الله عز وجل حروفه ومعانيه ، تكلم الله بــه حقيقــةً على صفةٍ تليق بجلاله وعظمته ، منــزل غير مخلوق ، منه بدأ وإليه يعود ، واتفق المسلمون على أن من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر .

والأدلة على أنه كلام الله كثيرة قال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّــى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} (٦) سورة التوبة وقــال {سَــيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّــن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًــا} (١٥) سورة الفتح فذكر الكلام ونسب القول إليه كقوله تعالى {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّــي مُتَوَفِّيــكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ } (٥٥) سورة آل عمران وقال النبي صلى الله عليــه وســلم (أحسن الكلام كلام الله وأحسن الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم) رواه النسائي وصحح إسناده الألباني وقد عاب الله على قومٍ عبادة الهةٍ لا تتكلم فقال تعالى {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْــدِهِ مِــنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَــذُوهُ وَكَــانُواْ ظَالِمِينَ} (١٤٨) سورة الأعراف فدلَّ على أن ربنا جل وعلا يتكلم ، وهل القران إلا كلامــه لنــا ، ولقد توعد الله من كتم كلامه في الدنيا أن لا يكلمه في الآخرة عقوبةً له فقــال تعــالى{إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِــيمٌ} (١٧٤) سورة البقرة وقــال تعالى{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِــرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٧٧) سورة آل عمران فــدَّل على أنه يكلم أوليائه بمفهوم المخالفة ولقد صرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال (ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان) متفقٌ عليه

((الرد على الأشاعرة والكلابية ومن نحا نحوهم))

قول أهل الحق عن القران (هو كلام الله حروفه ومعانيه تكلم به حقيقةً على صفةٍ تليق بجلاله وعظمته) ذلك أن الأشاعرة والكلابية وغيرهم أنكروا الحرف والصوت وقالوا كلام الله عز وجل معنىً قائمٌ بنفسه ليس بحرفٍ ولا بصوت إنما هو معاني في نفس الله عزّ وجلّ لم يتكلم بها إنما تكلم بها غيره حكايةً أو تعبيراً عن مراد الله إما جبريل وإما محمد عليهم الصلاة والسلام فالله اضطرهم حتى فهموا المعنى القائم بنفسه فحكوا وعبروا به فاللفظ منهما والمعنى من الله ، ويستدلون ببيت ينسب للأخطل النصراني قال فيه :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ويستدلون أيضاً على إنكار العلو والإستواء بقول الأخطل :

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق

ولذا رد عليهم شيخ الإسلام بقوله :

سحقاً لمن نبذ الكتاب وراءه وإذا استدل يقول قال الأخطل

ويستدلون بقوله تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ} (٤١) سورة الحاقة وقوله تعالى {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (١٩) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ} (٢٠) سورة التكوير فالآية الأولى تشير إلى محمد عليه الصلاة والسلام والثانية إلى جبريل عليه السلام وقد نسب الرب جل وعلا القول بالقرآن إليهما مما يدل على أنهما هما اللذان قالاه وعبرا به عن المعنى القائم في نفس الرب جل وعلا .

والجواب / أوضح من الشمس فإنه لا يمكن أن يكون القول الواحد قولاً لثلاثةٍ أو اثنين إنما أراد المبلغين فجبريل عليه السلام تلقاه مباشرةً سماعاً من كلام الرب جل وعلا ونقله بنصه

للنبي صلى الله عليه وسلم فسمع النبي صلى الله عليه وسلم القران من قول جبريل نقلاً لقول الرب جل وعلا ثم قاله النبي صلى الله عليه وسلم للناس وأخبرهم أنه سمعه من جبريل عليه السلام عن رب العزة جل وعلا ، فنسب الرب جل وعلا القول إليهما لجهة البلاغ لا أن أصل الكلام صدر منهما ، ولذلك لم ينسب النبي صلى الله عليه وسلم القرآن إلى نفسه ولا إلى جبريل بل نسبه إلى ربه جل وعلا وقد صرحت بذلك الآيات والأحاديث المتكاثرة ، ولكن قلَّ فهم القوم للنصوص فضربوا بعضها ببعض ورأوا أنها متعارضة وإنما التعارض في عقولهم وقلوبهم بل الأدلة يصدق بعضها بعضاً ولا تعارض بينها بحمد الله وصدق الله إذ يقول {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (٧) سورة آل عمران

وأهل الحق يقولون هو كلام الله حروفه ومعانيه سواء كان مكتوباً أو مقروءاً أو مسموعاً وأما المداد وهو الحبر والقلم الذي يكتب به والورق الذي يكتب فيه القران فهي مخلوقة وكلام الله غير مخلوق، قال ابن القيم مشيراً إلى ما قال القحطاني رحمهما الله:

ولقد شفانا قول شاعرنا الذي — قال الصواب وجاء بالإحسان
إن الذي هو بالمصاحف مثبتٌ — بأنامل الأشياخ والشبان
هو قول ربي آية وحروفه — ومدادنا والرق مخلوقان
فشفى وفرق بين متلوٍ — ومصنوعٍ وذاك حقيقة العرفان

((الأدلة على أن كلام الله بحرف))

قد ذكر أهل السنة أدلةً على أن كلام الله تعالى بحرف وصوت رغم أنه هو الأصل في الكلام ولا دليل على إخراج كلام الله من ذلك وجعلِه من قسم المجاز، لكن زيادةً في الإعذار وبيان الحق للمبتدعة فمن الأدلة على أنه بحرف /

١-قوله تعالى (الم) و (المص) و (كهيعص) و(حم) وغيرها من الحروف المقطعة فهل هذه إلا حروف وهي من كلام الله تعالى نسب القول بها إلى نفسه لا إلى غيره.

٢-ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما جبريل قاعد عند النبي صلى الله عليه وسلم سمع نقيضاً من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم فترل منه ملك فقال هذا ملك نزل إلى الأرض لم يترل قط إلا اليوم فسلم وقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته . رواه مسلم فبين أن الفاتحة وخواتيم سورة البقرة تتكون من حروف وهي من القران الذي نسب الله الكلام به إلى نفسه لا إلى تعبير غيره فدل على أن كلامه جل وعلا بحرف .

٣- ما ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني انظر حديث رقم (٦٤٦٩) في صحيح الجامع فذكر أن القران الذي نص الله عز وجل على أنه كلامه يشتمل على حروف يؤجر العبد على تلاوتها فدلَّ على أن كلام الله جل وعلا بحرفٍ .

٤-قول عليٍ رضي الله عنه من كفر بحرف من القران فقد كفر به كله .

((الأدلة على أن كلام الله بصوت))

١-قوله تعالى لموسى {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى} (١٣) سورة طـه فكيف يستمع إذا لم يكن الكلام بصوت ٠

٢-قوله تعالى {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١٠) سورة الشـعراء والمناداة تكـون بصوت وكذا قوله تعالى {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} (٥٢) سورة مريم فالمنـاداة والمناجاة تكون بصوت

٣-عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقـول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : لبيك ربنا وسعديك فينادى بصـوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار قال : يا رب وما بعث النار ؟ قال : من كل ألف أراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وتـرى النـاس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) فشق ذلك على الناس حـتى تغـيرت وجوههم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ومنكم واحد ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة) فكبرنا ثم قال : (ثلث أهـل الجنة) فكبرنا ثم قال : (شطر أهل الجنة) فكبرنا . رواه البخاري

((الرد على الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم))

قول أهل الحق عن القران / (هو كلام الله) وقولهم (منزلٌ غير مخلـوق) فيـه ردٌ علـى الجهمية والمعتزلة لأن الجهمية والمعتزلة ومن نحا نحوهم أنكروا أن يكون القران كـلام الله وقالوا إنما هو من مخلوقات الله ولهم في ذلك شبهٌ زعموا أنها أدلة منها /

١-استدلوا بقوله تعالى (اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) (الزمر: من الآيـة٦٢) والقرآن شيء من الأشياء فهـو داخل في عموم هذا النص ، فيكون مخلوقاً .

وأجاب أهل الحق / بأن عموم (كل) لا يقتضي دخول جميع الأشياء فيها كسائر صـيغ العموم فإن عموم كلٍ منها بحسبه كقوله تعالى عن ملكة سبأ (وَأُوتِيَتْ مِنْ كُـلِّ شَـيْءٍ) (النمل: من الآية٢٣) أي أوتيت من كل شيء يحتاجه الملوك في الغالب لا أنها أوتيت كل الأشياء فإنها لم تؤت ما أوتي سليمان عليه السلام ، وكقوله تعالى في ريح عاد { تدمر كل شيء بـأمر ربها }ومن المعلوم أنها لم تدمر السماوات والأرض والجبال والجمادات بل ولا حتى المساكن كما قال تعالى (فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ) (الأحقاف: من الآيـة٢٥) فدل ذلك على أنهـا إنمـا دمرت كل شيء تقدر على تدميره في الغالب وكل شيءٍ أمرت بتدميره ، فكذلك قولـه تعالى(اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ) أي مما يصلح أن يوصف بكونه مخلوقاً ، وهو هـذه العـوالم العلوية والسفلية من أرضها وسمائها وأفلاكها وملائكتها وإنسها وجنها وحيواناتها وشجرها ونباتها ومائها ونحو ذلك ، لكن الله تعالى بذاته وصفاته هو الخالق جل وعلا ومـا سـواه مخلوق ومن صفاته كلامه والقرآن من كلامه فلا يكون مخلوقاً ، ويلزمهم على هذا القـول وهو أن كل تعم كل شيء أن يكون الله جل وعلا مخلوقاً فقد قال تعالى (قُـلْ أَيُّ شَـيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ) (الأنعام: من الآية١٩) فهذا يثبت أن الله تعالى شيء وهو أكبر الأشياء جل وعلا ، فهل يدخل في عموم كل في قوله تعالى ((الله خالق كل شيء)) لا شك أنـه لا يقـول ذلك إلا مجنونٌ فاقد العقل والدين فتبين بطلان ما احتجوا به .

ويقال للمعتزلةأيضاً أنتم تخرجون أفعال العباد الصادرة منهم عن كونها مخلوقـــةً لله تعـــالى وهي شيء فأين حرصكم على الاستدلال بقوله تعالى{ الله خالق كل شيء }على العموم.
٢-ويستدلون أيضاً بقوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً) (الزخرف: من الآية٣) فقالوا : الجعل هنا هو الخلق فيكون المعنى إنا خلقناه قرآنا عربياً .
وأجاب أهل الحق أهل السنة على ذلك بأن (جعل) في اللغة العربية لها معانٍ فتأتي بمعنى (خلق) إذا تعدَّت إلى مفعولٍ واحد . وتأتي بمعنى (صَيَّر) إذا كانت تتعدى إلى مفعـــولين فمن أمثلة مجيئها بمعنى خلق قوله تعالى (وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) (الأنعام: من الآيـــة١) أي خلقهما لأن جعل لم تتعدى إلا إلى مفعول واحد وهو الظلمات والنور معطوفة عليها ، وكذا قولـــه تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا } (١٨٩) سورة الأعراف الواو عاطفـــة وجعل فعل ماض والفاعل ضمير مستتر تقديره هو عائد إلى الرب جل في عـــلاه ، ومنـــها جار ومجرور متعلقان بجعل ، وزوجها مفعول به ، فتكون جعل هنا بمعنى خلـــق لأنهـــا لم تتعدى إلا إلى مفعولٍ واحد .
وأما إذا تعدَّت إلى مفعولين فإنها تكون بمعنى صَيَّر ومن ذلك قوله تعالى (فَجَعَلْنَاهَا نَكَـــالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا) (البقرة: من الآية٦٦) فإن المفعول الأول (الها) في قولـــه (فجعلناهـــا) والمفعول الثاني (نكالاً) والمعنى فصيرناها نكالاً ،وقوله تعالى (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) (الفيل:٥) الفاء عاطفة وجعل فعل ماض وفاعله مستتر والهاء مفعول به أول وكعصف المفعـــول الثاني ومأكول نعت لعصف. فتكون بمعنى صير ومنه قوله تعالى (وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّـــذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً) (الزخرف: من الآية١٩) فإن المفعول الأول (الملائكة) والمفعول الثاني (إناثاً) فالواو عاطفة وجعلوا فعل وفاعل والملائكة مفعول جعلوا الأول والذين نعت وهـــم مبتـــدأ وعباد الرحمن خبره والجملة صلة الذين وإناثا مفعول جعلوا الثاني فتكون بمعـــنى صـــير أي وصيروا الملائكة باعتقادهم الفاسد إناثاً وقيل بمعنى سموا وقيل بمعنى حكموا أي حكموا على الملائكة بأنهم إناث كقوله تعالى ((ويجعلون لله البنات)) (النحـــل ٥٧) أي يحكمون له بـــذلك ، والمقصد أنه لا يكون بمعنى خلق فلا يقول عاقل أن معنى(وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ) (الزخرف: مـــن الآيـــة١٩)

أي وخلقوا الملائكة ومعنى ((ويجعلون لله البنات)) أي ويخلقون لله البنات ومعنى (فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) أي فخلقهم كعصف مأكول فلذلك قوله تعالى (إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (الزخرف:٣) المفعول الأول الضمير والمفعول الثاني (قرآناً) والمعنى إنا صيرناه قرآناً عربياً حيث تكلمنا به بلغة العرب .

٣-ويستدلون أيضاً بقوله تعالى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) (الأنبياء:٢) وقوله تعالى (وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ) (الشعراء:٥) فقالوا : المحدث هو المصنوع الجديد الذي لم يكن موجوداً قبل فيكون بمعنى المخلوق وقد وصف الله القران في هاتين الآيتين بأنه كذلك .

وأجاب أهل الحق أهل السنة: إن قوله تعالى في هاتين الآيتين (مُحْدَثٍ) من الحدوث وهو كون الشيء بعد أن لم يكن والقرآن حين كان يترل كان جديداً على الناس لم يكونوا علموه من قبل فهو محدث بالنسبة إلى الناس ، والمعنى أنه كلما نزل عليهم شيءٌ جديدٌ من القرآن استمعوه وهم ساهون غافلون . فليس المحدث هنا هو المخلوق .

علماً أن أهل السنة يقولون إن كلام الله جل وعلا قديم النوع حادث الآحاد فإنه كان متكلماً وما زال فهو يتكلم بما شاء وقتما شاء كيفما شاء ، فكلامه الأخير جل وعلا محدثٌ أي جديد بالنسبة لكلامه القديم ، وقد كان الرب جل وعلا يكلم جبريل عليه السلام بالقران فيترل به جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيعلمه إياه فهو كلامٌ جديدٌ من الرب جل وعلا وهو كلامٌ جديدٌ بالنسبة إلى الناس لم يسمعونه قبل فهو محدثٌ بهذا المعنى لا أنه مخلوق كما يقوله الجهمية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن الله قد أحدث أن لا تكلموا في الصلاة) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني انظر حديث رقم: ١٨٩٢ في صحيح الجامع فهل يصح أن يكون قوله (قد أحدث أن لا تكلموا في الصلاة) بمعنى قد خلق أن لا تكلموا في الصلاة ؟ لا يصح إنما المعنى قد شرع شرعاً جديداً .

٤-ويستدلون أيضاً بقوله تعالى في عيسى عليه السلام (إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ) (النساء: من الآيــة١٧١) وقال تعالى (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّــهَ يُبَشِّــرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ) (آل عمران: من الآية٤٥) وعيسى مخلوق فتكــون الكلمــة مخلوقة ، فقال أهل السنة : إن عيسى عليه السلام ليس هو (كن) وإنما هو المكون بـــــ(كن) كما قال تعالى (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُــنْ فَيَكُونُ) (آل عمران:٥٩) وقال تعالى (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) (آل عمــران:٤٧) فكلمة الله هي قوله (كن) وهذه ليست هي عين عيسى عليه السلام وإنما عيسى هو أثرها المقصــود بقولــه (فيكون) فعيسى عليه السلام تكوَّن بـــ (كن) وليس هو عين (كن) فعيسى عليه السلام مخلوق خلقه الله بأمره حين قال له (كن) فتكوَّن بهذه الكلمــة لا أن كلمــة الله نفســها مخلوقة كما يعتقده الجهمية ومن سار على منهجهم .

وأما أدلة أهل السنة على أنه منزل غير مخلوق فكثيرة منها قوله تعالى (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِــنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (الزمر:١) وقال تعالى (وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الشعراء:١٩٢) وقال تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (الحجــر:٩) وقال تعالى (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّــكَ) (النحل: من الآية١٠٢) وبيّن المولى جل وعلا أنه كلامه وكلامه صفةٌ من صفاته وصفاته منه جل وعلا غير مخلوقة ، وقد أتفق أهل السنة على ذلك وصرحوا بكفر من قال القران مخلوق لأنه جعل صفات الله مخلوقة وذلك تنقصٌ للرب جل وعلا .

((حكم قول لفظي بالقران مخلوق))

لا يصح قول لفظي بالقرآن مخلوق أو قول لفظي بالقرآن غير مخلوق بل الواجب السكوت عنه وعدم الخوض فيه لكن إذا ابتليت بمن يسأل عنه فلابد من الاستفصال فلا بد أن يفـــرق بين اللفظ والملفوظ به فمن قال لفظي بالقرآن مخلوق إن كان يقصد نبرات صوته وحركـــة لسانه ولهاته فهذه لاشك أنها مخلوقه وإن كان يقصد الملفوظ به فهو قول باطل لأن ما تلفظ به هو القرآن وهو كلام الله منزل غير مخلوق .

وأصل هذه الكلمة إنما قالها المعتزلة وذلك أنه لما خبت نارهم وانكسرت شوكتهم في عهـــد المتوكل رحمه الله و لم يستطيعوا أن يصرحوا بمذهبهم في القول بخلق القـــرآن كمـــا كـــانوا يصرحون به في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، بحثوا عن كلمةٍ مجملةٍ يستطيعون بها نفـــث سمومهم بين أهل السنة من حيث لا يشعر بهم أحد فبدل أن يقولوا : القرآن مخلوق ، قـــالوا : ألفاظنا بالقرآن مخلوقه ، فاستعجل بعض الغيورين من أهل السنة فقال : ألفاظنا بـــالقرآن غير مخلوقه . وكلا الإطلاقين مجمل ويحتاج إلى تفصيلٍ كما تقدم .

((قصة فتنة القول بخلق القران))

كان معطلة الصفات ينكرون أن الرب جل وعلا يتكلم فقال أهل الحق كيف تنكـــرون أن

الله عز وجل يتكلم وهذا كلام الله القران بين أيديكم فغصوا بذلك ثم اخترعوا القول بخلق القران فراراً من إثبات الكلام للرب جل وعلا إمعاناً في الباطل ودفاعاً عن بدعتهم ، وكان من أشد المعلنين بهذه البدعة رجلٌ يقال له بشر المريسي فقال هارون الرشيد : بلغني أن بشر المريسي يقول إن القران مخلوق فلله عليَّ إن أظفرني به لأقتلنه فبقي متخفياً زمن الرشيد فلما توفي أظهر مقالته زمن المأمون وكان المأمون شغوفاً بكتب الفلاسفة واليونان وغيرهم فترجمها إلى العربية وتأثر بها وأحب من يحبها وقربه فكان خاصته هم أهل الكلام والفلسفة ومنهم نفاة الصفات كبشر المريسي وغيره فتأثر بهم وأقنعوه بمذهبهم حتى اقتنع وهذا جزاء من يقدِّم كتب الضلَّال على كتب أهل الإسلام ، ولما اقتنع بمذهبهم دعوه إلى إلزام الناس به بقوة السلطان فبقي متردداً زمناً وخاصةً بعد هزيمة بشر المريسي في مناظرته مع عبد العزيز الكتاني كما في كتاب الحيدة ، ثم ما زال خاصته من أهل الضلالة يحسنون له أن يفتن الناس على القول بخلق القران حتى قوي عزمه بعد ذلك فأمر بامتحان العلماء فقدموا بين يدي نائبه ببغداد إسحاق بن إبراهيم فامتحنهم ونص المأمون على قتل من لم يجب منهم فأجابوا جميعاً متأولين قوله تعالى {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ(١٠٦)} سورة النحل غير أربعة منهم لم يجيبوا وهم (الإمام أحمد بن حنبل ، ومحمد بن نوح ، والحسن بن حماد سجادة وعبد الله بن عمر القواريري) فلمَّا اشتد عليهم الإمتحان بعد ذلك أجاب اثنان وهم (الحسن وعبدالله) وبقي الإمام أحمد ومحمد بن نوح أصرَّا على عدم الإجابة فلمَّا أيس النائب منهما أرسلهما مقيدين على جمل إلى المأمون وكان بطرطوس فدعى الإمام أحمد ربه جل وعلا أن لا يريهما المأمون فاستجاب الله دعاءه فمات المأمون وهما بالطريق فردا إلى الرقة ثم إلى بغداد وكان أبو جعفر الأنباري قد دخل على الإمام أحمد وهما في بغداد فقال : يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك فوالله لئن أجبت إلى خلق القران ليجيبن خلق وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت لابد من الموت فاتق الله ولا تجب فجعل أحمد يبكي ويقول ما شاء الله ، وكان أول ما

ابتدأهم بالإمتحان في شهر جمادى الآخرة من عام٢١٨هـ فقال ما تقولون في القران ؟ فقال الإمام أحمد هو كلام الله غير مخلوق فقال قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ(١١) } سورة الشورى ما السميع البصير ؟ قال أحمد هكذا قال الله تعالى ، وكان الإمام أحمد يقول : لست أبالي بالحبس ما هو ومترلي إلا واحد ولا قتلاً بالسيف إنما أخاف فتنة السوط فسمعه بعض أهل الحبس فقال : لا عليك يا أبا عبد الله إنما هما سوطان ثم لا تدري أين يقع الباقي فسري عنه ، ولَّما كانا في الطريق إلى المأمون لقيهم رجلٌ من الأعراب يقال له جابر بن عامر فسلم عليهم وقال للإمام أحمد : يا هذا إنك وافد الناس فلا تكن شؤماً عليهم وإنك رأسٌ اليوم فإياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه فيجيبوا فتحمل أوزارهم يوم القيامة وإن كنت تحب الله فاصبر على ما أنت فيه فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل وإنك إن لم تقتل تمت وإن عشت عشت حميداً قال أحمد : وكان كلامه مما قوى عزمي فلمَّا نزلوا دون المأمون بمرحلة جاء خادمٌ يمسح دموعه بطرف ثوبه ويقول يعز علي يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفاً لم يسله قبل ذلك وأنه يقسم بقرابته من رسول الله لئن لم تجبه إلى القول بخلق القران ليقتلنك بذلك السيف قال : فجثى الإمام على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء وقال : سيدي غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل ، اللهم فإن يكن القران كلامك غير مخلوق فاكفنا مؤنته . قال فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل ، فردوا وفي الطريق مات محمد بن نوح وتولى الإمام غسله وتكفينه والصلاة عليه وقال عنه : ما رأيت أحدا على حداثة سنه وقدر علمه أقوم لأمر الله من محمد بن نوح إني لأرجوا أن يكون قد ختم له بخير ، وقد قال لي ذات يوم : يا أبا عبد الله ، الله الله إنك لست مثلي أنت رجلٌ يقتدى بك قد مد الخلق أعناقهم إليك لما يكون منك فاتق الله واثبت لأمر الله ، ووصل الإمام وحيداً إلى بغداد في رمضان وأودع في السجن نحواً من ثمانية وعشرين شهراً وكان يصلي بأهل السجن والقيود في رجليه ثم أخرج إلى المعتصم على دابة وزيد في قيوده فلم يستطع المشي بها فحملها بيديه وكاد يسقط من الدابة حين ركبها من ثقل القيود وحجزها له و لم يساعده أحد فأدخل في غرفةٍ مظلمة ولا سراج قال

الإمام أحمد : فأردت الوضوء فمددت يدي فإذا إناءٌ فيه ماء فتوضأت منـــه ثم قمـــت ولا أعرف القبلة فلما أصبحت إذا أنا على القبلة ولله الحمد ، ثم دُعيت فأدخلت على المعتصـــم فلما نظر إليَّ وعنده بن أبي دؤاد قال : أليس قد زعمتم أنه حدث السن وهذا شيخٌ مكهل ؟ فلما دنوت منه وسلمت قال لي : ادنه فلم يزل يدنيني حتى قربـــت منـــه ثم قـــال اجلـــس فجلست وقد أثقلني الحديد فمكثت قليلاً ثم قلت : يا أمير المؤمنين أتأذن لي في الكلام قال : تكلم ، قلت : إلى ما دعا إليه بن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إلى شـــهادة أن لا إله إلا الله قلت : فإني أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قلت إن جدك بن عباس رضـــي الله عنهما قال : لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله قال لهم (أتدرون ما الإيمان) قـــالوا : الله ورسوله أعلم قال (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتـــاء الزكاة وأن تعطوا الخمس من المغنم) قال فتكلم ابن أبي دؤاد بكـــلامٍ لم أفهمـــه ، فقـــال المعتصم : لولا أنك كنت في يد من كان قبلي لم أتعرض إليك ، ثم قال : يا عبد الرحمن ألم آمرك برفع المحنة ، قال أحمد : فقلت الله أكبر هذا فرج للمسلمين ثم قال : ناظره يـــا عبـــد الرحمن كلمه (يريد بن اسحاق) فقال : ما تقول في القران ؟ فلم أجبه فقال المعتصم أجبه فقلت ما تقول في العلم ؟ فسكت فقلت القران من علم الله ومن زعم أن علم الله مخلـــوق فقد كفر بالله ، فسكت فقالوا فيما بينهم : يا أمير المؤمنين كفرك وكفرنا فلم يلتفـــت إلى ذلك ، فقال عبد الرحمن : كان الله ولا قران ، فقلت : كان الله ولا علم فسكت فجعلـــوا يتكلمون من هاهنا وهاهنا فقلت يا أمير المؤمنين أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله حتى أقول به فقال : بن أبي دؤاد وأنت لا تقول إلا بالقران والسنة ؟ فقلت وهـــل يقـــوم الإسلام إلا بهما ، وجرت بينهم وبينه مناظراتٌ طويلة في عدة أيام منها احتجـــاجهم عليـــه بقوله تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (٦٢)} سورة الزمر والقران شيء من الأشياء فهو مخلـــوق فـــرد عليهم بأن القران كلام الله وكلامه صفةٌ من صفاته فهل يخلق صفةً فيه فالله بصفاته خـــالق وما سواه مخلوق ثم إن هذا عامٌ يمكن تخصيصه نحو قوله تعالى عن ريح عاد {تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ(٢٥)} سورة الأحقـــاف فهي

لم تدمر السماوات والأرض بل ولا حتى مساكنهم بنص الآية ، واحتجوا عليه بمثـــل قولـــه تعالى {إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ(٣) } سورة الزخرف وكل مجعولٍ مخلوق فقـــال أحمـــد فهل قوله تعالى {فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ(٥) } سورة الفيـــل أي خلقهم ، وقال بعضهم حـــديث عمران (إن الله خلق الذِّكر) قال هذا خطأ حدثنا غير واحـــد (إن الله كتـــب الـــذكر) واحتج بعضهم بحديث بن مسعود (ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظـــم من آية الكرسي) فقال (وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والأرض ولم يقع على الآية) وقال أحدهم حديث خباب (يا هنتاه تقرب إلى الله ما استطعت فإنك لن تتقـــرب إليـــه بشيءٍ أحب إليه من كلامه) فقال هكذا هو ، وناظره المريسي أو غيره ببعض الفلســـفات كالجسم ونحوه مما لا فائدة فيه فقال الإمام : لا أدري ما تقول إلا أني أعلـــم أن الله أحـــدٌ صمدٌ ليس كمثله شيء ، وأورد لهم الإمام أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم في إثبـــات الرؤية ونحوها فجعلوا ينكرون الآثارويطعنون في رواتها ويردون الإحتجاج بها قـــال أحمـــد فسمعت منهم كلاماً لم أكن أظن أن أحداً يقوله ، فلما أنكروا الآثار وردوها احتج علـــيهم بالقران من مثل قوله تعالى عن إبراهيم {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِـــرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا(٤٢)} سورة مريم وقوله تعالى { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا(١٦٤) } سورة النساء وقوله تعالى {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ}(٤٠) سورة النحل ونحوها مـــن الآيـــات فقال بن أبي دؤاد : هو والله يا أمير المؤمنين ضالٌ مضل مبتدع وهنا قضـــاتك والفقهـــاء فسئلهم فقال ما تقولون ؟ فأجابوا بمثل ما قال بن أبي دؤاد ، وكان المعتصم يتلطـــف معـــه ويقول يا أحمد إني عليك لشفيق أشفق عليك كشفقتي على ابني هارون أجبني إلى هذا حتى أجعلك من خاصتي وممن يطأ بساطي فيقول يا أمير المؤمنين أعطوني آيةً من كتـــاب الله أو سنة رسوله حتى أجيبكم إليها ، فقالوا يا أمير المؤمنين هذا كافر ضال مضل وقال إســـحاق بن إبراهيم نائب بغداد : يا أمير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة أن تخلـــي ســـبيله ويغلـــب خليفتين ، فعند ذلك حمي واشتد غضبه وكان قبل ذلك ألينهم فقال للإمام أحمد وهو يظـــن أن جلساءه على شيء : لعنك الله طمعت فيك أن تجيبني فلم تجبني ثم قال : خذوه واخلعوه

واسحبوه قال أحمد فأخذت وسحبت وخلعت وجيء بالعاقبين والسياط وأنا أنظر وكـــان معي شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم مصرورةً في ثوبي فجردوني منه وصرت بين العقابين فقلت : يا أمير المؤمنين : الله الله إن رسول الله قال (لا يحل دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينــه المفــارق للجماعة) وأن رسول الله قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوهـــا عصموا مني دماءهم وأموالهم) فبم تستحل دمي و لم آت شيئاً من هذا ؟ يا أمـــير المـــؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله كوقوفي بين يديك فكأنه أمسك ، ثم لم يزالوا يقولون له : يا أمير المؤمنين إنه ضال مضل كافر فأمر بي فقمت بين العقابين وجيء بكرسي فأقمت عليه وأمرني بعضهم أن آخذ بيدي بأي الخشبتين فلم أفهم فتخلعت يداي وجيء بالضـــرابين ومعهـــم السياط فجعل أحدهم يضربني سوطين والمعتصم يقول له : شد قطع الله يدك ، ويجيء الآخر ويضربني سوطين ثم الآخر كذلك فضربوني أسواطاً فأغمي علي وذهب عقلي مـــراراً فـــإذا سكن الضرب يعود علي عقلي وقام المعتصم إليَّ يدعوني إلى قولهم فلم أجبه وجعلوا يقولون ويحك الخليفة على رأسك إمامك على رأسك واقف في الشمس وهو صائم وبعضهم يقول : أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم وبعضهم يقول : أقتله يا أمير المؤمنين ودمه في عنقي . فقال المعتصم : ما تقول يا أحمد ؟ فقلت : أعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله أقول بـــه ، فقال يا أحمد : أجبني إلى شيءٍ لك فيه أدنى فرج فأقول : أعطوني شيئاً مـــن كتـــاب الله أو سنة رسوله أقول به ، فرجع وقال للجلاد تقدم ، شد قطع الله يدك ، وقال عبد الرحمن : يا أحمد من صنع من أصحابك مثل ما صنعت ؟ وجعل الجلاد يضربني سوطين ويتنحى ويتقدم الآخر فيصنع مثله وهكذا والمعتصم يقول خلال ذلك : شد قطع الله يدك فأغمي عليَّ فلما استفقت إذا القيود قد أطلقت عني وقال لي رجلٌ ممن حضر لقد كببنـــاك علـــى وجهـــك ودسناك بالأقدام ، فوالله ما شعرت بشيءٍ مما قال ، وأحضروا ماءً فقالوا : له لما رأوا عليـــه من الضعف والعذاب أفطر وكان ذاك في نهار رمضان فقال لا أفطر ، فلما حضرت الظهـــر صلى بهم بن سماعة القاضي فلما انفتل قال أصليت في دمك قال : قد صلى عمر وجرحـــه

يثعب دماً ، فسكت القاضي ، وكان المعتصم يريد إطلاقه بلا ضرب فلم يزل بــه ابــن أبي دؤاد وإسحاق بن إبراهيم حتى أقنعاه بضربه فلما ضربه ندم وقال : لقد ارتكبنا إثماً في حــق هذا الرجل فقال بن أبي دؤاد هو والله يا أمير المؤمنين كافرٌ مشرك قد أشرك من غير ما وجه ، وكان أحد تلاميذ الإمام وهو المروذي يقول : يا إمام ألم يقل الله تعــالى { وَلاَ تَقْتُلُــواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا(٢٩)} سورة النساء ، قال فاخرج فانظر ما ترى فأخبرني فخــرج فرأى خلقاً كثيراً معهم الصحف والأقلام فقالوا ننظر ماذا يقول الإمام فنثبته فدخل فــأخبره فقال يا مروذي أتريدني أن أضل هؤلاء كلهم ، وكان بعض العلماء يحدثون الإمام عن التقية وما ورد فيها فقال ما تقولون في حديث خباب (إن من كان قبلكم كان ينشر بالمنشار من مفرق رأسه لا يصده ذلك عن دينه) فيئسوا منه فتركوه ، وأطلقه المعتصم بعد يئسه منــه ، وقيل إنه ندم ندماً كثيراً وجعل يسأل النائب حتى عوفي الإمام ففرح بذلك وفرح المسلمون بذلك وكان الطبيب يقول ما رأيت ضرباً كهذا وكان يقطع اللحم الذي فسد مــن شــدة الضرب والإمام صابرٌ يلهج لسانه بذكر الله فبرأ إلا أنه كان يشتكي من بعض المواضع حتى توفي وكذا آثار الضرب ومكانه في جلده لم يزل به حتى توفي ، وقد قرأ الإمام قوله تعــالى {وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّــالِمِينَ(٤٠) } سورة الشورى فقال قد جعلت الميت في حلٍ من ضربه إياي ، وقال : ما على رجلٍ أن لا يعــذب الله بسببه أحداً ، وقال عن المعتصم هو في حلٍ من ضربه إياي ٠ قال بن كثير : ولما شــفاه الله جعل كل من آذاه في حل إلا أهل البدعة وكان يتلوا في ذلــك قولــه تعــالى { وَلْيَعْفُــوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٢٢) } سورة النــور وقوله تعالى{ فَمَــنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ(٤٠)} سورة الشـورى ينادي المنادي يوم القيامة (ليقم من أجره على الله فلا يقوم إلا من عفا في الدنيا) وفي الحديث (ثلاث أقسم عليهن : ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ومن تواضع لله رفعه الله) اهــ٠ (البداية والنهاية١٠/٣٦٨)

وكان الذين ثبتوا في الفتنة فلم يجيبوا بالكلية هم :

١-الإمام أحمد بن حنبل وتقدمت قصته وبقي مطلقاً حتى تولى الواثق فمنعه من الفتيا والتدريس حتى توفي الواثق وجاء المتوكل الذي كان وقت خلافته نصرٌ لأهل السنة وقمعٌ لأهل البدعة فشرع الإمام في التدريس والفتيا حتى توفاه الله وكان يقول بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز فلما توفي غصت بغداد بالذين حضروا لشهود جنازته والصلاة عليه رحمه الله ورضي عنه .

٢-محمد بن نوح بن ميمون وكان شاباً جلداً قوياً في الحق وهو الذي صبر مع الإمام أحمد وتوفي في الطريق مثقلاً بالقيود والحديد .

٣-نعيم بن حماد الخزاعي توفي في السجن .

٤-أبو يعقوب البويطي مات في سجن الواثق مثقلاً بالحديد .

٥-أحمد بن نصر الخزاعي قال بن كثير كان من أهل العلم والديانة والعمل الصالح والإجتهاد في الخير وكان من أئمة أهل السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان يدعوا إلى القول بأن القران كلام الله متزلٌ غير مخلوق وكان الخليفة الواثق من أشد الناس في القول بخلق القران اعتماداً على ما كان عليه أبوه وعمه من غير دليل ولا برهان ، فقام أحمد يدعوا إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول بأن القران كلام الله فاجتمع عليه خلقٌ كثير وانتصب للدعوة له أبو هارون السراج يدعوا أهل الجانب الشرقي ورجلٌ آخر يقال له طالب يدعوا أهل الجانب الغربي فاجتمع عليه ألوف فانتظمت البيعة لأحمد بن نصر بالخروج على السلطان لبدعته وقوله بخلق القران ولما هو عليه وحاشيته من المنكرات فتواعدوا ليلة جمعة من شهر شعبان أن يضرب طبلٌ في الليل فيجتمع المبايعون في مكان اتفقوا عليه ، وأعطى أبو هارون أصحابه ديناراً دينارا وكان من جملة من أعطاهم رجلان من بني أشرس وكان يتعاطيان الشراب فلما كانت ليلة الخميس شربا في قومٍ من أصحابهما واعتقدا أن تلك الليلة هي الموعد وذلك قبل الموعد بليلة فقاما يضربان على الطبل في الليل ليجتمع إليهما الناس فلم يجيء أحد وسمع الحرس فأعلموا نائب السلطنة وهو محمد بن إبراهيم وكان نائباً لأخيه إسحاق بن إبراهيم فأحضر الرجلين فعوقبا فأقرا على أحمد بن نصر فأخذ خادماً

له فاستقره فأقر بما أقر به الرجلان فأخذ أحمد وجماعةً من رؤوس أصـــحابه وأرســـلهم إلى الخليفة بسر من رأى فأحضر له جماعة من الأعيان وحضر القاضي أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي فلما أوقف أحمد بن نصر بين يدي الواثق أعرض عن خروجه عليه ومبايعته العوام وقال له : ما تقول في القران ؟ قال : هو كلام الله ، قال أمخلوقٌ هو ؟ قال هو كلام الله وكان أحمـــد قد باع نفسه وحضر متحنطاً ، فقال الواثق ؟ فما تقول في ربك أتراه يوم القيامة ؟ قـــال : قد جاء القران والأخبار بذلك قال تعالى{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَـــاظِرَةٌ(٢٣) } سـورة القيامـة وقال رسول الله (إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) فنحن على الخبر ، قال الواثق : ويحك أيرى كما يرى المحدود المنجسم ويحويه مكـــان ويحصـــره الناظر ؟ أنا أكفر بربٍ هذه صفته (وهذه اللوازم من تركيب عقولهم وتحديث الشيطان لهم وإلا فهي ليست لازمةٌ للرؤية) فقال أحمد : حدثني سفيان بحديثٍ يرفعه (إن قلب ابن آدم بأصبعين من أصابع الله يقلبه كيف يشاء) وقال النبي صلى الله عليه وســـلم (يـــا مقلـــب القلوب ثبت قلبي على دينك) فقال إسحاق بن إبراهيم : ويحك أنظر ما تقول . فقال أنت أمرتني بذلك فأشفق إسحاق من ذلك وقال : أنا أمرتك ؟ قال : نعم أمرتني أن أنصح له . فقال الواثق لمن حوله : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فأكثروا القول فيه فقال عبد الرحمن بـــن إسحاق وكان مواداً لأحمد بن نصر قبل ذلك : يا أمير المؤمنين هو حلال الدم ، وقال أبـــو عبد الله الأرمني صاحب بن أبي دؤاد : اسقني دمه يا أمير المؤمنين ، فقال الواثق : لا بـــد أن يأتي ما تريد . وقال بن أبي دؤاد : هو كافر يستتاب لعل به عاهة أو نقص عقل . فقـــال الواثق إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن أحدٌ معي فإني أحتسب خطـــاي ثم نهـــض معـــه بالصمصامة وكانت سيفاً لعمرو بن معد يكرب الزبيدي أهديت لموسى الهادي أيام خلافته فلما انتهى الواثق إليه ضربه بها على عاتقه وهو مربوط بحبل قد أوقف على نطع ثم ضـــربه أخرى على رأسه ثم طعنه في بطنه فسقط صريعاً رحمه الله فإنا لله وإنا إليـــه راجعـــون ، ثم ضرب سيما الدمشقي عنقه وحز رأسه فصلب جسده لوحده ورأسه لوحده في بغداد وعنده حرس وقد وضعوا في أذنه رقعة مكتوب فيها هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصـــر

الخزاعي ممن قتل على يدي عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن أقام عليه الحجة في خلق القران ونفي التشبيه وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع إلى الحق فأبى إلا المعاندة والتصريح فالحمد لله الذي عجله إلى ناره وأليم عقابه بالكفر فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ولعنه اهـ ثم أمر الواثق بتتبع أصحابه فأخذ منهم نحو تسع وعشرين رجلا وأودعوا السجن وسموا الظلمة وقيدوا بالحديد ومنعت زيارتهم و لم يجر عليهم من الأرزاق التي كانت تجري على المحبوسين ٠ وكان أحمد بن نصر يسمع الحديث ويحفظه لا كنه لا يجلس للتحديث يقول إني لست أهلاً لذلك وأثنى عليه العلماء حتى قال أحمد بن حنبل : رحمه الله ما كان أسخاه بنفسه لله لقد جاد بنفسه له ، وقال جعفر الصائغ : بصرت عيناي وإلا فقئتا وسمعت أذناي وإلا فصمتا أحمد بن نصر حين ضربت عنقه يقول رأسه لا إله إلا الله وسمع أحدهم رأسه وهو مصلوب يقرأ {أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ(٢) } سورة العنكبوت قال فاقشعر جلدي ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما صنع الله بك قال : ما كانت إلا غفوة حتى لقيت الله عز وجل فضحك إليَّ ، ورأى بعضهم رسول الله في المنام ومعه أبو بكر وعمر وقد مرو على رأس أحمد بن نصر فلما جاوزوه أعرض رسول الله بوجهه الكريم عنه فقيل له : يا رسول الله مالك أعرضت عن أحمد بن نصر ؟ فقال : أعرضت عنه استحياء منه حين قتله رجل يزعم أنه من أهل بيتي ومات الواثق في السنة التي تليها أصيب بالإستسقاء وهو داءٌ في البطن فمات منه ٠ و لم يزل رأس أحمد بن نصر منصوباً من يوم الخميس ٢٣١/٨/٢٨هـ إلى ٢٣٧/١٠/٣ فجمع بين رأسه وجثته بأمر المتوكل رحمه الله وكان المتوكل يحب أهل السنة كالإمام أحمد بن حنبل وغيره فدخل عليه عبد العزيز الكتاني ونصحه بدفن أحمد بن نصر ودخل عليه بعد دفنه وقال يا أمير المؤمنين ما رئي أعجب من أمر الواثق قتل أحمد بن نصر ولسانه يلهج بالقران إلى أن دفن ، فساء المتوكل ما سمع في أخيه الواثق فدخل عليه بن الزيات فقال له المتوكل إن في قلبي شيء من قتل أحمد بن نصر فقال أحرقني الله بالنار إن قتله الواثق إلا كافراً ودخل عليه هرثمة فقال له مثل مقالته لابن الزيات فقال قطعني الله إرباً إرباً إن قتله إلا كافراً ودخل عليه بن أبي دؤاد فقال ضربني

الله بالفالج إن قتله إلا كافراً فقال المتوكل فأما بن الزيات فأنا أحرقته بالنار وأما هرثمة فإنه هرب فاجتاز بقبيلة خزاعة فعرفه رجل من الحي فقال يا معشر خزاعة هذا الذي قتل بن عمكم أحمد بن نصر فقطعوه إرباً إرباً وأما بن أبي دؤاد فقد سجنه الله في جلده وضربه بالفالج قبل موته بأربع سنين . واجتمع الناس في جنازة أحمد بن نصر وجعلوا يتمسحون به وبأعواد نعشه ويتمسحون بالجذع الذي صلب عليه فنهاهم المتوكل عن المغالاة في البشر ونهى عن القول بخلق القران ونهى عن تعاطي علم الكلام واستدعى أحمد بن حنبل وأكرمه غاية الإكرام وأمر له بجائزة فلم يقبلها ، وخلع المتوكل من ملابسه وأعطاه إياها فاستحيا منه فلبسها إلى الموضع الذي كان نازلاً فيه ثم نزعها وهو يبكي وكان المتوكل يرسل إليه من طعامه الخاص به وأحمد لا يأكل منه بل واصل الصيام ولولا أنه رد لبغداد لخشي عليه أن يموت جوعاً ، وكان لا يولي أحداً إلا بعد استشارته وارتفع أهل السنة في زمنه وطفئت نار أهل البدع فرحمه الله رحمة واسعة .

((شرح معنى : منه بدأ وإليه يعود))

قول أهل الحق عن القران / منه بدأ : أي أن مبدأ نزوله من عند الله عز وجل وأن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً فلم يتكلم به أحدٌ قبله والأدلة على هذا كثيرة قال تعالى {قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ } (١٠٢) سورة النحل وقال تعالى (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) (هود:١) وقال تعالى (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ) (النمل:٦)

وقولهم / وإليه يعود : أي في آخر الزمان ذلك أن كلام الله تعالى يسرى عليه في ليلةٍ فيرفع من المصاحف وصدور الحفاظ فلا تبقى في الأرض منه آية ، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب. حتى لايدري ماصيام ولا صلاة ولا نسك. ولا صدقة. ويسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى في الأرض منه أية. وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز. يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة : لا إله إلا الله. فنحن نقولها) فقال له صلة: ما تغني عنهم: لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة. ثم رددها عليه ثلاثا. كل ذلك يعرض عنه حذيفة. ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: ياصلة تنجيهم من النار ثلاثا. رواه بن ماجه والحاكم وغيرهما وصححه الألباني انظر حديث رقم (٨٠٧٧) في صحيح الجامع **وعن** شداد بن معقل أن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : لينتزعن هذا القرآن من بين أظهركم . فقال له شداد: يا أبا عبدالرحمن كيف ينتزع وقد أثبتناه في صدورنا وأثبتناه في مصاحفنا ، فقال يسرى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبدٍ منه ولا مصحف منه شيء ويصبح الناس فقراء كالبهائم ثم قرأ عبدالله { ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا } رواه الطبراني في المعجم الكبير وصحح إسناده بن حجر في الفتح (١٦/١٣) وهذا لا يقال مثله بالرأي فله حكم الرفع.
وقيل إن معنى قولهم (وإليه يعود) أي أن الكلام صادرٌ من الله عز وجل فمرجع التكلم به إليه لا إلى غيره . وكلا المعنيين صحيح .

((إختصار مذهب الطوائف في القران وتوضيح الفروقات بينها))

مذهب الجهمية والمعتزلة أن القرآن مخلوق وتقدم كلامهم والرد عليه .

وقول الكلابية والأشاعرة أن القرآن نوعان: ألفاظ ومعاني، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة في القران لأنها لفظ جبريل أو محمد عليهم الصلاة والسلام ، والمعاني قائمة في نفس الرب جل وعلا لم يتكلم بها إنما حكى أو عبر عنه بها جبريل أو محمد عليهم الصلاة والسلام وهي معنى واحد لا تتبعض إن حكي أو عبر عنه بالعربية كان قرآناً ، وإن حكي أو عُبر عنه بالعبرية كان توراة ، وإن حكي أو عبر عنه بالسريانية كان أنجيلاً ، وهم يطلقون على القران أنه كلام الله لكنهم يريدون المعنى المجازي لا أن الله تكلم به حقيقة ويقولون إن كلام الله لا يتعلق بمشيئتة وقدرته فلا يتكلم الله عز وجل عندهم متى شاء كيفما شاء وإنما كلامه معنىً قديمٌ في نفسه ثابتٌ لا يتغير وإنما يختلف باختلاف لغة الحاكين أو المعبرين عنه فإن حكوه أو عبروه عنه بالعبرية كان توراةً ٠٠الخ والماتريدية مثلهم أو قريباً منهم ٠

والفرق بين الكلابية والأشاعرة /

١-أن الكلابية وهم اتباع محمد بن سعيد بن كلاب يقولون المعنى القائم بنفس الرب جل وعلا أربعة معان (خبرٌ واستخبار وأمرٌ ونهي) وقال الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري هو معنىً واحد ومؤداه بأربعة معان أي أن جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام هم الذين أدوه بأربعة معانٍ وإلا فإن المعنى القائم بنفس الرب هو معنىً واحد لا يتجزأ لأنه لو تجزأ لأشبه كلام المخلوقين كذا يقولون ، والحقيقة أن هذا لا يقول به عاقل فكيف يكون الأمر هو بعينه النهي وهو الخبر وأن معنى قوله تعالى ((ولا تقربوا الزنى)) هو بعينه معنى قوله تعالى ((وأقيموا الصلوة)) ولكنه الهوى إذا أشربه قلب صاحبه جعله يقول الأعاجيب ويخترع الضلالات دفاعاً عنه ٠

٢-الكلابية يقولون : القران حكايةٌ عن كلام الله والأشاعرة يقولون : هو عبارةٌ عن كلام الله ٠ والفرق بين الحكاية والعبارة أن حكاية القول أي تقليده تماماً فالكلابية يقولون إن

جبريل أو محمد عليهما الصلاة والسلام أدوا كلام الله طبق ما هو موجـــودٌ في نفـــس الله الحروف والمعاني ، وأما العبارة عند الأشاعرة فمعناها أن جبريل أو محمد عليهمـــا الصـــلاة والسلام عبرا المعنى القائم في نفس الرب جل وعلا بألفاظٍ من عندهما فلا يلزم المطابقـــة في اللفظ وإنما في المعنى ٠

الفرق بين المعتزلة والأشاعرة /
(قال بن عثيمين : الفرق بين المعتزلة والأشاعرة أن المعتزلة يقولون ما في المصـــحف هـــو كلام الله لكنه خلقه في المصحف و لم يتكلم به ، والأشاعرة يقولون ليس هو كلام الله وإنما هو عبارة عن كلام الله وليس هو نفس اللفظ والمعتزلة يقولون إنه نفس اللفظ لكنـــه غـــير ملفوظ وإنما مخلوق)

ومذهب الاتحادية / أن كل كلام في الوجود هو كلام الله نظمه ونثـــره وحقـــه وباطلـــه وسحره وكفره والسب والشتم ٠٠الخ

ومذهب الكرامية / أنه كلام الله بحرفٍ وصوت لكنه حادث (.بمعنى أنه ليس من صـــفات الذات بل من صفات الفعل) ففارقوا أهل السنة في هذا لأن أهل السنة يقولون هو صـــفة ذاتٍ وفعل فمن صفات الله الذاتية أنه متكلم ومن صفاته الفعلية أنه يتكلم متى شاء مع من يشاء كيفما يشاء ٠

ومذهب السالمية / أن الكلام بحرفٍ وصوت لكنه قديم (.بمعنى أنه صفة ذات لا صفة فعل) فهو عكس قول الكرامية تماماً والرد عليهم كالرد على الكرامية وزادوا على الكرامية بقولهم إن الحروف تخرج جميعاً بصوتٍ واحد فقوله تعالى ((أنلزمكموها)) خرجت الألف مـــع النون مع الام مع الزاي ٠٠٠٠٠الخ جميعاً وليست متتابعة لأنا لو قلنا بالتتابع لقلنا بالحدوث

وقيام الحوادث في ذات الله ممتنع ٠ والصحيح أن قولهم هو الممتنع فلا يدرك عقلاً و لم يـــرد شرعاً أن الحروف تخرج جميعاً بلا تتابع ٠

ومذهب الفلاسفة / أنه معانٍ فاضت على نفوسٍ زكية بحسب استعدادها وقبولها فيوجـــب لها تصورات وتصديقات بحسب ما قبلته منه والفرق بين التصور والتصديق أن في التصـــور يعرف الإنسان الصورة وأما في التصديق فلا يعرف الصورة ولكن يحكم عليها ٠
وهذه كلها خيالات وفلسفات تبعد المسلم عن اليقين وعن حلاوة الإيمـــان بـــالله والتلـــذذ بكلامه وتوقعه في الإثم ، وكل ذلك ضلال وزيغ . وهذه الفرق استهانت بالقرآن وجرأت على تأويله على غير التأويل الشرعي وجرأت على القول بأن القرآن مجازات وأنه معاني غير مقصودة وأنه إشارات ورموز باطنية لا يعلمها إلا قلةً ممن ينتخبونهم فلم يعد كتاب هـــدىً للبشرية عندهم بل صرَّح بعضهم بأن ظاهر القران كفر وأنه فتنةٌ وضلال والعياذ بالله فـــانظر كيف تدرج بهم الشيطان حتى أوقعهم في الضلال المبين والانحراف عن الصـــراط الســـوي المستقيم ٠

((جواز التفضيل بين سور وآيات القران))

يجوز التفضيل بين آيات وسور القران بحسب ما ورد في النصوص ومن ذلك ما يلي :
١–عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رســـول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجبه فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي ، فقال: ألم يقل الله تعالى (اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم) (لأنفال: من الآية٢٤) (ثم قال لي لأعلمنك سورة هـــي أعظـــم

السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له : ألم تقل (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن ؟ فقال (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) رواه البخاري

٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن) رواه البخاري

٣-عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس فأقرأني قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس) فأقيمت الصلاة فتقدم فقرأ بهما ثم مر بي فقال (كيف رأيت يا عقبة بن عامر اقرأ بهما كلما نمت وقمت) رواه أبو داود والنسائي وحسن إسناده الألباني

٤-عن أبيٌّ بن كعب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم ؟ قال : قلت الله ورسوله أعلم ، قال يا أبا المنذر أتدري أيُّ آية من كتاب الله معك أعظم قال قلت : (الله لا إله إلا هو الحي القيوم) قال فضرب في صدري وقال (والله ليهنك العلم أبا المنذر) رواه مسلم وغير ذلك .

((المحكم والمتشابه في القران))

الإحكام له معنيان :

المحكم بالمعنى العام / أي المتقن في ألفاظه ومعانيه وأحكامه وأخباره الذي لا يحتمل الكذب ويميز به بين الحق والباطل قال تعالى{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ} (١) سورة يونس وقال تعالى ((كتابٌ أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيمٍ خبير)) سورة هود ١ فالقران كله محكم بهذا

المعنى العام .
والمحكم بالمعنى الخاص / قيل هو ما عرف المراد منه وقيل هو ما لا يحتمل إلا وجهاً واحداً وقيل هو ما استقل بنفسه و لم يحتج إلى بيان (مباحث في علوم القران للقطان ص٢٢١)

والتشابه له معنيان :
التشابه بالمعنى العام / أن بعضه يشبه بعضًا في أوامره وزواجره وأخباره وأمثاله فلا اضطراب بين آياته بل يصدق بعضه بعضًا ، ويوافق بعضه بعضًا ، فهو متشابه في الكمال والحسن والبلاغة والإعجاز والإتقان .
التشابه بالمعنى الخاص / قيل هو ما استأثر الله بعلمه وقيل هو ما احتمل أكثر من وجه وقيل هو ما يحتاج إلى بيانٍ برده إلى غيره (مباحث في علوم القران للقطان ص٢٢١)
فتبين بهذا أن التشابه الخاص ليس وصفًا للقران وإنما هو وصفٌ لبعض قراءه وذلك لقلةٍ في العلم وضعفٍ في الفهم ، والواجب أن يُرَدَ المتشابه إلى المحكم لا أن تضرب الأدلة بعضها ببعض قال تعالى {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (٧) سورة آل عمران وعن عائشة رضي الله عنها قالت : تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سماهم الله فاحذروهم) متفق عليه

((خطط الكفرة والمبتدعة للصدِّ عن كتاب الله))

أما الكفرة من اليهود والنصارى والمشركين وغيرهم فلا شك أنهم أعداءٌ لله ورسوله وكتابه وسيسعون جاهدين للصد عن سبيل الله كما قال تعالى ((يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة:٣٢) وقال تعالى ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (الصف:٨) ومن أقوالهم :

١-أن هذا القران من اختراع النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى {وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} (٥) سورة الفرقان ولو كان من اختراعه كما يقولون لما تباطأ في الذب عن عرضه حين أتهم ، وكذا في قصة أصحاب الكهف وفي وقائع كثيرة حتى قال الكافرون في بعضها قد ودعه ربه وقلاه فأنزل الله ((ما ودعك ربك وما قلى)) وقد ورد في القران عتابٌ للنبي صلى الله عليه وسلم كما في سورة عبس وفي فداء الأسرى يوم بدر وفي الإذن للمتخلفين في غزوة تبوك وغيرها فهل يصلح أن يعاتب نفسه ، ولقد كانوا يلقبونه بالصادق الأمين لصدقه وأمانته فكيف يترك الكذب عليهم ويكذب على رب العالمين ، ثم كيف عجزوا عن الإتيان بمثله لو كان كلامه وهو بشرٌ مثلهم .

٢-أنه تلقاه عن حدادٍ رومي كان بمكة كما قال تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ} (١٠٣) سورة النحل

٣-إحداث أصوات مزعجة لئلا يسمع الناس القران كما قال تعالى ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (فصلت:٢٦)

وأما المبتدعة من الجهمية والمعتزلة فقد صدوا اتباعهم كذلك عن الانتفاع بالقران وقالوا ليس هو كلام الله وإنما هو مخلوق وقال الأشاعرة والكلابية والماتريدية ليس هو كلام الله الحقيقي إنما هو حكاية أو تعبير عن كلام الله ، ولا شك أن في هذه الأقوال تقليلٌ من قدر القران وصدٌ عن التلذذ بقراءة كلام الرحمن إذ فرقٌ بين أن يقال لك هذا كلام الله أو يقال هذا من مخلوقات الله أو كلام مخلوقٍ حكى أو عبر عن مراد الله .

ثم جاء أخبث منهم وأشد في ذلك ألا وهم الشيعة الباطنية فإنهم قالوا بتحريف القران فلما رأوا أن الناس قد نفروا منهم لأن اليهود والنصارى لا يرضون أن يقول أحدٌ عن كتابهم أنه محرف فكيف بالمسلمين فالقول بتحريف القران نسف وإبطالٌ للدين فإذا كان أعظمُ كتابٍ في هذا الدين محرف وفيه أباطيل فهذا الدين محرف وفيه أباطيل فلا يصلح ديناً ، فهذا القول من أشنع ما يكون وأبطله ولا يقبله مسلمٌ عنده ذرةٌ من عقل ، فلما رأوا أن الناس قد

تركوهم ، رجعوا عن القول بالتحريف واتخذوا قولاً آخر يمكن أن يندرج علـــى الحمقـــى والمغفلين وهو القول بأن للقران تفسيراً باطناً غير هذا التفسير الظاهر ثم إن هـــذا التفســـير الباطن لا يعلمه إلا الأئمة أو من ينوب عنهم في الغيبة ، فيحرِّف تفسير القران على ما يوافق مذهبه الباطل فمثلا قول الله تعالى ((إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْـــتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَإِنَّ اللَّـــهَ شَـــاكِرٌ عَلِـــيمٌ) (البقـرة:١٥٨) فتفسيرها يفهم بمعرفة سبب الترول وذلك أن المشركين قبل الفتح كانوا قد جعلوا صنماً على الصفا وآخر على المروة فكان طوافهم حول الصفا والمروة لهذين الصنمين فلما أُمِرَ المؤمنـــون بالحج والعمرة تحرجوا من الطواف بالصفا والمروة لما كان فيهما من الأصنام فأخبرهم المـــولى جل وعلا أن الطواف بالصفا والمروة هو في الأصل من شعائر دين الله ولا يضركم ما أحدثه المشركون من الأصنام فلا حرج عليكم أن تطوفوا بهما ، فهذا هو تفسيره عند أهل الســـنة وهو يوافق ظاهر الآيات وواضحٌ من سياقها بعد معرفة سبب الترول ، ولكن جاء المبتدعـــة من الشيعة الباطنية وقالوا لا ليس تفسيرها هكذا إنما هذا تفسير أهل السنة الجهلـــة الـــذين لايعرفون بواطن التفسير إنما تفسيرها ((إن الصفا والمروة)) علي وفاطمة ((من شـــعائر الله)) من دينه أي ينبغي أن تتقربوا إليهم وتستشفعوا بهم عند الله وقالوا مثل ذلك في تفسير قول الله تعالى ((مرج البحرين يلتقيان)أي علي وفاطمة ((يخرج منهما اللؤلؤ والمرجـــان)) أي الحسن والحسين . ومن تأويلاتهم الضالة قالوا الجبت والطاغوت: أبو بكر وعمر ، والمستقر والمستودع الأئمة النطقاء ، وبسم الله الرحمن الرحيم الأئمة السبعة ، وما من دابة في الأرض قالوا: هذه دعاتهم ، والصوم كتمان علم الباطن وأسرار الأئمة ، والحج السفر إلى مشـــايخهم ونحو ذلك مما لا يرد في ذهن عاقل ، وتفسيراتهم هذه لا تصلح لا لغةً ولا عرفاً ولا شـــرعاً ولا على أي اعتبار، لكن المسألة عندهم مسألة انتصار للمذهب وقلب للمفـــاهيم فجعلـــوا الإيمان كفراً والكفر إيماناً وجعلوا الحق باطلاً والباطل حقاً، نكسوا وقلبوا المعاني وسموه علـــم الباطن وإنما هو علم الباطل والكفر والزندقة التي يدينون بها .

ثم جاء العلمانيون بتفسيرٍ جديد ففسروا قوله تعالى{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (٥٩) سورة الأحزاب قالوا الجلباب هو ما يغطي من الجسد ما يتكون من جلدتين كالإبطين والثديين والفرجين ليجيزوا للمرأة كشف ما عداه ، وقالوا إن الحدود كقطع السارق ورجم الزاني ونحوها إنما تصلح للمجتمع الوحشي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أما نحن الآن في عصر التقدم والحضارة فلا تناسب مثل هذه الحدود ، وقال بعضهم إنما جعلت في ذلك الزمن لقلة المادة ولعدم وجود السجون ونحوها فشرعت للتخلص من المجرمين أما الآن فهناك سجون وعقوبات متنوعة هي أجدى وأنفع من الحدود بزعمهم ، وقالوا إنما حرم الخنزير في ذلك العصر لكونه يأكل النجاسات وأما الآن فيربى في الحدائق البهية ويطعم من المأكولات النظيفة ولذا يحل أكله ، وقالوا إن الصلاة إنما شرعت لأن ذلك المجتمع لم يكن يعرف الرياضة والإنتظام فشرعت تنظيماً لوقتهم ورياضةً لأبدانهم وأما الآن فالناس يمارسون أنواع الرياضة وأوقاقم منظمة فلا يحتاجون إلى الصلاة ، وأما الحج فيمكن للشخص أن يطوِّف عقله في مجال المعرفة فيكفيه عن السفر والتطوف حول الكعبة وهكذا من الخزعبلات التي يقولونها ويسمونها التفسير الجديد للنصوص ، وهذا كله من الكفر والضلال ، فينبغي الحذر من تفسير أهل الضلالة فإنهم لمَّا عجزوا عن تحريف ألفاظ القران عمدوا إلى تحريف معانيه وتفسيره بما يناسب أهوائهم ٠

فينبغي على المسلم ألا يقبل التفسير إلا من أهل العلم الراسخين في العلم الموثوقين ديانةً وأمانة وألا يتلقف تفسير كل من تكلم في النصوص بعقله أو هواه أو أخذ بطرفٍ منها بغير علم كالخوارج حين انكروا الشفاعة لقوله تعالى {فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} (٤٨) سورة المدثر ونسوا أن يضموا إليها بقية النصوص التي تثبت الشفاعة ليعلموا أن المراد بالآية الكافرين دون عصاة الموحدين ، وهكذا حكموا بخلود أصحاب الكبائر ومثلهم كثير من أهل البدع فينبغي التثبت فيمن يقبل تفسيره ٠



(((الأصل الثاني للتلقي عند أهل العقيدة الصحيحة (السنة)))

السنة / لغةً : الطريقة وأصلها من قولهم : سننت الشيء بالمسن إذا أمررته عليه حتى يؤثر فيه سناً أي طريقاً قال الخطابي : أصلها الطريقة المحمودة فإذا أطلقت انصرفت إليها وقد يستعمل في غيرها مقيدة كقوله صلى الله عليه وسلم (من سن سنة سيئة) (انظر إرشاد الفحول للشوكاني)

اصطلاحاً / أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته عند الأصوليين وزاد المحـــدثين

وصفاته الخُلُقِية والخِلْقية

وعند الفقهاء / السنة : ما يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها

وتطلق على ما يقابل البدعة فيقال : فلان سني أو على السنة أو من أهل السنة .

((حكم ترك الاحتجاج بالسنة بحجة أن القران يكفي))

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَلا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني انظر حديث رقم (٢٦٤٣) في صحيح الجامع **وقد روى عن علقمة** عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال : (لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، قال علقمة : فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها أم يعقوب وكانت تقرأ القرآن ، فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله ، فقال عبد الله : وما لي لا ألعن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته ، فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه ، قال الله عز وجل { وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [الحشر/٧] فقالت المرأة : فإني أرى شيئا من هذا على امرأتك الآن ، قال : اذهبي فانظري ، قال : فدخلت على امرأة عبد الله فلم تر شيئا ، فجاءت إليه فقالت : ما رأيت شيئا ، فقال : أما لو كان ذلك لم نجامعها) متفق عليه

((طريقة أهل الباطل في صد اتباعهم عن السنة))

لقد سعى الضلّال في صد اتباعهم عن السنة بطرقٍ شتى فمن ذلك :

١-القول أن رواتها مجروحين وأنهم ارتدوا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وكفروا

بعد إسلامهم ولا يقبل من كافرٍ رواية ، وهو قول الروافض ومن سار على منهجهم ويقال لهم : يلزمكم على هذا القول أن لا تقبلوا القران لأن نقلته هم نقلة السنة ، وهذا من أبطل القول وأفسده فلا يلتفت إليه .

٢-القول أنها أخبار آحاد وأخبار الآحاد تفيد الظن ولا ينبغي العمل بالظنون .
والجواب / أن هذا القول باطلٌ أيضاً لأن معظم السنة أخبار آحاد والمتواتر منها قليل وفي ذلك اطراحٌ للسنة ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث الآحاد إلى الملوك وإلى الناس يخبرهم بأمر الله وأمر رسوله ولو كان خبر الآحاد غير مقبولٍ لبعث ما يبلغ حد التواتر ولطلب الناس ذلك فلمَّا لم يفعل و لم يطلب الناس ذلك تبين أن خبر الآحاد مقبول ، والله جل وعلا بعث الرسل عليهم الصلاة والسلام آحاداً إلى أقوامهم وألزم الناس بطاعتهم ، فتبين أن خبر الواحد الثقة يلزم قبوله .
ملاحظة / اختلفوا متى يبلغ الخبر حد التواتر ويزول عنه وصف الآحاد فقيل أربعين وقيل فوقه وقيل دونه ، ويلزم أن يكون هذا في كل الطبقات ، فلو قدِّر أنا وجدنا حديثاً قد رواه تسعة وثلاثون تابعياً عن مثلهم من الصحابة لم يقبل عندهم لأنه خبر آحاد لم يبلغ حد التواتر وكذا لو رواه ألف تابعي عن تسعةٍ وثلاثين صحابي لم يقبل لأن طبقة الصحابة لم تبلغ حد التواتر فالخبر حينئذٍ عندهم خبر آحادٍ لا يقبل فسبحان الله هل هذا إلا إسقاطٌ للسنة .
والأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام يردون السنة بحجة أنها خبر آحاد ثم يستدلون على تحريفهم للنصوص بأبيات نسبوها للأخطل وهي كذب لم ينقلها الثقات عنه ، ولا تعرف في ديوان ، وعلى فرضية صحتها فإنها خبر آحاد ، وهل خبرٌ ينقل عن الأخطل النصراني أولى بالقبول من خبرٍ ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم فيا عجباً لهذه العقول ، على أن الأخطل ليس عربياً وإنما هو من المولدين فأصله نصراني وقد ورد ما يدل على بقاءه على نصرانيته فهو القائل :
ولست بقائمٍ كالعير يدعو قبيل الصبح حي على الفلاح

ولست بصائمٍ رمضان طوعاً ولست بآكلٍ لحم الأضاحي

ولست بسائقٍ عيساً بكوراً إلى بطحـــاء مكة للنجاح

ولكني سأشـــربها شمـــولاً وأسجد عند منبلج الصباح

٣-القول أن المتواتر من الأحاديث ظني الدلالة ولو كان قطعي الثبوت بخلاف العقـــل فإنـــه قطعي الدلالة قطعي الثبوت فيقدم على الأدلة من الكتاب والسنة ٠

وبهذا نسفوا المتواتر أيضاً فلم يبق للسنة عندهم أي قيمة ، وهذا من الضلال المـــبين الـــذي يلبِّسون به على السذج من اتباعهم ٠

٤-القول أن عند أئمتهم ما يغني عنها وأنهم يتلقون عن الله مباشرة وأن أئمتهم معصـــومون من الخطأ ولذا كل قولهم صواب ولو ضاد الكتاب والسنة ٠ وهذا لا يلتفت إليه عاقل ٠

الإيمان والكفر

((تعريف الإيمان وأركانه))

الإيمان لغة: هو التصديق

وشرعاً: هو الاعتقاد بالجنان والقول باللسان والعمل بالجوارح والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ٠ ولا تكتمل حقيقة الإيمان شرعاً إلا بأن نجمع بين الاعتقاد والقول والعمل ٠

وأركان الايمان هي / الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره

ودليله حديث جبريل عليه السلام وفيه قال (فأخبرني عن الإيمان) قال النبي صلى الله عليه وسلم (أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره) قال (صدقت) متفق عليه

* * *

((الأدلة على أن الإيمان قولٌ وعملٌ واعتقاد))

١-دليل أنه اعتقاد بالقلب قوله تعالى (وَلَمَّا يَدْخُلِ الْأِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ) (الحجرات: من الآية١٤) وقوله تعالى (أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ) (المجادلة: من الآية٢٢) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ) (المائدة: من الآية٤١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (يا معشر من أسلم بلسانه و لم يفض الإيمان إلى قلبه). رواه الترمذي وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٧٩٨٥)

٢-دليل أنه قولٌ باللسان قوله تعالى (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ.........) الآية (البقرة:١٣٦) وقال تعالى (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: من الآية٦٤) وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} (١٣) سورة الأحقاف وقال صلى الله عليه وسلم لسفيان بن عبد الله (قل آمنت بالله ثم استقم) رواه مسلم وغيره وعن بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الإيمان بضع وستون أوقال بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ٠٠٠) الحديث متفق عليه فأمر الشارع بالقول و لم يكتف بمجرد ما في القلب ٠

٣- دليل أنه عملٌ بالجوارح قوله تعالى (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ) (البقرة: من الآية١٤٣) أي

صلاتكم فعن بن عباس رضي الله عنهما قال : لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قالوا يا رسول الله فكيف الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس فأنزل الله تعالى ((وما كان الله ليضيع إيمانكم)) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني وعن ابن عباس أيضاً في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بأربع أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال (أتدرون ما الإيمان بالله وحده) قالوا الله ورسوله أعلم ، قال (شهادة ألا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) متفق عليه وهذه كلها أعمال جوارح وقد سماها الشارع إيماناً ، وقال عليه الصلاة والسلام (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم فجعل تغير المنكر ومجاهدة أصحابه باليد واللسان من الإيمان وهي أعمال جوارح ٠ وإجماع السلف على ذلك (انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي)

* * *

((سبب عدم ذكر المتقدمين من علماء أهل السنة الإعتقاد بالجنان))

لأن الإعتقاد بالجنان معناه النية وهي داخلةٌ في كل ما يتعبد به إلى الله إذ العمل بلا نيةٍ باطل قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى) متفق عليه وإنما ذكرها المتأخرون لأن من الطوائف المبتدعة من أخرج النية وقال إن مجرد المعرفة تكفي فمن عرف الله فهو مؤمن ، وهذا من أبطل الباطل إذ فيه إبطالٌ للشرائع والرسالات فعادٌ وثمود وقوم صالحٍ وقوم لوط وفرعون وهامان وكفار قريش بل وحتى إبليس وجنوده وجميع الكفار

كلهم يعرفون الله عز وجل ومن جحده منهم إنما جحوده عن عنادٍ واستكبار مع إقراره بـــه في الباطن فعلى القول أن الإيمان هو المعرفة فيكون هؤلاء مؤمنون ويكون إرســـال الرســـل وإنزال الكتب وقيام الجهاد وسوق الجنة والنار كله عبث لا فائدة فيه فكل الناس مؤمنون ٠ وهذا لا يقوله من عنده ذرةٌ من عقلٍ أو إيمان ٠

وقد بيَّن كثيرٌ من العلماء أن قول السلف (الإيمان قولٌ وعمل) معنـــاه : قـــول القلـــب واللسان ، وعمل القلب والجوارح ٠

فالقول يطلق على أمرين: قول القلب ، وقول اللسان. والعمل يطلق على أمرين: عمل القلب ، وعمل الجوارح ٠

فقول القلب / هو اعتقاده وتصديقه ٠

وقول اللسان / نطقه وإقراره بلسانه بما يعتقده في قلبه ٠

وعمل القلب / الإخلاص والمحبة والرضا الإنابة والخوف والرجاء ونحوها من أعمال القلوب التي يقتضيها هذا الاعتقاد ٠

وعمل الجوارح / فعل المأمورات وترك المنهيات التي سببها هذا الاعتقاد ٠

قال تعالى (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون) أي صدق به في قلبه فكأنـــه يقول في قلبه صدقت فلذا سمي قول القلب ، ثم يظهر أثر هذا التصديق على قلبـــه فيحـــب ويبغض ويرجو ويخاف ويوقن ويخلص وفق هذا المعتقد فهذا عمل القلب ، ثم ينطق بلســـانه بما يوافق هذا المعتقد فذا قول اللسان ، ويظهر على جوارحه فيعمل بما يقتضيه هذا الإيمان من طاعة الرحمن واجتناب العصيان فذا عمل الجوارح وفي حديث {الإيمان بضـــع وســـبعون أو بضعٌ وستون شعبة ، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحيـــاء

شعبة من الإيمان } رواه البخاري ومسلم فالأولى قول اللسان والقلب والثانية عمل الجــوارح والثالثــة عمل القلب

تنبيه / عمل الجوارح يشمل أمرين : عمل اللسان وعمل بقية الأعضاء
فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك . وعمل بقية الجوارح ما يستلزم حركاتٍ بها كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والجهاد وترك المنهيات كالزنا والسرقة والربا ونحوها . فهذه كلها مــن عمل الجوارح وهي داخلةٌ في الإيمان لا تنفصل عنه .

((قول المرجئة في الإيمان))

قد أخرجت المرجئة أعمال الجوارح من الإيمان وقالوا (لا يضر مع الإيمان معصــية كمــا لا ينفع مع الكفر طاعة) وعليه فإن إيمان جبريل ومحمد عليهم الصلاة والسلام عندهم كإيمــان أفسق الموحدين صاحب الكبائر إذ الأعمال ليست من الإيمان . وهذا ظاهر البطلان .
ولا يصح القول أن العمل شرط كمالٍ في الإيمان إذ الشرط يكون خارج المشروط ولا أنهــا من لوازم الإيمان أو من مقتضى الإيمان أو هي دليل على الإيمان إذ كل هذه من أقوال المرجئة الذين يخرجون الأعمال من الإيمان ثم يلبِّسون على أهل السنة بمثل هذه الأقوال ، فالأعمــال

من الإيمان وهي جزءٌ لا يتجزأ منه لا يتم إلا بها .

ومن أقوال المرجئة (الأعمال والأقوال دليلٌ على ما في القلب من الاعتقاد) ومنها (لا كفر إلا باعتقاد) أو (لا كفر إلا بجحود واعتقاد) يريدون أن أعمال الجوارح لا فائدة فيها فلا ينفع فعل الطاعات وترك المحرمات ولا يضر ترك الطاعات وفعل المحرمات إذ الإيمان والكفر هو في الاعتقادات دون أعمال الجوارح .

وعند أهل السنة الأعمال من الإيمان وعليه فمن ترك الأعمال بالكلية بلا عذرٍ فليس بمؤمن بل هو كافر ، وأما الأحاديث التي تثبت أن أقواماً يدخلون الجنة لم يعملوا خيراً قط في أحاديث الشفاعة وحديث البطاقة وغيرها وكقوله صلى الله عليه وسلم (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أونفسه) رواه البخاري وكقوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه فالمراد بها من ترك العمل لعذرٍ شرعي و لم يتمكن منه حتى مات ، فهذا معذور وعليه تحمل هذه الأحاديث كرجلٍ أسلم ونطق بالشهادتين معتقداً لهما مخلصاً لله عز وجل ثم مات في الحال و لم يتمكن من العمل فهذا يعذره ربه عز وجل ويدخله الجنة برحمته ، وأما من يترك الأعمال بالكلية بلا عذر فكيف يكون مؤمن إذ لا يمكن أن يتكلم بكلمة التوحيد عن صدقٍ وإخلاص ثم لا يصلي أبداً وهو قادر ولا يصوم ولا يحج ولا يزكي فهذا دليلٌ على عدم إخلاصه وعدم صدقه وأن قلبه ليس مستيقناً بكلمة التوحيد ولو كان قلبه مستيقناً بها لعمل بكل ما تتطلبه هذه الكلمة ، وقد وردت النصوص تبين أنه لا بد من القيام بالأعمال وأنه لا يستقيم الدين بلا أعمال كقوله تعالى{ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف وقوله تعالى{أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} (٢٣) سورة الجاثية ومن ترك الأعمال بالكلية فقد اتخذ الهه هواه إذ قدَّم طاعة هواه على طاعة مولاه وقال تعالى {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي

قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ} (٧٧) سورة التوبة فهؤلاء عاقبهم الله لتركهم الصدقة وهي من الأعمال وقال تعالى{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (٩٣) سورة النساء وقال تعالى {وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} (١٤) سورة النساء وقال تعالى {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (٧٠) سورة الفرقان ونحوها من أدلة الوعيد التي رمى بها المرجئة عرض الحائط . وقد عدَّ شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من نواقض الإسلام الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به واستدل بقوله تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ} (٣) سورة الأحقاف فهذه الأدلة وغيرها مما لم نذكرها تدل على أن الأعمال من الإيمان وأن تركها خروجٌ عن الإيمان ، فيجب ضم الأدلة بعضها إلى بعض وأما الذين يستدلون ببعض الأدلة ويعرضون عن بعض فأولئك ينطبق عليهم قوله تعالى { أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} (٨٥) سورة البقرة وقوله تعالى {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} (٧) سورة آل عمران وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) متفق عليه وأما أهل الحق فإنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويفسرونه به جمعاً بين النصوص وإيماناً بالكتاب كله .

((الخلاف مع مرجئة الفقهاء))

المرجئة طائفتان /

الأولى / المرجئة الخلص وهم الذين يخرجون العمل من الإيمان ويرون أنه لا ينفع فعل طاعة ولا يضر فعل معصية وهؤلاء هم الذين تقدم الرد عليهم .

الثانية / مرجئة الفقهاء وهم الذين يخرجون العمل من مسمى الإيمان لكنهم يرون وجوبه وأن ترك الطاعة وفعل المعصية فيه ضررٌ على صاحبه ، وقد سار على هذا القول بعض الأحناف رحمهم الله وعفا عنا وعنهم .

وقد عدَّ بعض العلماء أن هذا الخلاف لفظيٌ لاتفاقهم مع الجمهور أن المسلم إذا فعل الواجبات أثيب عليها وإذا ترك شيئاً من الواجبات أو فعل المحرمات فإنه يأثم ويستحق العقاب .

والحقيقة أن الخلاف ليس بلفظي لأمور /

١- أن مرجئة الفقهاء لم يتأدبوا مع ألفاظ النصوص فقد وردت النصوص تبين أن الأعمال داخلةٌ في الإيمان كقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً) (٢-٤) سورة الأنفال فبين الله تعالى أن هذه الأعمال كلها من الإيمان ومنها ما هو من أعمال الجوارح وقال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٦٢) سورة النور فجعل الاستئذان من الإيمان وهو من أعمال الجوارح وقال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ} (١٥) سورة الحجرات فجعل الجهاد من الإيمان وهو من أعمال الجوارح وقال تعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} (٦٥) سورة النساء فجعل التحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم من الإيمان وهو من أعمال الجوارح وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث وفد عبد القيس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بأربع أمرهم بالإيمان بالله وحده وقال (

أتدرون ما الإيمان بالله وحده) قالوا الله ورسوله أعلم ، قال (شـــهادة ألا إلـــه إلا الله وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس) متفـق عليـه وهذه كلها أعمال جوارح وقد سماها الشارع إيماناً ، وقال عليه الصلاة والسلام (مـــن رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلـــك أضـــعف الإيمان) رواه مسلم فجعل تغير المنكر ومجاهدة أصحابه باليد واللسان من الإيمان وهـــي أعمـــال جوارح . وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (الإيمان بضعٌ وســـبعون شعبة) وفي رواية البخاري (بضعٌ وستون شعبة فأعلاها قول : لا إلـــه إلا الله ، وأدناهـــا إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان) فأعلى شعب الإيمـــان كلمـــة التوحيـــد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبينهما شعب متفاوتة منها ما يقرب من شـــعبة الشـــهادة ومنها ما يقرب من شعبة الإماطة ، فالصلاة شعبة والحج شعبة والزكاة شعبة والصوم شـــعبة وبر الوالدين شعبة وصلة الأرحام شعبة والجهاد في سبيل الله شعبة والأمر بـــالمعروف شـــعبة والنهي عن المنكر شعبة والإحسان إلى الجار شعبة وغير ذلك وقد أدخلها النبي صلى الله عليه وسلم كلها في مسمى الإيمان فكيف يقال إن الأعمال خارجة عن مسمى الإيمان ، فجمهور أهل السنة تأدبوا مع النصوص وأدخلوا الأعمال في مسمى الإيمان ومرجئة الفقهـــاء وافقـــوا النصوص في المعنى لكن خالفوها في اللفظ .

٢-أنهم فتحوا باباً للمرجئة الخلص فحين قال مرجئة الفقهاء : الأعمال ليست من الإيمـــان وإن كانت واجبة . قال المرجئة الخلص : بما أنها ليست من الأيمان وأن من تركها لا ينتفـــي عنه الإيمان فإذن لا يضر تركها فليست بواجبة .

٣-أنهم فتحوا باباً للفُسَّاق والعصاة فلما قال مرجئة الفقهاء : إن العمل ليس من الإيمان وأن الإيمان شيء واحد لا يزيد ولا ينقص . قال الفساق : بما أن الإيمان واحد لا يزيد بالطاعـــة ولا ينقص بالمعصية فلماذا نفعل الطاعة ونتجنب المعصية فلنقتحم الكبائر ولنجتنب الطاعات

فإن إيماننا لا يتأثر بالأعمال فليست داخلةً فيه ولا يزيد إيماننا ولا ينقص فسيظل إيماننا مهما ارتكبنا من الموبقات وتركنا من الفرائض والواجبات كإيمان جبريل ومحمد عليهم الصلاة والسلام وكإيمان أبي بكرٍ وعمر رضي الله عنهما وهذا من أبطل الباطل .

٤ -أن مرجئة الفقهاء يمنعون الاستثناء في الإيمان وهو قول القائل (أنا مؤمن إن شاء الله) لأن الإيمان عندهم شيء واحد هو التصديق ، فيقولون : أنت تعلم أنك مصدِّق بالقلب فكيف تقول : أنا مؤمن إن شاء الله. إذاً أنت تشك في إيمانك ، ولهذا يسمون المؤمنين الذين يستثنون في إيمانهم الشكَّاكة . وأما جمهور أهل السنة فإنهم يفصِّلون فيقولون : إن قال القائل (أنا مؤمن إن شاء الله) يقصد الشك في أصل إيمانه فهذا ممنوع ؛ لأن أصل الإيمان التصديق ، وأما إن نظر إلى الأعمال والواجبات التي أوجبها الله والمحرمات التي حرمها الله ورأى أن شعب الإيمان متعددة والواجبات كثيرة فالإنسان لا يزكِّي نفسه ولا يقول بأنه أدّى كل ما عليه بل يتهم نفسه بالتقصير وحينئذٍ يقول (أنا مؤمن إن شاء الله) لما يعلم من تقصيره في جنب الله فهذا لا بأس به بل هو حسن لأن فيه بعداً عن العجب المحبط للعمل . وكذلك إذا أراد عدم علمه بالعاقبة وأن العاقبة لا يعلمها إلا الله ، وكذلك إذا أراد التبرك بذكر اسم الله . وبهذا يُعلم أن الخلاف ليس بلفظي .

((الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص))

مذهب أهل السنة أن الإيمان يزيد حتى يبلغ كماله إذا جاء العبد بموجبات زيادته ، وينقص حتى ينتهي كله إذا جاء العبد بموجبات نقصانه ، وهذا ما تواترت به الأدلة قال تعالى ((وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً)) (المدثر: من الآية٣١) وقال تعالى {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ } (٤) سورة الفتح وقال تعالى (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً) (الأنفال: من الآية٢) وقال تعالى {وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ } (١٢٤) سورة التوبة وقال تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} (١٧٣) سورة آل عمران وقال النبي صلى الله عليه وسلم (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما وصححه الألباني انظر حديث رقم (١٥٧٨) في صحيح الجامع وقال عليه الصلاة والسلام (من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني انظر حديث رقم (٥٩٦٥) في صحيح الجامع وقال عليه الصلاة والسلام (الطهور شطر الإيمان) رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميصٌ يجره) قالوا فما أولت ذلك يا رسول الله ؟ قال (الدين) متفق عليه

وأما نقصان الإيمان فأدلته ما تقدم لأن كل ما يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان ، وأيضاً فقد قال صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) متفق عليه والمراد بالخير هنا الإيمان كما في الرواية الأخرى لحديث الشفاعة وفيه (فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال ذرةٍ أو خردلةٍ من إيمان ٠٠٠الخ) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن) فقلن : وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟ قال (أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل) قلن : بلى ، قال (فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل و لم تصم ؟ قلن : بلى ، قال (فذلك من نقصان دينها) متفق عليه فتبين أن الإيمان يزيد وينقص وعليه إجماع أهل السنة سوى مرجئة الفقهاء ٠

وقد قسم المولى جل وعلا المؤمنين إلى ثلاث مراتب قال تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} (٣٢) سورة فاطر فالظالم لنفسه المقصر في الفرائض والواجبات ، والمقتصد الذي اقتصر عليها دون النوافل ، والسابق بالخيرات الذي قام بالنوافل مع الفرائض . ولو كان الإيمان واحد لا يزيد ولا ينقص لكانوا في مرتبةٍ واحدة وهذا من الظلم الذي يتره عنه دين الله عز وجل .

((الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان))

١-قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١٧٨) سورة البقرة فوصف القاتل بأنه أخٌ للمقتول مما يدل على أنه لا يزال على الإيمان مع اتصافه بالقتل الذي هو من كبائر الذنوب ومثل ذلك قوله تعالى{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ

إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (١٠) سورة الحجرات

٢- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا اسمه عبد الله يلقب حماراً كان يضحك النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد جلده في الشراب فأتي به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تلعنوه فو الله ما علمت أنه يحب الله ورسوله) رواه البخاري فشهد له بمقتضى الإيمان وهو محبة الله ورسوله رغم أنه شارب خمر التي شربها من كبائر الذنوب .

٣-أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعامل أصحاب الكبائر معاملة المسلمين ولو انتفى عنهم الإيمان وصاروا كفاراً لما عاملهم معاملة المسلمين ولأمر بقتلهم ردةً لأن المرتد يقتل ، فلمَّا لم يفعل تبين أنهم على إيمانهم .

وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) متفق عليه فالمراد نفي كمال الإيمان لا أصل الإيمان جمعاً بين الأدلة ، إذ لو كان المراد نفي أصل الإيمان لقتلهم ردة ولما عاملهم معاملة المسلمين ولما نهى عن لعنهم كما في حديث عمر المتقدم .

((الأدلة على أن مرتكب الكبيرة لا يخلد في النار))

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة) متفق عليه

٢- قول النبي صلى الله عليه وسلم (خمس صلوات كتبهن الله على العباد من جاء بهن لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة) رواه النسائي وغيره وصححه الألباني

٣- عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله عصابة من أصحابه (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله عليه في الدنيا فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك) متفق عليه

* * *

((الفرق بين الإسلام والإيمان))

إذا ذكر أحدهما دون الآخر فإن الآخر داخلٌ في معناه كقوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ) (آل عمران: من الآية١٩) أي والإيمان وقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً) (آل عمران: من الآية٨٥) أي وغير الإيمان وقوله تعالى (فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (آل عمران: من الآية٦٤) أي ومؤمنون وهكذا ، وأما إذا ذكرا جميعاً في نصٍ واحدٍ فيحمل كل واحدٍ منهما على معنىً خاص

فيكون الإسلام معناه الأعمال الظاهرة من الشهادتين والصيام والصلاة والزكاة والحج وسائر أعمال الجوارح ، ويكون معنى الإيمان الأعمال الباطنة أي أعمال القلــوب مــن التصــديق والإقرار والمحبة والإنابة والرجاء والتوكل والخوف ونحوها كقوله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا) (الحجرات: من الآية١٤) ففرق بينهما وكذلك في حديث جبريل فإنه فسر الإسلام بأعمال الجوارح وفسر الإيمان بأعمال القلوب ، فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقــا اجتمعا والإيمان أعلى من الإسلام فكل مؤمنٍ مسلم وليس كل مسلمٍ مؤمن .

((أنواع الكفرالأكبر))

١-كفر الإباء والاستكبار/ ككفر إبليس قال تعالى {وَإِذْ قُلْنَــا لِلْمَلاَئِكَــةِ اسْــجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ } (٣٤) سورة البقرة وقال تعــالى{بَلَــى قَــدْ جَاءتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (٥٩) سورة الزمر وقال تعالى{وَالَّــذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (٣٦) ســورة الأعــراف وقــال

تعالى {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١٠) سورة الأحقاف إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن من الكفر ما هو ناتجٌ عن الإباء والاستكبار ٠

٢-كفر الجحود والعناد / كأن يجحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة كربوبية الله وألوهيته أو يجحد ملكاً من الملائكة أو رسولاً من الرسل أو كتاباً من الكتب المترلة أو يجحد البعث أو الجنة أو النار أو الجزاء أو الحساب أو ينكر وجوب الصلاة أو وجوب الزكاة أو وجوب الحج أو وجوب الصوم أو يجحد وجوب بر الوالدين أو وجوب صلة الرحم أو غير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة وجوبه أو يجحد تحريم الزنا أو تحريم الربا أو تحريم شرب الخمر أو تحريم عقوق الوالدين أو تحريم قطيعة الرحم أو تحريم الرشوة أو غير ذلك مما هو معلوم من الدين بالضرورة تحريمه .

٣-كفر الاعتقاد / كما لو اعتقد لله صاحبةً أو ولداً أو اعتقد أن له شريكاً في الملك أو أن معه مدبرٌ في الكون أو اعتقد أن أحداً يشارك الله في أسمائه أو صفاته أو أفعاله أو اعتقد أن أحداً يستحق العبادة غير الله فإنه يكفر بهذه الاعتقادات كفراً أكبر ٠

٤-كفر الإعراض عن دين الله / وهو الترك والرفض كأن يعرض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به قال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ} (٣) سورة الأحقاف وقال تعالى {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ} (٢٢) سورة السجدة

والكفر يكون بالفعل كما لو سجد للصنم أو فعل السحر أو دعا غير الله أو ذبح لغير الله أو نذر لغير الله ٠ ويكون بالقول كما لو سب الله أو سب رسوله صلى الله عليه وسلم أو سب

دين الإسلام أو استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعـــالى {وَلَــئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنــتُمْ تَسْــتَهْزِؤُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَــذِّبْ طَآئِفَــةً بِــأَنَّهُمْ كَــانُواْ مُجْرِمِينَ} (٦٦) سورة التوبة

ملاحظة لا فرق في ذلك بين الجاد والهازل والخائف إلا المكره لقوله تعالى {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١٠٦) سورة النحل

((أنواع الحكم بالتكفير))

ينقسم التكفير عند أهل المعتقد الصحيح إلى قسمين :

الأول / التكفير بالوصف : ويراد به أن يكون الحكم بالكفر متوجهًا إلى القول أو الفعـــل لا إلى القائل أو الفاعل كقول (من شبه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله بـــه نفســـه كفر ، ومن صرف عبادةً لغير الله أشرك ، ومن قال بخلق القرآن كفر) ونحو ذلك ، يريدون بيان حكم هذه الأقوال والأفعال ، ولا يقصدون الحكم على المعين ، فقولهم : من قال بخلـــق

القرآن فقد كفر ، لا يلزم منه تكفير كل قائل بذلك بعينه . وقولهم : من شبه الله بخلقه فقد كفر ، لا يلزم منه تكفير كل مشبهٍ بعينه وهكذا . ويرجع في ذلك إلى الدليل فكل ما حكم الشارع بكفر فاعله فإنه يجوز القول من فعل كذا فهو كافر ، لكن لا نحكم على كل فاعلٍ بالكفر حتى تتوفر فيه شروط التكفير وتنتفي عنه موانعه .

الثاني / التكفير بالعين : ويراد به الحكم على شخصٍ معينٍ بالكفر فهذا يشترط فيه النظر إلى توافر الشروط وانتفاء الموانع ، فإنها قد تتوفر في شخصٍ فيحكم بكفره وتتخلف في آخر فلا نحكم بكفره ، ومرد هذا إلى الراسخين في العلم الذين يعلمون شروط وموانع الكفر وتطبيقاتها على المعين .

تنبيه / هذا فيمن يدعي الإسلام أما الكافر الأصلي فيحكم بكفره عيناً بلا بحثٍ عن تحقق الشروط وانتفاء الموانع إذ هو مقرٌ على نفسه بعدم الإسلام .

* * *

((الشروط والموانع التي يتوقف عليها كفر المعين))

الأول / العقل وضده الجنون ، فالعقل شرطٌ والجنون مانع .فمن فعل شيئًا من المكفرات وهو مجنون فلا يحكم بكفره لفوات شرطٍ وهو العقل ، ووجود مانعٍ وهو الجنون .

الثاني / البلوغ وضده الصغر ، فالبلوغ شرط والصغر مانع .

الثالث / العمد وضده الخطأ أو النسيان أو الذهول وكالنائم يحتلم فيتكلم بالكفر ونحو ذلك فمن لم يكن متعمداً قول أو فعل الكفر وإنما صدر عنه عن خطأٍ أو نسيانٍ ونحوه فلا يحكم

بكفره قال تعالى { وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا } (٥) سورة الأحزاب {لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا } (٢٨٦) سورة البقرة وثبت عند مسلم وغيره أن الله تعالى قال (قد فعلت) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ وعن الصبي حتى يبلغ وعن المعتوه حتى يعقل) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني وقال صلى الله عليه وسلم (لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان راحلته بأرضٍ فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم

تنبيه / ما وقع فيه مؤولة الصفات قد يكون من هذا الباب فإن أهل السنة لم يكفروا الأشاعرة ونحوهم من المؤولة ويرون أنهم لم يتعمدوا تحريف الصفات وإنما أخطأو وظنوا أن التأويل تنزيهٌ للرب جل وعلا وليس كذلك بل فيه تنقصٌ للرب من حيث لم يشعروا ، فالمقصد أن التأويل السائغ وهو الذي ساعدته اللغة أو العرف أو العقل يكون مخالفة النص بسببه من باب الخطأ لا العمد والله تعالى أعلم . ويؤيده حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية { وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى الَّليْلِ } (١٨٧) سورة البقرة أخذت عقالاً أبيض وعقالاً أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال (إن وسادك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٢٧٥) فهنا تأول عديٌ رضي الله عنه ووافقته اللغة لأن الخيط يطلق على العقال و لم يتعمد مخالفة النص فعذر ، وهذا مثال التأويل باللغة .

ومثال التأويل بالعرف حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله

عليه وسلم إلى أناسٍ من جهينة فأتيت على رجلٍ منهم فذهبت أطعنه فقـــال لا إلـــه إلا الله فطعنته فقتلته فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال (أقتلته وقد شهد أن لا إلـــه إلا الله ؟) قلت يا رسول الله إنما فعل ذلك تعوذاً قال (فهلا شققت عـــن قلبـــه) متفـــق عليـــه والشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل أسامة قصاصاً و لم يأخذ منه ديةً فدلَّ على أنه معذورٌ لأنه تأول بما يوافق العرف فإن من المتعارف عليه أنه لا يسلم أو يقر بشـــيءٍ تحـــت تهديد السلاح إلا المتعوذ يقول ذلك خوفاً من السلاح ٠

ومثال التأويل بالعقل قول النبي صلى الله عليه وسلم (أسرف رجلٌ على نفسه فلما حضـــره الموت أوصى بنيه فقال إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني ثم اذروني في البحر فوالله لئن قـــدر علي ربي ليعذبني عذابا ما عذبه أحدا ففعلوا ذلك به فقال الله للأرض أدي ما أخذت فإذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب فغفر له بذلك) متفق عليـــه فهذا لم ينكر مطلق القدرة لكنه ظن بعقله أنه حين يُفْعَلُ به هذا الصنيع أن الله لا يقدر على جمعه والعقـــل يحيل جمع شيءٍ قد حُرِّق وسحق وذر في البحر لكن قدرة الله فوق العقل ، وعذره الله بهـــذا التأويل ٠

الرابع / العلم وضده الجهل ، فالعلم شرطٌ والجهل مانع قال تعالى{ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّـــى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإســـراء وقال تعالى{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّـــهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (١٦٥) سورة النســـاء فنفى الله العقوبة عن الذي لم تبلغه دعوة الرسل ، ومن باب أولى نفي العقوبة عمن كان مؤمنًا بالله ورسوله و لم يبلغه بعض مـــا أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم من المكفرات ففعلها جهلاً بها ٠ غير أن باب العـــذر بالجهل ليس مفتوحاً على مصراعيه فمن كان في بلادٍ فيها علماء ويستطيع الوصـــول إلـــيهم والسؤال عما أشكل عليه أو كان في بلادٍ فيها مسلمين ومعروفٌ عندهم أن هذا الأمر مكفر فلا يعذر بالجهل حينئذٍ إذ هو ناتجٌ عن تقصير والله تعالى أعلم ٠

الخامس / الإرادة وضدها الإكراه ، فالإرادة شرط والإكراه مانع قال تعالى {مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (١٠٦) سورة النحل وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) رواه أحمد وبن ماجة وغيرهم وصححه الألباني انظر حديث رقم (١٧٣١) في صحيح الجامع

التوحيد والشرك

(((تعريف التوحيد وأقسامه)))

التوحيد / لغةً : مصدر وحد يوحد توحيداً وموحداً أي جعله واحداً أي فرداً .

اصطلاحاً / إفراد الله في ربوبيته وإلهيته وأسمائه وصفاته فلا يشرك معه غيره فيها .

والتوحيد ثلاثة أقسام :

١-توحيد الربوبية / وهو إفراد الله بالخلق والرزق والتدبير وهو توحيد الله بأفعاله .

٢-توحيد الألوهية / وهو إفراد الله بالعبودية وهو توحيد الله بأفعال العباد .

٣-توحيد الأسماء والصفات / وهو إفراد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا .

وبعضهم يجعله قسمين :

١-توحيد المعرفة والإثبات ، ويشمل توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات .

٢-توحيد القصد والطلب ، وهو توحيد الألوهية .

ومنهم من يقسمه إلى أقسامٍ أخرى وكلها ترجع إلى معنىً واحد ، والتقسيم الأول هو أشهرها وأوضحها وأبينها للمراد ، وهذه التقسيمات لم يرد بها نصٌ وإنما هي اجتهاداتٌ من العلماء رحمهم الله إذ أصل التوحيد واحد وإنما قسمه العلماء لمَّا رأوا أن أقواماً من هذه الأمة آمنوا ببعض التوحيد وكفروا ببعض وظنوا أنهم موحدون وليسوا كذلك فاضطر ذلك العلماء أن يقسموا التوحيد ليبينوا لهؤلاء أنهم إنما آمنوا بجزءٍ دون جزء ، ولا يكون الإنسان موحداً حتى يؤمن بالتوحيد كله فمن آمن بتوحيد الربوبية ولم يؤمن بتوحيد الألوهية فليس بموحد ومن آمن بهما وكفر بتوحيد الأسماء والصفات فليس بموحد وكذلك العكس حتى يؤمن بها جميعاً .

توحيد

الأسماء والصفات

المدخل لمعرفة

توحيد الأسماء والصفات

العلم نوعان /

١- علم الماديات وهو العلم بما خلق الله في الكون والطبيعة .

٢- علم الشرعيات وينقسم إلى نوعين : علمٌ بالله وأسمائه وصفاته ، وعلمٌ بشرائع الله وأوامره ونواهيه ، والأول هو الأعظم لأنه علمٌ يتعلق بأشرف وأجل وأكرم معلوم وهو الله جل في علاه .

((عقيدة أهل الحق في أسماء الله وصفاته))

يثبت أهل الحق لله جل وعلا ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلا من غير تمثيل ولا تكييف ، ومن غير تأويلٍ ولا تحريف على حدِّ قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(الشورى ١١) وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات التي لا تليق به جل وعلا .

فإثباتهم بريءٌ من التمثيل والتكييف ، وتتريههم بريءٌ من التعطيل والتأويل والتحريف .

والتمثيل / هو تشبيه الخالق بالمخلوق وهذا منفيٌ عن الرب جل وعلا قال تعالى{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى وقال تعالى{وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (٤) سورة الإخلاص قال في الجلالين أي مكافئا ومماثلا وقال تعالى { هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} (٦٥) سورة مريم قال بن كثير: قال ابن عباس: هل تعلم للرب مثلاً أو شبيهاً وهو قول مجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وغيرهم وقال تعالى{فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ } (٧٤) سورة النحل قال بن كثير : أي لا تجعلوا له أنداداً وأشباهاً وأمثالاً وقال القرطبي : أي لا تشبهوا به هذه الجمادات لأنه واحدٌ قادرٌ لا مثل له .

وقد تقرر في العقول السليمة أن الصفة تختلف باختلاف من أضيفت إليه ، فليست يد الفيل كيد النملة ، ولا جناح البعوضة كجناح النسر ، ولا قوة الأسد كقوة الهر ..الخ فإذا كان

هذا الاتفاق في المسميات لا يلزم منه الاتفاق في الصفات فيما بين المخلوقات فكيف يكون ذلك لازمًا بين الخالق الكامل من كل الوجوه والمخلوق الناقص من كل الوجوه .

والتكييف / التخييل بصفةٍ لا مثيل لها كأن يقول إن يد الله صفتها كيت وكيت بكيفيةٍ يخترعها في مخيلته لا مثيل لها في المخلوقات .

والتأويل / له ثلاثة معان :

الأول / حقيقة الشيء التي يؤول إليها أي يصير ويقع ، وهذا هو معنى هذه اللفظة في نصوص الوحيين فتأويل الأمر إيقاعه بعده قالت عائشة رضي الله عنها (كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتأول القرآن) متفق عليه أي يوقع حقيقة ما أمر به فيه ، وتأويل الرؤيا وقوعها قال يوسف عليه الصلاة والسلام {يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا } (١٠٠) سورة يوسف ، وتأويل الخبر وقوع حقيقته قال تعالى مهدداً الذين ينكرون اليوم الآخر (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ) (الأعراف: من الآية٥٣) أي هل ينتظرون إلا وقوعه كما أخبرنا بأهواله وما فيه ، وقال الخضر لموسى عليهما الصلاة والسلام (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: من الآية٧٨) أي سأخبرك بحقيقة ما ستكون عليه الأمور التي أنكرتها، ثم قال بعد أن بين له حقيقتها (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) (الكهف: من الآية٨٢) أي هذا الذي بينته لك هو الحقيقة التي يؤول إليها ما فعلته .

الثاني / التأويل بمعنى التفسير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لأبن عباس (اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) أي تفسير القرآن

الثالث / صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح أو عن الحقيقة إلى

المجاز لدليلٍ يقترن به كتأويلهم استوى في قوله تعالى ((الرحمن على العرش استوى)) بـأن معناه (استولى) وقالوا إنما صرفنا اللفظ لدليل وهو تتريه الرب عن مشابهة المخلـوقين لأن معنى استوى الظاهر أي علا واستقر والمخلوق يعلو ويستقر ففي ذلك مشـابهةٌ للمخلـوق وقد ورد عند العرب تفسير (استوى) ب (استولى) قال الأخطل:

قد استوى بشرٌ على العراق من غير سيفٍ أو دمٍ مهراق / أي استولى

والجواب / أن استواء الله يليق بجلاله وعظمته واستواء المخلوق يليق بضعفه وعجـزه فـلا مشابهة ، والبيت لنصراني على أنه قد قيل إن هذا البيت لا أصل له وإنما هو مـن اختـراع المؤولة ليستدلوا لمذهبهم ، لكن على فرض صحته فإن معناه أي قد علا واستقر بشرٌ علـى حكم العراق وحينئذٍ يكون تفسير استوى باستولى لا أصل له في اللغة ، فبطل مـا ادعـوه دليلاً صارفاً إلى المعنى المرجوح وهكذا في سائر أدلتهم التي صرفوا بها أسماء الله وصفاته عن حقيقتها اللائقة بها إلى معاني مخترعة زعموا أن فيها تتريهاً لله فعطلوها وحرفوها ، تـتره الله عن تتريههم .

وهذا النوع الثالث من التأويل لم يكن معروفاً عند السلف وإنما أحدثه المتأخرون وهو مـن الألفاظ المجملة التي تحتمل حقاً وباطلاً فإن كان هذا الصرف بمقتضـى الـدليل الصـحيح الصارف عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح فإنه يقبل كقوله تعالى { نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ } (٦٧) سورة التوبة فالنسيان يطلق في لغة العرب على معنىً راجح وهو الذهول والغفلة وعلى معـنىً مرجوح وهو الترك والتخلية ، والأصل أن تحمل ألفاظ الشارع على المعنى الراجح لكن قد جاءنا دليل صارف عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح وهذا الدليل صحيحٌ صـريح قـال تعالى { وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم فنفى عن نفسه النسيان المعروف فعلمنـا أنـه أراد بالآية الأولى المعنى المرجوح للنسيان وهو الترك فأخذنا به . فإذا كان التأويل بمقتضى دليلٍ صحيح فإنه يقبل وأما وإن كان مبناه على التخرص والهوى بلا دليلٍ فهو مردود وهـو وإن

سموه تأويلاً ليروج وتقبله النفوس إلا أنه في حقيقته تحريف ، لأن هذا الصرف الذي لا دليل عليه تحكمٌ في كلام المتكلم بلا إذن منه وهذا لا يجوز في آحاد كلام البشر فكيف بكلام الله جل وعلا .

والتعطيل / لغةً مأخوذٌ من العطل وهو الخلو والفراغ والترك ومنه قوله تعالى ((وبئرٍ معطلة)) (الحج٤٥) أي خاليةً من الورَّاد قد تركها أهلها .

والتعطيل اصطلاحاً / إنكار وجحود أسماء الله وصفاته كجحد المعتزلة أن الله يتكلم وقولهم أن القران مخلوق ونحو ذلك.

تنبيه / ليست المعطلة في هذه الأمة فحسب بل هي موجودةٌ في الأمم السابقة كاليهود فإنهم أنكروا أن يكون الله قد أنزل كتباً على بشر تنزيهاً لله بزعمهم عن الإيحاء إلى البشر ، ولقد ردَّ الله عز وجل عليهم فقال تعالى {وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} (٩١) سورة الأنعام لأن حكمته ورحمته وعفوه وكرمه بعباده يقتضي أن يرسل إليهم رسلاً وينزل عليهم كتباً ليدلوا عباده على الطريق الصحيح والصراط المستقيم ، فنزه الله نفسه عن تنزيههم ، وهكذا سائر المعطلة الذين يعتقدون أنهم ينزهون الله وهم في الحقيقة يصفونه بالنقائص فكيف يكون إلهاً لا يتكلم ولا يسمع ولا يبصر أي خيرٍ في هذا الإله ، ولقد عاب الله عز وجل على بني إسرائيل عبادتهم للعجل فقال { أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ } (١٤٨) سورة الأعراف وقال الخليل عليه السلام { يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا} (٤٢) سورة مريم

والتحريف / لغةً : التغيير والتبديل

واصطلاحاً / قسمان :

١- تحريف ألفاظ الأسماء الحسنى والصفات العلى بزيادةٍ أو نقصٍ أو تبديل كزيادة الجهمية

ومن سار على منهجهم كالمعتزلة والأشاعرة لاماً في استوى لتصبح استولى بزيادة لام فهذا تحريف لفظ ، وكقول اليهود حنطة لما قيل لهم قولوا حطة بزيادة نون ولذا قال ابن القيم رحمه الله :

أمر اليهود بأن يقولوا حطةٌ فأبوا وقالوا حنطةٌ لهوان

وكذلك الجهمي قيل استوى فأبى وزاد الحرف للنكران

نون اليهودِ ولام جهميٍ هما في وحي رب العرش زائدتان

وقد تكون الزيادة كلمةً كاملة كزيادة (أمر) في قوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٢٢) سورة الفجر لتكون (وجاء أمر ربك) فهذا تحريف لفظٍ ، وتحريف اللفظ يقتضي تحريف المعنى ٠

٢-تحريف المعنى دون اللفظ كتفسيرهم قوله تعالى { وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (١٦٤) سورة النساء قالوا معناها : جرحه بمخالب الحكمة تجريحا وكتفسيرهم الغضب بإرادة الانتقام واليد بالنعمة أو القدرة ونحو ذلك فهذا تحريفٌ للمعنى دون اللفظ ٠ وكلا التحريفين ضلالة ٠

والفرق بين التعطيل والتحريف أن التعطيل نفيٌ مجرد بلا إثبات ، والتحريف نفيٌ للحق وإثباتٌ للباطل ، نحو صفة اليد فالمعطل يقول لا يد له والمحرف يقول لا يد له إنما أراد باليد القدرة ٠

تنبيهات /

أولاً : المعطلة لهم عباراتٌ عجيبة في إنكارهم للصفات فينبغي الحذر منها كقولهم (سبحان من تنزه عن الأبعاض و الأعراض والأغراض) ويريدون بالأبعاض صفات الذات كالوجه واليدين والعينين ويقولون إن هذه أبعاض أي أجزاء جسم والله منزهٌ عن الأبعاض والجسم ، وأما الأعراض فهي صفات الفعل لأن الفعل له بدايةٌ ونهاية فهو عرضٌ يزول والله منزهٌ عن هذا ثم إن الأعراض لا تقوم إلا بأجسام والأجسام متماثلة والله منزهٌ عن المثيل ، وأما الأغراض فهي الحكمة فالله منزهٌ عن الحكمة لأنه لو فعل شيئاً لحكمة دلَّ على أنه محتاجٌ لهذا

الغرض والله مترهٌ عن الإحتياج للأغراض .

والجواب / أن نقول (تتره الله عن تتريهكم) فإنكم جعلتموه عـدماً فسـلبتموه صـفات الذات وصفات الفعل بل وحتى الحكمة بحجة تتريه الله عن مشابهة الخلق ، ومن قال لكم أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه فهاهي المخلوقات لها صفات لا تتشابه فوجه الفيـل لـيس كوجه النملة وجناح النسر ليس كجناح النحلة ورقبة الزرافة ليست كرقبة الشاة فهـذه في صفات الذات وفي صفات الفعل ليس جري الفهد كجري السلحفاة ولا ضـربة الأسـد كضربة الهر ، قال تعالى{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ } من الآية (٤٥) سورة النـور وحتى من يمشي علـى صفةٍ معينةٍ هم مختلفون فالإنسان مثلاً يمشي على رجلين والدجاجة تمشي على رجلين ومع ذلك فليست رجلي الدجاجة كرجلي الإنسان ، فإذا كانت هذه المخلوقـات لا يسـتلزم إثبات الصفات لها التماثل فكيف بين الخالق والمخلوق .

ثانياً / كل قولٍ لا بد له من لوازم تترتب عليه ، لكن ليس كل من ذكـر لازم قـولٍ أن يكون اللازم الذي ذكره صحيحاً فمثلاً قول المعطلة يلزم من الإثبات التمثيـل هـذا لازمٌ باطل لأنه يمكن أن نثبت بلا تمثيل ، ويمكن أن يكون اللازم المذكور صحيحاً فنحن نقـول يلزم من قول نفاة الصفات أن الكتاب والسنة لم يبينا الحق بل كتما وأتيا بألغازٍ ومجـازاتٍ تأويلها خلاف ظاهرها ، ويلزم منه أيضاً أن الكتاب والسنة يدعوان إلى الكفر بظواهرهمـا فإن إثبات ظاهر قوله تعالى {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٥) سورة طـه كفرٌ وردةٌ لأنه تمثيـلٌ وتجسيم بزعمهم وهكذا بقية نصوص الصفات ، فهذا لازمٌ صحيح ، ولأجل التوضيح نقول : إذا ألزم الخصم القائل بلازمٍ فإما أن يقرَّ بهذا اللازم وحينئذٍ إما أن يقرَّ أن هـذا الـلازم يفسد قوله وحينئذٍ يلزمه الرجوع عن قوله أو يقول لا يفسد قولي ويبين وجه عدم إفسـاد قوله بهذا اللازم ، وإما أن لا يقرَّ باللازم من الأصل وحينئذٍ يلزمه بيان عدم إلزام قوله بهـذا اللازم .

ثالثاً / قوله تعالى { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} من الاية (١١) سورة الشورى قيل إن مثل بمعنى صفة كقوله تعالى {مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا } من الاية (٣٥) سورة الرعد أي صفة الجنة ، وحينئذٍ تكون الكاف في الآية الأولى زائدة والمعنى ليس كصفته شيء وقيل المعنى (ليس كذاته شيء) وقيل المراد نفي المماثلة والكاف للتوكيد ويكون المعنى (ليس له مثيل) وقيل الكاف للتمثيل ويكون المعنى (ليس مثل مثله شيء) ونفي مثل المثل أعظم من نفي المثل ، ولكن هذا القول عندي لا يجوز لأن فيه إثبات مثيل لأن معناه مثيل الله ليس له مثيل وهذا باطل إذ ليس لله مثيل ، وحينئذٍ يكون أرجح الأقوال أن الكاف للتوكيد والمثل للماثلة فالآية تؤكد نفي المماثلة .

((مراحل التعطيل))

المرحلة الأولى / التعطيل الكلي للأسماء والصفات وأول من عرف بالتعطيل في هذه الأمة الجعد بن درهم وأخذها عنه تلميذه الجهم بن صفوان وهو الذي نشرها ولذلك تنسب إليه فيقال الجهمية ، ولقد انتقم الله عز وجل منهم في الدنيا قبل الآخرة فقام خالد بن عبد الله القسري أمير العراق في زمن هشام بن عبد الملك بقتل الجعد بن درهم في يوم الأضحى سنة ١١٩هـ قال أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم فإني مضحٍ بالجعد بن درهم إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً ثم نزل فذبحه ، وأما الجهم بن

صفوان فقتله سلم بن أحوز صاحب شرطة نصر بن سيار في خراسان سنة ١٢٨هـ .

المرحلة الثانية / تعطيل الصفات دون الأسماء وأول من أسس هذا المذهب واصل بن عطاء وكان من تلاميذ الحسن البصري فاعتزل مجلسه واتخذ حلقةً لوحده وكان الحسن يقول اعتزلنا واصل فسميَّ اتباع واصل وتلاميذه بالمعتزلة وقد نشر هذا المذهب بشر بن غياث المريسي وكان صاحب جدل فأقنع به بعض حاشية المأمون كأحمد بن أبي دؤاد وغيره الذين بدورهم أقنعوا المأمون فاتخذه مذهباً وألزم الناس بالدخول فيه جبراً بالقوة وعـذَّب وقتل كثيراً من علماء السنة في فتنة القول بخلق القران التي مردها تعطيل صفة الكلام للرب جل وعلا حين قال أهل السنة كيف تعطلون صفة الكلام وهذا القران كلام الله بين أيديكم فقالوا ليس بكلام الله بل هو مخلوق ثم امتحنوا الناس للقول بخلق القران وعذَّبوا وقتلوا حتى استجاب جمعٌ من العلماء لقولهم إكراهاً وثبَّت الله الإمام أحمد بن حنبل فلم يجبهم رغم شدة تعذيبهم له وبقي في سجونهم ثمانيةً وعشرين شهراً يذيقونه أصناف العذاب فلم يجب حتى نصره الله وأعز به أهل الحق ودحر أهل الباطل فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وتتابع ثلاثةٌ من خلفاء بني العباس على نصرة المعتزلة وهم المأمون والمعتصم والواثق ثم انتقلت السلطة للمتوكل الذي كان سنياً فأعلن حربه لهذا المذهب ونصرته للإمام أحمد وأهل السنة فأذل الله أهل الباطل وأعز أهل الحق وهذه سنة الله في الحياة أنه لا يديم عز الباطل بل مهما كان له صولة وجولة فلا يلبث أن يندحر وينهزم ويعلوا الحق .

المرحلة الثالثة / إثبات الأسماء وإثبات بعض الصفات وتعطيل بعضها وهم الأشاعرة والكلابية والماتريدية وغيرهم ولذلك فإن من العلماء من يطلق على هذه الفرق جميعاً الجهمية كما تقدم في أبيات بن القيم وغيره وذلك لأن مذهبهم جميعاً تعطيل الصفات .

* * *

((العلاقة بين الممثل والمعطل))

العلاقة بينهما علاقة وطيدة فالمعطل حقيقته ممثل ودليل ذلك :

١- أنه إنما عطَّل فراراً من التمثيل ، فتعطيله مبناه على التمثيل ، فمثل صفات الرب بصفات المخلوق في ذهنه فأراد الفرار من الوقوع في التمثيل فعطل .

٢- أنه قد مثل الله بالناقصين من خلقه فإذا قال ليس له يد فقد مثله بالأقطع اليد وإذا قال ليس له سمعٌ ولا بصر فقد مثله بالأصم والأعمى ، وعليه فيكون الممثلين الخلص على ضلالهم خيرٌ من المعطلين لأنهم مثلوا الرب بالكاملين في صفاقم من الخلق والمعطلين مثلوه بالناقصين .

٣-أن الذي يعطل جميع الصفات قد مثل الله بالمعدومات التي لا صفات لها ، فمن لا سمع له ولا بصر ولا يتكلم وليس له يد ولا عينين وليس له صفات ذاتٍ أو فعلٍ فهو معدوم .

وكذلك فإن الممثل في حقيقته معطل ودليل ذلك :

١- أنه عطل النصوص التي تنفي المماثلة .

٢- أنه قد عطل الله عن كماله الواجب إذ الواجب أن يوصف الله تعالى بالكمال المطلق في ذاته وصفاته وأفعاله ، وليس المخلوق كذلك بل هو ناقص ، فحين يشبه الله بالناقص يكون قد انتقص الرب وعطله عن كماله الواجب له جل وعلا فهو معطلٌ من هذا الوجه .

والمعطل والممثل كليهما منتقصين للرب جل وعلا فهما متشابهين من هذا الوجه ويلزمهما التوبة والإنابة والرجوع إلى الحق بإثبات الصفات بلا تمثيل وقد قال تعالى {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغَفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينِ} (٣٨) سورة الأنفال

((قاعدتان مهمتان تقصمان ظهر المعطلة))

القاعدة الأولى / القول في الصفات كالقول في الذات فكما أن لله ذاتاً لا تشبهها الذوات فله صفاتٌ لا تشبهها الصفات .

لأن المعطلة يثبتون الذات ويقولون إن ذات الله لا تشبه ذوات المخلوقين ثم يغيرون على صفات الرب جل وعلا فيبطلونها ويجحدونها ويعطلونها ويقولون لو أثبتنا لله صفات لاقتضى ذلك تشبيهه بالمخلوقين لأن المخلوقين لهم صفات ، فيقال لهم وللمخلوقين أيضاً ذوات فعلى قاعدتكم ينبغي أن تجحدوا ذات الرب جل وعلا حتى لا تشبهوه بالمخلوقين الذين لهم ذوات أو تعودوا إلى رشدكم وتقولون كما أن ذات الله لا تشبه ذوات المخلوقين فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين فتثبتون صفات الرب كما أمر بلا تشبيه .

القاعدة الثانية / القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر .

وذلك لأن بعض المعطلة أو من يسمون أنفسهم بالمؤولة يثبتون بعض الصفات ويعطلون بعضها بصرفها عن معانيها الحقة إلى معاني باطلة اخترعوها من تلقاء أنفسهم لم يثبت بها كتابٌ ولا سنة وحجتهم في ذلك أن الذي أثبتناه من الصفات لا يقتضي التشبيه والذي نفيناه يقتضي التشبيه والشبه منفيٌ عن الله فينبغي أن ننفي الصفات التي تقتضيه .

والجواب ما ذكرناه في القاعدة لإن الصفات التي أثبتموها لله وهي السبع المذكورة في هذا البيت : له الحياة والكلام والبصر سمع إرادة وعلم واقتدر

لها أشباه مسمياتٍ في صفات الخلق ففي المخلوق حياة وكلام وبصر ..الخ فكيف تقولون إن إثبات هذه السبع لا يقتضي التشبيه ثم تعدون على باقي الصفات فتعطلونها بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه لوجود نظير مسمياتٍ لها في صفات الخلق ، فالقول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر فإما أن تعطلوها جميعاً فحينئذٍ نرد عليكم بالقاعدة الأولى وأما أن تثبتوها جميعاً بلا تشبيه كما أثبتم السبع فتكونون على الهدى والطريق المستقيم .

* * *

((طرائق الجهمية وأحفادهم من نفاة الصفات في ترويج باطلهم))

١-تلبيس الألفاظ الشرعية بلباسٍ تنفر منه النفوس فيبدلون المصطلحات الشرعية بمصطلحات بدعية مقززة فيسمون الإثبات تشبيه وتمثيل وتجسيم ، ويسمون الإستواء على العرش تحيز ، ويسمون إثبات العلو جهة ، ويسمون الصفات الذاتية كالوجه واليدين والقدم لله تعالى جوارح وأبعاضاً ، ويسمون صفاته الفعلية كالنزول والمجيء والاستواء على العرش أعراض وحوادث ، ويسمون الحكمة والغاية في أفعاله تعالى أغراض ، إلى غير ذلك من الأسماء الشنيعة والألقاب المحدثة التي يدلِّسون بها على عقول الجهلاء ثم يقولون لهم إن ربكم منزّه عن التشبيه والتجسيم والتحيز والجهات والجوارح والأبعاض والأعراض

والحوادث والأغراض فعليكم بالتعطيل ٠

٢-رمي أهل الحق بالألفاظ القبيحة تنفيراً عنهم كقولهم مشبهه ومجسمة وحشوية ونوابت ونواصب ونحو ذلك من العبارات التي تدل على سفاهة عقول المعطلة وقلة بصيرهم ، ويتهمون أهل الحق بأنهم قليلي علم ولا عندهم إلا ظواهر النصوص ٠ ولذلك يقول الزمخشري صاحب الكشاف وهو من المعتزلة عن أهل السنة :

قد شبهوه بخلقه فتخوفوا   شنع الورى فتستروا بالبلكفة

يقول إن أهل السنة مشبهة لكنهم لما خافوا من كلام الناس وتشنيعهم على قولهم تستروا بالبلكفة أي قالوا بلا كيف فحين يقول أهل السنة مثلاً نثبت لله جل وعلا وجهاً بلا كيف فيقول الزمخشري إن أهل السنة يشبهون وجه الله بوجه المخلوقات أو يشبهون الله بالمخلوقات التي لها أوجه لكنهم لئلا يشنع عليهم الناس قالوا بلا كيف من باب التلبيس على الناس ٠ ولا شك أن هذا من الكذب والافتراء على أهل السنة لأن أهل السنة ينفون عن الرب جل وعلا المثل ويقولون لا شبيه له ولا مثيل ولا كفء ولا ند ولا نظير بل هو جل وعلا أحدٌ في ربوبيته أحدٌ في ألوهيته أحدٌ في أسمائه وصفاته وإثباتنا لا يستلزم التشبيه وقولنا بلا كيف أي لا نعلم كيفية الصفات وإن كنا نثبتها كما جاءت ولا يعاب علينا ذلك لأن الله جل وعلا لم يطلعنا على كيفية صفاته وإنما على أسمائها ومعانيها فنحن دائرون مع النص حيثما دار وأنتم يا معاشر المبتدعة من المعتزلة وغيرهم دائرون مع أهوائكم حيثما دارت بلا دليلٍ ترقبونه أو نصٍ تعظمونه فشتان بين الفريقين ٠

٣-إخفاء أكثر باطلهم الذي تنفر منه النفوس وإظهار بعضه بصورةٍ منمقة كادعائهم أنهم يريدون تنزيه الرب عن النقائص والعيوب وأنهم أهل الحق وأنصار الدين ونحو ذلك

فيصدقهم الجاهل بحالهم ويظن أنهم صادقين في دعواهم . وحقيقة أمرهم إنكار الرب والكفر الصراح .

٤-يقولون : إن ما أثبتناه من الصفات يدل العقل على إثباتها وما نفيناه يدل العقل على نفيه والله قد أمرنا بإعمال العقل والتفكر في آياته الشرعية والكونية وهذا يقتضي أن نثبت ما أثبته العقل وننفي ما نفاه العقل وإلا لم يكن للدعوة إلى التفكر وإعمال العقول فائدة .

والجواب / أن الله قد حث على التفكر في مخلوقاته وشرعه لا في ذاته فإن ذاته أعظم من أن تدركها العقول وصفاته من ذاته فمن ذا الذي يتجرأ أن يقول إنه يدرك ذات الرب بعقله لا شك لا يقوله إلا منحرف فاقد العقل فكذلك صفاته من ذاته فلا يجوز إعمال العقل في إثباتها أو نفيها أو كيفيتها لأن العقول لا تستطيع إدراك ذلك فوجب الرجوع إلى النقل لأن الله أعلم بصفاته فما أثبته أثبتناه وما نفاه نفيناه وما سكت عنه لم نخض فيه بنفيٍ أو إثبات.

٥-يقولون : إن مذهب السلف أسلم لكنَّ مذهب الخلف أعلم وأحكم .

وهذا باطلٌ من وجوه :

أولاً / أنه متناقض فكيف تكون عقيدة السلف أسلم إذا لم تكن أعلم وأحكم لأن السلامة في الدين لا تكون إلا بالعلم بما أراده الله من عباده ثم العمل بمقتضى هذا العلم وهذه هي الحكمة لأن الحكمة وضع الشيء في موضعه المناسب وهي هنا العمل بالعلم الموصل إلى النجاة وعليه فلا تكون العقيدة أسلم إلا إذا كانت أعلم وأحكم .

ثانياً / أن هذا القول فيه اتهامٌ للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أنهم يقرؤون شيئاً لا

يفهمون معناه أو أنهم يعرفون معناه ولكن كتموه و لم يبينوه لمن بعدهم ومعلومٌ عقوبة من كتم علماً فهل يوصف بهذا النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه رضي الله عنهم ، لا شك أنه لا يصفهم بذلك إلا من أعمى الله قلبه وطمس على بصيرته .

ثالثاً / إذا كان السلف لا يفقهون معنى النصوص أو يعلمون ولكن كتموه فمن أين للخلف العلم بها ، وإنما يؤخذ العلم عن الله وعن رسوله وكل قولٍ لم يرد به نصٌ فهو قولٌ مبتدعٌ لا أصل له وكل بدعةٍ ضلالة قال صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه

رابعاً / أنه قد ثبت عن السلف أنهم يعلمون معنى الصفات وأنهم يثبتونها كما جاءت بلا تأويل وأقوالهم في ذلك كثيرةٌ مشهورة ، فتبين أن مذهبهم عن علم لا عن جهل ، ولذا تجد أقوالهم في العقيدة لا اختلاف بينها ولا تناقض بخلاف عقيدة الخلف فعندهم من الاختلاف والتناقض في تأويل الصفات وغيرها ما يدل على بطلان مذهبهم وأن مذهبهم بعيدٌ عن العلم والحكمة والسلامة قريبٌ من الجهل والحمق والخطر .

((قواعد في الأسماء والصفات))

١-أن أسماء الله وصفاته توقيقية فلا نثبت لله اسماً ولا صفةً لم يرد بها دليل ، وما أحدثه أهل البدع من الأسماء والصفات فمردودٌ عليهم لفظه وأما معناه فنستفصل فيه فإن كان حقاً أثبتناه وإن كان باطلاً رددناه نحو لفظ (الجسم والحيز والجهة) فنقول ماذا تريدون بلفظ الجسم فإن قالوا الذات الالهية فنقول المعنى صحيح فلله ذاتٌ تليق بجلاله وعظمته لكن لفظ الجسم باطل لعدم ورود النص به ولأنه موهمٌ بالنقص والمشابهه ، وإن قالوا أردنا بالجسم ما

يتكون من أبعاضٍ وأجزاء ولحمٍ ودم فنقول هذا باطلٌ لفظاً ومعنى إذ الله متزهٌ عن ذلـــك ، ومثله الحيز فإن قالوا أردنا الذي تحوزه الأشياء فيكون داخلاً فيها فنقول هذا باطـــلٌ لفظـــاً ومعنى ، وإن قالوا أردنا المنحاز المنفصل عن مخلوقاته قلنا معناه صحيح واللفـــظ باطـــل ، والجهة إن قالوا أردنا أن الله تحيط به جهة معينة قلنا هذا باطلٌ لفظاً ومعنى وإن قالوا أردنـــا العلو بلا إحاطة قلنا المعنى صحيح واللفظ باطل لإيهامه النقص وعدم وروده في الـــنص . وهكذا سائر ما يحدثه الناس .

٢-الألفاظ التي لو أفردت صارت نقصاً ، فإنها تثبت في سياقها كما جاءت لا تفرد نحـــو (المانع المعطي ، الضار النافع ، المذل المعز ، القابض الباسط ،الخافض الرافع) ومثل (المكـــر والكيد بالكافرين والمخادعة للمنافقين والإستهزاء بالمستهزئين) فلا يقال من أسمـــاء الله (الماكر والكائد والمخادع والمستهزئ) ولا يقال من صفاته (المكـــر والكيـــد والمخادعـــة والاستهزاء) فإن هذه جاءت على سبيل المجازاة لهؤلاء على مكرهم وكيدهم ومخادعتـــهم واستهزائهم فتثبت في سياقها ولا تثبت مفردة لإن إثباتها مفردةً يقتضي الـــنقص والله عـــز وجل متزهٌ عن النقائص والعيوب . والمكر والكيد والمخادعة والاستهزاء ليســـت قبيحـــةً مطلقاً بل منها ما هو حسن ، فالقبيح إيصاله إلى من لا يستحقه والحسن إيصـــاله إلى مـــن يستحقه عقوبة له على فعله .

٣-يجوز الاقتداء بالرب جل وعلا فالله كريمٌ يحب الكرماء عفوٌ يحب أهل العفو رحيمٌ يحب أهل الرحمة وهكذا إلا الصفات التي لا تليق إلا بالله وحده فلا يجوز للإنسان الإتصاف بهـــا كالمتكبر فإنها صفة كمالٍ في الرب جل وعلا وصفة نقصٍ في المخلوق فلا يتصف بها .

٤-ينبغي أن يدعوا بالاسم الذي يوافق حاجته فيقول يا غفور اغفر لي يا رحيم ارحمني يـــا رزاق ارزقني ، ولا يقول يا شديد العقاب اغفر لي فإن هذا الاسم يناسب أن يدعى به على الكافرين فيقال : يا شديد العقاب أهلك الكافرين .

٥-كل نفي في باب الأسماء والصفات فهو متضمن لكمال الضد فنفي الظلم عن الله جل وعلا لكمال عدله ، بخلاف المخلوق فإنه قد ينفى عنه الظلم لا لكمال عدله ولكن لخوفٍ أو عجز أو نحوه . قال الشاعر : وقُبيِّلةٌ لا يغدرون بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبة خردل . يريد لضعفهم وعجزهم .

٦-يجوز الاستعاذة والحلف بالصفات لكن لا يدعى بها .فيقول : أعوذ بنور وجهك أن يحلَّ بي سخطك . ويقول : وعزة ربي إني لصادق . لكن لا يقال : ياعزة الله اشفي مريضي ونحو ذلك .

٧- إذا ثبت الاسم لله تعالى جاز أن يشتق منه مصدراً وفعلاً فمثلاً (السميع) نقول إن لله سمعاً فهذا هو المصدر ونقول إن الله يسمع وهذا هو الفعل ، لا كن لا بد أن يكون الفعل متعدياً فإن كان لازماً لم يطلق عليه منه الفعل نحو (الحي) فلا يقال (الله يحيا) ونحو (العظيم) فلا يقال (الله يعظم) وإنما المصدر فيقال (عظمة الله وحياة الله) .

* * *

((الفرق بين الإسماء والصفات))

١-الأسماء كلها مشتقة فكل اسمٍ يدل على صفة وليست كل صفةٍ تدل على اسم ، فمن أسمائه تعالى الرحيم وهو دالٌ على صفة الرحمة ، ومن صفاته جل وعلا الاستواء على العرش ولكن لا يسمى بالمستوي .

٢-يجوز التعبيد والدعاء بالإسم ولا يجوز بالصفة فتقول عبد الرحيم ولا تقول عبد الرحمة

وتقول يارحمن ولا تقول يارحمة الله٠

٣-تشترك الأسماء والصفات في جواز الحلف والإستعاذة بها فتقول والله وتقول وعزة ربي وحياة ربي ، وتقول أعوذ بالله وتقول أعوذ بوجهك الكريم ٠

٤-أن الأسماء تدل على كمالٍ في نفسها فالعزيز يدل نفس الاسم على العزة بينما النزول وحده لو لم يضف إلى الله لما دلَّ على كمالٍ في نفسه ٠

* * *

((التعامل الأنسب مع أسئلة الأطفال والعامة في الأسماء والصفات))

لا يُفَصِّلُ لهم بل يجيبهم بإجاباتٍ مجملة ويصرفهم إلى تعظيم الله عز وجل لأن الدخول في التفاصيل قد يوقعهم في شبهٍ لا يفهمون معناها على وجهها الصحيح فيحدث لهم ردة فعلٍ عكسية قد تكون سبباً في انحرافهم ولذا ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه أنه قال (حدثوا الناس بما يعقلون أتريدون أن يكذب الله ورسوله) وورد عن بعض

السلف قوله (ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنـــة) لكـــن أيضا لا تصرفه وتمتنع من إجابته بل أجبه بما يثبت المعاني الإيمانية في قلبه بكلام مجمل يعظـــم به الله عز وجل ٠

* * *

(((*الأسماء الحسنى*)))

قال تعالى {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (١٨٠) سورة الأعـراف قال القرطبي : سمى الله أسماءه الحسنى لأنها حسنةً في الأسمـــاء والقلوب ، وقال غيره : لأن أسماء الله لا يقوم غيرها مقامها لكمال حسنها فلا يصـــح أن تقول بدل (العلي) المرتفع لأن العلي أكمل وأبلغ وهكذا (السميع البصير) فلا يصح أن يسمى السامع أو المبصر لأن السميع البصير أكمل وأبلغ ، والكريم لايقال بدلها الســـخي لأن الكريم أبلغ وهكذا سائر الأسماء ٠

أركان الإيمان بالأسماء الحسنى ثلاثة :

١-الإيمان بالاسم نحو (الرحيم الغفور القوي) فنؤمن أن هذه أسماءٌ لله جل وعلا

٢-الإيمان بما دل عليه من معنى أي صفة فمعنى الأسماء المتقدمة (الرحمة والمغفرة والقوة)

٣-الإيمان بما تعلق به من الآثار فأثر الأسماء الثلاثة المتقدمة (أن الله يرحم ويغفر لعباده وأنه قوي ينصر أوليائه وينتقم من أعداءه) وهكذا بقية الأسماء ٠

دلالة الأسماء الحسنى ثلاثة أنواع :

١-الدلالة على الذات وتسمى دلالة المطابقة فيقال (السميع) أي الله لأن السميع من أسماءه جل وعلا ٠

٢-الدلالة على الصفة ويسمى دلالة تضمن أي إثبات السمع لله جل وعلا فيقال الله السميع أي الذي وسع سمعه المسموعات كلها ٠

٣-الدلالة على بقية الصفات ويسمى دلالة الالتزام أي يلزم من كونه سميعاً أن يكون حياً قادراً عليماً ٠٠٠٠٠وهكذا بقية الصفات ٠

((الإلحاد في الأسماء الحسنى تعريفه وأنواعه))

الإلحاد لغةً / الميل ، ومنه اللحد لأنه مائلٌ عن أسفل القبر ٠

اصطلاحاً / هو الميل والعدول بحقائق ومعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى عن المعنى المراد بها إلى معاني باطلة ٠ وهو أنواع :

١-إنكار وجحد الأسماء والصفات جملةً كما وقع من الجهمية ، أو إنكار بعضها كما وقع من المشركين قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا } (٦٠) سورة الفرقان

٢-إنكار الصفات وجحد معاني الأسماء كما وقع من المعتزلة فإنهم يقولون : إن أسماء الله لا تدل على صفات وإنما هي مجرد أسماءٍ للعلمية ولذلك يقولون الله عليمٌ بلا علم وقديرٌ بلا

قدرة وسميعٌ بلا سمع وبصيرٌ بلا بصر وهكذا في سائر الأسماء الحسنى جحدوا معانيها .

٣-إختراع أسماء وصفات لا دليل عليها كتسمية النصارى لله جل وعلا {بالأب} وتسمية الفلاسفة له (بالعقل الفعال والعلة الفاعلة والموجب بالـذات) وكتسـميته (بصـاحب الفيوضات والمريد والصانع والفاعل) ونحوها مما لا تدل على كمالٍ في ذاتها أو تكـون منقسمةً إلى كمالٍ ونقص فلا تصح أسماءً لله فكلها أسماءٌ باطلة .

٤-وصف الله جل وعلا بما لا يليق به قال تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء } (٦٤) سورة المائدة وقال تعالى {لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُـولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} (١٨١) سورة آل عمـران وقال تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِيـنِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَـرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُـبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً} (١٧١) سورة النساء

٥-اشتقاقهم من أسماء الله أسماء لمعبوداهم كاشتقاقهم اسم اللات من الإله والعـزى مـن العزيز ومناة من المنان ونحو ذلك .

((عدد أسماء الله الحسنى))

ليس لأسماء الله حصرٌ حتى يمكن عدها وأما حديث (إن لله تسعةً وتسعين اسمـاً) فلـيس المراد به الحصر إذ لو كان المراد به الحصر لقال (إن أسماء الله تسعةً وتسعين) وقد جاء مـا يدل على أنها لا حصر لها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما أصاب أحداً قط همٌ ولا حزنٌ فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك عـدلٌ فيَّ قضاؤك أسألك بكل اسمٍ هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً مـن خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء

حزني وذهاب همي إلا أذهب الله عز وجل همه وأبدله مكان حزنه فرحاً) قالوا يا رســـول الله ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات قال (أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن) رواه أحمد وأبـو يعلى والبزار والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٨٢٢)

* * *

((فضل ومعنى إحصاء الأسماء الحسنى))

قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) متفق عليه

الإحصاء لغةً /يأتي بمعاني عديدة منها الإطاقة قال تعالى {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِـــن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ } (٢٠) سورة المزمل أي لن تطيقوه ومنه حديث (استقيموا ولن تحصوا) رواه مالك وأحمد وبن ماجة وغيرهم وصححه الألباني ومنها العد ومنها العقل قال الشاعر

(وإن لسان المرء ما لم تكن له حصاةٌ على عوراته لدليل)

والإحصاء اصطلاحاً / اختلف العلماء في معنى الإحصاء على قولين :

الأول / الحفظ واستدلوا برواية (من حفظها دخل الجنة) وهي عند مسلم (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في أسماء الله وفضل من أحصاها) ورجحها النووي في المنهاج عند شرحه لهذا الحديث وذكر أن البخاري وغيره من المحققين قد أخذوا بها .

الثاني / وهو الراجح حفظ ألفاظها وفهم معانيها والعمل بمقتضاها ولا يعارض رواية (من حفظها دخل الجنة) لأنه من المتعارف عليه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أنهم لا يحفظون شيئاً من الشرع حتى يفهموه ويعملوا بمقتضاه فكانوا يجمعون بين الحفظ والفهم والعمل ولا يقتصرون على أحدها دون ما سواها .

تنبيه/ ليس المقصود حفظ الرواية التي جاء فيها سرد الأسماء لأن هذه الأسماء الراجح أنها ليست من قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنما هي من إدراج الرواة ، وذلك لأن الحديث ورد في الصحيحين بدون ذكر الأسماء ، ووردت الروايات التي جاء فيها ذكر الأسماء من ثلاث طرق :

الأولى / أخرجها البيهقي من طريق عبد العزيز بن الحصين وهو ذاهب الحديث كما قال عنه ذلك الإمام مسلم وقال بن حجر إنه متفقٌ على ضعفه .

الثانية / أخرجها بن ماجه من طريق عبد الملك بن محمد الصنعاني وهو ممن لا يحتج بحديثه

الثالثة / أخرجها الترمذي وبن منده والحاكم والبغوي والبيهقي في الأسماء والصفات وغيرهم من طريق الوليد بن مسلم وهو مشهورٌ بالتدليس ، بل بشرِّ أنواع التدليس وهو التسوية لكن إذا صرح بالسماع فإنه يؤخذ حديثه وهو في هذا الحديث قد صرح بالسماع

بقوله أخبرنا ، لكن يشهد لضعف هذه الزيادة ما يلي :

١-الاختلاف الشديد في الروايات المختلفة عنه في سرد الأسماء مما يدل على اضطراب هذه الزيادة وأنها ليست من قول النبي صلى الله عليه وسلم وإنما مدرجة .

٢- أن الشيخين قد رويا الحديث عنه دون عدٍ للأسماء مما يدل على اتفاقهم على ضعف الزيادة وأنها مدرجة ، وقال الترمذي : ليس له إسنادٌ صحيح ١٠هـ٠ ولم يصححه إلا قومٌ قد عرفوا بالتساهل في التصحيح كالحاكم وبن حبان .

٣- أنه قد جاء في بعض الروايات الفصل بين صدر الحديث وبين سرد الأسماء كقوله (وكلها في القران هو الله الذي لا إله إلا هو ٠٠٠) مما يدل على أنه أدرجها مما استخرجه من القران .

٤- أن مما ذكر من الأسماء أسماءً ليست موجودةً في الكتاب والسنة ولا تصلح أسماءً لا مطلقاً ولا إضافةً ولا اشتقاقاً ، وفي المقابل هناك أسماء ثابتةٌ في الكتاب والسنة لم يذكرها .

* * *

((هل أسماء الله مشتقة))

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على ثلاثة أقوال /

الأول / أن أسماء الله كلها مشتقة من صفاته ، فالله من ألوهيته والعزيز من عزته والرحيم من رحمته والكريم من كرمه والسميع من سمعه والبصير من بصره والعليم من علمه وهكذا سائر الأسماء الحسنى فإنها مشتقة من صفاته جل وعلا .

الثاني / أن اسم الله غير مشتق وما عداه مشتق وهو قول السهيلي وشيخه بن عربي وقالوا / إن المشتق يجب أن يتقدمه أصله المشتق منه واسم الله قديم بمعنى أنه لم يتقدمه شيء ليشتق منه

والجواب / ذكره بن القيم في بدائع الفوائد فقال : زعم السهيلي وشيخه أبو بكر بن العربي أن اسم الله غير مشتق ، لأن الاشتقاق يستلزم مادةً يشتق منها الاسم واسمه تعالى قديمٌ والقديم لا مادة له ، و لا ريب أنه إن أريد بالاشتقاق هذا المعنى وأنه مستمدٌ من أصل آخر فهو باطل ، و لكن الذين قالوا بالاشتقاق لم يريدوا هذا المعنى و لا ألم بقلوبهم ، وإنما أرادوا أنه دالٌ على صفةٍ له تعالى وهى الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير والغفور والرحيم والسميع والبصير ، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها بلا ريب وهى قديمة والقديم لا مادة له ، فما جوابكم عن هذه الأسماء ؟ فهو جواب القائلين باشتقاق اسمه الله ، ثم الجواب عن الجميع : إننا لا نعني بالاشتقاق إلا إنها ملاقيةً لمصادرها في اللفظ والمعني ١٠٠هـ وسأشرح كلامه في جواب القول الثالث .

القول الثالث / أن الأسماء كلها غير مشتقة وهو قول المعتزلة وغيرهم وحجتهم كحجة بن العربي وتلميذه .

والجواب / كما بيَّن بن القيم أن القائلين بالاشتقاق لا يقصدون أنه مأخوذٌ من أصلٍ آخر أي من شيءٍ آخر غير الرب تعالى الله أن يتقدمه شيء إذ هو الأول فليس قبله شيء ، وإنما أرادوا أن الرب عز وجل قد اشتق لنفسه اسماً من صفاته ، وقول بن القيم : إننا لا نعني بالاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى ٠يريد أن مصدر الاسم أي الذي اشتق منه الاسم يلاقي الاسم في الفظ والمعنى فالعليم مثلاً يلاقي العلم في اللفظ والمعنى وهكذا سائر الأسماء .

وللمعتزلة شبهةٌ أخرى يظنونها دليلاً وهي القاعدة النحوية أن الاسم ما يدل على معنىً غير مشتق والمشتق لا يكون اسماً عندهم لأن وظيفة الاسم التعيين والاختصاص فيقال سعد ليعين به ويخص من بين سائر الناس ، وأما المشتق من الصفات فليس باسمٍ عندهم كالكريم والرحيم والعليم ونحوها لأنه لا يمكن تعيين شخصٍ واختصاصه بهذا الاسم .

والجواب / من عدة وجوه :

الأول / أن هذا في حق المخلوق لا في حق الخالق فإن الله جل وعلا أسمائه وصفاته تختص به لا يماثله ولا يشاركه فيها أحد ، وحينئذٍ يمكن تعيينه بها .

٢-أن أسماء المخلوقين مستعارة فليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل قد تكون مغايرةً تماماً فكم من رجلٍ يسمى كريم وهو من أبخل الناس وآخر عادل وهو من أظلم الناس وهكذا ، وأما أسماء الله وصفاته فلا تتغاير فاسمه الكريم وصفته الكرم الذي لا حدود له ، واسمه السميع وصفته السمع الذي لا منتهى له ، وهكذا .

٣-أن المخلوق يتعذر تعيينه بالصفة لكونها مشتركةً فلو قيل يا صاحب اليدين أو الرأس أو القدم لالتفت الناس جميعاً ، ولو قال يا كريم يا رحيم فلا يدرون من يقصد ، وقد يوصف الرجل بصفةٍ ليست فيه أصلاً فيقال حكيم وهو ظالم ويقال عليم وهو من أجهل الناس .

٤-أن أسماء الله وصفاته سواء فاسمه الخالق وصفته الخلق هي فيه قبل أن يخلق الخلق فلم يستفد اسم الخالق بعد خلقه للخلق وهكذا الرازق والسميع والعليم ونحوها ، وأما المخلوق فقد يكتسب الاسم لصفةٍ فيه فيقال الأصبح لجمال وجهه ويقال الكريم بعد أن يذهب جل عمره وهو يكرم الناس ، فتبين أن القاعدة النحوية تنطبق على المخلوق ولا تنطبق على الخالق فتنبه لهذا .

((هل يشتق من الصفات أسماء))

اختلف أهل العلم في جواز اشتقاق أسماء من الأفعال والصفات الواردة في الكتاب والسنة على ثلاثة أقوال /

الأول / لا يجوز مطلقاً ولا يقبل إلا ما جاء بصورة الاسم لا مشتقاً ولا مضافاً وهو قول بن حزم .

القول الثاني / الجواز مطلقاً بلا شرطٍ ولا قيد فمتى وجدت صفةٌ أو فعلٌ في الكتاب والسنة جاز أن يشتق منها اسم قال أبو بكر بن العربي : وَالَّذِي يُعَضِّدُ ذَلِكَ أَنَّ الصَّحَابَةَ وَعُلَمَاءَ

الْإِسْلَامِ حِينَ عَدَّدُوا الْأَسْمَاءَ ذَكَرُوا الْمُشْتَقَّ وَالْمُضَافَ وَالْمُطْلَقَ فِي مَسَاقٍ وَاحِدٍ إجْرَاءً عَلَى الْأَصْلِ ١٠هـ حتى عدَّ من أسماء الله (الفاعل والحاسب ورابع ثلاثة وسادس خمسة) وكذلك صنع القرطبي في كتابه الأسنى وذكر (الممتحن - المبتلي- الفاتن ١٠٠الخ)

القول الثالث / الجواز بشروط :

١-أن يكون المشتق منه ثابتٌ في الكتاب والسنة ٠

٢-أن يدل الاسم المشتق على كمالٍ في ذاته كالهادي والناصر والمنعم ونحوها ، ولا يجوز إذا لم يدل على كمالٍ في ذاته كالمتكلم والنازل والجاي ، أو كان يدل على كمالٍ ونقص كالفاعل والصانع والمريد ٠

قال الدكتور محمد التميمي في كتابه معتقد أهل السنة في أسماء الله الحسنى : اختلف العلماء في عدِّ الأسماء الحسنى على أربعة مناهج /

المنهج الأول / المقتصرين على العد الوارد في حديث أبي هريرة وبالأخص طريق الوليد بن مسلم معتقدين صحة الحديث ٠

المنهج الثاني / الاقتصار على ما ورد بصورة الاسم دون المشتق والمضاف كابن حزم ٠

المنهج الثالث / المتوسعين الذين اشتقوا من كل صفةٍ وفعلٍ اسماً ومنهم ابن عربي المالكي وبن المرتضى اليماني والشرباصي ٠

المنهج الرابع / وهم المتوسطين الذين أجازوا أن يشتق من الصفة والفعل اسمٌ بشرط أن لا ينقسم إلى كمالٍ ونقص ومدحٍ وذم كالمتكلم والمريد والصانع والفاعل والنازل والمستوي والضاحك بل لا بد أن يكون مدحاً مطلقاً لا ذم فيه ولا نقص ، وهم غالب العلماء الذين جمعوا الأسماء الحسنى وإن كانت هناك بعض الفروقات بين جمعٍ وآخر ، لكنّها ترجع إلى

طبيعة الاستقراء التي سار عليها البعض في جمعهم ، فترى البعض تارةً يرى صحّة الإطلاق في صفة بينما يرى آخرون عدم صحّة الإطلاق فيها.انتهى

وقال الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله بعد أن ذكر الكيد والمكر بالكافرين : وهذه الصفات لا يجوز أن يشتق منها أسماء لله تعالى لأن الأسماء لا تشتق إلا من الصفات التي يمدح بها مطلقاً ، أما هذه (يريد المكر والكيد والمخادعة) فقد يمدح فاعلها وقد يذم (التعليقات الزكية على العقيدة الواسطية ص١٩١) وهذا يدل على أن الشيخ يرى جواز الاشتقاق من الصفات التي يمدح بها مطلقاً .

* * *

((المراد بالمطلق والمضاف والمشتق والمزدوج من الأسماء))

الاسم المطلق / هو الاسم الذي ورد بصورة الاسم في الكتاب والسنة نحو (السميع ، البصير ، العليم ، الرحيم ، الرحمن ، الكريم ، المنان) ونحو ذلك .

الاسم المضاف / هو الاسم الذي ورد مضافاً في الكتاب والسنة نحو (فاطر السماوات والأرض ، بديع السماوات والأرض ، أحكم الحاكمين ، أسرع الحاسبين ، خير الناصرين) ونحو ذلك .

الاسم المشتق / هو الذي لم يرد في الكتاب والسنة بصورة الاسم وإنما هو مأخوذٌ بالاشتقاق من الأسماء والصفات والأفعال الموجودة في الكتاب والسنة نحو (الباقي) من قوله تعالى{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٧) سورة الرحمن (البديع) من قوله تعالى {بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ } (١١٧) سورة البقرة (الساتر والستار) من قول النبي صلى الله عليه وسلم (ومن ستر مسلماً ستره الله) متفق عليه وهكذا ، وقد تقدم أنه يجوز بشرط كون الاسم المشتق يدل على كمالٍ في ذاته غير دالٍ على نقص ولا منقسمٍ إلى كمالٍ ونقص .

الاسم المزدوج / هو الاسم الذي إذا اقترن باسمٍ آخر دل على كمال وإذا أفرد لم يدل على كمال أو كان منقسم فيذكر مع قرينه ولا يفرد نحو (الخافض الرافع ، الضار النافع ، المعطي المانع ، المعز المذل ، المبدي المعيد ، المحيي المميت) ونحو ذلك .

((اسم الله الأعظم))

قال بن جرير الطبري رحمه الله / كل أسماء الله عظمى وليس فيها اسمٌ خاص يقال إنه الاسم الأعظم . وقال بقوله هذا كثيرٌ من المبتدعة كأهل الكلام وغيرهم ، والصحيح أنه قد وردت أحاديث تدل على أن لله اسماً أعظم ، فعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال (لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب) رواه الترمذي وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٦٤٠) وعن أنس قال كنت جالساً مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد ورجلٌ

يصلي فقال : اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت الحنان المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم أسألك فقال النبي صلى الله عليه وسلم (دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى) رواه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٢٢٩٠) وقال صلى الله عليه وسلم (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه) رواه بن ماجة والطبراني والحاكم وصححه الألباني انظر حديث رقم (٩٧٩) في صحيح الجامع. وقال صلى الله عليه وسلم (اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين { وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم } وفاتحة آل عمران { الم الله لا إله إلا هو الحي القيوم } رواه أحمد وأبو داود والترمذي وبن ماجةوحسنه الألباني انظر حديث رقم (٩٨٠) في صحيح الجامع.ونحوها من الأحاديث الثابتة التي تدل على أن لله عز وجل اسماً أعظم ، لكن اختلف العلماء في هذا الاسم الأعظم على أقوالٍ كثيرةٍ منها /

١-أنه (الحي القيوم) قاله بن القيم وغيره ودليلهم أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتد عليه الكرب يقول (يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث) رواه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني انظر حديث رقم (٤٧٧٧) وحديث قم (٤٧٩١) في صحيح الجامع ومترجحٌ أنه لا يدعو في هذا الموقف العصيب إلا باسم الله الأعظم ، ثم إن مدار الأسماء على هذين الإسمين وإليهما ترجع معاني الأسماء الحسنى ، (فالحي) يستلزم جميع صفات الكمال حتى تكون الحياةً لائقةً بالله تعالى وكماله وعظمته فالحياة التي يتخلف عنها شيءٌ من الكمال هي حياةٌ ناقصة يتره الله تعالى عنها فجُمِعت جميع الصفات في هذا الاسم ، ومثله القيوم فإن معناها القائم بنفسه المقيم لغيره ولا يكون كذلك حتى تجتمع فيه جميع صفات الكمال ، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه) رواه بن ماجة والطبراني والحاكم وصححه الألباني انظر حديث رقم (٩٧٩) في صحيح الجامع. قال بن القيم : ففي البقرة في آية الكرسي {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٠٠٠} (٢٥٥) سورة البقرة وفي آل عمران في قوله تعالى{اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (٢) سورة آل عمران وفي طه في قوله تعالى {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ } (١١١) سورة طه اهـ وقد ردَّ عليه بأن حديث (اللهم إني أسألك بأنك أنت الله الواحد الأحد ....) لم يرد

فيه لفظ الحي القيوم ، وقد قال الطحاوي الآية التي في سورة طه هي قوله تعالى {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى} (٨) سورة طـه

٢-أنه لفظ الجلالة (الله) ودليلهم أن الأسماء جميعها تعطف عليه ولا يعطف عليها نحو{اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٠٠٠} (٢٥٥) سورة البقرة ((بسم الله الرحمن الرحيم)) ولـذا قال تعالى{وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } (١٨٠) سورة الأعـراف فعطفها عليه ، ولأنه موجـودٌ في جميع الأحاديث التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن فيها اسم الله الأعظم ٠

٣- أنها ثلاثة أسماءٍ ترجع إليها جميع الأسماء وهي (الله ، الـرب ، الـرحمن) فاسـم الله متضمن لجميع صفات الألوهية ، والرب متضمنٌ لجميع صفات الربوبية ، والرحمن معنـاه رحمن الدنيا والآخرة فلا بد أن تجتمع فيه كل صفات الكمال ، فتكون هي الاسم الأعظم

٤-أنه راجعٌ إلى حال الداعي وكمال تضرعه بأسماء الله لأن الأحاديث ليس فيها نصٌ على اسمٍ معين والله اعلم ٠ وهناك أقوال أخرى لكن ما ذكرناه أقوى وأشهر ٠

((فائدة تذييل الآيات بالأسماء الحسنى))

١-للدلالة على ارتباط الشرع والخلق بالأسماء الحسنى فمثلاً قوله تعالى {وَمَن يَعْمَلْ سُـوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّهَ يَجِدِ اللّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا} (١١٠) سورة النساء دلالةٌ على ارتباط الشرع بالأسماء الحسنى فإنه ربط الاستغفار الذي شرعه عند ظلم النفس باسمه الغفـور الـرحيم ، ومثل قوله تعالى {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَـى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} (٨١) سورة يـس فذكر قدرته على خلق السماوات والأرض والناس وربطـه باسمه الخلاق العليم بخلقه ٠

٢-ليقتدي عباده به جل وعلا في نحو قوله تعالى { وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} (٦٠) سورة الحج فأرشده إلى العفو والمغفرة اقتداءً به جل وعلا .

٣-للدلالة على أن الحكم المذكور في الآية يدل عليه الاسم كقوله تعالى {إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٣٤) سورة المائدة أي قد أسقط حقه عنهم وتبقى حقوق الآدميين والأولى بهم الاقتداء بربهم عز وجل ولهم حق القصاص دون الحدود قال القرطبي : فأمَّا الشرَّاب والزناة والسرَّاق إذا تابوا وأصلحوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا إلى الإمام فلا ينبغي له أن يحدهم ، وإن رفعوا إليه فقالوا تبنا لم يتركوا ، وهم في هذه الحال كالمحاربين إذا غلبوا والله أعلم . (الجامع لأحكام القران عند تفسيره لهذه الآية)

٤-لبيان أن هذا الاسم هو المناسب لهذا الدعاء كقول الخليل وابنه عليهما السلام{وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (١٢٨) سورة البقرة وأما قول عيسى عليه السلام {إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١١٨) سورة المائدة فلم يكن عيسى عليه السلام ليدافع عن الكفرة الظلمة وإنما أراد أن يمدح ربه جل وعلا فقال : إن تعذبهم فذلك لعدلك بهم فإنما خلقتهم لعبادتك و لم يقوموا بها ، وإن تغفر لهم فليس ذلك عن عجزٍ منك بهم بل أنت القادر العزيز الحكيم في أفعالك كلها .

٥-قد تختم الآيات باسمين مختلفين كقوله تعالى ((وإن ربك لهو العزيز الرحيم)) عقب قصص الأنبياء ليدل ذلك على أنه بعزته تعالى انتقم من الكافرين وأهلكهم وبرحمته نصر

المؤمنين ونجاهم ٠

٦-قد يناسب الإسم المذكور في نهاية الآية أحد المواضيع المذكورة في الآية مما يدل على أهميته وأنه المقدم كقوله تعالى ((يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم)) فدلَّ على أن رحمته قد سبقت غضبه ٠

٧-لبيان إعجاز القران وتناسب كلماته وحروفه وأن كل كلمةٍ وحرف هي في موضعها اللائق ولو غيِّرت وأتي بما يرادفها لم يستقم الكلام فقوله تعالى {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٣٨) سورة المائدة قرأ أحدهم آخرها (والله غفور رحيم) فسمعه أعرابيٌ فقال ليس هذا من كلام الله فقال القارئ له وهل تحفظ القران قال لا قال هل تعرف هذه الآية قال لا ولكن ليس هذا من كلام الله ففتح القارئ المصحف ليريه الآية فوجد آخرها (والله عزيزٌ حكيم) قال الأعرابي : نعم هذا كلام الله فتعجب القارئ وقال ما يدريك وأنت لا تحفظ الآية ؟ قال : لأنه عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع ٠ فانظر إلى مناسبة ذكر هذين الاسمين في آخر الآية ٠

((ثمرات وفوائد الإيمان بالأسماء الحسنى))

١-تحقيق التوحيد فمن عرف أسماء الله الحسنى ووعى معانيها وعمل بمقتضاها فقد حقق كمال التوحيد ٠

٢-زيادة الإيمان فإن العبد إذا عرف ربه حق المعرفة زاده ذلك تعظيماً وتقديساً لربه جل وعلا فيزداد إيمانه كما قال تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } (٢٨) سورة فاطر ٠

٣-معرفة سنن الله وأحكامه من خلال أسمائه وصفاته فعن عائشة رضي الله عنها أن خديجة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لمَّا جاءها يرجف خوفاً ممـــا رآه بالغبـــار في أول الوحي (كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكـــل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق) متفق عليه وهذا استدلالٌ منها بـــأن الله تعالى وهو الكريم المتعالي لا يمكن أن يخزي صاحب الكرم والأخلاق الفاضلة لأن الكريم قد يعفو عن المسيء فكيف بالمحسن لا يمكن أن يقابله على إحسانه بإساءة حاشا وكلا ولذا من كان صائماً قائماً صادقاً في نيته مع الله تعالى فإن الله تعالى لا يرده إلى الضلالة ، ومـــن اعتقد أن الله يعامله بالنكران ويجازيه على الإحسان بالإساءة فقد ظن بربـــه ظـــن الســـوء والعياذ بالله ، فلينتبه لهذا ولا يفسر قول النبي صلى الله عليه وسلم (فوالذي لا إله غـــيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليـــه الكتـــاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها) بأن السوء جاء من جهة الرب ، حاشا وكلا بل من جهة العبد حين علم الله سوء نيته فيما تقدم من عمله فخذله في آخر عمره . وقد ورد في رواية (ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يرى للناس) فيحمل المطلق على المقيد .

((حكم التسمي بعبد المعبود وعبد الموجود ونحوهما))

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول / لا يجوز التعبيد إلا لاسم قد ثبت في نصوص الكتاب والسنة أنه من أسمـــاء الله والمعبود والموجود ليسا من أسماء الله لكن يخبر عن الله تعالى بأنه معبود وبأنه موجود وبـــاب الخبر عند أهل العلم أوسع من باب الوصف فيخبر عن الله تعالى بأنه معبود وموجـــود وأنـــه صانع العالم ونحو ذلك مما هو حقٌ في باب الخبر لا كن لا يسمى الله بذلك فلا يقـــال مـــن أسماء الله المعبود والموجود والصانع ونحوها وحينئذٍ لا يجوز التعبيد بها .

القول الثاني / يجوز فيقال عبد الستار وعبد الباقي وعبد رب الرسول ونحوها إذ ليس فيهـــا تعبيدٌ لغير الله ومراد المتسمي التعبيد لله لا لغيره وقد جاز الإخبار عن الله بها ولـــيس فيهـــا

تنقصٌ للرب جل وعلا فيجوز الاشتقاق منها ، ورجح هذا القول الشيخ بن باز وعبد الكريم العقل وهو أظهر لما تقدم من جواز اشتقاق أسماء للرب جل وعلا من صفاته وأفعاله .

تنبيه / ما لا يصلح اسماً لا مطلقاً ولا مضافاً ولا مشتقاً فلا يصح التعبيد له بها مثل (الدهر والمسعر) ونحوهما لأنه قد ورد بيان معناهما وأنهما لا يراد بهما الإخبار عن الله وإنما عن أقدار الله وأوامره قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (يؤذيني بن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار) متفق عليه فبيَّن أن المراد بالدهر تقليبه وتصريفه فَيُخْبر عن الله أنه يقلب ويصرف الدهر ، وكذلك المسعر لأن الله عز وجل هو الذي يقلب ويصرف الأسعار بين زيادةٍ ونقصان ، فلا يقال (عبد الدهر وعبد المسعر) وإنما يقال (عبد رب الدهر وعبد مقلب الليل والنهار) ولا يصح (عبد المقلب) وهكذا المسعر وكذلك لا يخبر عن الله بأنه (الجلال) فلا يقال عبد الجلال لأن الجلال لا يصلح اسماً لله ولا يصح أن يخبر عن الله أنه الجلال بمفرده لأن الجلال معناه العظمة والله جل وعلا ذو العظمة فلا يصح أن يقال عبد العظمة وإنما عبد ذي العظمة فكذلك الجلال لا يقال عبد الجلال وإنما عبد ذي الجلال لأن من أسماء الله المضافة (ذي الجلال وذو الجلال) .

((حكم التعبيد لغير الله مثل عبد النبي وعبد الحسين وعبد الكعبة وغيرها))

التعبيد لغير الله لا يجوز لأن العباد عباد لله وحده ثم إن كان المقصود التعبيد الحقيقي- تعبيد العبودية- فهو كفرٌ مخرجٌ من الملة ، وإن أراد الخدمة ونحوها كالتبرك فهو أصغر ، قال الشيخ خالد السبت : الأسماء المختلف فيها كعبد الهادي وغيره مما فيه شبهة فلا يقال لمن تسمى به أنه مشرك ، وأما المتفق عليه أنه ليس من أسماء الله كالحارث فالتعبيد به شركٌ أكبر أو أصغر بحسب ما يقع في نفس المتسمي فإن أراد العبودية المطلقة فهو شركٌ أكبر وإن أراد الخدمة ونحوها فهو أصغر اهـ. (سمعته منه أثناء إلقاءه دروسه في الأسماء الحسنى) .

* * *

((حكم التسمي بهذه الأسماء))

(جار الله ، ضيف الله ، غرم الله ، صفي الرحمن ، عاشق الرحمن ، محب الـــرحمن ، عبـــد الجلال ، دحمي ودحوم تصغير عبد الرحمن وعزيز وعزوز تصغير عبد العزيز) ونحوها

جار الله إن كان من الإجارة أي أستجير بالله فهو جائز ، وإن كان من الجوار فإنه لا يدري هل يكون من أهل الجنة في جوار الرحمن أم لا فيكون فيه تزكيةٌ للنفس وقد غير النبي صـــلى الله عليه وسلم الأسماء التي فيها تزكية نفس كبرة وغيرها ومثله صفي الرحمن وإن كان المسلم مصطفىً لأن يكون من حزب الله لكن التزكية لا تنبغي لأنها قد تأتي بالعجب والغرور ومثله أيضاً ملاك فكأنه يقول صاحب الاسم أصبح كالملائكة لا يذنب وهو دائم الطاعـــة وهـــذا تزكية ، وأما ضيف الله فيصح لأنه يعيش بنعم الله فهو ضيفٌ لله بهذه النية وأما غرم الله فما يدرى ما يراد به إن أراد أنه قد أحب الله تعالى إلى درجة الغرام فهو وإن كان يمكن أن يقبل من نظر المسلم لكن فيه سوء أدبٍ في الألفاظ لأنها ألفاظ الفساق ونحوهم ومثله عاشـــق الله فينبغي أن يلتزم بالألفاظ الشرعية كمحب الرحمن أو نحوه ، وإن أراد معنى آخر فينظر هـــل يتوافق مع أحكام الشرع فيقبل أو لا فيرد ، وأما تصغير الأسماء كـــدحمي وعزيـــز ونحوهـــا فجائزة كما قال الشيخ بن باز لأن الناس لا يريدون تصغير لفظ ذي الجلالة وإنمـــا تصـــغير الشخص نفسه .

((حكم التسمي بأسماء الله تعالى))

هناك أسماءٌ خاصةٌ به جل وعلا كـــ (الله) و (الرب) و (الرحمن) و (الإله) ونحوهـــا فلا يجوز التسمي بها مطلقاً ، وهناك من أسماء الله ما يجوز أن يتسمى بها العبد لاكن يشترط ألا يراعى في التسمية معنى الصفة ، فلا يسمى أحدٌ كريم لأن من صفاته البارزة الكرم ، ولا يسمى حليم لأن من صفاته البارزة الحلم ، ولا يسمى الحكم لأن من صفاته البارزة فصـــل الحكومات وإرضاء الناس بحكمه ، ودليل هذا حديث أبي شريح رضي الله عنه وفيه أنـــه : لما وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعهم وهم يكنونه أبا الحكم فدعاه رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقال له (إن الله هو الحكم وإليه الحكم فلم تكني أبا الحكم) فقال إن قومي إذا اختلفوا في شيءٍ أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين قال (ما أحسن هـــذا

فما لك من الولد؟) قال لي شريح وعبد الله ومسلم قال (فمن أكبرهم) قال شريح قال (فأنت أبو شريح) رواه البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني فغيَّر النبي صلى الله عليه وسلم كنيته لأنه روعي فيها معنى الصفة وهو الحكم ، ويدل على جوازه لو لم يراعى فيه الصفة أن النبي صلى الله عليه وسلم استفصل منه ولو كان لا يجوز مطلقاً لما استفصل ولأنكر مباشرة ولأنه يوجد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من اسمه الحكم ولم يغيره النبي صلى الله عليه وسلم كالحكم بن هشام رضي الله عنه لأنه لم يراعى في تسميته الصفة .

وقيل إنه ينبغي أن لا يكون محلىً بالألف واللام لكونها تفيد الاستغراق أي الشمول ، فإذا قلت الكريم شملت كل معاني الكرم بخلاف ما لو قلت كريم فإنها حينئذٍ تنفك عن الشمول وحينئذٍ يجوز تسمي العبد بها .

والصحيح أن هذا لا يشترط لأن الناس لا يريدون تشبيهه بالله حين سموه بذلك وشمول كرم الله ليس كشمول كرم الإنسان فالإنسان يشمل كرمه ما يطيقه بضعفه وعجزه وكرم الله يليق بجلاله وعظمته لا يحده حد ، ولقد تقدم أن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بن هشام وهو معرفٌ بأل ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم هذه التسمية ولم يغيرها .

((تفسير معاني بعض الأسماء الحسنى))

((المقدمة))

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد

فإن العلم بالله جل وعلا أشرف العلوم وأجلها قال تعالى { إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ } (٢٨) سورة فاطر أي الذين يعرفونه حق المعرفة فيعرفون عظمته وقوته وكبريائه وبطشه وانتقامه وسننه ويعرفون مغفرته ورحمته وجوده وكرمه .....الخ فيولد ذلك في نفوسهم تعظيم الرب والخوف من بطشه وانتقامه والطمع في مغفرته ورحمته فيعملون وفق ذلك

فيبلغون أرقى منازل التوحيد والعبودية للرب جل وعلا ٠

وإنما يُتعرف إلى الرب جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا ، لأن من تمام كرم الرب جل وعلا على عباده وإحسانه إليهم أن عرَّفهم بأسمائه وصفاته ليعرفوا معانيها ويتعبدوا له بمقتضاها ولذلك ينبغي على كل موحدٍ يرجوا رضا ربه ورحمته وإدراك أعلى المنازل في الجنان والنجاة من بطش الله وانتقامه والنزول في أسافل النيران أن يتعلم هذه الأسماء ويعرف معانيها ويعمل بمقتضاها فيعرف اسم الله السميع ويعلم أن معناه أن الله يسمع كل شيء فيعمل بمقتضى ذلك فلا يقول قولاً يغضب الرب لأنه يعلم أنه يسمعه وهكذا البصير فلا يعمل عملاً يغضب الرب وهو يعلم أن الله يراه وهكذا في سائر أسماء الرب جل وعلا فمتى عرفها العبد وعرف معانيها وعمل بمقتضاها فقد حقق رضى الرب جل وعلا وارتقى إلى أعلى مراتب العبودية له جل وعلا ٠

ولذا فقد كتبنا هنا بعض معاني الأسماء الحسنى والصفات العلى لتكون تذكيراً لنا ولإخواننا إذا نسينا معنى اسمٍ من أسماء الرب جل وعلا أو نسينا العمل بمقتضاه ، لعل الله جل وعلا أن يرفعنا وإخواننا في أعلى الجنان ويجيرنا من حرِّ النيران إنه ولي ذلك والقادر عليه ٠

((الله))

هو اسم الله الأعظم في قول كثيرٍ من أهل العلم لأنه الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى فهي تنسب إليه ولا ينسب إليها قال تعالى {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى } (١٨٠) سورة الأعراف ويقال من أسماء الله (الرحمن الرحيم) ولا يقال من أسماء الرحمن (الله)

ومعناه / قيل هو مشتقٌ من الإله أي الذي تألهه القلوب أي تعبده محبةً وتعظيماً ٠

وقيل هو غير مشتق وإنما هو علمٌ على الذات المقدسه وحينئذٍ لا يكون دالاً على صفةٍ ومعنى ٠وهذا باطل ، لأن أسماء الله حسنى أي دالة على كل معاني الحسن والكمال ،

والاسم الذي لا معنى له لا يوصف بأنه حسن فضلاً عن أن يدخل في صيغة المبالغة (فُعْلَى) والرب جل وعلا قد وصف أسمائه بأنها (حسنى) على وزن فعلى ، وحينئذٍ لا يصح أن يقال عن أسماء الرب جل وعلا أنها جامدةٌ غير مشتقة إذ فيه تكذيبٌ لقوله وانتقاصٌ لأسمائه

من ثمرات الإيمان بهذا الاسم /

١-إخلاص العبودية لله جل وعلا وأنه لا يستحق العبادة غيره وذلك لأن اسم الله مختصٌ به جل وعلا فلا يجوز أن يسمى بهذا الاسم غيره ولا يجوز أن يصرف معناه لغيره فهو المألوه المعبود وحده دون من سواه فمن صرف شيئاً من أنواع العبادة لغيره فقد أشرك مع الله غيره فيما هو من خصائصه وصرف ما هو من محض حق الله لغيره فكان ظالماً لربه ولذا قال لقمان { يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} (١٣) سورة لقمان ولذا كان الشرك أعظم الذنوب كما قال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا } (١١٦) سورة النساء وعند معرفة الإنسان لمعنى هذا الاسم وعمله بمقتضى هذه المعرفة فإنه يسلم من الشرك والخسران الأبدي وهذا مطلبٌ غالي وثمرةٌ مباركة .

٢- أن العبادة لا بد أن تكون مقرونةً بالمحبة والتعظيم والخوف والرجا ومن غلب جانباً فقد جانب الصواب وانحرف عن الحق ولذا قيل : من عبد الله بالخوف وحده فهو خارجي ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجي ، ومن عبده بالمحبة وحدها فهو صوفي ، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو سني .

٣-ينبغي على العبد أن لا يفتر لسانه من ذكر الله جل وعلا قال النبي صلى الله عليه وسلم

(لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) رواه الترمذي وبن ماجه وغيرهما وصححه الألباني فهو اسمٌ خفيفٌ على اللسان عظيمٌ عند الرحمن قال صلى الله عليه وسلم (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (أحب الكلام إلى الله أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه الشمس) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر) متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أيعجز أحدكم أن يكسب كل يومٍ ألف حسنة ؟) فسأله سائلٌ من جلسائه كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال (يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة)رواه مسلم وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الكلام أفضل ؟ قال (ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده) رواه مسلم وعن جويرية أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة قال (ما زلت على الحال التي فارقتك عليها ؟) قالت نعم قال (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي و لم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه) متفقٌ عليه وغير ذلك من الأذكار الواردة وكلها تشتمل على اسم الله جل في علاه فينبغي المحافظة عليها والاكثار منها ٠



((الملك ، المليك ، مالك الملك ، ملك ومالك يوم الدين ، ملك الناس))

الله جل جلاله هو مالك الملوك وما ملكوه وهو صاحب التصرف المطلق في ملكه الـــذي لا يحتاج إلى أحدٍ يعينه في إقامة ملكه أو تصريف أمر مملكته ، ويتضاءل كل الملوك أمام ملك الله جل وعلا بل هم عبيده وتحت قهره فهو مالكهم ومالك ملكهم قال تعالى{قُلِ اللَّهُـــمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) سورة آل عمران

والفرق بين ملك الله وملك المخلوقين :

١-أن الله عز وجل هو صاحب التصرف المطلق في ملكه وأما ملوك الـدنيا فتصـرفهم في ملكهم محدود إذ لا يستطيعون بعض أنواع التصرف فلا يستطيعون أن يترلوا المطـر علـى مملكتهم مثلاً وغير ذلك .

٢-أن الله لا يحتاج إلى أحدٍ يعينه في إقامة ملكه أو تصريف مملكته وأما ملوك الـدنيا فهـم محتاجون إلى من يعينهم لإقامة ملكهم وتصريف أمر مملكتهم .

٣-أن ملك المخلوقين قد سبق بعدم ويلحقه فناء وليس ذلك في ملك الله جل وعلا .

٤-أن ملك المخلوقين تابع لملك الله تعالى فلا يفعلون إلا ما كتبه الله عليهم قدراً وأجاز لهم تنفيذه شرعاً فإن عصو وتمردوا على شرع الله أهلكهم كفرعون ونمرود وغيرهم من الأمـم الغابرة ككسرى وقيصر وأبرهة وإن نفذوه ثبَّت الله ملكهم كداود وسليمان عليهما السلام

٥-أن ملوك الدنيا ينقص ملكهم وما في أيديهم إذا أعطوا غيرهم بخلاف ملك الله فإنـه لم تزل يداه مليئةً بالعطايا منذ خلق الخلق و لم ينقص ذلك من ملكه شيئاً ولذا ورد في الحديث القدسي (يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وأنسكم وجنكم قاموا في صعيدٍ واحد فسألوني فأعطيت كل واحدٍ منهم مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخـل البحر) رواه مسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سـحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض ما في يمينه) متفـق عليه وعند بن ماجه (فإنه لم ينقص مما في يديه شيئا) صححها الألباني .

والفرق بين الملك والمالك ما يلي :

١-أن الملك هو النافذ أمره في ملكه وأما المالك فقد لا ينفذ تصرفه في ما يملكـه كالصـبي والمجنون .

٢-أن الملك هو الجامع لأصنافٍ من المملوكات وأما المالك فهو التملك الخاص كأن تملك ساعةً أو سيارةً فلا يقال لك ملك وإنما مالك لهذه الأشياء .

٣-أن الملك هو الذي له التصرف المطلق فيما يملك بخلاف المالك فإنه وإن كـان مالكـاً

للسيارة مثلاً فلا ينفذ تصرفه فيها بكل ما يريد فلا يقطع الإشارة مثلاً ولا يتجاوز من اليمين ولا يقف في موقفٍ خاطئ ونحو ذلك فليس له التصرف المطلق فيما يملك .
٤-الملك هو الذي يحكم ولا يملك والمالك يملك ولا يحكم وأما الله تعالى فهو ملكٌ مالك .
٥-أن الملك صفةٌ ذاتيةٌ لله عز وجل وأما المالك فصفةٌ فعلية اختاره الشوكاني ورجحه الشيخ خالد السبت في دروس الأسماء الحسنى المقامة بجامعه .

وقد ذكر أهل العلم أقوالاً في أيهما أبلغ ملك أو مالك هي كما يلي :
١-الملك أعم وأبلغ فكل ملكٍ مالك لا العكس وأمر الملك نافذ على المالك فلا يتصرف المالك فيما يملك إلا بإذن الملك .قاله المبرد وغيره .
٢-مالك في حق الله أبلغ لأنه مالك للناس وغيرهم وفي حق المخلوق الملك أبلغ اختاره العربي .
٣-لكل واحدٍ من الوصفين نوع أخصية فالمالك قادرٌ على ماهو مالكٌ له أكثر من الملك فهل يستطيع الملك أن يبيع سيارتك رغماً عنك لو فعل لعدَّ ظالماً ، والملك له أخصية فإنه له التصرف في أمور الرعية ولا يستطيعها المالك .

الأدلة على ثبوت هذه الأسماء لله تعالى
١-قوله تعالى{مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ} (٤) سورة الفاتحة وفي قراءة (مالك) وإنما خصه بيوم الدين وهو يوم الجزاء والحساب وهو اليوم الآخر لأنه ليس هناك ملكٌ إلا الله ولا مملوك لغير الله بخلاف الدنيا ففيها ملوكٌ وفيها مماليكٌ من الجن والانس والدواب وغير ذلك .
٢-قوله تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) سورة آل عمران
٣-{وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ } (١١١) سورة الإسراء
٤-قوله تعالى{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ } سورة طه (١١٤) وسورة المؤمنون (١١٦)

٥-قوله تعالى{هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ } (٢٣) سورة الحشر

٦- قوله تعالى{يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} (١) سورة الجمعة

٧-قوله تعالى { إن المتقين في جنات ونهر فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} (٥٤،٥٥) سورة القمر

وكذلك في سورة الناس وغيرها ، وأما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة منها :

٨-حديث (أصبحنا وأصبح الملك لله ٠٠٠) رواه مسلم

٩-قوله تعالى يوم القيامة في الحديث القدسي (أنا الملك أين ملوك الدنيا) متفق عليه

١٠-في دعاء الإستفتاح (اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت) رواه مسلم

١١-حديث (اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيءٍ ومليكه) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وصححه الألباني انظر حديث رقم (٤٤٠٢) في صحيح الجامع

ثمرات وآثار الإيمان بهذه الأسماء /

١-أن تحمد الله جل وعلا إذ لم يجعل لملوك الدنيا التصرف المطلق في أرزاق الناس ومملوكاتهم وإلا لأفسدوا في الأرض وارتكبوا العظائم ومنعوا العطايا لمن يكرهون كما قال تعالى{قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذاً لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً} (١٠٠) سورة الإسراء ولو آذاهم أحد لأبادوه وأهلكوه وما رحموه ، ولكن الله جل وعلا يكفر به ويشرك به وينسب له الصاحبة والولد ويقال عنه فقير وبخيل وغير ذلك من الأقوال المنكرة وهو مع ذلك يرزقهم ولا يعاجلهم بالعقوبة بل يطلب منهم التوبة ويقول {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٧٤) سورة المائدة فأي ملكٍ أكرم وأعظم من هذا الملك الذي حياة وموت ونعيم وشقاء هذا المملوك بيده ومع ذلك يتودد إليه ويرحمه ولا

يعاجله بالعقوبه فسبحانه من ملكٍ ما أكرمه وما أعظم جوده وإحسانه ولو عبدته الليل والنهار ما أديت شكر هذه النعمة .

٢-إذا علمت أن ملكه جل وعلا شامل لكل شيء ولا يكون في الكون حركةً ولا سكنة إلا بأمره وإذنه وعلمه زادك ذلك رغبةً إليه ورهبةً منه وزهدت في ملوك الدنيا وعلمت أنهم مماليك لله ليس بأيديهم نفع ولا ضر إلا ما شاء الله فأخلصت الطلب منه جل وعلا وجعلت الرغبة له وحده دون من سواه والرهبة منه وحده دون من سواه وأخلصت العبادة له وحده دون من سواه فأثمر ذلك فيك قوة إيمانٍ وصفاء نفسٍ وطمأنينة بال .

٣-إفراده جل وعلا بالعبادة والدعاء والبراءة من الشرك وأهله فإذا علمت أن الله جل وعلا له ملك كل شيء والأنبياء والصالحين والأولياء مماليك له جل وعلا عبيدٌ له وإنما كان صلاحهم حين أخلصوا العبودية له جل وعلا ، أثمر ذلك اليقين بأن النفع والضر بيد الله وحده فلا يدعى غيره ولا يرتجى من سواه إذ كيف تطلب من المملوك وتترك المالك فهل يتصرف المملوك في ملك المالك بغير إذنه فهذا لا يجوز في حق المخلوق ويعتبر خائناً للمالك ، فكيف بالمالك الحق الذي كل الوجود وما فيه ملكه ولا يكون شيءٌ في مملكته إلا بإذنه إما شرعاً وإما قدراً ولا يغيب ولا يخفى عليه شيء ولا يعجزه شيء كما قال تعالى { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ } (١٣) سورة فاطر وأهلك الله من نازعه في ملكه كفرعون وغيره فحذار الحذر أن ترتجي غير الملك الحق وتصرف له مما هو خالصٌ للملك الحق فينتقم منك إما في الدنيا وإما في الأخرى ولا ينفعك من لجأت إليه سواه كما قال تعالى { فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ } (١٠١) سورة هود

٤-أن الإيمان بأن الله هو الملك الحق يورث عند المؤمن الثقة بما عند الله وعدم الثقة بما يملكه هو لأنه ملكٌ لله ولو شاء أخذه ، فيدعوه ذاك إلى الإنفاق في سبيل الله وعدم الإقتار والبخل لأن المالك الحق وعده أن سيعوضه في الدنيا قبل الآخرة كما قال تعالى في الحديث القدسي (يا عبدي أنفق أُنفق عليك) متفق عليه وكما في حديث (ما نقصت صدقةٌ من مال)

رواه مسلم وحديث (اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً) متفق عليه

٥-إنما تكون الطاعة المطلقة لمن له الملك المطلق فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

٦-أن يتأدب الإنسان مع هذا الاسم ويعرف قدره ولذا ورد في الحديث (أن اخنع الأسماء عند الله رجل تسمى ملك الأملاك) متفق عليه قال سفيان مثل شاهنشاه أي (ملك الملوك) بالفارسية ومعنى اخنع أي أذل وأضل وأحقر فينبغي التحرز عن مثل هذه الأسماء كقاضي القضاة وحاكم الحكام ونحوها ولذا انكره الإمام بن رجب واعتبره من نواقض الإسلام ، ويحذر الإنسان من التعاظم والتكبر على الناس بما عنده من الملك والمال فإنه وما مَلَكَ مُلْكٌ لله وحده ولا يكن كقارون حين ملَّكَهُ اللهُ المال الوفير تعاظم وقال { إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي } (٧٨) سورة القصص فخسف الله به الأرض . وكذا فرعون حين أعطاه الله الملك تعاظم في نفسه وقال{ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} (٢٤) سورة النازعات فأغرقه الله و لم ينفعه ملكه ولا جنوده .

((الخالق ، الخلاق ، أحسن الخالقين))

الخلق هو التقدير والإيجاد على غير مثال سابق ويراد به التشكيل والتصوير كما في خلق عيسى عليه السلام للطيور فإن الذي بعث فيها الروح هو الله ولو كان النفخ من عيسى عليه السلام ، والله جل وعلا هو المقدر والموجد من العدم ، وأما التشكيل والتصوير فقد يكون للبشر وقد جاء الوعيد على المصورين مما يدل على أن لهم قدرةً على التصوير وهذا ظاهرٌ حساً ، وقد قال تعالى { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (١٤) سورة المؤمنون أي المصورين وليس المراد أحسن الموجدين أو المقدرين لأنه لا موجد من العدم إلا الله ولا مقدر إلا الله، والله جل وعلا له القدرة المطلقة على الخلق إن شاء أفناهم وأعاد خلقهم أو خلق غيرهم لا يعجزه شيء كما قال تعالى{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن

بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} (١٣٣) سورة الأنعام وقـال تعـالى {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا} (١٣٣) سورة النساء

والفرق بين الخالق والخلاق

أن الخالق هو الذي ينشئ الشيء من العدم ويصنعه بعلم وحكمة ، والخلاق صيغة مبالغة من الخالق وتدل على كثرة الخلق وتدل على المبالغة من جهة الكيفية لهذه المخلوقات أي أنه يخلق المخلوقات العظيمة بدقة عظيمة كقوله تعالى {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِأً وَهُوَ حَسِيرٌ} (٤) سورة الملك

ثمرات الإيمان بهذه الأسماء /

١-أن ندعوا الله بها ونتعبد بها فنسمي عبد الخالق وعبد الخلاق ونقول يا خلاق ارزقنا ذريةً طيبة .

٢-أن نشكره على أن أحسن خلقنا وتصويرنا وكرَّمنا على كثيرٍ ممن خلق ، وتذكر نعمة الله عليك حين ترى المبتلين بالعاهات ونحوها علماً أن أقبح إنسانٍ في الوجود لو قلت له أتريد أن يحول الله صورتك إلى أجمل المخلوقات غير الإنسان كالغزال والطاووس أو النخل والزهور لما رضي لأن صورته أحسن منها بلا شك ولذا قال تعالى {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ} (٤) سورة التين فينبغي شكر الله على هذه النعمة والصبر على ما يصيب الإنسان من بلاءٍ أو عاهةٍ في جسده ولا يتسخط لكونه لم يخلق على جمال فلانٍ أو علان فإنه سوف يخلق في الآخرة على أجمل صورة إن كان من أهل الجنة وإنما الدنيا دار ابتلاء وتمحيص ، ومن علامات التسخط غير الكلام السعي إلى تغيير خلق الله عبر العمليات التجميلية وهي محرمة ما لم تدعوا إليها الحاجة كأن يصاب الإنسان بعاهة تعيق حياته الطبيعية كانسدادٍ في الأنف أو الفم أو غيرها فتجوز ، لكن الغريب ممن هو حسن الخلقة فيسعى إلى تغيير خلقته

فيغيرها إلى صورةٍ سيئةٍ ليكون شبيهاً بفلانٍ أو علان فأي عقولٍ لهؤلاء ٠

٣-أن تؤمن بالقدر لأن من معاني الخالق المقدر فهو قدر الأشياء ثم خلقها فيثمر ذلك تعلق قلب المؤمن بربه جل وعلا لأنه هو الذي قدر الأشياء ثم أوجدها فهو الخالق وما سواه مخلوق وهو الرازق وما سواه مرزوق فيصبح المؤمن سائراً على وفق شرع ربه جل وعلا لأنه يعلم أن الخالق أعلم بما يصلح خلقه والصانع أعلم بما فيه صلاح صنعته فشرَّع له من الأحكام والأوامر والنواهي ما إن سار عليه صلح حاله ومآله ودنياه وأخراه وإن تنكبه وخالفه ضاع وهلك فهو كمن يشغل الأجهزة ويصلحها بما يخالف نظامها الذي أعده صانعوها فلا شك أنها ستتلف وتعطب فكذلك الإنسان إذا لم يسر وفق ما أمره به صانعه فإنه سوف يهلك ٠

٤-التفكر في مخلوقات الله جل وعلا في عظمها وتناسقها وبديع صنعها فإنها تدل على قدرة الخالق وعظمته قال تعالى{قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ} (١٠١) سورة يونس وقال تعالى((فلينظر الإنسان إلى طعامه ٠٠٠٠)) الآيات من سورة عبس والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والإنسان مصنوعاته تحتاج إلى إعادة نظر وتطوير بعد كل فترة ومع ذلك لابد أن يكون فيها عيوب وهذا دليل على ضعفه وعجزه وأن علمه قاصر يحتاج إلى زيادة مرة بعد مرة، لكن الله جل وعلا عليم بكل شيء ومطلعٌ على كل شيء وقادر على كل شيء منذ خلق الخلق لم يحتج إلى تطويرهم ولا إعادة النظر فيهم بل خلقهم على أحسن الأحوال وأكملها ولايقدر أحد على أن يخرج عيباً واحداً في مخلوقات الله جل وعلا ٠

من الأدلة على هذه الأسماء :

١-{ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ}

(١٠٢) سورة الأنعام

٢-{أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥) اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ} (١٢٦) سورة الصافات

٣-{هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى } (٢٤) سورة الحشر

٤-{إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاَّقُ الْعَلِيمُ} (٨٦) سورة الحجر

٥-{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} (٨١) سورة يس

٦-قال صلى الله عليه وسلم (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٥٢٠)

((البارئ))

لغة / قال بن فارس هذه الكلمة الباء والراء والهمزة تدل على معنيين أساسيين :

الأول / وهو الخلق برأ بمعنى خلق وهو من أوضح معانيها قال تعالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (٥٤) سورة البقرة أي إلى خالقكم

والثاني / بمعنى التباعد والمجافاة والمزايلة نحو (برأ فلانٌ من المرض)أي باعده وزايله وجانبه وتقول (برأ فلان من فلان) أي تبرأ منه وجانبه وباعده كقوله تعالى{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاء مِّمَّا تَعْبُدُونَ إلا الذي فطرني } (٢٦،٢٧) سورة الزخرف أي مباعد ومزايل ومجافي

ملاحظة / هناك مادة في لغة العرب تشابهها وليست منها فلينتبه لها وهي (الباء والراء وحرف معتل وهو الواو أو الياء) نحو (برئ يبري ، أعطي القوس باريها) وتدل على

معنيين: الأول / نحت الشيء وحكه نحو (بريت القلم وبرا فلان الهم) ٠
والثاني / المحاكاة فيقال الرجلان يتحاكيان أي يقلد كلاً منهما صاحبه في الكرم أو نحوه ٠

والباري شرعاً / الموجد المبدع من برأ الخلق إذا خلقهم وأوجدهم قال تعالى {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا } (٢٢) سورة الحديد أي نخلقها ونوجدها ٠ وقيل هو الخالق خلقاً بعد خلق في أطوار كالإنسان من نطفة ثم من علقة ٠٠٠الخ وقيل هو الذي خلق الخلق بريئاً من التفاوت أي من الاختلاف والضعف بل خلقه في غاية الدقة والإحكام
وقيل معناه أن الله برئ من كل نقصٍ وعيبٍ في صفاته وأفعاله
والصحيح أنه يشمل ذلك كله فالباري هو الموجد والمنشئ من العدم وهو الذي يخلق شيئاً من شيء كما خلق الانسان من تراب وهو الذي يخلق الخلق بريئاً من العيب والتفاوت كما أنه لا يلحقه نقصٌ ولا عيب في صفاته ولا ذاته ولا أفعاله ٠
تنبيهات /
١-أكثر ما يستعمل الباري في خلق ذوات الأرواح ولذا يقال : برأ النسمة أي الروح وما عداها فيقال لها مخلوقة وهذا أغلبي وإلا فقد ورد في المصيبة أنها مبروءة وليست من ذوات الأرواح ٠
٢-إذا ذكر الخالق مع الباري كما في سورة الحشر فينبغي أن يكون لكلٍ منهما معنىً غير الآخر طلباً لفائدة الكلام ولذا قال بن كثير في هذا الموضع فقط الخالق المقدر والبارئ الموجد و لم يذكره في غيرها من المواضع ٠
٣-بعض أهل العلم ذكر من أسماء الله تعالى الفاطر والبديع وأنهما بمعنى البارئ والصحيح أنهما يطلقان كما هما مضافان فيقال (فاطر السماوات والأرض) أي الذي بدأ خلقها بعد أن كانت عدماً ، كما قال أحد الخصمان في البئر : أنا الذي فطرتها٠أي ابتدئتها ، ويقال ((بديع السماوات والأرض)) الذي خلقهما في غاية الإتقان والإحكام وأبدع صنعهما

،ويقال لمن يتقن صنعته : فلانٌ مبدع أي متفنن في صنعته ، والبدعة هي الأمر المحدث على غير مثالٍ سابق وقيل إنه راجع إلى الله تعالى أي أنه سبحانه بديعٌ في ذاته وصفاته وأفعالــه ولذا ذكره الشيخ بن عثيمين رحمه الله من الأسماء ، قاله الشيخ خالــد الســبت في دروس الأسماء الحسنى .

الأدلة على هذا الاسم /

١-قوله تعالى قال تعالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَــكُمْ بِاتِّخَــاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُــوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } (٥٤) سورة البقرة

٢-قوله تعالى {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى } (٢٤) سورة الحشر

٣-قول علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وسلم إلي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق . رواه مسلم وقوله حين سأله أبو جحيفة هل خصكم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النســمة) رواه البخاري

((المصور))

لغة / التصوير يأتي بمعنى التخطيط والتشكيل

اصطلاحا / الله هو المصور الذي صور جميع المخلوقات على هيئات مختلفة وأشكالٍ متباينــة حتى الجنس الواحد مثل الإنسان بين كل شخص وآخر اختلافاً وسيما تميزه عن غيره حــتى البصمات والأذواق وغيرها مختلفة فسبحان الخالق العظيم وصدق إذ يقــول { وَصَــوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } (٣) سورة التغــابن فلو كان الانسان بلا جلدٍ ولا لحمٍ وإنما عظامٌ تمشي لكــان شكله مرعباً أو كان فيه لحمٌ بلا جلدٍ لكان شكله مقززاً فلما غطيت العظام باللحم وغطي اللحم بالجلد كان شكله حسناً فما أحسن صنع الخالق جل وعلا .

الأدلة على أن هذا الاسم من أسماء الله جل في علاه /

١- قوله تعالى {هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى } (٢٤) سورة الحشر

٢-قوله تعالى { وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ } (٣) سورة التغابن وقد يقال هذا انسانٌ دميم الخلقة فنقول ولو كان دميماً فهو مصورٌ في أحسن صورة فإن رأسه إلى أعلى ويمشي على قدميه لا على يديه ويأكل بيده لا بفمه مباشرة كالبهائم ، ولو خيَّر أن يكون على صورة أجمل المخلوقات غير الانسان لما رضي لعلمه أن صورته أحسن .

٣-قوله تعالى {فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ} (٨) سورة الإنفطار

٤-حديث (سجد وجهي للذي خلقه وصوره) رواه مسلم

الفرق بين الخالق والبارئ والمصور /

أن الخلق هو التقدير على مثالٍ أو على غير مثالٍ سابق ، والبرء هو تنفيذ ما قد قدِّر وإخراجه إلى الوجود بإتقان ، والتصوير أن يعطيه السمات التي تميزه عن غيره .

من ثمرات الإيمان باسم الله المصور /

١-أن لا يتباهى الإنسان بجماله فالله هو الذي أعطاه هذه الصورة الحسنة ولو شاء لنزعها منه فليحمد الله وليكثر من شكره والثناء عليه ، ولا يعير الناس بخلقهم وصورهم فإن في ذلك قدحٌ لمن صورهم .

٢-أن يشتغل العبد بإصلاح باطنه وبما ينفعه في دينه ودنياه ويترك الإشتغال بصورته فإنها خلق الله وينبغي الرضا بها مطلقاً وعدم التسخط بالقول أو الفعل فإن ذلك محبطٌ للأجر ولا يسعى إلى تغيير صورته فإن ذلك من أمر الشيطان كما قال {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ } (١١٩) سورة النساء قال بن سعدي رحمه الله: وهذا يتناول الخلقة الظاهرة ، بالوشم ، والوشر ، والنمص ، والتفليج للحسن ، ونحو ذلك ، مما أغواهم به الشيطان فغيروا خلقة الرحمن . وذلك يتضمن التسخط من خلقته ، والقدح في حكمته ، واعتقاد أن ما يصنعونه بأيديهم ،

أحسن من خلقة الرحمن ، وعدم الرضا بتقديره وتدبيره . ويتناول أيضا تغيير الخلقة الباطنة . فإن الله تعالى خلق عباده حنفاء مفطورين على قبول الحق ، وإيثاره . فجاءهم الشياطين ، فاجتالتهم عن هذا الخلق الجميل ، وزينت لهم الشر والشرك والكفر ، والفسوق ، والعصيان . إلى أن قال : وهذا الذي جرى عليهم ، من توليهم عن ربهم وفاطرهم ، وتوليهم لعدوهم المريد لهم الشر ، من كل وجه (سبب خسرانهم ولهذا قال في ختام الآية) {وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا} وأي خسارٍ أبين وأعظم ، ممن خسر دينه ودنياه ، وأوبقته معاصيه وخطاياه ؟ فحصل له الشقاء الأبدي ، وفاته النعيم السرمدي . كما أن من تولى مولاه ، وآثر رضاه ، ربح كل الربح ، وأفلح كل الفلاح ، وفاز بسعادة الدارين ، وأصبح قرير العين ٠ اهـ (من تفسيره وأضفت ما بين القوسين) وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال لعن رسول الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله) متفق عليه وذلك كتكبير الأنف أو الشفاه أو تصغيرها أو غير ذلك إلا أن تكون حاجة كضيق نفس أو نحو ذلك ٠

((السيد))

السيد في لغة العرب له معانٍ كثيرة منها الرب والمالك فالرجل سيد في بيته وسيد على رقيقه ويقال لمن كمل في صفاته الأخلاقية سيد وهو من السؤدد والشرف ويقال للرئيس سيد قال تعالى {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} (٦٧) سورة الأحزاب وقال تعالى عن امرأة العزيز {وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ} (٢٥) سورة يوسف وسيد كل شيءٍ أشرفه وأرفعه فتقول هذا سيد المال أي أشرفه وأرفعه وهكذا في غيره ٠

وأما الله عز وجل فهو السيد الذي قد كمل في سؤدده وتعالى في عظمته وكبريائه له الكمال المطلق والسيادة المطلقه وما سواه من السادة عبيدٌ له محتاجون لمن يسودهم ولولا أن

الله أراد أن يسودوا لما سادوا على من دونهم من الخلق ولو أن الله تخلى عن خلقه بعد إيجادهم لضاعوا وهلكوا فالسيادة المطلقة والعظمة المطلقة لله جل وعلا ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (السيد الله) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني وأما المخلوق فيقال له سيد بدون أل التعريف ولكن بالإضافة فيقال (سيد بني فلان أو سيد قبيلة كذا ونحو ذلك) ويدل لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (أنا سيد ولد آدم) رواه مسلم وقال للأنصار (قوموا إلى سيدكم) يعني سعد بن معاذ متفق عليه والمخلوق قد يقال له حكيم وعليم وملك لكن ليست حكمته وعلمه وملكه كحكمة وعلم وملك الله جل وعلا فكذلك يقال له سيد وليست سيادته كسيادة الله فللمخلوق سيادةٌ تناسب ضعفه وعجزه وللخالق جل وعلا السيادة المطلقة التي تناسب عظمته وقوته وجبروته جل وعلا .

من ثمرات الإيمان باسم الله السيد /

١-تعظيم الله وإجلاله فإن الناس يعظمون سيدهم البشري ويجلونه ويقدرونه ويحترمونه ويسمعون له ويطيعون ، فمن باب أولى أن يعظم من له السيادة المطلقة عليهم وعلى سيدهم وهو الله جل في علاه فيجب تعظيمه جل وعلا وإجلاله والسمع والطاعة له ولرسله عليهم الصلاة والسلام لأنهم يأتون بأوامره ونواهيه .

٢-أن الشرف والسؤدد الحقيقي إنما ينال بطاعة الله جل في علاه وتقواه ولذا كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم سادة الناس وأما الكفار والفساق والمنافقين فهم أذل الناس مهما بلغوا من الملك والسلطان فإن ذل المعصية يلاحقهم أينما ساروا ، وينبغي على المؤمن أن لا يعزهم بعد أن أذلهم الله ولذا جاء في الحديث (لا تقولوا للمنافق سيد فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل) رواه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد واللفظ له وصححه الألباني

٣-ينبغي على من حصل له شيءٌ من السيادة الدنيوية أن لا يغتر ولا يبطر ويتكبر على

الخلق فإنها سيادةٌ مسبوقةٌ بعدم ملحوقةٌ بفناء وهي في أثناءها منقوصة ، فينبغـــي التواضـــع ونصرة الحق وليجعل سيادته نافعةً له عند ربه بأمر الناس بالمعروف ونهـــيهم عـــن المنكـــر ومنعهم من الشر بقوة السيادة وليعلم أنه خليفة الله في الأرض استخلفه ربه ليقيم شرعه بين الناس .

٤ –أن يعلق المؤمن تعلقه ورجاءه بمن له السيادة الحقة القادر على النفع والضـــر والإعطـــاء والمنع وهو الله جل في علاه ، ويزهد في أسياده من البشر فإنهم مهما بلغوا من السيادة فهم فقراء ضعفاء محتاجون إلى الله جل وعلا فمن يشافي مرضاهم ويرحم موتاهم ويعز سلطانهم ويذل أعدائهم ومن يرزقهم المال والذرية ويسلمهم من العاهات والبلية إلا الله وحده ، فإذا كان هذا حالهم فلماذا تعلق آمالك بهم وتنسى السيد الحق الذي لا يحتـــاج إلى معـــينٍ ولا ظهير ولا ولي ولا نصير ولا يشغله حالٌ عن حال {يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُـــلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} (٢٩) سورة الرحمن

((الصمد))

الصمد له عدة معانٍ في لغة العرب منها :

١ –أنه الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد ومنه قول معاذ بن الجموح فصمدت لـــه أي لأبي جهل أي قصدته طالباً حاجتي منه وهي القتل .

٢ –أنه السيد المطاع الذي لا يقضى دونه أمر .

٣ –أنه المصمد الذي لا جوف له .

٤ –أنه الرفيع عن كل شيء يقال بناءٌ مصمد أي مرتفع .

وأما معنى اسم الله الصمد فله عدة معانٍ عند السلف منها :

١-أنه السيد الذي قد انتهى إليه السؤدد فلا أحد فوقه اختاره الطبري
٢-أنه المصمد الذي لا جوف له فلا يأكل ولا يشرب ولا يخرج منه شيء فيكون تفسيرها في سورة الإخلاص الآية التي تليها ((لم يلد و لم يولد))
٣-أنه الدائم الباقي الذي لا يفنى ٠
٤-أنه الذي يصمد إليه في الحوائج ويقصد في النوائب ٠
٥-أنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله وأقواله ٠
٦-أنه الذي تصمد إليه قلوب العباد رغبةً ورهبة ٠

والصحيح أنه يجمع كل هذه المعاني ولذا فإن هذا الاسم من الأسماء الدالة على جملة أوصاف كلها ثابتةٌ في حق المولى جل وعلا وأقوال السلف ليست متضادة ، ولذا فإن هذا الإسم من الأسماء الخاصة به جل وعلا فلا يطلق على المخلوق بأل التعريف فيقال (فلانٌ الصمد) وإنما يمكن أن يقال فلانٌ صمد في كذا وكذا بمعنىً يليق به كمخلوقٍ ضعيف وأما الصمدية بالمعنى الشامل فلا تكون إلا لله جل وعلا فهو المقصود في جميع الحوائج هو النافع الضار الرافع الخافض المعز المذل العلي العظيم هو السيد الذي انتهى إليه السؤدد والعظيم الذي قد انتهت إليه العظمة الحليم الذي قد انتهى إليه الحِلْم الكريم الذي قد انتهى إليه الكرم وهو الكامل في كل صفات كماله ونعوت جلاله لا أحد فوقه ولا يكون شيءٍ إلا بإذنه وعلمه هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ٠

وأما ثمرات الإيمان بهذا الاسم فهي كثيرة منها ما يلي :
١-دعاء الله به فإنه قد يكون الاسم الأعظم لله جل وعلا فقد سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعوا ويقول (اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبةً ولا ولد.....) فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد سأل الله

باسمه الأعظم الذي إذا سأل به أعطى وإذا دعي به أجاب) رواه أبو داود والترمذي وبن ماجة وغيرهم وصححه الألباني

٢-أن تقصد الله وحده في طلب حاجاتك وتفريج كرباتك لأن الله جل وعلا هو الصمد الذي يصمد إليه في الحوائج أي يقصد فيقضي حوائج الخلائق ولا ينقص ذلك من ملكه إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر ، فيا عجبا لمن يطرق أبواب الناس يستعطفهم ويرجوا نوالهم وأعطياتهم ونسي أو تناسى رب الناس من بابه مفتوح وفضله وكرمه يغدوا ويروح وصدق الشاعر القائل

لا تسألن بُني آدم حاجةً وسل الذي أبوابه لا تحجب

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم حين يُسأل يغضب

قال عليه الصلاة والسلام (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله فيوشك الله له برزق عاجل أو آجل) رواه أبو داود والترمذي واللفظ له وصححه الألباني انظر حديث رقم (٦٥٦٦) في صحيح الجامع

٣-ينبغي للمخلوق أن يقضي للناس حوائجهم ويعينهم فيقتدي بربه جل وعلا فيصمد للناس فيما يقدر عليه ولا يعيش لنفسه .

((الرحمن ، الرحيم ، ذو الرحمة الواسعة))

مشتقةٌ من الرحمة ، والرحمن أبلغ لأنه على وزن (فعلان) وهو أبلغ عند العرب وقد ذكر أهل العلم من الفروقات بين الرحمن والرحيم ما يلي :

١-الرحمن تشمل جميع الخلائق فهي رحمةٌ عامة والرحيم ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين قال تعالى{ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا} (٤٣) سورة الأحزاب فتقديم الجار والمجرور والمعمول وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر ، لكن قد يشكل عليه قوله تعالى { إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٤٣) سورة البقرة

٢-أن الرحمن صفة ذات والرحيم صفة فعل فالرحمن يدل على الرحمة الذاتية التي هي صفة ذات لله تعالى لا تنفك عنه والرحيم القدر المتعدي من الرحمة ولذا قال تعالى{ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١١٧) سورة التوبة ولم يقل (رحمان) ولما تكلم عما هو مختصٌ به وهو العرش ذكر

الرحمن فقال {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٥) سورة طـه و لم يقل (الرحيم) وهو ما اختاره بن القيم ذكره خالد السبت ، وقيل قرنه به لسعة رحمتة بالمخلوقات كما أن عرشه أوسع المخلوقات .

٣-الرحمن من الأسماء المختصة بالله تعالى فلا يقال عن المخلوق أنه رحمان ، و لم يتجرأ أحدٌ على أن يتسمى به إلا مسيلمة الكذاب فكان يقال له (رحمان اليمامة) فوصم بالكذب فلا يذكر إلا قيل (الكذاب) ازدراءً واحتقاراً لمن تجرأ على أسماء الله المختصة به فتسمى بها .

مسألة / العرب تعرف اسم الله الرحمن وانكارهم له في قوله تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ } (٦٠) سورة الفرقان وقولهم (ما نعرف إلا رحمان اليمامة) إنما هو من باب الكبر والطغيان والمخاصمة لكن الكذب صاحبه مفضوح ولذا لما أرادوا أن يخاصموا الرسول صلى الله عليه وسلم في المشيئة قالوا كما قال تعالى {وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم } (٢٠) سورة الزخرف وورد ذكر الرحمن كثيراً في أشعارهم في الجاهلية .

الأدلة على هذين الاسمين كثيرة في الكتاب والسنة منها :

١-قوله تعالى ((بسم الله الرحمن الرحيم)) في ابتداء كل سورة عدا براءة وبعض آيةٍ من سورة النمل{إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} (٣٠) سورة النمل

٢-قوله تعالى ((الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم)) سورة الفاتحة

٣-قوله تعالى ((الرحمن علم القران)) بداية سورة الرحمن

٤-قوله تعالى { وَأَنَّ اللّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (١٠٤) سورة التوبة

٥-قوله تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (٩) سورة الشعراء والآيات كثيرة وأما الأحاديث فمنها:

٦-قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم اغفر لي وتب علي إنك أنت الغفور الرحيم) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني

٧-عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك (أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني

أنواع الرحمة من حيث إضافتها للرب جل في علاه نوعين :
١-مخلوقة وهي التي تضاف إلى الله عز وجل من باب إضافة المخلوق إلى خالقه نحو قول النبي صلى الله عليه وسلم (تحاجت الجنة والنار) وفيه فقال للجنة (أنت رحمتي أرحم بك من أشاء) متفق عليه والجنة مخلوقة و ولذا جاز أن يقال : اللهم اجمعنا في مستقر رحمتك ، يعني الجنة ، ونحو قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة) متفق عليه والرحمة التي في المخلوقات مخلوقة .

٢-غير مخلوقة وهي التي تضاف إلى الله عز وجل من باب إضافة الصفة إلى متصف بها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٧٧٧)

والرحمة من حيث تعديها للمخلوقات نوعين أيضاً :
١-رحمة عامة للمخلوقات بالرزق والصحة وغير ذلك فتشمل حتى الكفار والبهائم وجميع المخلوقات قال تعالى{ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } (١٥٦) سورة الأعراف
٢-رحمة خاصة بالمؤمنين بتأييدهم ونصرهم وهدايتهم وإسعادهم وغير ذلك .

من آثار رحمة الله :
١-أن سخر لنا كل ما في السماوات والأرض كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم

مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ} (٢٠) سورة لقمان وقال تعالى {وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (١٣) سورة الجاثية وقال تعالى {اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَينَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} (٣٣) سورة إبراهيم وقال تعالى {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } (١٢) سورة النحل وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} (١٤) سورة النحل وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (٦٥) سورة الحج

٢-من رحمته إرسال الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) (١٠٧) سورة الأنبياء وقال تعالى {وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦١) سورة التوبة وقال تعالى {أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ} (١٥٧) سورة الأنعام وقال تعالى {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} (٥٢) سورة الأعراف وقال تعالى {وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} (١٥٤) سورة الأعراف وقال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (٥٧) سورة يونس

٣-من آثار رحمة الله قبول التوبة كما قال تعالى {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ } (٥٣) سورة الزمر فما أوسع رحمة الله كيف فتح باب التوبة لمن عصاه فإن سلكه فرح بتوبته وجعله من أوليائه وأحبه كما قال تعالى {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ } (٢٢٢) سورة البقرة فهل أحدٌ منكم يعامل من عصاه بمثل هذه المعاملة مع فقرنا إلى الله وغناه عنا ، قال صلى الله عليه وسلم (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم

٤-ومن آثار رحمته ما جعله في قلوب الآباء والأمهات تجاه أولادهم حتى ترفع الدابة حافرها عن وليدها خشية أن تؤذيه ، ولو نزع الله الرحمة منهم تجاه أولادهم لما رعت الأم أولادها ولما تعبت من أجلهم وكذا الأب ولهلكوا دون نظرٍ لحالهم ولا شفقةٍ عليهم بانعدام الرحمة .

٥-ومن رحمته بعباده تكليفهم بما يطيقون ورفع الحرج عنهم فلو كلفنا بما يشق علينا كتكرار الحج كل سنة وتحريم الصيد ونحو ذلك لوجب علينا ولما استطعنا وعصينا فهلكنا .

٦-المصائب من رحمة الله فكم من مسرف على نفسه بالعصيان لَّما أصيب بمصيبةٍ رجع وأعلن التوبة والإذعان ولولا ذلك لكان من حطب النيران ، ولذا الطبيب حين يبتر عضواً من أعضاء المريض فهو مع كونه فعلٌ قاسي ولكن ذلك لمصلحة المريض نفسه لئلا يتعدى المرض على سائر أعضائه فيهلك فكذلك المصائب التي يحدثها الله لعباده هي لمصلحتهم ، فإن كانت لعاصي فهي تخفيف ورحمة وإن كانت لمطيع فهي رفعة ومنحة .

ملاحظة / أنكر المبتدعة أن الله رحيم وقالوا الرحمة رقةٌ في القلب يتبعها ذلٌ وانكسارٌ للمرحوم وهذه صفة نقصٍ يتره الله عنها .
والجواب أن هذه رحمة المخلوق أما رحمة الله فهي رحمةٌ تليق بجلاله وعظمته لا ندرك كيفيتها .

((الحنان))

الحنان هو الرحمة قال تعالى{وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا} (١٣) سورة مريم أي رحمةً من عندنا أو تعطفاً منا يقال يحن فلان إلى فلان أي يشتاق ويحن فلان على فلان أي يعطف ، قال بن كثير : جعل الله الحنان صفةً ليحيى عليه السلام وقال غيره من المفسرين الحنان من الله فجعلوه صفةً لله وهو بمعنى الرحمة قال بن الأثير : الله هو الحنان ذو الرحمة على وزن فعال من المبالغة في الرحمة ، ولم يرد في القران إلا في هذا الموضع عند من يجعله صفةً لله لا ليحيى وورد في السنة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)رواه

أحمد واللفظ له وابن ماجه وصححه الألباني وحديث (ثم يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبداً في قلبه مثقال حبةٍ من إيمانٍ إلا أخرجه منها) رواه أحمد والحاكم وصححه على شرط مسلم وسكت عنه الذهبي وآثار الإيمان به كآثار الإيمان باسمه الرحمن الرحيم .

((الرؤوف))

أخص الرحمة وأرقها وأشدها يقال لها رأفة ولا تكون إلا في المحاب وأما المصائب فيصاب بها الإنسان بمقتضى الرحمة لا بمقتضى الرأفة فينبغي لمن أصيب بمصيبة أن يجمع بين هذين الاسمين فيقول (يا رؤوف ارأف بي ويا رحيم ارحمني) فيعامل بمقتضى الرحمة فتكون المصيبة لرفعة الدرجات وتكفير السيئات ويعامل بالرأفة فتخفف عليه المصيبة أو ترفع ، وقد ورد في القران مفردا في قوله تعالى {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ} (٣٠) سورة آل عمران وورد مقرونا بالرحمة في قوله تعالى { إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٤٣) سورة البقرة وقال تعالى{ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (٩) سورة الحديد

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم :

١-محبة الإله العظيم حين تنظر إلى آثار رأفته بك وبمن حولك فتعلم أنه إله رؤوف رحيم كريم عظيم لم يخلق الخلق ويتركهم سدى بل أصح أبدانهم وأسلم عقولهم ورزقهم من كل شيء ورأف بهم من كل مكروه فله المنة والشكر .

٢-إذا أدرك الإنسان عظيم رحمة الله ورأفته لم يقنط من رحمته و لم ييأس من نعمته و لم يلقي للمصائب بالاً لأنه يعلم أن ربه رؤوف رحيم وأن فرجه قريب .

٣-أن يتصف المؤمن بالرأفة والرحمة اقتداء بربه جل وعلا لأنه إنما يرحم الله من عباده الرحماء ومن الرحمة بالناس الرأفة بالصغار والرحمة بالكبار وخفض الجناح للوالدين وصلة الأقارب والتودد إليهم ، والعفو عن المسيء من الناس وإكرام المحسن والتألم لآلآم المسلمين والفرح بفرحهم والحزن لزلاتهم والتواضع لعباد الله ، لكن ينتبه للساعات التي ينبغي فيها الحزم مع الرحمة كساعات قتال الكفار وساعات إقامة الحدود وساعات تأديب العصاة ونحو ذلك لأن من الناس من تغلبه العاطفة فلا يؤدي حق الله من قتال الكفرة أو إقامة الحدود على العصاة كالزناة ونحوهم وقد قال تعالى {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } (٢) سورة النور

٤-التعرض لرحمات الله بالإحسان إلى خلقه كما قال تعالى { إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} (٥٦) سورة الأعراف فينبغي على المؤمن أن يحسن إلى الناس فيكرم الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل وسائر الضعفة وينفق عليهم ويلين لهم الكلام ، ومنه إحسان العبادات بأن تكون خالصة لله وفق شريعة رسول الله لارياء فيها ولا بدعة.

٥- الحياء من الله فكما رحمك ورأف بك وستر عيوبك وأنالك مطلوبك تعصيه فلا يعاجلك بالعقوبة وتتوب إليه فتجده تواباً رحيماً فكان ينبغي لك أن تستحي منه كما

تستحي ممن أحسن إليك أو أعظم بحسب إيمانك ٠

٦- من علم أن ربه رؤوف رحيم فلا ينبغي أن يرفع شكواه لغيره فهل يشكو من يرحم إلى من لا يرحم كما قال تعالى {وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ} (٨٤) سورة الأنبياء وهكذا سائر الأنبياء والصالحين كانت شكواهم لله وحده كما قال يعقوب { إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ} (٨٦) سورة يوسف

((العزيز ، رب العزة ، المعز المذل))

العزة في اللغة / تد على معانٍ كثيرةٍ منها القوة والغلبة والرفعة والامتناع ، يقال : رجلٌ عزيز أي منيع لا يغلب ولا يقهر ، ويطلق على الندرة فيقال : معدنٍ عزيز أي نادر ٠

وأما معناه كاسمٍ من أسماء الله جل وعلا فقال العلماء يدل على إثبات صفة العزة لله جل وعلا وعزته جل وعلا لا حدود لها لكن ذكر العلماء ثلاثة معانٍ من معانيها وهي :

١-عزة القوة فهو القوي وما سواه ضعيف

٢-عزة الامتناع فلن يبلغ العباد ضره فيضروه ولا نفعه فينفعوه.

٣-عزة القهر والغلبة لكل شيء فلا يستطيع أحد أن ينازعه في سلطانه ولا أن يفعل فيه شيءٌ بلا إذنه وعلمه ، وما يفعله العبد من الطاعات فقد أذن الله له في ذلك قدراً وشرعاً ، وما يفعله من المعاصي فقد أذن له قدراً وحرمه عليه شرعاً ، فتنبه لهذا فإنه نفيس ، وإنما

يحاسب العبد على الإذن الشرعي لا القدري وليس في الاذن القدري حجةٌ للعصاة كما قال تعالى{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْـــنُ وَلا آبَاؤُنَـــا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ } (٣٥) سورة النحل أي إنما تحاسبون على ما جاءتكم به الرسل من الأوامر والنواهي لا على الأقدار قال ابن القيم رحمه الله تعالى في النونية:

وهو العزيز فلن يرام جنابه أنى يرام جناب ذو السلطـــان

وهو العزيز القاهر الغلاب لم يغلبه شـــيء هذه صفتـــان

وهو العزيز بقوة هي وصفه فالعز حينئذٍ ثلاث مـــعان

والأدلة على هذا الاسم كثيرة وإذا تتبعنا هذا الاسم في القران الكريم وجدناه غالباً ما يقرن بالحكمة كقوله تعالى {سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (١) سورة الصف وربما قرن بالرحمة كما في قوله تعالى {وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الـــرَّحِيمُ} (٩) ســورة الشــعراء وربما قرن بالمغفرة كقوله تعالى {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ} (٦٦) ســورة ص وقوله {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} (٢) ســورة الملك وربما قرن بالعلم كقوله تعالى {إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ} (٧٨) ســورة النمــل وذلك والعلم عند ربنا لئلا يتوهم أن عزته تدعو إلى الانتقام والبطش بلا ســبب إنمـــا ليهاب كما يفعل ملوك الأرض لكنَّ عزة ربنا مقرونةً بحكمةٍ ورحمة وعلم ولذلك كانـــت عزة ربنا سبباً لصلاح الدنيا والآخرة وسبباً لأن يشكر ويحمد كما قال تعالى {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} (٦) سورة ســبأ وربما قرنت باسمه الوهاب كقوله تعالى {أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّـــابِ} (٩) ســورة ص لِيُعلم أن عزته لم تدعوه إلى التضييق والتقتير على الناس كما هو فعل بعض الملوك بل هو سبحانه واهب العطايا كلها وليس في الوجود نعمةٍ إلا وهي منه جل في علاه حتى العزة التي في المخلوقين إنما هي منه جل وعلا ولو شاء لسلبها عنهم كما قال تعالى {قُلِ اللَّهُـــمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) سورة آل عمـران ولذلك قال تعـالى {إِنَّ الْعِـزَّةَ لِلَّـهِ جَمِيعًا} (٦٥) سورة يونس وقال تعالى{سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ} (١٨٠) سورة الصافات
من ثمرات وآثار الإيمان بهذه الأسماء /

١-إذا علم المؤمن أن ربه عز وجل هو العزيز وما دونه الذليل ، دعاه ذلك إلى اللجوء إليـه وحده دون من سواه والاعتزاز به وحده فأورثه ذلك عزةً في قلبه وعزةً في حياته وبعد مماته ، ومهما ابتغى العبد العزة عند غير الله فلن يجد إلا الذلة والهوان كما قال تعـالى {الَّـذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا} (١٣٩) سورة النساء وقال تعالى {مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا } (١٠) سورة فاطر وقال تعـالى {وَلِلَّـهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (٨) سورة المنافقون

٢-إذا علم المؤمن أن ربه هو القوي العزيز وأنه هو المعز المذل حمله ذلك على عدم الخضوع والاستكانة والذلة لأعداء الله وصار قوياً عليهم غير هائبٍ لهم كما قال تعـالى في وصـف عباده {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَـهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} (٥٤) سورة المائـدة فمهما قال لهم اللائمون أنتم تريدون قتال أقوى دولةٍ في العالم من تمتلك الصواريخ النووية والقنابل الذرية والتكنلوجيا الحربيـة ونحو ذلك من العبارات التخويفية لم يخوفهم ذلك و لم يقبلوا قول اللائمين في ترك قتالهم بل اعتزوا بربهم وعلموا أن العزة منه وحده والقوة له وحده ففعلوا ما يقدرون من الأسباب ثم استعانوا برب الأرباب ففازوا بقول الله تعالى {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُـواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّـنَ اللّـهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّهِ وَاللّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ} (١٧٤) سـورة آل عمـران وهـذا أعظم النصر ٠

٣-إذا علم العبد أن الله هو العزيز وما سواه الذليل حمله ذلك على التواضع وترك التكـبر ، وعلى العفو وترك التشفي والانتقام ، وعلى اللين وترك الغلظة والشدة كما قال صـلى الله

عليه وسلم (ما نقصت صدقةٌ من مال ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً ، وما تواضع أحـــدٌ لله إلا رفعه) رواه مسلم

والعزة تنقسم من حيث الإضافة إلى الله إلى قسمين :

الأول / ما يضاف إلى الله من باب إضافة الصفة إلى متصفٍ بها كما جاء في الحديث عـــن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أنه شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعاً يجده في جسده فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (ضع يدك على الذي يألم من جســـدك وقل بسم الله ثلاثاً وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحـــاذر . قـــال ففعلت فأذهب الله ما كان بي) رواه مسلم

الثاني / ما يضاف إلى الله ممن باب إضافة المخلوق إلى خالقه وهي العزة المخلوقة التي يعـــز الله بها أنبياءه وعباده الصالحين . قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنا كنـــا أذل قـــومٍ فأعزنا الله بالإسلام فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله . رواه الحاكم وقال صحيح علـــى شـــرطهما وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

((العالم ، العليم ، علام الغيوب ، عالم الغيب والشهادة))

العلم في اللغة / ضد الجهل وهو إدراك الشيء على حقيقته .

والعالم اسم الفاعل من علم يعلم علماً فهو عالم والعليم والعلام من صيغ المبالغة

والله جل وعلا هو الموصوف بالعلم الكامل الشامل الذي لم يسبق بجهلٍ ولا يلحقه نســـيان فهو العالم بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون كما قال تعالى {لَـــوْ كَـــانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} (٢٢) سورة الأنبياء وقال تعالى {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} (٩١) سورة المؤمنـــون وقال تعالى {قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ وَكَانَ الإنسَانُ قَتُورًا} (١٠٠) سورة الإسراء

والعلم من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله جل وعلا قال تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا

فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٧) سورة المجادلة وقال تعالى {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٥٩) سورة الأنعام وقال تعالى {وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (١٠٥) سورة التوبة وقال تعالى {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} (٩) سورة الرعد وقال تعالى {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ} (٨١) سورة الأنبياء وقال تعالى {أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللّهَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} (٧٨) سورة التوبة وقال تعالى {يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} (١٠٩) سورة المائدة وقال تعالى {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} (٤٨) سورة سبأ ومن الأحاديث عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كما يعلمنا السورة من القرآن يقول (إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أوقال في عاجل أمري وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم أرضني به . قال ويسمي حاجته) رواه البخاري وغيره

ثمرات الإيمان بهذه الأسماء /

١-تعظيم الله جل وعلا ومراقبته في كل حركةٍ وسكنة ، فإن العبد إذا علم أن ربه جل وعلا لا يخفى عليه شيءٌ من أمره ما ظهر منه وما بطن أصلح ظاهره وباطنه وخاف من ربه

ولم يعمل إلا ما يرضي ربه فأثمر ذلك قوةً في الإيمان وسلامةً من العصيان وقرباً من الرحمن فنتج عن ذلك فوزاً بالجنان وسلامةً من النيران فما أعظم هذه الثمرة .

٢-إذا علم العبد أن ما يصيبه من تقلبات الحياة قد علمه الله وقدره عليه لم يبطر إذا أصابه خير ولم يقنط إذا أصابه ضير ، ورضي بما قدره ربه عليه كما قال تعالى {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} (٢٣) سورة الحديد

٣-إذا علم العبد أن من أسماء الله العليم أدرك فضل العلم وأن الجهل صفةٌ ذميمةٌ يتره عنها الرب جل وعلا ، حمله ذلك على طلب العلم والاستزادة منه ليمحو عن نفسه وصمة الجهل وليقتدي بربه عز وجل فإن الله عليمٌ يحب العلماء رحيمٌ يحب الرحماء كريمٌ يحب الكرماء وقد أثنى الله عز وجل على أهل العلم في كتابه فيحرص على أن يكون من الذين أثنى عليهم ربه عز وجل .

((السميع))

السمع في اللغة / له أربعة معان :

١-سمع إدراك للأصوات نحو قوله تعالى{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١) سورة المجادلة وقد جاء في النصوص على ثلاثة معان الأول / شمول السمع كالآية السابقة ، الثاني / سمع تأييد كقوله تعالى {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } (٤٦) سورة طه الثالث / سمع تهديد كقوله تعالى {لَّقَدْ سَمِعَ اللّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء } من الاية(١٨١) سورة آل عمران

٢- سمع فهم للمعاني ومنه قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْوَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١٠٤) سورة البقرة قال القرطبي : حض على السمع الذي في ضمنه الطاعة اهـ من تفسيره ولا تمكن الطاعة إلا لما فهم معناه .

٣- سمع إجابة نحو قوله تعالى{الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} (٣٩) سورة إبراهيم ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعاء لا يسمع) رواه مسلم وغيره ومعنى لايسمع هنا أي لا يستجاب له وإلا فالله يسمع كل شيءٍ سمع إدراك .

٤- سمع قبول وانقياد نحو{وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ } (٤١) سورة المائدة أي قابلين منقادين له .

اصطلاحاً / من أسماء الله (السميع) ويدل على أنه سبحانه لا يخفى عن سمعه مسموع ولا تختلط عليه الأصوات رغم تعددها في وقتٍ واحد واختلاف لغات أهلها وتفننهم في تعدد حاجاتهم وإخفاء أصواتهم ، ومع ذلك فلا يخفى على الله شيءٌ من حديثهم قالت عائشة رضي الله عنها : تبارك الذي وسع سمعه كل شيء إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله أكل شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم إني أشكو إليك فما برحت حتى نزل جبرائيل بهؤلاء الآيات{قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (١) سورة المجادلة رواه بن ماجة وغيره وصححه الألباني

ويدل على إثبات صفة السمع لله جل وعلا من غير تكييفٍ ولا تمثيل خلافاً للمعطلة والمؤولة الذين يقولون معنى السميع أي المسمع وقال بعضهم أي العليم وقال بعضهم إنه اسم مجرد لا يدل على صفة فهو السميع بلا سمع ، وكل هذا فراراً من إثبات صفة السمع لله رب العالمين وهذا من ضلالهم وانحرافهم عن الطريق السوي ، وأما أهل الحق فيثبتون لله سمعاً يليق بجلاله وعظمته بلا تمثيلٍ ولا تكييف كما أثبته الرب لنفسه جل في علاه فقال

تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشـورى فهل هؤلاء أعلم بـالرب مـن نفسه سبحانك هذا بهتانٌ عظيم .

وينبغي الانتباه إلى أن إثبات صفة السمع لله رب العالمين لا يستلزم إثبات وجود الأذن كما أن إثبات صفة الكلام لا يستلزم وجود الفم ، فسمع الله وكلامه لـيس كسـمع وكـلام مخلوقاته فلا يستلزم ما يلزم لها ، فلينتبه لهذا ، وليعلم المؤمن أن عقيدة أهل الحق إثبات مـا أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ونفي ما نفاه الله عن نفسه أو نفاه عنه رسـوله ، ومـا لم يذكر في كتابٍ ولا سنة فلا يثبتونه ولا ينفونه ويكلون علمه إلى عالمـه ولا يخوضـون في صفات الرب بلا دليل فإن خطر ذلك عظيم إذ فيه تجرؤٌ على الرب جل وعلا .

ثمرات الإيمان باسم الله السميع /

١-مراقبة الله جل وعلا فلا يتكلم العبد إلا بما يرضي الله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ (ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم) رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني

٢-إذا علم العبد أن ربه يسمع دعاءه وقد أمره بالدعاء ووعده بالإجابة حمله ذلـك علـى الإكثار من دعاء ربه والالتجاء إليه وحده فكان قريباً من ربه عز وجـل فـإن الله يحـب المكثرين من دعاءه الذين لا يرجون سواه .

٣-إيمان العبد بهذا الاسم يهون عليه ما يلاقيه من أذى الكفار وغيرهم من السباب والشتم

والاستهزاء لأنه يعلم أن ربه يسمع كلامهم وسيجازيهم عليه عاجلاً أو آجلاً وأنهم ما آذوه إلا لكونه من عباد الله وأولياءه فيفرح لأنه يعلم أن ربه سيجازيه على صبره من أجل نصرة دينه فقد حصَّل السعادتين سعادة البال في الدنيا وسعادة الفوز في الأخرى ٠

((البصير))

البصير له معنيان الأول / المبصر ، والثاني / ذو البصيرة أي الخبرة والاطلاع على بواطن الأمور وكلا المعنيين ثابتين في حق الرب جل وعلا فالله جل في علاه هو البصير الذي أحاط بصره بكل شيء ولا تؤثر على رؤيته الحواجز والأستار فيرى جريان الدم في عروق القلب ويرى النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى ما كان أصغر منها فلا يغيب عن عينه شيء مهما دق أوخفي ، قال الشاعر

يا من يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النحل
أمنن عليّ بتوبة تمحو بها ... ما كان مني في الزمان الأول

وقال بن القيم رحمه الله /

وهو البصير يرى دبيب النملة ... السوداء تحت الصخر والصوان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ويرى نياط عـــروقها بعيان

ويرى خيانات العيون بلحظها ويرى كـــذاك تقلب الأجفان

والله جل وعلا بصير ببواطن عباده خبيرٌ بهم عليمٌ بما يصلحهم كما قال تعالى {وَاللّهُ بَصِيـــرٌ بِالْعِبَادِ} (١٥) سورة آل عمـران فيعلم أن هذا العبد يفسده الغنى فمنعه إياه رحمةً به وآخر يقنطه الفقر فأغناه في الدنيا وأخره خمسمائة يومٍ عن دخول الجنة بعد الفقراء لتلذذه بـــالغنى في الـــدنيا وهكذا الصحيح والمريض والأعمى والبصير ونحو ذلك .

والأدلة على هذا الاسم كثيرة ومنها قوله تعالى {مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِندَ اللّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (١٣٤) سورة النســاء وقال تعالى{وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (٢٠) سورة غافر وقال تعالى{ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (١١٠) سورة البقـرة وغير ذلك من الأدلة ويتضمن هذا الاسم إثبات صفة البصر والرؤية للرب جل في علاه كما قال تعالى {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْـــمَعُ وَأَرَى } (٤٦) سورة طــه وقال تعالى{أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} (١٤) سورة العلق وقال تعالى {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُـــومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ} (٢١٩) سورة الشـعراء وروى أبو داود رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِـــهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النســاء ويضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه) قال أبـــو داود قال بن يونس قال المقرئ يعني أن لله سمعاً وبصراً قال أبو داود وهذا ردٌ على الجهميـــة . صحح إسناده الألبــاني وقد ثبت أن لله جل وعلا عينان تليقان بجلاله وعظمته فنثبتهما أيضاً من غير تمثيل ولا تكييف ومن غير تأويلٍ ولا تعطيل كما قال تعالى{ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (٣٩) سورة طــه وقال تعالى{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } (٢٧) سورة المؤمنون وقال صلى الله عليـــه وسلم (ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور) متفــق عليه وقال (إن الله لا يخفى عليكم إن الله تعالى ليس بأعور وإن المسيح الدجال أعور عـــين اليمنى كأن عينه عنبة طافية) متفق عليــه والأعور هو الذي قد ذهبت إحدى عينيه فلا يرى بهـــا

فنفى النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل العور فدلَّ على أن له عينين يرى بهما ، وأما الجمع في الآية فللتعظيم وأما الإفراد فلبيان الجنس أي بجنس العين تكون الرؤيه ، وقد وردت مضافة وقد تقرر في الأصول أن المفرد المضاف يعم فيكون المعنى : كل عينٍ لي .
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (وجعلت قرة عيني في الصلاة) بالإفراد رواه أحمد والنسائي وغيرهما وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣١٢٤) وسيأتي تفصيل الكلام على صفة العين في الكلام على الصفات الذاتية

من ثمرات الإيمان باسم الله البصير /

١-ترك المعاصي ما صغر منها أو كبر لأن العبد إذا علم أن ربه جل وعلا يراه وأنه مهما اختفى عن أعين الناس فلن يختفي عن عين الرب منعه ذلك من ارتكاب الفواحش خشية أن يراه الرب عليها فيسخط عليه فامتنع عن كثيرٍ من الذنوب بسبب إيمانه بهذا الاسم العظيم

٢-إذا علم العبد أن ربه يراه أخلص العبادة له واجتهد فيها حتى يبلغ درجة المحسنين كما جاء في حديث جبرائيل وفيه فقال جبرائيل عليه السلام : أخبرني عن الإحسان قال النبي صلى الله عليه وسلم (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) متفق عليه

ولأجل عدم الإطالة فإننا نذكر معنى الاسم والأدلة عليه ونترك الثمرات يخرجها المؤمن بما يفيض عليه ربه من فتوحاته فإن ما ذكرناه مما تقدم من الثمرات إنما هو غيضٌ من فيض وإلا فإن ثمرات الإيمان بأسماء الله أعظم من ذلك وأجل .

* * *

((الحي))

الله جل وعلا هو الحي الذي لا يموت ولا يفنى ، وحياته سبحانه أكمل الحياة وأتمها فهي تستلزم جميع الكمالات وينتفي عنها جميع النقائص فهو جل وعلا منزهٌ عن النوم والسنة كما قال تعالى {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ } (٢٥٥) سورة البقرة وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام) رواه مسلم وهو منزهٌ عن

التعب والسقم ومنزهٌ عن كل ما يضاد كمال الحياة ، وهو جل وعلا المحيي لغـــيره فحيـــاة القلوب والأبدان بيده .

* * *

((القيوم))

القيوم الذي قام بنفسه فلم يحتج إلى أحد لكمال قدرته وغنـــاه ، المقـــيم لغـــيره لفقـــرهم وحاجتهم إليه فلولاه ما قام الوجود ولا انتظم الكون .

وورد أن اسم الحي واسم القيوم هما الاسم الأعظم وتقدم الكلام عنه .

والأدلة على هذا الاسم كثيرة منها قوله تعالى {اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } (٢٥٥) سورة البقـــرة آية الكرسي وقال تعالى {اللّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} (٢) سورة آل عمران وقال تعالى {وَعَنَـــتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا} (١١١) سورة طـــه وكان صلى الله عليه وسلم إذا حزبه كربٌ أو أصابه همٌ أو غم قال (يا حي ياقيوم برحمتك أستغيث) رواه أبو داود والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٧٧٧) ورقم (٤٧٩١)

((الأول والآخر والظاهر والباطن))

قال تعالى {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٣) سورة الحديد وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله (أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعـــدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء) رواه أبو داود والترمذي وبن ماجـــة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقـــم (٤٤٢٤) فالأول هو الذي لم يتقدم عليه شيء وهو سبحانه أولٌ بـــلا ابتداء ، والآخر الباقي بعد خلقه بلا انتهاء والظاهر أي العالي علو عظمةٍ وعلو ذات فـــلا شيء فوقه ، وهذا من أدلة أهل السنة على إثبات العلو وسيأتي الحديث عنها مفصلاً إن شاء الله تعالى ، والباطن فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالقرب فهو جل وعلا مع علوه المطلق الذي لا يدانيه شيء إلا أنه أقرب إلى عباده ومخلوقاته من أنفسهم كما قال تعالى { وَنَحْـــنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} (١٦) ســـورة ق وقال تعالى {فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ

تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ} ﴿٨٥﴾ سورة الواقعة وعن أبي موسى الأشعري قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً بصيراً وهو معكم والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) متفق عليه والمراد قرب إحاطةٍ وعلمٍ وقدرة لا قرب ذات فإن ذاته في العلو .

* * *

((الحكم ، الحكيم ، أحكم الحاكمين ، خير الحاكمين))

الحكم / القاضي العدل الحاكم بين خلقه بأمره فلا يخرجون عن ما حكم الله عليهم به إما شرعاً وإما قدراً قال تعالى{وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ﴿٧٠﴾ سورة القصص وقال تعالى{وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} ﴿٢٦﴾ سورة الكهف

والحكيم / الذي لا يقول ولا يفعل إلا الصواب فلا يأمر ولا ينهى ولا يخلق عبثاً إنما ذلك صادرٌ عن حكمةٍ بالغة .

والإسمان يدلان أيضاً على الإحكام وهو الإتقان فالله جل وعلا هو المتقن في خلقه وشرعه فخلقه متقن كما قال تعالى {وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} ﴿٨٨﴾ سورة النمل وقال تعالى {الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ } ﴿٧﴾ سورة السجدة وشرعه متقن فما شرع شيئاً إلا وهو في مصلحة العباد ، وما قدر عليهم شيئاً إلا لأنه خيرٌ لهم ، فشرعه متقن وتقديره متقن فمن وفق لمعرفة ذلك فقد حصَّن نفسه

من الشيطان ووفق لما يرضي الرحمن ، ومن شك في أقدار الله أو في شرعه أو ظنَّ أن شرع غيره خيراً منه أو مساوياً له فقد خرج من الدين وباءَ بسخط رب العالمين .ومن العجائب أن يظهر من يدعي الإسلام ثم ينفي عن الله الحكمة ويقول إن الله لم يخلق الخلق لحكمة ولا شرع الشرع بحكمة إنما هي مشيئةٌ مجردةٌ عن الحكمة وهم الجبرية والجهمية وقالوا : كل لام في القران توهم التعليل فهي لام العاقبة ، وكل باء توهم السببية فهي باء المصاحبة .ولا شك أنهم ضلال منحرفون وأن نفي الحكمة عن الرب جل وعلا اتهامٌ له بالسفه والتخبط وذلك الكفر بعينه .

والأدلة على هذين الاسمين كثيرة قال تعالى {قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ } (٣٢) سورة البقرة وقال تعالى{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٦) سورة آل عمران وقال تعالى{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (١٨) سورة الأنعام وفي حديث أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الله هو الحكم وإليه الحكم) رواه أبو داود وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٨٤٥)

((اللطيف))

اللطف في اللغة له معنيان / الأول : بفتح الطاء ومعناه الرفق والحفاوة والبر والإكرام .

والثاني :بضم الطاء ومعناه الغموض والخفاء .

وشرعاً / اللطيف من أسماء الله عز وجل وهو الرفيق بعباده كما قال تعالى {اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ العَزِيزُ } (١٩) سورة الشورى قال القرطبي : قال ابن عباس: حفي بهم. وقال عكرمة: بار بهم. وقال السدي: رفيق بهم. وقال مقاتل: لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم ...الخ والله جل وعلا اللطيف الذي شمل علمه الخفايا وبواطن الأمور فلا يغيب عن علمه وقدرته شيءٌ مهما غمض أو دق كما قال العبد الصالح {يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} (١٦) سورة لقمان ويمكن أن يكون اللطيف هو الموصل

رفقه ورحمته لعباده بخفاءٍ عنهم ليشمل المعنيين اللغويين في موضعٍ واحد ومن فتح الله على قلبه أدرك أنه لولا فضل الله ورحمته بالعالمين لهلكوا فأنزل الله عليهم من رحماته ووقاهم شروراً كثيرةً ورفق بهم وهم لا يشعرون . فتبين أن لطف الله يشمل هذه الأمور وأكثر مما لم نطلع عليه . قال بن القيم :

وهو اللطيف بعبده ولعبده — واللطف في أوصافه نوعان

إدراك أسرار الأمور بخبرةٍ — واللطف عند مواقع الإحسان

فيريك عزته ويبدي لطفه — والعبد في الغفلات عن ذا الشأن

والأدلة على هذا الاسم كثيرة منها قوله تعالى{لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٠٣) سورة الأنعام وقال تعالى{وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} (٣٤) سورة الأحزاب وقال تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٤) سورة الملك

((الخبير))

الخبير / أي العالم بدقائق الأمور وبواطن الأشياء

والأدلة على هذا الاسم كثيرة قال تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} (١٨) سورة الأنعام وقال تعالى{ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} (٣٠) سورة الإسراء وقال تعالى{وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا} (٥٨) سورة الفرقان وقال تعالى{وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ} (٨٨) سورة النمل وقال تعالى{إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (٣٤) سورة لقمان

* * *

((القدير ، القادر ، المقتدر))

القادر ذو القدرة على الشيء ، والقدير صيغة مبالغة على وزن فعيل ، والمقتدر صيغة مبالغة على وزن مفتعل وهي أبلغ وهذه الأسماء الثلاثة ثابتةٌ لله عز وجل فهو القــادر ذو القــدرة المطلقة على كل شيء فلا يعجزه شيء مهما عظم كما قال تعالى{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} (٤٤) سورة فاطر وقال تعالى{وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ} (٣٨) سـورة ق وقال تعالى {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} (٨٢) سورة يــس قال بن القيم :

وهو القدير فكل شيءٍ فهو مقدورٌ له طوعاً بلا عصيان

فقدرته لا حدود لها كما قال تعالى {وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا} (٢٧) سورة الأحـزاب وقــال تعالى{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا} (٤٥) سورة الكهـف وقال تعالى{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاء بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا} (٥٤) سورة الفرقـان وقال تعالى{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ} (٥٥) سورة القمر

* * *

((الرازق ، الرزاق ، خير الرازقين))

ثبت هذين الاسمين لله جل وعلا فقد قال تعالى{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَـتِينُ } (٥٨) سورة الـذاريات وقال تعالى{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (٧٢) سـورة المؤمنـون وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق) رواه أبو داود و الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في مشكاة المصابيح ومعنى الرازق والرزاق / أي المتكفل بأرزاق المخلوقات كمـا قــال تعالى{وما من دآبةٍ في الأرض إلا على الله رزقها}هـود ٦ وقال تعالى {وَكَأَيِّن مِن دَابَّـةٍ لَـا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (٦٠) سورة العنكبوت والرزق نوعان :

الأول / عامٌ يشمل البر والفاجر والمسلم والكافر ويشمل جميع المخلوقات .

والثاني / خاص وهو الرزق الحلال ورزق القلوب بالإيمان والعلم وهو خاصٌ بالمؤمنين ، ثم يتفاوتون في ذلك بحسب ما تقتضيه حكمة الله ورحمته .

* * *

ومن أسمائه جل وعلا /

(٤٨-٤٩) الواحد الأحد / أي المنفرد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فلا يشاركه فيها أحد .

٥٠-القوي / فالله جل وعلا هو الموصوف بالقوة المطلقة الذي لا يعتريها ضعفٌ ولا عجز

٥١-المتين / أي شديد القوة .

٥٢-الوارث / أي الباقي بعد فناء خلقه وهم يرجعون إليه وما ملكوا .

٥٣-القدوس / أي المتره عن الشرور والنقائص والأنداد ومشابهة الخلق .

٥٤-السبوح / يشابه معنى القدوس فيقال (سبحان الله) أي أنزه الله عن كل عيبٍ ونقص وند .

٥٥-السلام / أي السالم من كل نقصٍ وعيب ، المسلم عباده من كل آفةٍ وسوء .

٥٦-المؤمن / له معنيان : التصديق والأمان ، فالله جل وعلا هو الصادق في وعده وقوله كما قال تعالى{ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا} (٨٧) سورة النساء وقال تعالى{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً} (١٢٢) سورة النساء وهو جل وعلا المصدق لرسله وأوليائه بالبينات والمؤيدات . وهو جل وعلا المؤمن لأوليائه من الخوف والفزع ، الذي قد أمن خلقه منه أن يظلمهم .

٥٧-الحق / ضد الباطل ، فالله جل وعلا هو الذي ألوهيته وربوبيته حق وما سواه من الآلهة والأرباب فباطلة .

٥٨-المتكبر / أي صاحب العظمة والعلو والسلطان المطلق لذا كان هذا الاسم خاصٌ بالله محرمٌ التسمي به والاتصاف بمعناه على من سواه ، فهو مدحٌ في حق الله ، ذمٌ في حق من سواه .

٥٩-العظيم / في اللغة : صاحب الرياسة فيقال عظيم بني فلان أي صاحب الرياسة عليهم وفي الحديث (من محمدٍ رسول الله إلى هرقل عظيم الروم) متفق عليه أي صاحب الرياسة عليهم والعظيم من أسماء الله جل وعلا أي صاحب العظمة والرياسة المطلقة المتصف بكل صفات الكمال الموجبة لتعظيمه فهو العظيم في ذاته والعظيم في أسمائه وصفاته والعظيم في ألوهيته

وربوبيته والعظيم في كل شيء الذي لا يدانيه عظيم ولا ينازعه في عظمته أحد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) رواه مسلم

٦٠-الكبير / يشابه العظيم في المعنى ومنه قوله تعالى {وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} (٦٧) سورة الأحزاب أي عظماءنا ورؤساءنا .

(٦١،٦٢،٦٣)-العلي والأعلى والمتعال / الله جل وعلا هو من له العلو المطلق علو الذات وعلو الصفات وعلو القدر، كما قال تعالى { وَلِلّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىَ } (٦٠) سورة النحل أي الصفات العليا التي لا يماثله فيها أحد وهو الأعلى من كل شيءٍ فلا ينازع فضلاً عن أن يغلب ، وهو المتعالِ عن صفات النقص والعيب ، الذي لا يعلوه شيء كما قال تعالى {وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } (١٨) سورة الأنعام

٦٤-الواسع / في اللغة : السعة ضد الضيق فيقال بيتٌ واسع أي فسيح ليس بضيق . وتأتي بمعنى الغنى فيقال فلانٌ ذو سعةٍ أي ذو غنى .

والله جل وعلا الواسع بذاته الموسع على خلقه فهو جل وعلا الغني بذاته العظيم في صفاته الكبير عن مخلوقاته ، وهو جل وعلا قد أوسع خلقه جوداً وكرما وعطاءً ونعما كما قال تعالى {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (٥٣) سورة النحل

٦٥-الحميد / المستحق للحمد بما أولاه من جزيل الفضل والإنعام على عباده

٦٦-المجيد / في اللغة يدل على الكثرة والسعة والماجد الكثير الشرف

والله جل وعلا هو المجيد لكمال صفاته وسعة رحمته وبركاته وكثرة خيره وإنعامه . قال السعدي : المجد هو عظمة الصفات وسعتها فكل وصفٍ من أوصافه عظيمٌ شأنه فهو العليم الكامل في علمه الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء القدير الذي لا يعجزه شيء ...الخ

(٦٧،٦٨)-القاهر والقهار / القهر في اللغة الغلبة والتذليل فيقال أخذهم قهراً أي غلبتهم وأخذهم من غير رضاهم وهم أذلة لا قدرة لهم عليَّ ولا يستطيعون الدفع عن أنفسهم.

والله جل وعلا له الغلبة على كل شيء فالخليقة كلها له ذليلةٌ خاضعة كما قال تعالى {وَهُوَ

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } (١٨) سورة الأنعام وقال تعالى{ وَبَرَزُواْ للّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (٤٨) سورة إبراهيم

٦٩-الجبار / في اللغة له ثلاثة معان : الأول / الإجبار وهو إكراه الغير على فعل ما يريد ٠ والثاني / الجبر الذي هو سد الحوائج كجبر الكسير بعلاج كسره وجبر الفقير بمساعدته للتخلص من فقره ويقال : أجبر خاطري أي سد ما حصل فيه من نقص بسبب أمرٍ ماء

الثالث / القوة والعظمة والعلو يقال : رجلٌ جبار إذا كان طويلاً قوياً عظيما ٠

شرعاً / الله جل وعلا هو الجبار أي صاحب القوة والعظمة والعلو ، وهو جل وعلا الجبار الذي سد حوائج الخليقة فتكفل بأرزاقهم وأقواتهم ويسر لهم أسباب العيش ، جبر كسيرهم وأغنى فقيرهم وأعطاهم سؤلهم وكل نعمةٍ بهم فهي من عنده جل وعلا ، وهو الجبار الذي يسير الخليقة على أمره القدري شاءوا أم أبوا ٠

تنبيه / الجبرية يقولون : إن الله قد أجبر الخليقة على كل شيء فهم مجبورون على فعل المعصية والطاعة ٠ وهذا باطل فإن الله جعل للعباد مشيئةً شرعية وأجبرهم على المشيئة القدرية كما قال تعالى {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٢٩) سورة التكوير فالأولى المشيئة الشرعية والثانيه القدريه وإنما يحاسبهم على المشيئة الشرعية لا القدرية فتنبه لهذا تسلم من الزلل ٠

٧٠-المهيمن / الشهيد الرقيب على خلقه بما يكون منهم من قولٍ وعمل الحافظ القائم على عباده بمصالحهم ٠ وقد وصف الله كتابه بأنه مهيمنٌ على الكتب السابقة لأنه قد أودع فيه ما كان فيها من علمٍ فحفظه وقام مقامها فنسخت به ٠

(٧١،٧٢)-الحافظ والحفيظ / الله جل وعلا هو الحافظ لعباده من كل سوءٍ ومكروه وهو جل وعلا الحافظ على عباده أعمالهم من خيرٍ وشر ، والحفيظ صيغة مبالغة ٠

(٧٣،٧٤)-الولي والمولى / أي المعين والمؤيد والنصير وهذا خاصٌ بالمؤمنين ويأتي المولى بمعنى السيد وحينئذٍ يشمل جميع المخلوقات حتى الكافرين كما قال تعالى {وَرُدُّواْ إِلَى اللّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ} (٣٠) سورة يونس وأما قوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ} (١١) سورة محمد بالمعنى الأول أي لا معين ولا مؤيد ولا

ناصر لهم ٠

(٧٥،٧٦،٧٧)-النصير ، الناصر ، خير الناصرين / أي الناصر لأوليائه الممدهم بعونه وتأييده ٠

٧٨-الوكيل / في اللغة المعتمد عليه في القيام بأمر فيقال : وكلت فلان / أي اعتمدت عليه في القيام بأمرٍ ما ومنه قول : توكلت على الله : أي لجأت إليه واعتمدت عليه في أموري ٠ والله جل وعلا هو المعتمد عليه في كل شيء وهو المتولي لتدبير خلقه ٠

(٧٩،٨٠)-الفتاح ، خير الفاتحين/ الفتح في اللغة : إزالة الإغلاق والإشكال ، ويأتي بمعنى النصر والاستفتاح طلب النصرة ومنه قوله تعالى{إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَاءكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} (١٩) سورة الأنفال ذلك أن الكفار لَمَّا أرادوا الخروج لبدرٍ تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا : اللهم انصر أهدى الطائفتين وأفضل الدينين ٠ ذكره القرطبي في تفسيره فكان النصر للنبي صلى الله عليه وسلم وصحبه لأنهم أهدى الطائفتين ، فكان استفتاح الكافرين على أنفسهم ٠

والله جل وعلا هو الحاكم الذي يقضي بين عباده بالحق كما قال تعالى{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ } (٢٦) سورة سبأ وهو الذي نصر أولياءه وأعز جنده كما أخبر المولى عن قول العبد الصالح{رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ} من الاية (٨٩) سورة الأعراف وهو الذي فتح لمخلوقاته أبواب الرزق ويسر لهم سبل المعيشة ، وهو الذي فتح قلوب أوليائه لقبول الحق ونصرته والقيام به ٠

٨١-الهادي / الله الهادي هداية دلالةٍ وإرشاد وهداية توفيق وإلهام كما قال تعالى{الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} (٥٠) سورة طه هداه لمعرفة ما تقوم به دنياه وهذه يشترك فيها جميع المخلوقات والهداية الخاصة بالمؤمنين هي هداية التوفيق لسلوك الصراط المستقيم الموصل إلى جنات النعيم ورضا رب العالمين ٠

٨٢-الودود / هو الذي يحب أوليائه ويحبونه أعظم الحب وأكمله والمتودد هو الذي يسعى إلى التقرب إلى من يوده بكل ما يرضيه ، ورأيت شراح هذا الاسم يجعلون معناه الذي

يُتَوَدَدُ إليه بما يحب سعياً في إرضائه ولا شك أن هذا لا جدال فيه لكني أستغرب لماذا تركوا الشق الآخر للمعنى وهو كون الرب جل في علاه هو الذي يَتوددُ إلى عباده وقد رأينا من لطائف بره وإحسانه وجوده وكرمه بنا وبعباده ما يعلم المؤمن قطعاً أنه جاء من قبل هذه الصفة في الرب وهذا من كرمه وبره وإحسانه لا لحاجته فهو الغني عنا ونحن الفقراء إليه ، فلو رأيتم ملكاً غنياً متفضلاً منعماً يتودد إلى صعلوكٍ فقيرٍ حقير بخيل فما عساكم قائلين إلا ثناءً ومدحاً للأول وذماً للأخير ، فاعلموا أن ربكم ملك الملوك وأغنى الأغنياء وما بالمخاليق من نعمةٍ وفضلٍ فهي من عنده ثم يتودد لهذا المخلوق الضعيف الفقير البخيل فما أعظمه من رب وما أكرمه من إله .

٨٣-البر / العطوف المحسن على عباده ، يقال في حق المخلوق : بر والديه إذا أحسن إليهما ولم يريا منه ما يكرهان ، والله جل وعلا بر بالطائعين فأنالهم رضوانه وبر بالمقصرين فأنالهم عفوه وغفرانه .

٨٤-الحليم / الذي يكثر الصفح ولا يعجل بالعقوبة مع كمال قدرته عليها .

(٨٩،٨٥،٨٦،٨٧،٨٨)-الغفور ، الغفار ، غافر الذنب ، أهل المغفرة ، خير الغافرين / أصل الغفر في اللغة التغطية والستر ومنه المغفر وهو حِلق يتقنع بها المقاتل لتقيه وتستره من ضربات السيوف . والله جل وعلا يستر عباده فلا يفضحهم بذنوبهم مباشرةً بل يمهلهم ويقبل توبتهم إن تابوا ويسترهم في الآخرة بمقتضى هذه الأسماء .

٩٠-العفو / الذي يكثر العفو فيتجاوز عن الخطيئة ولا يعاقب عليها كما قال تعالى{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} (٤٥) سورة فاطر

٩١-التواب / إذا تاب العبد إلى ربه تاب الله عليه والتوبة الرجوع فالعبد يعود إلى ربه فيعمل بطاعته ويترك معصيته والله يرجع إلى عبده بالفضل والإحسان فيقبل توبته ويغفر زلته ، والتواب صيغة مبالغة أي كثير الرجوع إلى عباده بالمن والعفو والغفران فاغتنموا الفرصة يامعشر العصاة وكلنا ذاك بالتوبة والإنابة إلى الله لعله يتوب علينا ويغفر زللنا أنه

ولي ذلك والقادر عليه ٠

(٩٤،٩٣،٩٢)-الكريم ، الأكرم ، أكرم الأكرمين / سريع الإجابة كثير العطاء ، وأكـــرم المخلوقين لا يجود بالعطاء على من سبه وتنقصه ، لكن الله جل وعلا يسبغ النعمة والصحة والرزق على من أشرك به ونسب له الصاحبة والولد فهل بعد هذا الكرم من كرم ٠

(٩٦،٩٥)-الشكور ، الشاكر / الشكور والشاكر معناه في حق الله جل وعلا هو أنه يقبل القليل ويجازي عليه بالكثير فيضاعف الحسنات ويعفو عن الزلات ، وإذا علم العبد أن ربـــه شكور حمله ذلك على عدم احتقار الأعمال الصالحة لأنه يعلم أن ربه شـــكور يضـــاعف الحسنات وفي الحديث (أتقوا النار ولو بشق تمرة) والعبد الشكور الذي يجتهد فيما يرضي ربه عز وجل ٠

والحمد أعم من الشكر فإنك تحمد الإنسان على صفاته الجميلة وعلى إحسانه ولا تشـــكره إلا على إحسانه ٠

٩٧-الشهيد / الذي لا يغيب عنه شيء ، يقال : فلانٌ كان شاهداً لهذا الأمر / أي حاضراً لم يغب عنه ومنه قوله تعالى ((فمن شهد منكم الشهر فليصمه) البقـرة ١٨٥ أي مـــن كـــان حاضراً لم يغب عنه بموتٍ أو غيره ٠

٩٨-الرقيب / الله جل وعلا الرقيب المراقب المطلع على كل شيء الذي لا يغيب عنه شيء ظاهراً كان أو باطناً فالرقيب والشهيد مترادفان ٠

٩٩-القريب / الله جل وعلا أقرب إلى الخلق من أنفسهم بإحاطته وعلمه وقدرته وأما ذاته فهي عليَّة ٠

١٠٠-المجيب / الذي يعطي من سأله ودعاه ٠

١٠١-المحيط / الله جل وعلا قد أحاط بخلقه علماً وقدرةً فلا يفوته شيء ولا يعجزه شيء

(١٠٤،١٠٣،١٠٢)-الحسيب ، أسرع الحاسبين ، سريع الحساب / لها عدة معانٍ في اللغة منها : الكافي ومنها : الشرف فيقال فلانٌ ذو حسب أي شريفٌ في قومه لشرف آبـــاءه ، ومنها : الجزاء ، ومنها العد ٠

والله جل وعلا هو الكافي كما قال تعالى { وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } (٣) سورة الطلاق أي كافيه ، والله جل وعلا هو المحاسب للعباد على أعمالهم قد عدها لهم ثم يجازيهم عليها كما قال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } (٤٧) سورة الأنبياء قال القرطبي : أي محاسبين على ما قدموه من خير وشر. وقيل: حاسبين إذ لا أحد أسرع حسابا منا. والحساب العد .

١٠٥-الغني / من أسماءه جل وعلا وهو الذي لا يحتاج إلى شيء وكل شيءٍ محتاجٌ إليه .

١٠٦-الوهاب / قيل إنه من الأسماء الخاصة بالله جل وعلا ولا يصلح أن يطلق على غيره إلا واهب وهو الذي يهب أحياناً ، وأما الوهاب فهو الذي كثرت هباته وعم فضله ونواله وهذا لا يصلح وصفاً لغير الله والله تعالى أعلم . والمخلوق لا يستطيع أن يهب كثيراً مما يود أن يهبه لخليله فلا يستطيع أن يهب ولداً لعقيم ولا هدىً لضال ولا عافيةً لمريض ، لكن ذلك على الله سهلٌ يسير وكل نعمةٍ بالخلق فهي من هباته جل وعلا .

١٠٧-المقيت / وقد اختلف أهل العلم في معناه فقيل : القدير ، وقيل : الحافظ ، وقيل : مقسم الأقوات . وكلها معاني ثابتة في حق الرب جل وعلا فهو الحافظ لعباده القدير بهم وهو الذي قسم أقواهم وأرزاقهم .

١٠٨-الرفيق / الرفق ضد العنف والله جل وعلا رفيقٌ بعباده فلا يعاجلهم بالعقوبة .

١٠٩-المنان / من أسماء الله الثابتة إطلاقاً في السنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم بأبي عياش زيد بن الصامت الزرقي وهو يصلي وهو يقول اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت يا حنان يا منان يا بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى)رواه أحمد واللفظ له وابن ماجه وصححه الألباني وهو ثابت إشتقاقاً من القران قال تعالى {لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} (١٦٤) سورة آل عمران والمن الإحسان والإنعام وقد يطلق على كثرة التفاخر والتفاضل على المنون عليه وهذا

قبيحٌ في حق المخلوق إذ فيه ترفعٌ وكبرياء وتنقصٌ للآخر وهذا كله لا يجوز في حق المخلوق ، ولكن الله جل وعلا له الكبرياء وله الفضل المطلق وله المنن المتتابعة على الخلق أجمعين ، ومع ذا فلا يذكر مننه على عباده إلا ليرجعوا ويتوبوا إليه فيكون ذكره مِنَنَهُ منَّةً أخرى على عباده يستوجب عليها الشكر .

١١٠-الجواد / الكثير العطاء وفي الحديث (إن الله تعالى جوادٌ يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها) رواه البيهقي وغيره وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (١٧٤٤)

١١١-المحسن / قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله محسنٌ يحب الإحسان) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٨٢٤) والمحسن في اللغة : هو الذي ينعم على الغير . والله جل وعلا هو المنعم المتفضل على كل موجود ولا يستغني الوجود عن إحسانه طرفة عين .

(١١٢،١١٣،١١٤)-الستير ، الساتر ، الستار / أي كثير الستر أي التغطية فلا يفضح عباده بذنوبهم بل يسترهم وفي الحديث (إن الله حيي ستير يحب الحياء والستر) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٧٥٦) وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه) متفق عليه

١١٥-الديان / وفي الحديث (يقول الله تعالى يوم القيامة : أنا الملك أنا الديان) رواه أحمد والحاكم وصحح إسناده ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في ظلال الجنة ومعنى الديان أي الحاكم الذي يجازي كل عاملٍ بما عمل .

١١٦-الوتر / أي الفرد الذي لا شريك له ولا مثيل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى وترٌ يحب الوتر فأوتروا يا أهل القران) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٨٣١)

١١٧-الحيي / قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفرا) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٧٥٧) فيترك جل وعلا ما لا يتناسب مع سعة رحمته وكمال جوده وكرمه وعظيم منه وعفوه .

١١٨-الطيب / قال صلى الله عليه وسلم (إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً ...) رواه مسلم

ومعناه في حق الله جل وعلا أي المتره عن النقائص والعيوب ۰

١١٩-الجميل / الجمال الحق للرحمن جل في علاه فهو الجميل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وشرعه وهو المجمل عباده في المظهر والمخبر قال صلى الله عليه وسلم (إن الله جميلٌ يحب الجمال) رواه مسلم وغيره ومن جمال الرب جل وعلا أن أهل الجنة يذهلون عن كل ما هم فيه من نعيم إذا رأوا الرب جل وعلا ويرون أن رؤيته جل وعلا أعظم نعيم وهو كذلك

١٢٠-الرب / الذي ينشئ الشيء حالاً بعد حال حتى يبلغ به تمامه ، وقيل هو المالك المتصرف في مملوكه بما يشاء وقيل المتصرف بالأصلح له وقيل السيد المطاع وقيل غير ذلك وكل معناً من من هذه المعاني وغيرها فلله منها أجلها وأكملها ۰

وقد ورد اسم الرب مفرداً ومضافاً ولا يطلق الرب مفرداً على غير الله جل وعلا لكن يقال (رب الدار ورب الأولاد ورب الإبل) ونحو ذلك۰

وهكذا في سائر أسماء الله عز وجل يبحث المؤمن عن معناها ثم يستخرج الثمرات من هذا المعنى فيعمل بها فمن فعل ذلك استقامت له الدنيا والآخرة وصلح حاله وفاز برضى ربه ۰

(((الصفات العلى)))

تنقسم صفات الرب جل وعلا إلى /

١- صفاتٌ ذاتية / وهي التي لا تنفك عن الله جل وعلا كالملك والعظمة والكبرياء والعزة والعلو والغنى ومثل الوجه والسمع والبصر واليد والساق والقدم والإصبع ونحوها ۰

٢- صفاتٌ فعلية / وهي التي يفعلها الرب جل وعلا متى شاء كيف شاء مثل الاستواء والنزول والمجيء والضحك والرضى والعجب والسخط والفرح والغضب والكره والحب ونحوها ۰ وتسمى أيضاً صفات اختيارية لأنها تتعلق بمشيئة الرب واختياره ۰

٣-صفاتٌ ذاتية فعلية / كالرحمة والكلام فالرحمة صفة ذاتٍ للرب جل وعلا فهو الرحيم جل في علاه وهي أيضاً صفة فعلٍ فإنه يرحم من شاء كيفما شاء وقتما شاء وكذلك الكلام فإن الله عز وجل متكلم ويتكلم متى شاء كيفما شاء مع من يشاء ويقال لها صفاتٌ قديمة

النوع حادثة الآحاد .

وبعضهم يقسم الصفات إلى /
١-صفات ثبوتية / مثل العلم والحياة والقدرة والعزة والكلام والرضى والعجب والسخط
٢-صفات سلبية / وهي المنفية كالسنة والنوم والغفلة ونحوها ولابد أن تتضمن كمال ضدها .

وبعضهم يقسمها إلى /
١-سمعية عقلية / وهي التي يمكن أن تعرف بالعقل ولو لم يرد بها النقل كالحياة والعلم والخلق والرزق ونحوها لكن لا نثبتها إلا بالدليل السمعي وهو النص .
٢- خبرية / وهي التي لا يمكن أن يدركها العقل لولا ورود النقل بها كالفرح والضحك والعجب والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا ونحوها .
وأفعال الرب جل وعلا نوعين :
١-أفعالٌ متعدية / وهي التي يفعلها جل وعلا لغيره لا لنفسه كالرزق والإحياء والإماتة فإنه يرزق غيره لا نفسه فهو غنيٌ عن الرزق فهو الرزاق وغيره المرزوق وهو المحي المميت لغيره وهكذا فهذه تسمى صفات متعدية .
٢-أفعالٌ لازمة / وهي التي يفعلها لنفسه كالنزول والمجيء والضحك والكلام فهو الذي ينزل ويجيء ويضحك ويتكلم بنفسه جل وعلا فتسمى صفات لازمة .

* * *

ما ينزه الرب عز وجل عنه ينقسم إلى قسمين:
١- متصل كالنوم والإعياء والتعب واللغوب والموت والجهل والظلم والغفلة والنسيان الذي بمعنى الذهول وعن احتياجه إلى طعامٍ وزرقٍ ونحو ذلك .
٢-منفصل كالزوجة والشريك والكفؤ والظهير والشفيع بدون إذن الله والولي من الذل ونحو

ذلك .

* * *

((النفي يستلزم كمال الضد)))

النفي يلزم منه إثبات ما يضاده من الكمال فنفي الشريك والند والنظير لإثبـــات تفـــرده في ربوبيته والاهيته وأسمائه وصفاته ، ونفي العجز لإثبات كمال قدرته ، ونفي الجهل وعزوب شيء عن علمه لإثبات سعة علمه ، ونفي الظلم لإثبات كمال عدله ، ونفي السنة والنـــوم لإثبات كمال حياته وقيوميته ، ونفي العبث لإثبات كمال حكمته .

وذلك لأن النفي المحض ليس فيه مدحٌ ولا كمال فلزم أن يكون مراد الشارع بنفي صفات النقص عن الرب جل وعلا إثبات ما يضادها من صفات الكمال .

* * *

((حكم ما أضيف إلى الله))

المضاف إلى الله نوعان :

١-أعيانٌ قائمةٌ بنفسها منفصلةٌ عن الله كبيت الله وناقة الله وعبد الله وروح الله ورسول الله فهذه إضافتها إلى الله تقتضي الاختصاص والتشريف والتكريم وهي من جملة المخلوقات .

٢- صفاتٌ لا تقوم بنفسها كالعلم والحياة والسمع والبصر واليد والكلام ونحوها فهذه إن وردت مضافةً إلى الله تعالى فهي إضافة صفةٍ إلى متصفٍ بها كقوله تعالى (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ) (الرحمن:٢٧) فالوجه لا يمكن قيامه بنفسه إنما يقوم بغيره وقد أضـــافه الله تعالى إلى نفسه في هذه الآية فيكون إضافة صفةٍ إلى متصفٍ بها فنثبت لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته وهكذا في سائر الصفات .

وبهذا تعرف الفرق بين ما أضيف إلى الله وهو مخلوق وما أضيف إلى الله وهو منه ليس بمخلوق .

القسم الأول من صفات الرب جل وعلا

((الصفات الذاتية))

((إثبات النفس لله جل وعلا))

يعتقد أهل الحق أن لله نفساً تليق بجلاله وعظمته كما قال تعالى{وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (٥٤) سورة الأنعام وقال تعالى {قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ } (١٢) سورة الأنعام وقال تعالى لموسى عليه السلام{وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي} (٤١) سورة طه وقال تعالى {وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} (آل عمران: من الآية٢٨) وقال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن

دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} (١١٦) سورة المائدة وعن أبي هريـــرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يقول الله تعالى : أنا عنـــد ظـــن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفســـي وإن ذكـــرني في مـــلأ ذكرته في ملأ خير منهم) متفق عليـــه وعن جويرية رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهـــي جالسة فقال ما زلت على الحال التي فارقتك عليها قالت نعم . قال (لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته) رواه مسلم وأبو داود وعن أبي ذر رضي الله قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل (يا عبادي إني حرمت الظلم علـــى نفســـي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا....الحديث) رواه مسلم

(إثبات الوجه للرب جل في علاه والرد على من أنكره)

قال تعالى{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَـــا عَلَيْـــكَ مِـــنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} (٥٢) سورة الأنعام وقال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَـــا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} (٢٨) سورة الكهف وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص وقال تعالى {وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَـــاء وَجْـــهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِـــكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ} (٢٢) سورة الرعد وقال تعالى {فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٣٨) وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْـــوَالِ

النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} (٣٩) سورة الروم وقال تعالى {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٧) سورة الرحمن وقال تعالى {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا } (٩) سورة الإنسان وقال تعالى {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} (٢٠) سورة الليل

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) رواه مسلم ، وعن جابر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الآية (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ) قال النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بوجهك. قال (أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) قال عليه الصلاة والسلام أعوذ بوجهك . قال (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ) (٦٥) سورة الأنعام قال : هذه أهون أو أسهل) رواه البخاري وكان يقول في دعائه (وأسألك لذة النظر إلى وجهك) رواه النسائي وغيره وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٣٠١)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه) رواه أحمد وأبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٠٢٠)وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حديث مرضه بمكة وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له (إنك لن تخلف بعدي فتعمل عملاً تريد به وجه الله إلا ازددت به رفعة ودرجة) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه الألباني وعن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن) متفق عليه

فهذه الآيات والأحاديث تدلُّ على أن لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته وأنه أعظم الصفات الذاتية وإن كانت كلها عظيمة لأن الرب جل وعلا قد عبَّر به عن ذاته العلية في بعض الآيات كما سيأتي في الرد على المعطلة والمحرفة فدلَّ على أنه أشرف صفات الذات ، وأهل

الحق يثبتون لله جل وعلا وجهاً يليق بجلاله وعظمته لا يشبه أوجه المخلوقات لقوله تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى

وقال نفاة الصفات ليس لله وجه والمراد بالوجه في هذه الأدلة الجهة أو الثواب أو الذات وشبههم التي يزعمون أنها أدلة والرد عليها كما يلي :
الشبهة الأولى / أننا لو أثبتنا لله عز وجل وجهاً لاقتضى ذلك مشابهة المخلوقات التي لها أوجه والله عز وجل منزهٌ عن مشابهة المخلوقات قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} (١١) سورة الشورى

الجواب / إن إثبات صفةٍ للرب جل وعلا لها سميٌ في صفات مخلوقاته لا يستلزم مشابهة الاسم مشابهة الصفة فإن الله جل وعلا قد ذكر عن نفسه أنه رؤوفٌ رحيم فقال تعالى { إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (٧) سورة النحل ووصف رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٢٨) سورة التوبة ولا تماثل قطعاً بين رأفة ورحمة الرب جل وعلا ورأفة ورحمة الرسول فلكلٍ رأفةٌ ورحمةٌ تليق به ، وقد وصف الله نفسه بأنه حليمٌ وعليم ووصف إسماعيل بأنه حليم قال تعالى {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ} (١٠١) سورة الصافات وإسحاق بأنه عليم وقال تعالى {وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ } (٢٨) سورة الذاريات ولا تماثل ، وهكذا في سائر الصفات فإن الله جل وعلا قد ذكر لنا من أسمائه وصفاته ما نعرف معناه لوجود نظير مسمىً له في المخلوقات فسمى اسمه جل وعلا (السميع) فندرك أن معناه إدراك المسموعات لأننا نعرف أن السميع في المخلوقات هو الذي يدرك المسموعات ثم نفى عن نفسه المماثلة لِيُعلم أن سمعه لا كسمع المخلوقات فيتبين الفرق بين صفات الخالق وصفات المخلوقات وهذا فقهٌ عظيم لو أدركه المعطلة والمؤولة لزالت عنهم هذه الشبهة . وأيضاً فإن هذه المخلوقات لها صفاتٌ تتشابه في المسميات وتختلف في الحقائق فإن للفيل يدٌ وللنملة يد وله رأسٌ ولها رأس وله أرجلٌ ولها أرجل وله وجهٌ ولها وجه وله سمعٌ وبصر ولها سمعٌ وبصر ...الخ فهل يقتضي

التشابه في أسماء الصفات بينهما تشابهٌ في الحقائق؟ قطعاً لا ، فــإذا كــان كــذلك بــين المخلوقات فكيف إذا كان ذلك بين الخالق العظيم وبين المخلــوق الضــعيف لا شــك أن التماثل أبعد ، هذا بالعقل فكيف وقد ورد النقل بنفي التماثل وعليه فإننا نقول إن لله وجهاً نثبته كما أثبته ربنا جل في علاه وهو أعلم بنفسه لاكن نجزم قطعاً أنــه لا يشــبه أوجــه المخلوقات كما تقدم فيما ذكرنا فسلمنا من رد النصوص وسلمنا من انتقاص الرب جــل وعلا فأي الفريقين أحق بالهدى .

الشبهة الثانية / أننا لو أثبتنا الوجه لله جل وعلا لكان معنى قوله تعالى{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَــانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}(٢٧) سورة الرحمن وقوله تعالى { كُلُّ شَيْءٍ هَالِــكٌ إِلَّــا وَجْهَهُ} (٨٨) سورة القصــص أن ذات الرب تهلك إلا وجهه وهذا لا يقوله مسلم فدلَّ على أن المراد بالوجه الذات .

الجواب / في الآية الأولى قال تعالى{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}فأضاف الوجــه إلى نفسه عز وجل فدلَّ على أن وجهه غير ذاته وإلا لقال ((ويبقى ربك)) لكنه أضــاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال ((ذو الجلال والإكرام))ولو كان ذكــر الوجه صلة أي: زيادة كما يقوله بعض المبتدعة و لم يكن صفةً للذات لقــال: ذي الجــلال والإكرام. لأن النعت يتبع المنعوت في الإعراب وقد جاءت لفظة (ربك) في الآية مجــرورةً بالإضافة فلو كان النعت لها لكان مجروراً بالياء لأنه من الأسماء الخمسة وهي تجر باليــاء ، فلمــا جاء النعت مرفوعاً علمنا أنه نعتٌ للوجه لأنه جاء في الآية مرفوعــاً ، وعلمنــا أن الوجه صفةٌ للذات ، وهكذا في الآية الثانية فإنه ربط الوجه بالضمير العائد إلى ذاتــه فــدلَّ على أن وجهه من ذاته لا أنه هو ذاته .

ويبقى هل معنى الآيتين أن ذات الرب تهلك إلا وجهه ؟ الجواب : لا قطعاً وإنما هو كقــول العرب : سلمت يداك أو يمينك ، ويريدون السلامة لكله فيعبرون ببعضه عن كلــه ولــولا وجود يدين له في الحقيقة لما عبروا بذلك لأنه كذب .فهو إثباتٌ لليدين لا نفــيٌ لهــا وإن

كان المقصود بالتعبير عنها الكل ، والقران نزل بلغة العرب فيعبر الرب جل وعــلا بــبعض صفاته عن ذاته ولولا وجود هذه الصفة فيه لما عبر بها لأنه كذبٌ والرب عز وجل متزهٌ عن الكذب فدلت هذه الآيات على إثبات صفة الوجه لا نفيه ، وقد يقال إن العرب تقول وجه النهار ووجه الطريق ووجه الرأي ونحو ذلك وليس لهذه المذكورات أوجــهٌ في الحقيقــة ، والجواب أن هذه المذكورات لها أوجهٌ في الحقيقة لأن وجه كل شيءٍ بحسبه فوجه النــهار والطريق أوله ووجه الرأي أحسنه وهكذا ، ثم هذه المذكورات لا تدل على الذات فلــيس معنى وجه النهار أي كله ولا وجه الرأي أو الطريق أي كله بل المراد بعضه فتــبين بطــلان قولكم أن المراد بالوجه الذات .

الشبهة الثالثة / أن بعض السلف ورجحه شيخ الإسلام بن تيمية قد فسروا الوجه بالجهة في قوله تعالى{وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(١١٥) سورة البقرة
الجواب / قد قال شيخ الإسلام في مناظرته على الواسطية : هذه الآية ليست مــن آيــات الصفات وما فسرها السلف به بقولهم فثم قبلة الله حق ، لأن الآية جاءت في ســياق بيــان القبلة {وَلِلّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} أي أينمــا تتجهون بوجوهكم مطيعين لأمره وتعبدون الله سبحانه وتعالى مخلصين في صلاتكم فثم قبلة الله سبحانه وتعالى .١٠هــ فنقول ليس هذا تأويلاً للصفة وإنما بياناً لمعنى الآية فمن فســرها بالجهة هنا من السلف يرون أن هذه الآية ليست من آيات الصفات أصلاً حتى يخوضوا فيها بنفيٍ أو إثبات وإنما أشترك اللفظ واختلف المعنى فكلمة (وجه) يمكن أن يراد بها الوجــه المعروف ويمكن أن يراد بها الجهة فتقول للمسافر : أين وجهتك فيقول : وجهتي كذا . أي إتجاه سفري .

تنبيه / قد يرد في تفسير السلف التفسير باللازم فقد ورد في بعض نسخ البخاري تفســيره قوله تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}ببقاء ملكه وهذا تفسيرٌ باللازم لأنه يلزم

من بقاء الرب جل وعلا بقاء ملكه ولا يعني هذا أن البخاري أو غيره من السلف ممن يفسرون بعض آيات الصفات باللوازم ينكرون الصفات حاشاهم من ذلك لكن التفسير باللازم جائزٌ عند السلف ولا يدَّعون أن هذا هو كامل معنى الآية وإنما خصوه لأنهم رأوا أن ذكره مناسبٌ لمن يفسرون لهم .

ثم إننا لو فسرنا الوجه بالجزاء الثواب فكيف نفسر قوله تعالى {وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٧) سورة الرحمن فهل يوصف الثواب بأنه صاحب الجلال والإكرام ، وكيف نفسر حديث (لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) وحديث (أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) ونحو ذلك من الأدلة ، فهل يوصف الثواب بأن له سبحات ونور ، فهذا يدلُّ على بطلان قولهم وفساد مذهبهم .

* * *

((إثبات صفة العينين للرب جل وعلا))

صفة العينين ثابتةٌ للرب جل وعلا قال تعالى{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا } (٢٧) سورة المؤمنون وقوله تعالى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } (٤٨) سورة الطور وقوله تعالى{وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا} (١٤) سورة القمر وإثبات صفة العينين يدل على إثبات صفة الرؤية

وعن أنسٍ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور) متفق عليه قال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله : وجه الاستدلال به ظاهرٌ جداً فإن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين لأمته شيئاً مما ينتفي به الاشتباه عليهم في شأن الدجال في أمرٍ محسوسٍ يتبين لذوي التفكير العالمين بالطرق العقلية وغيرهم ، بذكر أن الدجال أعور العين والرب سبحانه ليس بأعور ، ولو كان لله تعالى أكثر من عينين لكان البيان به أولى لظهوره وزيادة الثناء به على الله تعالى

فإن العين صفة كمال فلو كان لله أكثر من اثنتين كان الثناء بذلك على الله أبلغ ، وتقرير ذلك أن يقال : ما زاد على العينين فإما أن يكون كمالاً في حق الله تعالى أو نقصاً ، فإن كان نقصاً فهو ممتنع على الله تعالى لامتناع صفات النقص في حقه ، وإن كان كمالاً فكيف يهمله النبي صلى الله عليه وسلم مع كونه أبلغ في الثناء على الله تعالى !! فلما لم يذكره النبي صلى الله عليه وسلم عُلِمَ أنه ليس بثابت لله عز وجل وهذا هو المطلوب. فإن قيل: ترك ذكره من أجل بيان نقص الدجال بكونه أعور. قلنا : يمكن أن يذكر مع بيان نقص الدجال فيجمع بين الأمرين حتى لا يفوت ذكر كمال صفة الله عز وجل. واعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر هذه العلامة الحسية ليبين نقص الدجال وأنه ليس بصالحٍ لأن يكون رباً ، ولظهورها لجميع الناس لكونها علامةً حسية بخلاف العلامات العقلية ، فإنها قد تحتاج إلى مقدماتٍ تخفى على كثيرٍ من الناس لا سيما عند قوة الفتنة واشتداد المحنة ، كما في هذه الفتنة فتنة الدجال ، وكان هذا من حسن تعليمه صلى الله عليه وسلم حيث يعدل في بيانه إلى ما هو أظهر وأجلى مع وجود علاماتٍ أخرى . انتهى

وعن بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا يخفى عليكم إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه وإن المسيح الدجال أعور عينِ اليمنى كأن عينه عنبة طافية) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى ((ولتصنع على عيني)) وعن جابر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما من نبي إلا قد حذر أمته الدجال ولأخبرنكم منه بشيء ما أخبر به أحد كان قبلي) ثم وضع يده على عينيه وقال (أشهد أن الله عز وجل ليس بأعور) أخرجه الحاكم وابن منده قال الألباني : إسناده جيد ورجاله ثقات وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء فوضع إبهامه على أذنه وأصبعه التي تليها على عينه وقال (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك) أخرجه أبو داود وابن خزيمة في التوحيد والبيهقي في الأسماء والحاكم وابن منده قال الألباني : صحيح على شرط مسلم وكذا قال الحاكم والذهبي والحافظ وقد أعله الكوثري في تعليقه على (الأسماء) بدون حجة كعادته في أحاديث الصفات انتهى كلامه رحمه الله من كتاب قصة المسيح الدجال .

وقد وردت صفة العين في الأدلة مفردة كقوله تعالى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (٣٩) سورة طه ومثناة

كحديث (إن العبد إذا قام في الصلاة فإنه بين عيني الرحمن) قال الألباني في السلسلة الضعيفة ضعيفٌ جداً وحديث (وإن ربكم ليس بأعور) متفق عليه ومجموعة كقوله تعالى {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا } (٤٨) سورة الطور

ولا إشكال في ذلك فأما ورودها مثناة فإن أهل السنة يثبتون لله تعالى عينين اثنتين على ما يليق به جل وعلا كما تقدم ، وأما ورودها مفردة فلأن المفرد المضاف يعم ويراد به أكثر من واحد كقوله تعالى {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ} (٢٠) سورة المائدة أي اذكروا كل نعمةٍ لله عليكم وكقوله تعالى {وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا} (١٨) سورة النحل أي نعم الله المتعددة ولو كانت واحدةً لأمكن إحصائها فتبين أنها لا تحصر بعدد ولو جاءت في اللفظ مفردة لأن المفرد المضاف يعم فكذلك قوله تعالى {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} (٣٩) سورة طه أي كل عينٍ لي وليس المراد الحصر بعينٍ واحدة كقوله تعالى {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ } (١٨٧) سورة البقرة .أي كل ليالي الصيام ، وأما ورودها مجموعة فإن النون هنا ليست نون الجمع وإنما هي نون المعظم نفسه كقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ} (٤٠) سورة مريم وقوله {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ} (٤٣) سورة ق وقوله{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر فتبين أن النصوص تأتلف ولا تختلف وصدق الله إذ يقول {أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا} (٨٢) سورة النساء

وقال أهل البدعة : ليس لله عين والنصوص التي فيها ذكر العين إنما يراد بها الحفظ والرعاية وهذا ظاهر البطلان في حديث جابر وحديث أبي هريرة حين وضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على عينه مع ذكره لصفة العين فدل على أنها عينٌ حقيقة ، وأما الحفظ والرعاية فهو أثرٌ من آثار رؤية الله لعباده فلا تفسر العين بأثرها وإنما بحقيقتها ويتبعها الأثر المترتب عليها ، فيقال مثلاً لشخصٍ يقول أو يفعل منكراً (إتق الله فإن الله يسمعك ويراك) فعلى

تفسير المبتدعة نعطل السمع والبصر ونقول الله لا يسمع ولا يبصر ولكن أردنا تحذيره من بطش الله فهذا تفسيرٌ بالأثر وتعطيل للصفة التي نتج عنها هذا الأثر ، ونحن نقول (نحذرك بطش الله لأن الله يسمعك ويراك) فنثبت الصفة ونثبت الأثر وكذلك في العين فإننا نثبت العين ونثبت أن الله يحفظ ويرعى أولياءه بمقتضى رؤيته لهم ٠

* * *

((إثبات اليدين للرب جل وعلا))

يعتقد أهل الحق أن لله تعالى يدين اثنتين لائقتين بجلاله وعظمته لا تماثل أيدي المخلوقين والأدلة على ذلك كثيرةٌ منها : قوله تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء } (٦٤) سورة المائدة فهذه الآية تدل على أنه ليس للرب جل وعلا إلا يدين اثنتين إذ لو كان له أكثر من ذلك لقال (بل أيديه مبسوطة) لأن المقام مقام تمدح وكلما كثرت الآلة المعطية كثر العطاء فحسن التمدح بها فلما لم يذكر إلا يدين اثنتين دلَّ على أن يديه اثنتين لا أكثر ويؤيد ذلك قوله تعالى{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ} (٧٥) سورة ص ومن الأدلة على إثبات صفة اليد للرب جل وعلا قوله تعالى{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٣) سورة يس وقال تعالى (بِيَدِهِ الْمُلْكُ) (١) سورة الملك وقال تعالى {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء

بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٢٦) سورة آل عمران وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (١٠) سورة الفتح وقال تعالى {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} (٢٩) سورة الحديد وقال تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} (٧١) سورة يس وقال تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٧) سورة الزمر

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض ؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع) متفق عليه وفي رواية لمسلم (وبيده الأخرى) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى لما خلق الخلق كتب بيده على نفسه إن رحمتي تغلب غضبي) رواه الترمذي وبن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٨٠٣) وفي حديث الشفاعة قال النبي صلى الله عليه وسلم (فيأتونه فيقولون يآدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ..الخ) متفق عليه وأيضاً في حديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام وفيه فيقول موسى (أنت آدم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ..) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) متفق عليه وعند مسلم (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله وفي رواية يأخذهن بيده الأخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) وقال صلى الله عليه وسلم (تكون

الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة) متفق عليه

وقال أهل التعطيل والتأويل المراد باليد القدرة أو النعمة ٠
والجواب عن ذلك من عدة وجوه /
الأول / أن السلف كانوا يثبتون صفة اليد للرب جل وعلا و لم يكونوا يقولون إن معناها القدرة أو النعمة ومذهب السلف أعلم وأسلم وأحكم فهم الذين شاهدوا التتريل وتلقوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فهم أعلم بالكتاب والسنة وهم أيضاً أعلم بلغة العرب فإنه لم يدخلها التغيير في زمانهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) متفق عليه فتبين أن قولكم هذا محدث وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه وقال (إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعة ضلاله) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وبن ماجة وغيرهم وصححه الألباني في الجامع حديث رقم (٢٥٤٩)
الثاني / أنه صرفٌ للأدلة عن ظاهرها ولا دليل على هذا الصرف فهو في حقيقته تحريف إذ الأصل في الكلام الحقيقة ولا يصرف إلى المجاز عند من يقول به إلا بدليل ولا دليل هاهنا ٠

الثالث / أن تفسير اليد بالقدرة أو النعمة يمتنع في لغة العرب إذا كانت اليد مثناةً مضافة وقد وردت مثناةً مضافة في قوله تعالى { بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ } (٦٤) سورة المائدة وقوله تعالى {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ} (٧٥) سورة ص
فهل يقال قدرتاه ونعمتاه ، ولا يصح تثنية القدرة والنعمة فإن نعم الله لا حصر لها وقدرته لا حدود لها وحصرها في نعمتين وقدرتين إنتقاصٌ للرب جل وعلا وهو مترهٌ عن النقص ٠
ولا تُفَسَرُ اليد بالقدرة أو النعمة مجازاً عند من يقول به إلا إذا وردت مفردةً أو مجموعة فيقال : له عندي يدٌ يجزيه الله بها وله عندي أيادي ، ولا يقال : له عندي يدين ، وقد تفسر بالقدرة إذا وردت مثناةً غير مضافة في مثل قول (لا يدان لي بهم) أي لا قدرة ولا

طاقة ومنه حديث النواس بن سمعان في صحيح مسلم في خروج يأجوج ومأجوج قال النبي صلى الله عليه وسلم (أوحى الله إلى عيسى أني قد بعثت عباداً لا يدان لأحدٍ بقتالهم)أي لا قدرة و لا طاقة لأحدٍ بقتالهم .

قال الشيخ عبد الرحمن البراك : لفظ اليد مثناةً لها في اللغة العربية عدة استعمالات:

١- تستعمل غير مضافة وتلزم الألف ، وهذه هي التي بمعنى القدرة ، تقول: لا يدان لي بهذا الأمر . أي لا قدرة لي عليه ومنه حديث (إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأيٍ برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك به فعليك بخويصة نفسك) رواه بن ماجة وضعفه الألباني

٢- تستعمل مضافةً إلى ضمير من قامت به ، أو اسمه الظاهر كقولك : بيديّ ، أو بيديه ، أو بيدي محمد ، ويجري فيها إعراب المثنى . وهي في هذا الاستعمال لا تكون بمعنى القدرة ، بل يتعين أن يراد بهما : اليدان اللتان يكون بهما الفعل والأخذ ومن شأنهما القبض والبسط

٣-أن يعبر بهما عن الفاعل للفعل ، وإن لم يكن باشره بيديه كقولك هذا ما فعلت يداك ، ومنه قوله تعالى {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ } (١٠) سورة الحج

٤-استعماله مضافاً إليه بعد (بين) فيكون بمعنى أمام ، كقولك : جلس بين يديه و مشى بين يديه ، ويجري هذا الاستعمال في العاقل وغير العاقل كقوله تعالى عن سليمان { وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ } (١٢) سورة سبأ وقال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ } (٥٧) سورة الأعراف ونظائر ذلك كثيرة ، فهذه أربعة وجوه من الاستعمالات : ثلاثة منها مجاز وهي : الأول ، والثالث ، والرابع. والثاني: حقيقة.

ويمتنع المجاز في اليدين إذا أسند الفعل لفاعل وعدي إلى اليدين بالباء كقولك : عملت بيدي ومنه قوله تعالى {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } (٧٥) سورة ص وأما إذا أسند الفعل إلى اليدين كقولك: هذا ما فعلت يداك ، فهو من قبيل المجاز العقلي لأنه عبر باليدين عن الفعل مطلقاً ، وإن لم يكن فعل بيديه.

وبهذا يظهر الفرق بين قوله تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا

مَالِكُونَ} (٧١) سورة يــــس وقوله تعالى {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } (٧٥) سـورة ص فلا تدل الآية الأولى على خلق الأنعام باليدين ، وتدل الآية الثانية على خلقِ اللهِ آدم بيديه فتثبت له هذه الخصوصية على سائر الناس. فمن جعل آية "ص" نظيراً لآية "يس" فقد أخطأ فبين الآيتين فروق: ففي آية "ص" أضاف الله الفعل إلى نفسه ، وعــداه إلى اليــدين بالباء ، وذكر اليدين بلفظ التثنية ، وأضافهما إلى ضمير المفرد. وفي آيــة "يــس" أضــاف سبحانه الفعل إلى اليدين بلفظ الجمع ، وذكر نفسه بلفظ الجمع الدال على التعظيم. انتهى كلامه حفظه الله .

قلت : قد يكون (لا يدان) من الأيد لا من اليد كقوله تعالى {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّــا لَمُوسِعُونَ} (٤٧) سورة الذاريات وقوله تعالى {اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّــهُ أَوَّابٌ} (١٧) سورة ص وقوله تعالى {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْــحَقَ وَيَعْقُــوبَ أُوْلِــي الْأَيْــدِي وَالْأَبْصَارِ} (٤٥) ســورة ص فمعنى الأيد في الآيات القوة والقدرة والطاقة قــال ابــن فــارس: أيد الهمزة والياء والدال أصلٌ واحد، يدلّ على القوة والحِفْظ .يقال أيّــدَه الله أي قــوّاه الله .وقال في القاموس المحيط: آدَ يَئِيدُ أيْداً : اشْتَدَّ وقَوِيَ وقال بن دريد في الجمهرة : والأَيْــد: القوّة وكذلك الأَوْد ورجل ذو آد وذو أَيْدٍ، أي قوة. انتهى

الرابع / لو سلمنا جدلاً أن اليدين يصح إطلاقها في اللغة مجازاً على القدرة والنعمــة ســواء جاءت مضافةً أو غير مضافة فإنه لا يصح كونها مجازاً في هذه الآيات فلو كان معنى قولــه تعالى{ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَــالِينَ} (٧٥) ســورة ص بقدرتي أو نعمتي لقال إبليس لا يا رب لم أستكبر و لم أكن من العالين ولا كني مثله خلقتني بقدرتك ونعمتك فأي مزيةٍ له عليَّ . وكذلك قوله تعالى ((بل يداه مبسوطتان)) لا يصح أن يقال قدرتاه ونعمتاه إذ فيه حصرٌ لقدرة الرب ونعمته وفيه تكذيب لما تواتر من الأدلــة من أن قدرة الله ونعمته لا حصر لها وفيه إنتقاصٌ للرب وانتقاص الرب كفر فهو المتره عــن النقائص والعيوب فانظر شناعة تأويلهم .

الخامس / تكرار استعمال لفظ اليد في الآيات والأحاديث بإفرادٍ وتثنيةٍ وجمع وذكر اليمين والشمال واليد الأخرى والقبض والبسط والإمساك ونحو ذلك مما ورد في النصوص يمنع المجاز ، فلو كان المراد باليد القدرة والنعمة مجازاً لم تستعمل لفظة اليمين والشمال واليد الأخرى والقبض والبسط كما قال تعالى {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ} (٦٤) سورة المائدة وقوله تعالى {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٧) سورة الزمر وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذي يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) رواه مسلم وعنه أيضاً رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله وفي رواية يأخذهن بيده الأخرى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ؟) رواه مسلم ولا تعارض بين الحديثين فإن قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الأول (وكلتا يديه يمين) من اليمن أي البركة وقد جاء في حديث قصة خلق آدم (فقال الله له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت قال اخترت يمين ربي وكلتا يدي ربي يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال أي رب ما هؤلاء قال هؤلاء ذريتك ...الحديث) رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٢٠٩) وفي قصة محاجة آدم وموسى عليهما السلام قال موسى (أنت آدم الذي خلقك الله بيده ...) وقال آدم (أنت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده ...) رواه مسلم

تنبيه / قد يشكل على بعض الناس ورود اليد في الأدلة مفردة كقوله تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } (١) سورة الملك ومثناة كقوله تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاء} (٦٤) سورة المائدة ومجموعة كقوله تعالى

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} (٧١) سورة يــــس

والجواب / أما ورودها مثناة فلا إشكال فيه لأن أهل السنة يثبتون لله تعالى يدين اثنتين على ما يليق به جل وعلا ، وأما ورودها مفردةً فقد تقرر في الأصول أن المفرد المضــاف يعــم فيكون المعنى كل ما لله من يد ، وأما ورودها مجموعه فليست نون الجمع وإنما هــي نــون المعظم نفسه ، كقوله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر وقوله تعــالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا} (٢٣) سورة الإنسان وهو معروفٌ في لغة العرب .

تنبيه / قال بعض المبتدعة : إن معنى قوله تعالى {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْــجُدَ لِمَــا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ } (٧٥) سورة ص أي توليت خلقه بنفسي .

والجواب / أن الله قد تولى خلق جميع المخلوقات بنفسه حتى إبليس فلو كان هذا هو المعــنى لم يكن لآدم مزية على إبليس ، وإن قلتم لم يتولى الله خلق إبليس بل خلقــه غــيره فقــد أشركتم في الربوبية وجعلتم مع الله خالقاً آخر .

((إثبات الكف للرحمن عز وجل))

ولله تعالى كفٌ تليق بجلاله وعظمته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما تصدق أحــدٌ بصدقةٍ من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرةً فتربــو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل ويربيها له كما يربي أحدكم فلوه أو فصــيله) رواه الترمذي والنسائي وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦٠٠)

* * *

((إثبات الأصابع للرب جل في علاه))

ولله تعالى أصابع تليق بجلاله وعظمته فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال جاء حــبرٌ

من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له . ثم قرأ {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٧) سورة الزمر متفق عليه

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يصرفه حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك) رواه مسلم

* * *

((إثبات الرجل والساق والقدم))

يعتقد أهل الحق أن لله تعالى رجلاً وساقاً وقدماً تليق بجلاله وعظمته فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم . قال الله تعالى للجنة إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدةٍ منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا) متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروي بعضها إلى بعضٍ فتقول قط قط بعزتك وكرمك ، ولا يزال في الجنة

فضلٌ حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة) متفق عليه وعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه في حديث يوم القيامة الطويل وفيه (فيقول هل بينكم وبينه آيةً فتعرفونه بها فيقولون نعم الساق فيكشف عن ساق فلا يبقي من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياءً إلا جعل الله ظهره طبقةً واحدةً كلما أراد أن يسجد خر على قفاه) روياه في الصحيحين واللفظ لمسلم ولفظ البخاري (فيكشف عن ساقه)

وأنكر أهل الضلالة من المبتدعة هذه الصفات وقالووا إن إثباها يقتضي التجسيم ثم أخذوا يحرفون معاني النصوص فقالوا :

١-إن قوله تعالى ((يوم يكشف عن ساق)) كنايةً عن اشتداد الأمر ، فالعرب تقول : كشفت الحرب عن ساقها ، إذا اشتدت .

فيقال لهم قد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها صفةٌ للرب جل وعلا وأخبر أن الرب جل وعلا يكشف عن ساقه يوم القيامة والنبي صلى الله عليه وسلم أعلم بتفسير كلام الله .

قالوا : خبر آحاد ولا نقبل خبر الآحاد .

فنقول إذن ارجعوا إلى الأخطل وأضرابه من اليهود والنصارى وخذوا دينكم من عندهم فإن ديننا نأخذه من كتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا نرد ما صح مطلقاً سواءً تواتر أو كان آحاداً في العقائد والعبادات وجميع أمور الدين.

٢-قالوا : إن قوله صلى الله عليه وسلم (يضع فيها قدمه) أي ما قدمه لها من الخلق ، أي ما حكم في القدم أنهم من أهلها . لكن ورد عليهم إشكال وهو أنه قد ورد في الرواية الأخرى (يضع فيها رجله) قالوا لا إشكال المراد الجماعة من الرجال لأن العرب تقول : جاءتنا رجلٌ من جراد . أي جماعة فيكون المراد بالحديث أي الجماعة الذين خلقهم الله للنار وحكم أنهم من أهلها .

والجواب / أن هذه التأويلات من وحي الشيطان لهم ليعطلوا الرب من صـفات الكمـال ونعوت الجلال ثم الحديث واضحٌ أن وضع الرب جل وعلا قدمه أو رجله في النار هو بعـد دخول أهل النار النار وأنه يبقى فيها فضلٌ بعد دخولهم وهي تطلب المزيـد كمـا قـال تعالى{يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ} (٣٠) سورة ق فيضع الرب جل وعـلا قدمه أو رجله فيها فيتزوي بعضها على بعضٍ وتقول قط قط أي قد امتلأت قد امـتلأت ، فأين هذا من تفسير المبتدعة ٠

* * *

((إثبات صفة العلو للرب جل في علاه))

يعتقد أهل الحق أن لله تعالى العلو المطلق فهو العليُّ بذاته وصفاته ومن أسماءه العلي ٠

وقد تكاثرت الأدلة على إثبات علو الله جل وعلا فمن ذلك :

١-التصريح بعلوه جل وعلا كآخر آية الكرسي وكقوله تعالى{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} (٤) سورة الشورى وقوله تعالى {إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ} (٥١) سـورة الشـورى وقولـه تعالى {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} (١) سورة الأعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قرأ هذه الآية قال (سبحان ربي الأعلى) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقـم (٤٧٦٦) وقال تعالى {وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى} (٢٠) سورة الليل وكان النبي صـلى الله

عليه وسلم إذا سجد قال في سجوده (سبحان ربي الأعلى وبحمده) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٧٣٤)

٢-التصريح بفوقية الرب جل وعلا قال تعالى{يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٥٠) سورة النحل وقال تعالى{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ } (١٨) سورة الأنعام وقال تعالى {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ} (٥) سورة الشورى قال الشوكاني : قال الضحاك ، والسدّي : يتفطرن يتشققن من عظمة الله ، وجلاله من فوقهنّ . وقيل : المعنى : تكاد كلّ واحدةٍ منها تتفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولداً . وقيل : من فوقهنّ : من فوق الأرضين ، والأوّل أولى . انتهى من فتح القدير وقد كانت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وتقول (زوَّجكنَّ أهاليكنَّ ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات) رواه البخاري وفي قصة دخول بن عباس رضي الله عنهما على أم المؤمنين عائشة في مرض موتها فكان مما قال لها (وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني في مختصر العلو

٣-التصريح بأن الأشياء تنزل من عنده والنزول يكون من الأعلى إلى الأسفل كقوله تعالى{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (٢٣) سورة البقرة وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} (١٧٤) سورة النساء وقال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (٩) سورة الحجر والآيات في هذا كثيرة .

٤-التصريح بصعود الأشياء ورفعها إليه كقوله تعالى عن عيسى عليه السلام{بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ } من الآية (١٥٨) سورة النساء وقوله تعالى{إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ }(٥٥) سورة آل عمران وقوله تعالى {يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاء إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} (٥) سورة السجدة وقوله تعالى{ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

يَرْفَعُهُ} من الآية (١٠) سورة فاطر وقوله تعالى {تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ} (٤) سورة المعارج والعروج هو الصعود إلى العلو . وكحديث عروج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج . وقال صلى الله عليه وسلم (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) متفق عليه وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم شهراً من الشهور ما تصوم من شعبان قال (ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملي وأنا صائم) رواه النسائي وحسنه الألباني فيه وفي صحيح الترغيب حديث رقم (١٠٢٢)

٥-التصريح بأنه جل وعلا استوى على العرش وأنه فوق العرش ، والعرش هو أعلى المخلوقات قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى كتب كتاباً قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش) متفق عليه

٦-التصريح بأنه جل وعلا في السماء كقوله تعالى{أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ} (١٧) سورة الملك وقال صلى الله عليه وسلم (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) متفق عليه وعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال : كانت لي جارية ترعى غنماً لي قِبَلَ أحدٍ والجوانية فاطلعت ذات يومٍ فإذا الذئب قد ذهب بشاةٍ من غنمنا وأنا رجلٌ من بني آدم آسف كما يأسفون لكن صككتها صكةً فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعظَّم ذلك عليَّ ، قلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال ائتني بها ؟ فأتيته بها فقال لها أين الله ؟ قالت في

السماء ، قال من أنا ؟ قالت أنت رسول الله قال (أعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها) متفق عليه وقد أخبر المولى جل وعلا في كتابه أن فرعون أراد الصعود إلى السماء لينظر إلى إله موسى مما يدل على أن موسى عليه السلام قد أخبره أن إلهه في السماء قال تعالى {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ} (٣٧) سورة غافر فذمَّ الله فرعون حين كذب موسى أن إلهه في السماء . فنفاة العلو على هدي فرعون ، ومثبتي العلو على هدي الأنبياء . والمراد بالسماء العلو فكل ما علاك فهو سماء قال تعالى {وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ } (٩٩) سورة الأنعام وإنما نزل الماء من السحاب فتبين أن المراد بالسماء العلو ، وليس معنى (في السماء) الظرفية أي أن السماء تظله أو تقله تعالى الله علواً كبيراً وهذا يحتج به أهل الباطل حين يقال لهم الله في السماء ليردوا النصوص ويكذبوا الوحي بالشبه وقد جاء في كتاب الله ما يبطل شبههم وأن (في) قد ترد بمعنى على كقوله تعالى حكايةً عن قول فرعون {وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } (٧١) سورة طه أي عليها لا داخلها وقوله تعالى {قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} (١١) سورة الأنعام أي عليها .

٧-التصريح بأنه ترفع إليه الأيادي في الدعاء فعن سلمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله حيي كريم يستحيي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفراً خائبتين) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٧٥٧) وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد خطبته في حجة الوداع (وأنتم مسئولون عني فما أنتم قائلون؟) قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت . ثم قال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد) رواه أبو داود وبن ماجة وصححه الألباني فيهما

٨-أنه قد تقرر في الفطر السليمة أن الرب جل وعلا في العلو ولذا تجد كل داعٍ يتجه بقلبه ويديه إلى السماء لعلمه أن الله جل وعلا هناك وقد روي أن الهمذاني قال لشيخه وكان ينكر العلو : أخبرني بضرورة أجدها في نفسي ويجدها كل داعٍ أن قلبه يتجه إلى السماء ،فقال الأستاذ : حيرني الهمذاني حيرني الهمذاني ،

وأما من يقول إن السماء قبلة الداعي فأي دليلٍ أخبر بذلك ، لكنهم لَمَّا تصادم معتقدهم من إنكار العلو مع الأدلة النقلية والعقلية عمدوا إلى هذه الشبهة كحالهم مع بقية النصوص وتحريفها فحسبنا الله ونعم الوكيل ،

٩-أن ضد العلو السفل أو المحاذاة والسفل نقصٌ والمحاذاة توجب المساواة وهي نقصٌ في حق الله تعالى والله متره عن النقص فدلَّ ذلك على أن الله في العلو ،

* * *

((معية الله لخلقه))

قال تعالى{وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللّهُ إِنِّي مَعَكُمْ} (١٢) سورة المائدة وقال تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ } (١٢) سورة الأنفال وقال تعالى{قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } (٤٦) سورة طـه وقال تعالى{فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (٣٥) سورة محمد وقال تعالى{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } (٤) سورة الحديد إلى غير ذلك من الأدلة على معية الله جل وعلا لعباده ، والناس مع هذه الأدلة على طوائف فمنهم من قال إن الله مع خلقه بذاته وهؤلاء طائفتين الحلولية والاتحادية والفرق بينهما أن أهل الحلول يفرقون بين الحال والمحلول مثل الماء إذا حلَّ في الإناء فإن الماء غير الإناء وإن كان قد حلَّ فيه وهكذا اللاهوت غير الناسوت وإن كان قد حلَّ فيهم ، وأما أهل الإتحاد فيقولون

إن اللاهوت امتزج بالناسوت كامتزاج الماء باللبن حتى صارا شيئاً واحداً فالله والناس شيءٌ واحد تعالى الله عمَّا يقولون علواً كبيراً ولذلك لَمَّا سئل بعضهم أين الله ؟ فتح بردته وقال في هذه البردة يريد أنه امتزج به والعياذ بالله ، وهذا من أقبح الكفر وأعظمه ولازمه أن يكـــون الله معهم في دورة المياه وفي الأماكن النجسة تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، وكردة فعـــلٍ لهذا الكفر الصراح خرجت طائفةٌ أخرى فأنكرت أن يكون الله مع خلقه مطلقا .

والحق الذي عليه أهل السنة أن معية الله لخلقه لها معنيان :

١-معية علمٍ وإحاطةٍ وقدرة وهي المعية العامة كقوله تعالى {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ } (٤) سورة الحديــد وقوله تعالى{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُـــونُ مِـــن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُـــوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (٧) سورة المجادلة

٢-معية نصرٍ وتأييدٍ وحفظ وهي المعية الخاصة وهي قسمان :

أ- مخصوصة بشخص كقوله تعالى{إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّـــدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَـــا وَاللّـــهُ عَزِيـــزٌ حَكِيمٌ}(٤٠) سورة التوبة وقوله تعالى لموسى وهارون {قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْـــمَعُ وَأَرَى } (٤٦) سورة طــه وقوله تعالى لهما{قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ} (١٥) سورة الشعراء

ب- مخصوصة بوصف كقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّـــهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} (١٥٣) سورة البقرة وقوله تعالى{إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ} (١٢٨) سورة النحل

والفرق بين المعية العامة والمعية الخاصة يتلخص فيما يلي :

١- العامة من مقتضاها العلم والقدرة والإحاطة ، والخاصة من مقتضاها الحفظ والنصرة والتأييد .

٢-المعية العامة تكون لجميع الخلق ، والمعية الخاصة تكون لأولياء الله المؤمنين .

٣-تذكر المعية العامة للتخويف والتقريع وتذكر المعية الخاصة في سياق التكريم والتأييد .

* * *

((إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة))

يعتقد أهل الحق أهل السنة أن المؤمنين يرون ربهم جل وعلا في الآخرة كما قال تعالى {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } (٢٦) سورة يونس وقال تعالى {لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ} (٣٥) سورة ق فالحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجهه الكريم كما فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فعن صهيب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ قال فيرفع الحجاب فينظرون إلى وجه الله فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا{لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } (٢٦) سورة يونس) رواه مسلم وغيره قال بن كثير : قد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم ، عن أبي بكر

الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وعبد الرحمن بن سابط ومجاهد وعكرمة وعامر بن سعد وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومحمد بن إسحاق وغيرهم من السلف والخلف وقد وردت في ذلك أحاديثُ كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذلك ما رواه الإمام أحمد: حدثنا عفان أخبرنا حماد بن سلمة عن ثابت البُناني عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } وقال (إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، نادى منادٍ: يا أهل الجنة ، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنْجِزَكُمُوه فيقولون: وما هو ؟ ألم يُثقِّل موازيننا ، ويبيض وجوهنا ، ويدخلنا الجنة ، ويزحزحنا من النار؟ قال (فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم) وهكذا رواه مسلم وجماعة من الأئمة من حديث حماد بن سلمة به . وقال بن جرير حدثني يونس قال أخبرنا بن وهب قال أخبرني شبيب عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة بصوتٍ يُسْمِعُ أولهم وآخرهم إن الله وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل ورواه أيضاً بن أبي حاتم من حديث أبي بكر الهذلي عن أبي تميمة الهجيمي به وقال بن جريرٍ أيضاً حدثنا بن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن بن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال النظر إلى وجه الرحمن عز وجل وقال أيضاً حدثنا بن عبد الرحيم حدثنا عمر بن أبي سلمة سمعت زهيراً عمن سمع أبا العالية حدثنا أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل ورواه بن أبي حاتم أيضاً من حديث زهير به . انتهى كلامه رحمه الله .

وقال تعالى{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (٢٣) سورة القيامة وقال تعالى {كَلَّا إِنَّهُمْ عَن

رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ} (١٥) سورة المطففين فلمَّا حجب أعداءه في حال السخط دلَّ على أن أولياءه يرونه في حال الرضا وإلا لكانوا مشتركين في الحجب وحينئذٍ لا فائدة من تهديد الكفار بالحجب عن ربهم ويكون ذكر هذه الآية عبثاً وهذا يتره عنه كلام الرب جل وعلا

وقال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه كنا جلوساً عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟ قالوا لا يا رسول الله فقال : هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها حجاب ؟ قالوا لا يا رسول الله قال : فإنكم ترونه كذلك) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (إنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٤٥٩) وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه (وأسألك لذة النظر إلى وجهك) رواه النسائي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٣٠١)

إلى غير ذلك من النصوص التي بلغت حد التواتر ولذا قال الناظم :

ومما تواتر حديث من كذب ومن بنى لله بيتاً واحتسب
ورؤيةٌ شفاعةٌ والحوض ومسح خفين وهذي بعض

وقال أهل الضلالة من الجهمية والمعتزلة والخوارج والإمامية وغيرهم إن الله لا يرى ولهم شبهٌ زعموا أنها أدلة ومنها :

١-أن الرؤية الواردة في النصوص هي رؤية الثواب والجزاء .

وهذا بطلانه من أوضح ما يكون فلا يلتفت إليه إذ هو مخالفٌ للشرع واللغة والعقل فالشرع قد صرح برؤية الله في الآخرة بأدلةٍ لا تحتمل التأويل ، وأما اللغة فلا تسعفهم بشيء فلا يمكن أن يكون قول النبي صلى الله عليه وسلم (إنكم ترون ربكم) وقوله (

وأسألك لذة النظر إلى وجهك) وغيرها مما قدمنا من الأدلة أن يكون معناها لغةً الثـــواب وأما عقلاً فيستحيل أن تتواتر الأدلة ويجمع السلف على أمرٍ باطل .

٢-استدلو بقوله تعالى {لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} (١٠٣) سورة الأنعام وقالوا إذا كان لا يدرك فهو لا يرى .

والجواب أن هذا غير صحيح فإنه نفيٌ للإدراك لا للرؤية فالرؤية واقعة والإدراك منفي فنحن نرى السماء والأرض ولكن لا ندركها فهذه من مخلوقات الله فكيف بالخالق ، فهذه الآيــة حجةٌ عليهم لا لهم لأنه لَمَّا نفى الإدراك تبين أنه يرى لا كن لا يدرك والــذي لا يــرى لا يقال إنه لا يدرك ولكن يقال إنه لا يرى .

٣-استدلو بقوله تعالى لموسى عليه السلام (لن تراني) وقالوا إن (لن) للتأبيد أي لن تراني حتى في الدار الآخرة .

والجواب /

١-أنهم لا يفقهون الشرع ولا يدركون معاني اللغة فإن لن لا تكون للتأبيد كما قال تعـــالى {قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآَخِرَةُ عِندَ اللّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ الْمَوْتَ إِن كُنــتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمينَ } (٩٥) ســورة البقــرة وقـــال تعالى في آية أخرى {وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّـــاكِثُونَ} (٧٧) ســورة الزخــرف فأخبر جل وعلا في الآية الأولى أنهم لن يتمنوا الموت وأخبر في الآية الأخرى أنهم ســيتمنون الموت للخلاص من النار مما يدل على أن لن الأولى ليست للتأبيد وإنما لفترةٍ زمنيةٍ محــددة وهي وقت الحياة الدنيا ولذا قال بن مالك في ألفيته وهو من علماء اللغة الكبار :

ومن يرى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا .

٢-أن لازم قولهم هذا أنهم أفقه من موسى عليه السلام وأنهم أعلم بالله منه وأنه سأل أمـــراً غير ممكنٍ أبداً فهو سؤالٌ في غير محله وهذا اتهامٌ لنبيٍ كريم من أولي العزم من الرسل الـــذين هم أعلم الناس بربهم عز وجل وأكثرهم خشيةً وأرجحهم عقلاً وإدراكاً لما هو ممكنٌ أو غير ممكن ، ثم إن الله جل وعلا لم ينكر عليه سؤاله هذا كما أنكر على نوحٍ عليه السلام سؤاله النجاة لابنه الكافر لأنه سأل ما لا يمكن شرعاً ومثله إبراهيم عليه السلام حـــين ســـأل أن يستغفر لأبيه المشرك ومحمداً عليه الصلاة والسلام حين سأل أن يستغفر لأمه التي ماتـــت في الجاهلية فأنكر عليهم الرب جل وعلا لكونهما سألا ما لا يجوز شرعاً ، لكنه هنا لم ينكـــر على موسى عليه السلام سؤاله هذا وما قال إني لا أرى ولا يجوز لك أن تسأل مثل هـــذا السؤال وإنما قال (لن تراني) أي في الحياة الدنيا كما أخبر عن اليهود أنهم لن يتمنوا الموت في الحياة الدنيا لكنهم في الآخرة سيتمنون الموت وسيرى موسى عليه السلام ربه جل وعلا

٣-قوله تعالى{وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا} (١٤٣) سورة الأعـراف فعلق الرؤية بأمرٍ ممكن وهو استقرار الجبل فإن الله لو شاء جعلـــه مستقراً لكن جعل المشيئة للجبل فلم يتمالك حين تجلى له الرب حتى صار دكاً ، فتجلـــي الرب جل وعلا للجبل وإخباره أنه لو استقر الجبل لأمكنت الرؤية دليلٌ واضـــح علـــى أن الرؤية ممكنة لكن المخلوقات في الدنيا لا تتمالك خوفاً وفزعاً ولأنه قد جاء في الحديث أنـــه لو كشف حجابه عز وجل لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه . رواه مسـلم لكنه جل وعلا في الآخرة يجعل الخلق في صفةٍ يستطيعون بها أن يتمالكوا رؤيته جل وعلا لما ثبت من الأدلة التي ذكرناها على أن المؤمنين يرون ربهم جل وعلا ويتلذذون بالنظر إليه جل وعلا .

٤-أنه لما جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقـــاب جـــاز أن يتجلـــى لأوليائه في دار كرامته .

القسم الثاني من صفات الرب جل وعلا

((الصفات الفعلية))

((الإستواء على العرش))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله وعظمته وقد ورد إثبات ذلك في سبع آيات من القرآن جمعها الناظم بقوله :

في السجدةِ الرعد الحديد ويونس وبطه والأعراف والفرقان

قال تعالى {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٥٤) سورة الأعراف وقال تعالى {إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ} (٣) سورة يونس وقال تعالى{اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاء رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ} (٢) سورة الرعد وقال تعالى{الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} (٥) سورة طه وقال تعالى{الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} (٥٩) سورة الفرقان وقال تعالى{اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ} (٤) سورة السجدة وقال تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاء وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}
(٤) سورة الحديد

والاستواء في لغة العرب له عدة معانٍ منها :

١-بلوغ مرحلة الكمال والنضج كقوله تعالى{وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} (١٤) سورة القصص أي بلغ مرحلة اكتمال العقل والجسم ونضج التفكير .

٢- القصد ومنه قوله تعالى{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} (١١) سورة فصلت أي قصدها .

٣-التساوي فيقال : استوى الفريقين في النتائج واستوى الماء والخشبة والمراد التساوي .

٤-إذا قيّد (بعلى) كقوله تعالى {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢)لِتَسْتَوُوا عَلَى

ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} (١٣) سورة الزخرف وقوله تعالى {وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ}(هود من الآيـة٤٤) فيكـون معـنى استوى هنا أي علا وارتفع واستقر ومنه الآيات السبع التي ذكرناها في استواء الرب جـل وعلا على عرشه فإنها وردت مقيدةً بعلى .

قال ابن القيم رحمه الله عن تفسير السلف للاستواء :

ولهم عبارات عليـها أربـع — قد حصلت للفـارس الطعان
وهي استقر وقد علا وقـد — ارتفـع الذي ما فيه من نكران
وكـذاك قـد صعد الذي هو — رابع وأبو عبيدة صاحب الشيبان
يختار هذا القول في تفسـيره — أدرى من الجـهمـي بالقرآن
والأشعري يقول تفسير استوى — بحقيقـة استولى عـلى الأكـوان

وقد قال الأشاعرة وغيرهم من أهل الضلالة إن معنى استوى أي استولى وقالوا إن هذا واردٌ في لغة العرب ويدل له قول الأخطل أو غيره .

قد استوى بشرٌ على العراق — من غير سيفٍ أو دمٍ مهـراق

قالوا معناه / قد استولى ، وقالوا لو فسرنا الاستواء بالعلو والارتفاع والاستقرار فإن ذلـك يعني تشبيه الله بملوك الدنيا الذين يعلون ويرتفعون ويستقرون على عروشهم .

والجواب عن ذلك من عدة أوجه :

أولاً / أن الاستيلاء عند العرب معناه أخذ شيءٍ من آخر بالقوة ، فهل كان العـرش عنـد آخر ثم استولى عليه الرب بعد ذلك لا شك أن هذا فيه ادعاء وجود إلهٍ مع الله ينازع الله في ملكه وهذا شركٌ في الربوبية فانظر كيف أن لازم قولهم هو الشرك الأكبر المخرج من الملـة وهذه نتيجة من ابتعد عن الكتاب والسنة واتبع الأهواء فإنها تزيغه حتى ترديه في الهاوية .

ثانياً / لو سلمنا جدلاً أنه ليس معنى الاستيلاء في لغة العرب الأخذ من الآخر بالقوة وإنما هو بسط السيطرة على مملكته ، فنقول فلماذا خصَّ العرش بذلك و لم يقل واستوى على الأرض وعلى البشر وعلى الشمس والقمر وعلى سائر المخلوقات فإنها كلها تحت سيطرته وملكه ، فتبين أنه ليس معنى الاستواء ذلك وإنما معناه ما أجمع عليه السلف وهو العلو والارتفاع والاستقرار .

ثالثاً / أنه لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولو مرةً واحدة تبديل كلمة (استوى) ب (استولى) مع تكرار ذكرها وكثرة ورودها في الكتاب والسنة مما يدل على أنه لا ترادف بين الكلمتين وأن لكل واحدةٍ معنىً خاص ، وعلى من ادعى الترادف أن يأتينا بدليلٍ واحد من الكتاب والسنة فسر الشارع فيه (استوى) ب (استولى) . ولذلك قال بن القيم في أدلة إثبات العلو :

منها استواء الرب فوق العرش في   سبعٍ أتت في محكم القران
وكذلك اضطردت بلا لامٍ ولو   كانت بمعنى اللام في الأذهان
لأتت بها في موضعٍ كي يحمل   الباقي عليها وبالبيان الثاني

رابعاً / أن البيت المذكور لكافرٍ نصرانيٍ على أنه قد قيل إنه لا أصل له وإنما هو من اختراع المؤولة ليثبتوا باطلهم ، ولكن لو سلمنا جدلاً أنه للأخطل ، فأي خيرٍ فيمن يرمي الكتاب والسنة وراء ظهره ثم يتبع كافراً نصرانيا ولذا قال شيخ الاسلام أو غيره :
سحقاً لمن نبذ الكتاب وراءه   وإذا استدل يقول قال الأخطل
وهؤلاء المحرفة لا يقبلون السنة بحجة أنها خبر آحاد فيرمونها وراء ظهورهم ثم يقبلون على خبر آحادٍ ينقل عن نصراني فيقدمونه ويقبلونه ويناضلون عنه فأي دينٍ في هؤلاء .
وقد تقدم في المدخل إلى العقيدة في طرائق أهل البدع في الصد عن السنة ذكر أبيات

الأخطل التي يتبرأ فيها من الدين الإسلامي والعبادات ويذكر دينه فراجعه إن شئت ٠

خامساً / لا نسلم أن معنى استوى في البيت المذكور هو استولى بل معناه علا وارتفع واستقر على ملك العراق وحينئذٍ لا يوجد تفسيرٌ عند العرب لاستوى باستولى فبطل دليلهم وخاب تأويلهم وصدق الله إذ يقول{بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } (١٨) سورة الأنبياء وقوله {وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} (٨١)سورة الإسراء

سادساً / قولهم إن في ذلك تشبيهٌ للخالق بالمخلوق ، تقدم الرد على دعوى التشبيه التي يعطلون صفات الرب من أجلها وقلنا إن التشابه في المسميات لا يعني التشابه في الصفات فيد النملة ليست كيد الفيل مع تشابهما في الاسم وهكذا ناب الأسد ليس كناب الهرة مثلاً فإذا كانت هذه المخلوقات لا تتشابه صفاتها مع اتحاد مسمياتها فمن باب أولى أن لا تشابه بين صفات الخالق وصفات المخلوق ولو اتحدت في الاسم فإن الرب جل وعلا قد صرح في كتابه أنه لا مثيل له ولا كفء ولا ند دفعاً لتوهم التشابه كما قال تعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى فنفى المثيل مع إثباته للصفة وقال تعالى {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} (٤) سورة الإخلاص وقال تعالى {فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً} (٢٢) سورة البقرة والأدلة في ذلك كثيرةٌ والحمد لله ٠٠

وقال بعض أهل البدع / إن المراد بالعرش الملك فيكون معنى الآية (استوى على الملك) ٠

والجواب / من عدة أوجه :

١-أن العرش في لغة العرب الذين نزل القران بلغتهم هو سرير الملك ٠

٢-أن الله وصفه بأنه يحمل كما قال تعالى {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ } (١٧)

سورة الحاقـة فهل يكون ملك الله محمولاً يوم القيامة بأيدي ثمانية من الملائكة هذا تنقصٌ لملك الله الواسع ثم قوله تعالى ((فوقهم)) أي فوق المخلوقات فعلى قولكم تكون المخلوقات خارج ملك الله لأن ملكه محمولٌ فوقها فهي منفصلةٌ عنه ، وهذا لا يقوله مسلمٌ عاقل ٠

٣-وصفه الله بأنه محفوف كما قال تعالى {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ } (٧٥) سورة الزمر مما يدل على أنه شيءٌ محسوس يمكن أن يحف وأن يحمل ٠

٤-قال تعالى{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاء } (٧) سورة هود فهل يكون المعنى وكان ملكه على الماء ومعناه أن الماء خارج ملكه ثم خلق السماوات والأرض منفصل عن ملكه بحسب تعبيركم ٠ ولاشك أن هذا قولٌ ظاهر البطلان وأن العرش داخلٌ في ملك الله فهو أحد المملوكات لله لا أنه هو ملك الله فهو تفسيرٌ ظاهر البطلان ٠

* * *

((النزول إلى السماء الدنيا))

يعتقد أهل الحق أن الله جل وعلا يترل في ثلث الليل الآخر نزولاً يليق بجلاله وعظمته إلى السماء الدنيا كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له) متفق عليه قال الناظم :

والله ينـزل دون كيفٍ يا فتى — نحو السماء إذا مضى الثلثان

فيقول هل من سائلٍ فأجيبه — هل من منيبٍ طالب الغفران

وقال أهل الضلالة : إن الله عز وجل منزهٌ عن النـــزول إلى السماء الدنيا وإنما الذي يـــنزل أمره أو رحمته أو ملكٌ من الملائكة وإنما أضاف النزول إلى نفسه مجازاً لا حقيقة .

ويجاب عن هذا في عدة نقاط /

الأولى / أن هذا صرفٌ للفظ عن ظاهره بلا دليل لأن قوله عليه الصلاة والســـلام (يـــنزل ربنا) يدل على أن النزول وقع من الرب جل وعلا فهو الفاعل للنزول لا غيره لأن الفاعل عند العرب هو من وقع منه الفعل أو قام به ولا يمكن أن يقال (قام سعد) ومرادهم قـــام أمره أو غير ذلك إنما يريدون أنه قام بذاته ، فهكذا لا يمكن صرف نزول الرب جل وعـــلا إلى نزول رحمته وأمره إذ لا يستقيم هذا في كلام العرب الذين نزل القران بلغتهم ، وأمـــا حجة تنزيه الرب جل وعلا عن مشابهة الخلق فقد قدمنا الرد عليها وهنا نقول لا يلزم مـــن اتحاد الاسم اتحاد الصفة فلله جل وعلا نزولاً يليق بجلاله وعظمته وللمخلوق نـــزولاً يليـــق بضعفه وعجزه فلا تشابه ولا تماثل البتة .

الثاني / أن السلف رضي الله عنهم وهم الذين عاصروا النبي صلى الله عليه وسلم وتعلمـــوا منه الكتاب والسنة لم يكونوا يؤولون بما ذكرتم بل يثبتونه كما جاء في التنزيل ومنهجهم هو الأعلم والأسلم والأحكم والمتمسكين به هم الفرقة الناجية كما أخـــبر بـــذلك الصـــادق المصدوق صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق .

الثالث / أن أوامر الله جل وعلا ورحمته تنزل في كل وقت ولا تتقيد بالثلث الأخـــير مـــن الليل ولا تتوقف عند السماء الدنيا بل تصل إلى الكون كله وأي مصلحةٍ لنـــا في رحمـــةٍ لا تصل إلينا سكان الأرض بل تتوقف في السماء الدنيا لو كان ما ذكرتموه صحيحاً ومثلـــها الأمر ، فتقييدكم للأمر والرحمة بزمانٍ معين ومكانٍ معين لا دليل عليه بل هو تحجيرٌ لواسع وتنقصٌ لعظيم .

الرابع / أنه لا يمكن أن يقول الأمر والرحمة والملك : من يسألني فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفر فأغفر له ، فلا يصدر هذا الكلام إلا من الله عز وجل .

الخامس / أن قولهم إن معنى (يترل ربنا) أي (يترل أمر ربنا) أو (تترل رحمة ربنا) هذا اتهامٌ للشارع بأنه انتقص الكلام و لم يأت به تاماً وهذا اتهامٌ للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم إتمام الكلام وأنه لم يبلغ البلاغ المبين الذي أمر به مع إجماع أهل الأصول أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة ولذلك لم يفهم جميع المسلمين مراد الشارع حتى جاء هؤلاء المؤولة فبينوه في آخر الزمان فسبحانك هذا بهتانٌ عظيم .

ملاحظة / هناك شبهةٌ يوردها الشيطان وأعوانه على بعض الجهال وهي (هل يخلو العرش من الرب حين نزوله أم لا ؟)

والجواب /

أولاً / أن هذا سؤالٌ مبتدعٌ لم يكن معروفاً عند السلف ، وإنما ظهر بعد زوال القرون الفاضلة وظهور أهل التعطيل والتأويل الذين يتجرؤن على صفات الرب جل وعلا بالتعطيل والتأويل .

ثانياً / أن الله جل وعلا أخبرنا أنه استوى على العرش وأخبرنا نبيه صلى الله عليه وسلم أنه يترل إلى السماء الدنيا و لم يرد في النصوص ما يدل على خلو العرش منه أو عدم ذلك فيجب التوقف مع النص وعدم الزيادة بسؤالٍ وغيره إذ كيفية صفات الرب جل وعلا غير معلومةٍ لنا فلا نعلم كيف استوى على العرش ولا كيف يترل إلى السماء الدنيا فإذا جهلنا كيفية ما ثبت عندنا من صفات الرب فكيف نعلم كيفية ما لم يرد لنا ، فيجب التوقف عن السؤال عن كيفية صفات الرب ، فإن هذا فيه قلة أدبٍ مع الرب جل وعلا ، ولو قلت لأحدٍ من الناس إن أبي جالسٌ في البيت فسألك عن كيفية جلوسه هل هو متربع أو جالسٌ

القرفصاء أو جالسٌ جلسة التشهد لحكمت بقلة أدب هذا الرجل وأنه سفيه ، فهذا الـذي يسأل عن كيفية صفة بشر فكيف بخالق البشر جل وعلا لا شك أنه أمرٌ عظيم ولذلك لَمَّا سُئِلَ الإمام مالك عن كيفية الإستواء ، علته الرحضاء وتغير وجهه وطرد السائل وعظَّم الإنكار عليه لجرأته على الرب جل وعلا ، وهكذا ينبغي أن يُفعل مع كل من يسأل عن كيفية صفات الرب جل وعلا .

ملاحظة / لَمَّا سئل بن تيمية رحمه الله عن هذا السؤال أجاب / بأنه يترل جل وعلا وهو مستوٍ على عرشه لأنه جل وعلا أخبرنا بأنه مستوٍ على عرشه وأخبرنا رسوله صلى الله عليه وسلم بتروله و لم ينف استواءه فدلَّ على أنه جل وعلا يترل وهو مستوٍ على عرشه . انتهى قلت : هو قولٌ وجيهٌ كما ترى لأن الاستواء والترول كلاهما ثابت فلا يمتنع اجتماعهما لكونهما غير متناقضين في لغة العرب الذين نزل الوحي بلغتهم ، غير أن التوقف أسلم لأنه لا يمتنع أيضاً في لغة العرب خلو العرش عند الترول فالتوقف مع نصوص الصفات وعدم الزيادة عليها بإثباتٍ أو نفي ولو وافق اللغة أو العقل فيه تعظيمٌ للنص وتعظيمٌ للرب جل وعلا وهو أسلم .

((إثبات صفة المجيء والإتيان))

يعتقد أهل الحق أن الله عز وجل يجيء ويأتي يوم القيامة مجيئاً وإتياناً يليق بجلاله وعظمته وقد تواترت نصوص الوحيين بذلك فمن ذلك قوله تعالى{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ} (٢١٠) سورة البقرة وقوله تعالى{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ} (١٥٨) سورة الأنعام وقوله تعالى {وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٢٢) سورة الفجر

وقال صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي

يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه ويضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ٠٠٠) متفق عليه

وقال أهل الضلالة المراد بمجيء الله مجيء أمره ورحمته أو ملكٍ من ملائكته وكذا الإتيان وقد تقدم الرد على تأويلهم نزول الرب جل وعلا بنزول أمره ورحمته فيصلح رداً عليهم هاهنا أيضاً ويضاف إليه ما يلي :

أولاً / قوله تعالى{وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٢٢) سورة الفجر يدل على أن مجيء الرب جل وعلا مغايرٌ لمجيء الملائكة فليس المعطوف هو المعطوف عليه فلكلٍ مجيءٌ يليق به ، وتدل الآية أيضاً أن مجيئه سبحانه حقيقة كما أن مجيء الملائكة حقيقة ، ومثله الإتيان في قوله تعالى{هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} (١٥٨) سورة الأنعام ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان الرب وإتيان بعض آيات الرب فهذا التقسيم يدل على امتناع كونها واحداً .

ثانياً / أن مجيء رحمة الله وأمره وملائكته لا يختص بيوم القيامة فلماذا خصصت الآيات والأحاديث مجيء الرب بيوم القيامة ؟ فهذا يدل على أنه يجيء ويأتي بذاته جل وعلا .

ثالثاً / أن الأصل في الكلام أن يحمل على ظاهره بلا إضمارٍ إلا بدليلٍ صحيحٍ ظاهر يدلُّ على أن المراد أمرٌ مضمر غير الظاهر نحو قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ} (٢) سورة الحشر فقوله تعالى هنا ((فأتاهم الله) أي بالعذاب فسياق الآية يدل على هذا المضمر وأنه ليس الإتيان هو الإتيان الحقيقي الذي بمعنى المجيء فصرف هنا لدليلٍ ظاهر وهو :

١-أن الإتيان في الدنيا والأدلة تدل على أن الله لا يرى في الدنيا وأن إتيانه للناس سيكون

في الآخرة ٠

٢-أنه قد ذكر الإتيان بلفظ الماضي ومعلومٌ أن الله لم يأتهم بذاته فيما مضى فدلَّ على أن الإتيان هنا غير المجيء وأنه إتيانٌ بالعذاب ٠

٣-أن الله جل وعلا قد بيَّن معنى الإتيان في الآية وأنه لم يرد به مجيئه بذاته جل وعلا وإنما أراد العذاب فقوله تعالى ((وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله)) أي من بطشه ((فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)) أي أتاهم بعذابٍ لم يكونوا يتوقعونه ثم ذكر صنفاً من العذاب الذي جاءهم به في قوله تعالى ((وقذف في قلوبهم الرعب)) فدلَّ هذا على أن المراد بالإتيان العذاب ٠ قال بن كثير : ((فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا)) أي: جاءهم من أمر الله ما لم يكن لهم في بال كما قال في الآية الأخرى{قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُونَ} (٢٦) سورة النحل

فهذه الآيات دلَّ سياقها على أن المراد غير الظاهر بخلاف ما تقدم من الأدلة الواضحة من الكتاب والسنة التي لا تحتمل الإضمار وتدلُّ على الإتيان والمجيء الحقيقي يوم القيامة ٠

((إثبات أن الرب جل وعلا يحب ويبغض ويكره ويمقت))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا يحب أوليائه وأهل طاعته ويبغض أعدائه وأهل معصيته وقد تواترت النصوص بذلك فمن ذلك قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} من الآية(٢٢٢) سورة البقرة وقوله تعالى{قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٣١) سورة آل عمران وقوله تعالى{بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} (٧٦) سورة آل عمران وقوله تعالى {وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} من الآية (١٣٤) سورة آل عمران وقوله تعالى {وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} من الاية (١٤٦) سورة آل عمران وقوله تعالى{ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ} من الاية (١٥٩) سورة آل عمران وقوله تعالى { إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} من الاية (٤٢) سورة المائدة وقوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ

وَيُحِبُّونَهُ} من الاية (٥٤) سورة المائدة وقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ} من الاية (٤) سورة الصف وصرح جل وعلا بعدم محبته لأصنافٍ من الأعمال التي يرتكبها الناس كما في قوله تعالى{ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ} من الاية (١٩٠) سورة البقرة وقوله تعالى{ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} من الاية (٢٠٥) سورة البقرة وقوله تعالى { وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} من الاية (٢٧٦) سورة البقرة وقوله تعالى {قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (٣٢) سورة آل عمران وقوله تعالى { وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} من الاية (٥٧) سورة آل عمران وقوله تعالى { إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا} من الاية (١٠٧) سورة النساء وقال تعالى {لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ } من الاية (١٤٨) سورة النساء وقوله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (٣١) سورة الأعراف وقوله تعالى { إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الخَائِنِينَ } من الاية (٥٨) سورة الأنفال وقوله تعالى {لاَ جَرَمَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ} (٢٣) سورة النحل وقوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ} من الاية (٣٨) سورة الحج وقال تعالى { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} من الاية (١٨) سورة لقمان وقال تعالى {وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا } من الاية (٣٩) سورة فاطر وقال تعالى {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ} (٣٥) سورة غافر وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (٣) سورة الصف والآيات في هذا كثيرة وأما من السنة فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله إذا أحب عبداً دعا جبريل فقال إني أحب فلاناً فأحبه قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول إن الله يحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض . وإذا ابغض عبداً دعا جبريل فيقول إني أبغض فلاناً فأبغضه . فيبغضه جبريل ثم ينادي في أهل السماء إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه . قال فيبغضونه . ثم يوضع له البغضاء في الأرض) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) متفق عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) رواه الترمذي

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب) رواه البخاري وحسنه الألباني وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله يحب العبد التقي الغني الخفي) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته) رواه أحمد والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء) رواه الترمذي وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب وقال صلى الله عليه وسلم (لا يتناجى اثنان على غائطهما ينظر كل واحد منهما إلى عورة صاحبه فإن الله يمقت على ذلك) رواه أبو داود وبن ماجة وبن خزيمة وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب صحيح لغيره

وقال المؤولة من الأشاعرة وغيرهم / لا يوصف الله بالمحبة والمحبة الواردة في النصوص هي إرادة الإنعام لأن المحبة هي ميل النفس إلى المحبوب بسبب رقةٍ تحصل فيه وهذا نقص والله منزهٌ عن النقص .

والجواب / أن التعريف الذي ذكرتموه هو في محبة المخلوق ونحن نثبت صفة المحبة لله على وجهٍ لا يشابهه فيها أحد ، فهي محبةٌ تليق بجلال الله وعظمته ، ويقال لهم أيضاً أنتم أثبتم الإرادة وهي : ميل النفس لجلب محبوب أو دفع مكروه فسيقولون نحن نثبتها على وجهٍ يليق بجلال الله وعظمته فيقال لهم كذلك في المحبة فإن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر . قالوا نحن نستدلُّ على إثبات الإرادة بالعقل لأن التخصيص يدلُّ على الإرادة فوجود أخوين من النسب بينهما فرقٌ في الجسم أو المال أو الذكاء أو الديانة أو غير ذلك فهذا تخصيصٌ لكل واحدٍ بما قسم له فيدلُّ على أن الله عز وجل أراد ذلك . فيقال لهم ونحن نستدل على إثبات المحبة بالعقل فنحن نشاهد أن الله ينصر أولياءه ويؤيدهم ويكرمهم فهذا دليل محبته لهم ، ونشاهد أن الله يخذل أعدائه ويهزمهم ويجعل الدائرة عليهم

ويحل بهم العقوبات مما يدلُّ على أنه يبغضهم ولا يحبهم ٠

* * *

((إثبات أن الرب جل وعلا يرضى ويغضب ويسخط ويأسف))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا يرضى عن عباده الصالحين ويغضب على أعدائه والأدلة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}(١٠٠) سورة التوبة وقال تعالى {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (١٨) سورة الفتح وقال تعالى {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ} (٨) سورة البينة وقال تعالى في الغضب

{وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} (٩٣) سورة النساء وقال تعالى {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (٦) سورة الفتح وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (١٣) سورة الممتحنة وقال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (١٤) سورة المجادلة وقال تعالى {تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} (٨٠) سورة المائدة وقال تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (٢٨) سورة محمد وقال تعالى {فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ} (٥٥) سورة الزخرف والأسف والسخط بمعنى الغضب الذي هو ضد الرضا ، والآيات الدالة على هذه الصفات كثيرة .

وأما من السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشتد غضب الله على قوم فعلوا بنبيه يشير إلى رباعيته اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك إن طالت بك مدة أن ترى أقواما في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب الله ويروحون في سخط الله) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك لا ملك إلا الله) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة) رواه مالك وأحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٦١٩) وقال صلى الله عليه وسلم (من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس) رواه الترمذي وبن حبان والبيهقي في كتاب الزهد الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة وفي حديث الشفاعة عندما يأتي الناس للأنبياء ليشفعوا عند الله فيقول كل نبي (إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله

مثله ولن يغضب بعده مثله ...الحديث) متفق عليه والأدلة من السنة كثيرة .

وقال أهل الضلالة / إن الغضب هو فوران دم القلب ونحو هذه العبارات لينفوا صفة الغضب عن الرب جل وعلا وقالوا المراد بالغضب في النصوص إرادة الإنتقام .

ونرد عليهم بأن هذا غضب المخلوقات والله جل وعلا منزهٌ عن مشابهة المخلوقات فغضبه يليق بجلاله وعظمته وإرادة الانتقام من أسبابها الغضب لا أنها هي المراد بالغضب .

* * *

((إثبات الكلام للرحمن جل وعلا))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا متكلمٌ ويتكلم متى شاء كيفما شاء مع من شاء وأن كلامه لا نفاد له كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٧) سورة لقمان وقد كلّم الرب جل وعلا الملائكة عليهم السلام كما قال تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ } (٣٠) سورة البقرة وكلّم السماوات والأرض كما قال تعالى {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}

(١١) سورة فصلت وكلَّم آدم وحواء عليهما السلام كما قال تعالى {وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} من الاية(٢٢) سورة الأعراف وكلَّم موسى عليه السلام كما قال تعالى {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} من الاية (١٦٤) سورة النساء وكلَّم محمداً عليه الصلاة والسلام في ليلة الإسراء والمعراج وسيكلم الله عيسى عليه السلام يوم القيامة كما قال تعالى {وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ} (١١٦) سورة المائدة وسيكلم جميع المؤمنين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة) متفق عليه وقد تقدم في أول الكتاب أن القران كلام الله وأن الله يتكلم بحرفٍ وصوت ، ورددنا هناك على من أنكر الحرف والصوت أو أنكر أن يكون القران كلام الله فراجعه إن شئت .

وقد تنوعت ألفاظ النصوص في إثبات الكلام للرحمن فمن ذلك /

١- إثبات لفظ التحديث قال تعالى{وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا} (٨٧) سورة النساء وقال تعالى{فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} (٦) سورة الكهف أي القران وقال تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاء وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} (٢٣) سورة الزمر أي القران والحديث هو الكلام سمي بذلك لأنه يحدث شيئاً فشيئاً حرفاً بعد حرف وكلمةً بعد كلمة من الحدوث وهو التجدد ، وهذه الآيات ونحوها تدل على أن الله يتحدث أي يتكلم وأنه لا أحد أصدق منه حديثاً أي كلاماً وأن القران حديثه أي كلامه .

٢-إثبات لفظ القول قال تعالى {إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (٥٥) سورة آل عمران وقال تعالى {وَقَالَ اللّهُ لاَ تَتَّخِذُواْ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلهٌ وَاحِدٌ فَإيَّايَ فَارْهَبُونِ} (٥١) سورة النحل وقال تعالى { وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} (٤) سورة الأحزاب وقال تعالى {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً} (١٢٢) سورة النساء فهذه الآيات ونحوها فيها إثبات القول لله جل وعلا والقول هو الكلام .

٣- إثبات لفظ الكلام قال تعالى {أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٧٥) سورة البقرة وقال تعالى {وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ} (٦) سورة التوبة وقال تعالى {سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (١٥) سورة الفتح وقال تعالى {وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (١١٩) سورة هود أي قوله كما بينه تعالى في قوله{وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} (١٣) سورة السجدة وقوله{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٧) سورة يس وقوله{لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} (٧٠) سورة يس وأخبر جل وعلا أن كلماته لا حصر لها كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٢٧) سورة لقمان وقد صرح الرب جل وعلا بتكليمه لموسى كما قال تعالى {وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} (١٦٤) سورة النساء وقال تعالى {وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } (١٤٣) سورة الأعراف وقال تعالى{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى

النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ} (١٤٤) سورة الأعـراف وعاب على بني إسرائيل عبادهم العجل لكونه لا يتكلم كما قال تعالى {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِـنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ} (١٤٨) سورة الأعـراف وتوعد أقواماً بعذاب شديد وهو أنه لا يكلمهم يوم القيامة وذلـك أعظم الخسران كما قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُـمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (١٧٤) سورة البقرة وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُـمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٧٧) سورة آل عمران فخاب من حرم التلذذ بسماع كلام الرب جل في علاه .

٤-إثبات لفظ النداء كما قال تعالى {وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (١٠) سورة الشعراء وقوله تعالى {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} (٥٢) سورة مريم وقال تعـالى عن الأبوين{ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَآنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ} (٢٢) سورة الأعراف والنداء هو الكلام بصوتٍ مرتفع ، وقد يـرد في الكـلام بصـوت منخفض إذا دلت القرينة على ذلك كقوله تعالى عن زكريا عليه السلام {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيًّا} (٣) سورة مـريم قال قتادة أي سراً نقله بن كثير وغيره ، فبيَّن الرب جل وعلا هنا أن النداء كان خفياً حتى لا يظن أن نداءه كسائر النداءات بصوتٍ مرتفع ، وتبين أن المراد بالنداء هو الكلام .

٥-إثبات لفظ المناجاة وهي الكلام بصوتٍ منخفض أو الكلام بين اثنين بحيث لا يسـمع كلامهما غيرهما كقوله تعالى عن موسى{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} (٥٢) سورة مريم

* * *

((إثبات صفة العجب للرب جل وعلا))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا يعجب عجباً يليق بجلاله وعظمته كما ثبت ذلـــك في نصوص الوحيين قال تعالى {بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ} (١٢) سورة الصافات قُرِأت في قراءةٍ صـــحيحةٍ ثابتة بضم التاء على أن الرب جل وعلا هو المتعجب من صنيع الكفار وقال صلى الله عليـــه وسلم لأبي طلحة وزوجته رضي الله عنهما (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (عجب ربنا من رجلين ، رجلٌ ثار عن وطائه ولحافه من بـــين حبه وأهله إلى صلاته فيقول الله لملائكته انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بـــين حبه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي وشفقاً مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع أصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى هريق دمه فيقول الله لملائكته

انظروا إلى عبدي رجع رغبةً فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى هريق دمه) رواه في شرح السنة وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١٢٥١) وقال صلى الله عليه وسلم (يعجب ربك من راعي غنمٍ في رأس شظيةٍ بجبل يؤذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا إلى عبدي هذا يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني قد غفرت لعبدي وأدخلته الجنة) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٨١٠٢)

والعجب نوعان :

الأول / ما يكون سببه خفاء الأمر كأن يرى تاجراً أصبح فقيراً فيتعجب لخفاء سبب فقر التاجر عليه حتى إذا علم أنه أصابته جائحة أو أنه كان يظهر أنه تاجر بما يأخذه من أموال الناس تديناً فلمَّا طالب الدائنون بمالهم سُلب ما كان عنده ورد إلى أصحابه أو غير ذلك من الأسباب فحينئذٍ يبطل عجبه ، وهكذا العكس كفقير أصبح تاجراً فيتعجب من ذلك حتى إذا علم أنه ورث ذلك المال أو أهداه إليه أحد التجار أو الرؤساء زال عجبه ونحو ذلك ، فهذا النوع من العجب منفيٌ عن الرب جل وعلا لأن الله جل وعلا لا يخفى عليه شيء .

الثاني / ما يكون سببه خروج الشيء عن حكم نظائره مع العلم بسبب الخروج كقصة أبي طلحة وزوجته مع ضيفهما حين باتا وصغارهما طاوين ليطعموا الضيف بطعامهم ، فهذا خروجٌ عن المعتاد من كون الإنسان لا يقدم على نفسه وأهله وأولاده أجنبياً ففعلهم هذا خروجٌ عن نظائره مع كون سببه معلومٌ وهو ابتغاء رضوان الله والله جل وعلا يعلم أنهم سيفعلون ذلك فليس بخافٍ عليه جل وعلا ، فهذا هو العجب الذي يوصف به الرب جل وعلا وهو الذي جاءت به النصوص كما تقدم .

* * *

((إثبات صفة الضحك للرب جل وعلا))

يعتقد أهل الحق أن الرب جل وعلا يضحك ضحكاً يليق بجلاله وعظمته لا يماثل ضحك المخلوقين مستدلين بقول النبي صلى الله عليه وسلم (يضحك الله تعالى إلى رجلين يقتل

أحدهما الآخر يدخلان الجنة يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد) متفق عليه وفي قصة آخر من يدخل الجنة قال (فيقول يا رب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غيره) فقال أبو رزين أو يضحك الرب يا رسول الله ؟ قال (نعم) قال : لن نعدم من رب يضحك خيراً . رواه أحمد وبن ماجة والدار قطني وغيرهم .

* * *

((إثبات صفة الفرح للرب جل وعلا))

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح) رواه مسلم

* * *

((بيان معنى النسيان الوارد في النصوص))

النسيان عند العرب له معنيان /

الأول / بمعنى الذهول والغفلة عن الشيء فهذا لا يوصف الله تعالى به لأنه نقصٌ والرب جل وعلا متزهٌ عن النقص ولذا قال تعالى{وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} (٦٤) سورة مريم وقوله تعالى{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (٥٢) سورة طه

الثاني / بمعنى الترك ، وهو كمالٌ إذا كان مقابلةً بأن يقابل التارك بالترك عقوبةً له فهذا النوع من النسيان يوصف الله به كما في قوله تعالى {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن

بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} (٦٧) سورة التوبة وقوله تعالى {فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (١٤) سورة السجدة وقوله تعالى {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ} (٣٤) سورة الجاثية وقوله تعالى {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى} (١٢٦) سورة طه

وقد فصَّل الزبيدي في تاج العروس معاني النسيان عند العرب وذكر كلام علماء اللغة على معاني الآيات والأحاديث الواردة في النسيان فراجعه إن شئت .

* * *

((حكم الإشارة بالحواس عند الإخبار عن صفات الرب جل وعلا))

القول الراجح في هذه المسألة هو الجواز لفعل النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره لمن فعل فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول (يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون) قال ويتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى إني لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه بن ماجة وصححه الألباني فيه وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعًا

بَصِيرًا} (٥٨) سورة النساء قال فوضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه . رواه أبو داود وقال الألباني : صحيح الإسناد

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبرٌ من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إن الله يمسك السماوات يوم القيامة على أصبع والأرضين على أصبع والجبال والشجر على أصبع والماء والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك أنا الله . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً مما قال الحبر تصديقاً له . ثم قرأ (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون) متفق عليه وقد روى الترمذي هذا الحديث عن بن عباس بلفظ (كيف تقول يا محمد إذا وضع الله السماء على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه ... الحديث) قال الترمذي حديث حسن غريب صحيح قال الألباني ضعيف قلت يغني عنه ما تقدم .

انتهى الجزء الأول ويليه الجزء الثاني وأوله كتاب توحيد الربوبية

((الفهرس))

طريق الناجين
في بيان عقيدة الموحدين

الجزء الثاني

تأليف

سرحان بن غزاي العتيبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي منَّ على عباده بمعرفته وبيَّن لهم طريق الوصول إلى جنته ورحمتــه أحمــده سبحانه على نعمه الغزار والآئه الكبار وقد وعد من شكره بالخير المدرار وتوعد من كفره بعذاب النار ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندخرها ليوم لا ينفع فيه صاحبٌ ولا جار ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للأبرار ونقمــةً علــى الأشرار صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار مــن المهــاجرين والأنصــار والتابعين لهم بإحسانٍ ما تعاقب الليل والنهار وسلم تسليماً كثيراً أما بعد :

فهذا هو الجزء الثاني والأخير من كتاب (طريق الناجين في بيان عقيدة الموحدين) ويبدأ بالكلام على توحيد الربوبية ثم توحيد الألوهية وذكرت فيه نــواقض ونــواقص كلمــة التوحيد ، ثم ذكرت بقية أركان الإيمان مع تفصيل بعض المسائل التي قد يحصــل فيهــا خلاف ، وتكلمت فيه عن الولاء والبراء والإمامة والجماعة والبدعة والمبتدعين ومســائل أخر تجدونها في ثنايا هذا الكتاب راجياً من الله العلي القدير أن يجعله سهلاً نافعاً ومعينــاً لإخواني الدعاة وطلبة العلم في توصيل هذا العلم الذي هو أصل دعوة الرسل إلى النــاس جميعاً وبيان الحق لهم . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبــارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(((توحيد الربوبية)))

((الأدلة على وجود الله عز وجل))

الأول / الدليل الشرعي :

قد فطر الله تعالى النفوس على الإقرار بوجوده وربوبيته ولا ينكر ذلك إلا مكابرٌ ومعاند كما قال تعالى {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٣٠) سورة الروم وقال تعالى {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} (١٧٢) سورة الأعراف والإقرار بربوبيته جل وعلا متضمن للإقرار بوجوده ، وقال عليه الصلاة والسلام (ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) متفق عليه و لم يقل (يسلمانه) فدلَّ على أن فطرته على الإسلام وفي الحديث القدسي (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنه أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) رواه مسلم

الثاني / الدليل العقلي :

وهو أن كل مصنوعٍ فلابد له من صانع قال تعالى {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} (٣٥) سورة الطور فيستحيل أن يكونوا خلقوا أنفسهم فلزم أن يكون لهم خالق وهو الله جل وعلا .

الثالث / الدليل الحسي : وهو كثير فمن ذلك :

١-إجابة الدعاء فكم من ملهوفٍ ومضطرٍ رفع يده إلى الله جل وعلا فكشف الله ضره وأجاب دعاءه فلو لم يكن ثمة إلهٍ فمن الذي أجاب دعاءه وكشف ضره أهي الطبيعة أم الصدفة وإذا كان كذلك فلماذا يجاب دعاء الأنبياء والصالحين ولا يجاب دعاء الكافرين ؟ لا شك أن هذا من أكبر الأدلة على وجود الله وأنه جل وعلا يجيب دعاء أنبيائه والصالحين من عباده مباشرةً ، ويخذل الكافرين ويترل بهم رجزه وعذابه فلا ينفعهم الدعاء بعدئذ .

٢-إرسال الرسل وتأييدهم بالمعجزات وانتصارهم وخذلان أعدائهم يدل على أنهم مرسلون من عند الله حقاً وصدقاً وأن لهم رباً ينصرهم ويعينهم .

٣-إنزال الكتب السماوية وما جاءت به من الأخبار الصحيحة والأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليلٌ على أنها جاءت من عند ربٍ حكيمٍ عليمٍ قادر .

* * *

((الإقرار بتوحيد الربوبية وحده لا يدخل في الإسلام))

توحيد الربوبية : هو توحيد الله بأفعاله ، من الخلق والرزق والملك والتدبير والإحياء والإماتة ونحو ذلك ، وهذا النوع من التوحيد قد أقرت به الأمم جميعاً ولكن جحده بعضهم عناداً وكبراً كفرعون وقومه كما قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ

ظُلْمًا وَعُلُوًّا } من الاية(١٤) سورة النمـل ولذلك خاصمه موسى عليه السلام بما هو موجودٌ في قرارة نفسه كما قال تعالى {قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا} (١٠٢) سورة الإسـراء وأنكره أيضاً الدهرية الذين ينسبون الموت إلى الدهر كما قال تعالى {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} (٢٤) سورة الجاثيـة وأنكره الثنوية الذين يزعمون أن للعالم خالقين للخير النور وللشـر الظلمـة وأنكره الشيوعيون الذين يقولون : لا إله والحياة مادة . فهذه الطوائف تنكـر توحيـد الربوبية ظاهراً لا باطناً حملهم على ذلك الكبر والعلو في الأرض ومحبة نشر الفساد .

ولكن الإقرار بتوحيد الربوبية وحده مع ترك بقية أنواع التوحيد أو أحـدها لا يكفـي للحكم على الشخص بالدخول في الإسلام حتى تجتمع أنواع التوحيد كلها ، وقد كـان المشركون الذين قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وحكم بكفـرهم واسـتحل دمـائهم وأموالهم يقرون بتوحيد الربوبية كما قال تعالى{وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّـنْ خَلَـقَ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٦١) سورة العنكبـوت وقـال تعـالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّـهُ قُـلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} (٦٣) سورة العنكبوت وقال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّـنْ خَلَقَهُـمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ} (٨٧) سورة الزخـرف وقال تعالى{قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنـتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَـا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} (٨٩) سورة المؤمنون

((توحيد الألوهية))

وهو توحيد الله بأفعال العباد كالصلاة والصوم والحج والزكاة والدعاء ونحوهـا وهـو الأصل الذي من أجله خلق الثقلين كما قال تعالى{وَمَا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْـإِنسَ إِلَّـا لِيَعْبُدُونِ} (٥٦) سورة الـذاريات ومن أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب كما قال تعالى{وَلَقَـدْ

بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } (٣٦) سورة النحل وقال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} (٢٥) سورة الأنبياء ومن أجله قام سوق الجهاد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) متفق عليه

والعبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة .

ولا تقبل العبادة إلا بشرطين :

الأول / الإخلاص لله جل وعلا كما قال تعالى{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) سورة البينة وقال عليه الصلاة والسلام (إنما الأعمال بالنيات) متفقٌ عليه وفي الحديث القدسي يقول الله جل وعلا (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه) رواه مسلم

الثاني / المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى{ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦٣) سورة النور وقال تعالى {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } (٣١) سورة آل عمران وقال عليه الصلاة والسلام (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) رواه مسلم
وجمع هذين الشرطين قوله تعالى { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} (١١٠) سورة الكهف فالعمل الصالح هو الموافق لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ، وترك الشرك هو الإخلاص ٠

((فضائل كلمة التوحيد : لا إله إلا الله))

قال تعالى{شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (١٨) سورة آل عمران وقال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} (١٩) سورة محمد فشهد لنفسه جل وعلا

بالوحدانية وأخبر أن ملائكته وأولوا العلم من عباده يشهدون أن لا إله إلا هو ، ثم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم وأمته تبعٌ له أن يتعلموا معنى لا إله إلا الله ، وهذا يدل على أهميتها وعظيم فضلها .

وأما من السنة فقد قال عليه الصلاة والسلام (إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه وقال عليه الصلاة والسلام (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه مسلم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال (ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق قلت وإن زنى وإن سرق قال وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي ذر وكان أبو ذر إذا حدث بهذا قال وإن رغم أنف أبي ذر) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال (لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبدٌ غير شاك فيحجب عن الجنة) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله عند الموت دخل الجنة) رواه أبو داود وبن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥١٥٠) وقال (من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق وأن النار حق ، أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (أفضل الذكر لا إله إلا الله) رواه الترمذي والنسائي وبن ماجة وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب

((شروط كلمة التوحيد))

قيل لوهب بن منبه أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة ؟ قال بلى ولكن ليس مفتاحٌ إلا له

أسنان فإن جئت بمفتاحٍ له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك . رواه البخاري
ويقصد رحمه الله بالأسنان الشروط وشروط لا إله إلا الله كالتالي :

الأول / العلم وضده الجهل ، والمراد : العلم بمدلولها من نفي الإلهية عما سوى الله تعالى وإثباتها لله وحده جل وعلا وأنه لا يستحق أحد العبادة إلا هو سبحانه وتعالى ، قال تعالى {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ } (١٩) سورة محمد وقال تعالى { إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(٨٦) سورة الزخرف والمراد بشهادة الحق كلمة التوحيد . وقال عليه الصلاة والسلام (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) رواه مسلم فهذه الأدلة تدل على إشتراط العلم بمعنى لا إله إلا الله وأما التلفظ بها من غير علمٍ لمعناها وإتيانٍ بما يناقضها فلا ينفع .

الثاني / الإخلاص وضده الشرك ، قال تعالى{إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} (٢) سورة الزمر وقال تعالى {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ}(١١) سورة الزمر وقال تعالى{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} (٥) سورة البينة وقال عليه الصلاة والسلام (إن الله تعالى قد حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه) رواه البخاري وهذا يدل على أن من قالها ناوياً أمر دنيا لم تنفعه حتى يخلص العبادة لله وحده . وقد قتل أسامة بن زيد رضي الله عنهما رجلاً من جيش المشركين كان يطارده فلمَّا رفع السيف عليه قال : لا إله إلا الله . فقتله وقال : إنما قالها تعوذاً من الموت ، وهذا يدلُّ على أن الصحابة يعلمون أن من قالها مريداً بها أمراً دنيوياً مثل ترك قتله لم تنفعه عند الله وقال له النبي صلى الله عليه وسلم (هلا شققت عن قلبه) فدلَّ ذلك على أنه لو تأكد أنه قالها للدنيا فإنه يجوز له قتله ، وأما إذا النيات علمها عند الله فليس لنا الحكم إلا بالظاهر وهو أنه قالها مخلصاً ولا كن الله يعلم النيات فإن كان غير مخلصٍ فلا تنفعه عند

الله ٠

الثالث / اليقين وضده الشك ، قال تعالى{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا } (١٥) سورة الحجرات وقال عليه الصلاة والسلام (أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيحجب عن الجنة) رواه مسلم وأعطى النبي صلى لله عليه وسلم نعليه لأبي هريرة رضي الله عنه وقال له (اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه فبشره بالجنة) رواه مسلم وهذا يدل على أن الشك كفر وأنها لا تنفعه مع شكه في حقيقة مدلولها ٠

الرابع / الصدق وضده الكذب ، قال تعالى{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ} (٨) سورة البقرة فنفى عنهم الإيمان لكونهم غير صادقين في دعواهم الإيمان وقال تعالى{وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ} (١٤) سورة البقرة فهنا صرحوا بكفرهم وهو كذلك و لم ينفعهم قولهم للذين امنوا أنهم مؤمنين ونطقهم بالشهادتين أمامهم ٠ وقال عليه الصلاة والسلام (ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار) متفق عليه من حديث معاذ وفيه فقال معاذ : أفلا أبشر الناس قال (لا تبشرهم فيتكلوا) ثم أخبر به معاذ عند موته تأثماً . ولذلك لا تنفع المنافقين وهم يقولونها بل كان مصيرهم الدرك الأسفل من النار لأن قلوبهم تكذب ألسنتهم فيقولونها وهم غير مصدقين بمعناها ومظمونها ٠

الخامس / المحبة وضدها البغضاء ، قال تعالى{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ} (٩) سورة محمد وقال عليه الصلاة والسلام (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن

يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه ولذلك فإن من نواقض كلمة التوحيد التي ذكرها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : بغض شيءٍ مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ولو عمل به .

السادس / القبول وضده الرد ، قال تعالى {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ} (٣٦) سورة الصافات

السابع / الانقياد وضده الترك قال تعالى {وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} (٢٢) سورة لقمان

والفرق بين القبول والانقياد / هو أن القبول عمل القلب ، وأما الانقياد فهو عمل الجوارح وهو علامة القبول فإذا تحقق القبول في القلب انقادت الجوارح .

الثامن / الكفر بالطاغوت قال تعالى{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ}(٣٦) سورة النحل وقال تعالى {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}(٢٥٦) سورة البقرة وقال عليه الصلاة والسلام (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله) رواه مسلم .

وقد جمع الناظم هذه الشروط في قوله :

وشروطها سرد إليك بيانها العلم والإخلاص للرحمن

وكذا المحبـــة   واليقين قبولها   والصدق والتسليـــم يا إخـــواني

ويـــزاد كفرك بالطواغيت التي   عمت بها البلـــواء في الأوطـــان

وقال آخر :

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقكَ مع   محبةٍ وانقيادٍ والقبولِ لهـــــا

و لم يذكر الكفر بالطواغيت لكونه داخلاً في العلم بمعناها مع العمل بمقتضاها

فهذه الشروط الثمانية لا بد من اجتماعها فمن أنقص شرطاً منها لم تقبل منـــه كلمـــة التوحيد و لم يكن مسلماً .

* * *

((المراد بالطاغوت))

الطاغوت / هو ما تجاوز به العبد حده من معبودٍ أو متبوعٍ أو مطاع . كذا عرَّفـــه بـــن

القيم رحمه الله ويريد بالمعبود عبودية الخدمة فإذا تجاوزها إلى عبودية العبادة كان الآمـــر طاغوتاً والمنفذ مشركاً .

ويريد بالمتبوعين الملوك والأمراء ورؤساء العشائر ونحوهم فإذا أمروا أتبـــاعهم بمخالفـــة الشريعة والتحاكم إلى القوانين الوضعية وأعراف وعادات القبائل ونحـــو ذلـــك كـــانوا طواغيتاً وكان من اتبعهم مشركاً متبعاً للطواغيت .

ويريد بالمطاعين من أطيعوا ديانةً كالأحبار والرهبان والعلماء ، فإذا أفتوا بتحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله كانوا طواغيتاً وكان من اتبعهم وهو يعلم بمخالفتـــهم لحكـــم الله مشركاً وقد جاء عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أنه لما نزل قولـــه تعـــالى ((اتخـــذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)) قال يا رسول الله إنا لسنا نعبدهم فقـــال الـــنبي صلى الله عليه وسلم (أليس يحلون لكم ما حرم الله فتحلونه ويحرمون عليكم ما أحـــل الله فتحرمونه) ؟ قال: بلى . قال (فتلك عبادتهم) .

تنبيه / هذا الحكم لا بد فيه من توفر الشروط وانتفاء الموانع كباقي أحكام التكفير .

* * *

((معنى شهادة أن محمداً رسول الله))

تستلزم شهادة أن محمداً رسول الله أربعة أمور :

الأول / طاعته فيما أمر به قال تعالى{مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} (٨٠) سورة النساء وقال تعالى{فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦٣) سورة النور قال الامام أحمد : الفتنة الشرك لعله إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك ·

الثاني / تصديقه فيما أخبر به قال تعالى {وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ} (٣٣) سورة الزمر ثم كيف تقرُّ أنه رسول الله ثم لا تصدقه فيما أخبر به عن الله جل وعلا لاشك أن هذا تكذيبٌ لإقرارك برسالته ·

الثالث / اجتناب ما عنه نهى وزجر قال عليه الصلاة والسلام (إذا نهيتكم عن شيء فدعوه) رواه مسلم

الرابع / أن لا يعبد الله إلا بما شرع قال عليه الصلاة والسلام (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه ، ولمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)

* * *

((نواقض كلمة التوحيد))

(أولاً / الشرك)

الشرك هو أعظم الذنوب وأكبر الموبقات بل هو الذنب الذي لا يغفره الله كما قال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا } (٤٨) سورة النساء وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا } (١١٦) سورة النساء وقال تعالى {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٦٥) سورة الزمر والشرك هو أن تجعل مع الله نداً تعبده مع الله أو تصرف له نوعاً من أنواع العبادة التي هي محض حق الله جل وعلا .

* * *

((طرق إبليس في إيقاع الناس في الشرك))

الأول / الغلو : فالغلو هو حبل إبليس المتين وصراطه اللعين الذي أوقع به كثيراً من العالمين في الشرك برب العالمين ورد ذلك في الصحيح من قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى{وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} (٢٣) سورة نوح قال : هذه أسماء رجالٍ صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا وسموها بأسمائهم ففعلوا و لم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت . وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم .

فلمَّا رأى الشيطان اللعين محبة الناس لأهل الخير أوقعهم في الغلو فيهم والغلو هو مجاوزة الحد عما هو جائزٌ شرعاً إلى ما هو محرم ثم إلى ما هو شرك ، فأصل محبة الصالحين قربةٌ يتقرب بها العبد إلى ربه فإذا جاوز حدود الشرع في المحبة كان ذلك غلواً ، ويبتدئ الغلو بفعل المحرمات كتصويرهم والاحتفاظ بصورهم كذكرى ثم ينتهي إلى الشرك باعتقاد النفع والضر فيهم وعبادتهم قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم حبيبة وأم سلمة لما ذكرتا

له كنيسةً بأرض الحبشة وما رأتا فيها من الصور فقال (أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله) متفق عليه ولقد جاءت النصوص المتكاثرة بالتحذير من الغلو وبيان أن خطره عظيم وفساده كبير قال تعالى {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً} (١٧١) سورة النساء فمن شدة محبة النصارى لعيسى عليه السلام أوقعهم الشيطان في الغلو فيه حتى ادعوا أنه ابن الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقال تعالى {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} (٧٧) سورة المائدة وقال النبي صلى الله عليه وسلم (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين) رواه أحمد والنسائي وبن ماجة وغيرهم وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٢٦٨٠) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) متفق عليه وقال عليه الصلاة والسلام (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم وقال (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)) متفق عليه وقال عليه الصلاة والسلام (اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد)رواه مالك مرسلاً وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٧٥٠) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تصلوا إلى القبور ولا تجلسوا عليها) رواه مسلم وعن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته . رواه مسلم وعن جابر رضي الله عنه قال : نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ • رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وصححه الألباني في الترمذي حديث رقم (١٠٥٢) وفي مشكاة المصابيح حديث رقم (١٧٠٩) فهذه الأدلة

وغيرها مما لم نذكره يدل على شدة تحذير الشارع من الغلو وبيان خطره والتحذير من الوسائل الموصلة إلى الشرك وبيان أن الغلو هو أعظم أسبابها فيجب الحذر والتحذير منه والابتعاد عنه وديننا دين الوسطية والاعتدال قال عليه الصلاة والسلام (هلك المتنطعون) قالها ثلاثاً ٠ رواه مسلم ٠

الثاني / تقليد الآباء واتِّباعُهم : ولذلك تجدد حجج أتباع الشيطان هي تقليد الآباء وهي من إيحاء الشيطان لهم كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (٢١) سورة لقمان وقال تعالى{وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ} (٢٣) سورة الزخرف وقال تعالى{قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا } (٧٨) سورة يونس وقال تعالى{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ} (١٠٤) سورة المائدة والآيات في ذلك كثيرة ٠

* * *

((أقسام الشرك والفرق بينها))

الأول / الشرك الأكبر وهو اتخاذ ندٍ مع الله يدعوه أو يرجوه أو يخافه أو يذبح له أو

يصرف له من أنواع العبادة شيء ٠

الثاني / الشرك الأصغر وهو كل ما ورد في النصوص تسميته شركاً و لم يصل إلى حد الشرك الأكبر كقول الرجل ما شاء الله وشئت ولولا الله وفلان وكالحلف بغير الله ٠

والفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر :

١-أن الشرك الأكبر مخرج من الملة موجب للخلود في النار وأما الأصغر فإنه لا يخرج من الملة ولا يوجب الخلود في النار ٠

٢- أن الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال وأما الأصغر فلا يحبط إلا العمل الذي قارنه .

٣- أن الشرك الأكبر موجب للعداوة المطلقة ، وأما الأصغر فإنه يوجب من البغض والعداوة بمقداره لا مطلقاً ٠

٤-الشرك الأكبر لا يغفر لصاحبه ، أما الأصغر فهو تحت مشيئة الله . وقيل لا يُغفر لصاحبه كذلك لدخوله في مسمى الشرك الذي ذكر المولى جل وعلا أنه لا يغفره ، غير أنه لا يخلد بل يعذب بقدر ذنوبه ثم يخرج من النار ٠

* * *

((الفرق بين الشرك والكفر))

الكفر والشرك كالإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا ، فإذا ذكر الكفر وحده دخل معه الشرك وإذا ذكر الشرك وحده دخل معه الكفر ، وأما إذا اجتمعا في

نصٍ واحد فإن الشرك يكون معناه صرف شيءٍ من أنواع العبادة لغير الله تعالى والكفر جحد أمرٍ معلوم من الدين بالضرورة كجحد وجوب الصوم والصلاة أو جحد تحريم الخمر والزنا ونحو ذلك ، أو ترك العمل بما صح الدليل بتكفير تاركه كترك الصلاة ، أو العمل بما صح الدليل بتكفير فاعله كتصديق الكهان والعرافين ونحو ذلك .

والكفر أعم من الشرك ولذلك فإن : كل مشركٍ كافر وليس كل كافرٍ مشرك ، فمن دعا غير الله فهو مشركٌ كافر ، وأما من جحد وجوب الصلاة فهو كافرٌ غير مشرك . والله أعلم .

* * *

((الأدلة على بطلان عبادة ما سوى الله تعالى))

١- التصريح ببطلان عبادتها كقوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (٦٢) سورة الحج وقوله تعالى {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} (٣٠) سورة لقمان وقوله تعالى {ذَلِكَ

بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ }من الاية (٣) سورة محمد

٢-النهي عن عبادة ما سوى الله جل وعلا قال تعالى{لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً} (٢٢) سورة الإسراء وقال تعالى { وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا} (٣٩) سورة الإسراء وقال تعالى{وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } (٢٣) سورة الإسراء وقال تعالى {وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٨٨) سورة القصص وقال تعالى {وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ} (١٠٦) سورة يونس وقال تعالى ((قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ * وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)) الزمر:٦٤-٦٦

٣-سلب خصائص الإلهية عنها ووصفها بالنقائص كقوله تعالى{وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْواتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (٢١) سورة النحل وقوله تعالى{وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} (٣) سورة الفرقان وقال تعالى {أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ (١٩١) وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ} (١٩٢) سورة الأعراف وكقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا} (٤٢) سورة مريم وقوله تعالى {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ} (١٤٨) سورة الأعراف.

٤-الإخبار بضعف هذه المعبودات التي يعبدونها من دون الله وأنها لا تملك شيئًا وأنها لا تسمع داعيها ولا تستجيب له ، قال تعالى{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} (٧٣) سورة الحج وقال تعالى { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ

الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (١٤) سورة فاطر وقال تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} (٥) سورة الأحقاف وقال تعالى {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ} (٢٢) سورة سبأ وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} (٧٣) سورة النحل وقال تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} (٤٣) سورة الزمر

٥-الإخبار بأن هذه المعبودات عاجزة عن حماية نفسها فضلاً عن أن تحميهم بل هي محتاجة مفتقرة إليهم في حمايتها بل وفي إيجادها ، قال تعالى {وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلآ أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} (١٩٧) سورة الأعراف وقال تعالى {وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ (٧٤) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ} (٧٥) سورة يس أي أنهم هم يدافعون عن آلهتهم ويحمونها بدل أن تحميهم ويوكلون جنوداً منهم يكونون حاضرين عندها يحمونها وقال تعالى {قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ } (٩٥) سورة الصافات

٦-الإخبار بأن هذه المعبودات ستتبرأ من عابديها يوم القيامة وتكون لهم عدوًا وخصمًا قال تعالى {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} (٦) سورة الأحقاف وقال تعالى { ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (١٤) سورة فاطر الله خبيرٌ بما سيدور بينهم يوم القيامة

٧-الاستدلال عليهم بضرب الأمثال كقوله تعالى {ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاء فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاء تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ

أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} (٢٨) سورة الروم أي أيرضى أحدكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله يتصرف فيه كما يتصرف هو فيه ، لا شك أنه لا يرضى فكذلك الله جل وعلا لا يرضى أن يشاركه أحدٌ من عبيده فيما هو من محض حقه جل وعلا وهو التوحيد فيجب أن يكون خالصاً له .

٨-الإخبار بأن هذه المعبودات التي تعبد من دون الله وهي راضية أنها في النار ولن تستطيع النجاة بنفسها فضلاً عن أن تنجيهم قال تعالى {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٨) لَوْ كَانَ هَؤُلَاء آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ} (٩٩) سورة الأنبياء

٩-الإخبار بأن هذه المعبودات لا تضر ولا تنفع عابديها كما قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١٨) سورة يونس وقال تعالى {قُلْ أَنَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُنَا وَلاَ يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللّهُ} (٧١) سورة الأنعام وقال تعالى {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} (٦٧) سورة الأنبياء وقال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا} (٥٥) سورة الفرقان وقال تعالى {وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاءِ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ} (١٠١) سورة هود .

١٠-الإخبار بأن هذه المعبودات ليست بشركاء لله تعالى في ملكه وإلهيته وتصرفه وإنما هو ظنٌ من أصحابها وتخرصٌ بدون علم كما قال تعالى {أَلا إِنَّ لِلّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَن فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ شُرَكَاء إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ} (٦٦) سورة يونس وقال تعالى {إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى}

(٢٣) سورة النجم وقال تعالى {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ} (١٤٨) سورة الأنعام فعبادتهم مبنية على الظن والهوى والتخرص ، وهذا يدل على أنهم شاكين في معبوداتهم لاكن منعهم من ترك عبادتها الهوى والأطماع الدنيوية .

١٤-إبطال عبادتها بقياس الأولى ، فالله تعالى قد بيَّن بطلان عبادة الملائكة فقال تعالى {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ} (٤١) سورة سبأ وقال تعالى{وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } (١١٦) سورة المائدة فإذا كانت عبادة الملائكة على عظيم خلقتهم وقوة أجسامهم باطلة وعبادة المسيح باطلة على عظيم مترلته عند الله فهو رسولٌ كريمٌ من أولي العزم من الرسل ، فكيف بمن دونهم من الحجر والشجر والجن والبشر وغيرهم لا شك أن عبادتهم أولى بالبطلان . (انظر إتحاف أهل الألباب بمعرفة العقيدة في سؤال وجواب للشيخ وليد بن راشد بن سعيدان ١/١٠٦-١١٠)

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / الدعاء))

الدعاء نوعان :

الأول / دعاء عبادة وهو ما يفعله العبد من صلاة وصيام وحج وزكاة ونحو ذلك ، لأن

العبد حين يؤدي هذه العبادات فإنه يرجو ثواب الله تعالى ويخاف عقابه ، فكأنه حين يفعل هذه العبادات يقول اللهم أدخلني جنتك وأجرني من نارك لكن بلسان حاله لا بلسان مقاله .

الثاني / دعاء المسألة وهو الدعاء بلسان المقال فيقول بلسانه اللهم أدخلني جنتك وأجرني من نارك ونحو ذلك من الأدعية .

ولا يجوز صرف نوعي الدعاء أو أحدهما لغير الله قال تعالى{وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} (١٨) سورة الجن وقال تعالى {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} (٦٠) سورة غافر وقال تعالى {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ } (١٤) سورة فاطر وقال تعالى{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاء وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} (٦) سورة الأحقاف فنهى الله جل وعلا عن دعاء غيره وجعل دعاءه عبادة ودعاء غيره شركاً وبيَّن ضلال من يدعوا غيره .

* * *

((حكم قرن الدعاء بالمشيئة))

لا يجوز أن يقرن الدعاء بالمشيئة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم

المسألة فإن الله لا مكره له) متفق عليه لأن تعليقه بالمشيئة منافٍ لإعظام الرغبة وفيه نوع استغناء عن المدعو والمدعو به ، ولأنه موهم بعجز الله وفقره فكأنه يقول : ولا ألح عليك بذلك ، بل إذا شئت فافعل وإذا كان يكلف عليك فلا تفعل ، وهذا فيه سوء أدب مع الله تعالى لأن الله تعالى لا يكرهه أحد على إجابة سؤالك ولا يتعاظمه شيء أعطاه ، وأما قوله صلى الله عليه وسلم (لا بأس طهور إن شاء الله) رواه البخاري فهذا ليس من باب الدعاء وإنما من باب الخبر ، أي أن هذا المرض سيكون لك كفارة وطهور إذا صبرت عليه وكنت مؤمناً .

* * *

((حكم التوسل والوسيلة والمراد بهما))

الوسيلة في الكتاب والسنة يراد بها عدة أمور :

الأول / التقرب إلى الله جل وعلا بفعل أوامره واجتناب نواهيه قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (٣٥) سورة المائدة أي

الوسائل الموصلة إليه وهي فعل الأوامر وترك النواهي وقال تعالى {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا} (٥٧) سورة الإسراء أي هؤلاء الذين تعبدونهم كالملائكة والمسيح ونحوهم كانوا يتقربون إلى الله بالوسائل الموصلة إليه المقربة منه جل وعلا وهي فعل الطاعات وترك المنكرات يفعلون ذلك رجاء رحمته وخوف عذابه لأن عذابه شديدٌ ينبغي الحذر مما يوصل إليه .

الثاني / مترلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله ، كما في قوله صلى الله عليه وسلم (إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها مترلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبدٍ من عباد الله وأرجوا أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة) رواه البخاري

الثالث / طلب الدعاء قال عمر رضي الله عنه (اللهم إنا كنا نتوسل بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا) فقوله (كنا نتوسل بنبيك) إي كنا نطلب الدعاء منه . وقوله (وإنا نتوسل بعم نبيك) أي ونحن الآن نطلب منه أن يدعو لنا .

والتوسل بالدعاء قسمان :

القسم الأول / توسلٌ مشروع : وهو أربعة أنواع :

١-التوسل إلى الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلا قال تعالى {وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا } (١٨٠) سورة الأعراف ومنه دعاء سليمان عليه السلام {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ

فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (١٩) سورة النمل
٢-التوسل إلى الله تعالى بذكر الحال ، ومنه قوله تعالى عن نوح عليه السلام{فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ} (١٠) سورة القمر وقوله تعالى عن موسى{فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} (٢٤) سورة القصص
٣-التوسل بعملٍ صالحٍ من المتوسل ودليله حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة ، وسدت عليهم باب الغار فتوسلوا إلى الله بما تقدم من صالح أعمالهم ففرج الله عنهم متفق عليه ومنه التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى{الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (١٦) سورة آل عمران وقوله تعالى {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ} (١٩٣) سورة آل عمران
٤-التوسل بدعاء الحي الصالح القادر، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتوسلون بالنبي صلى الله عليه وسلم في حياته أن يدعوا لهم ومن ذلك حديث أنس رضي الله عنه قال أصابت الناس سنة على عهد النبي صلى الله عليه وسلم فبينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في يوم جمعةٍ قام أعرابيٌ فقال : يا رسول الله هلك المال وجاع العيال فادع الله لنا فرفع يديه وما نرى في السماء قزعة فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ثم لم يترل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته صلى الله عليه وسلم فمطرنا يومنا ذلك ومن الغد وبعد الغد والذي يليه حتى الجمعة الأخرى وقام ذلك الأعرابي أو قال غيره فقال يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع الله لنا فرفع يديه فقال اللهم حوالينا ولا علينا فما يشير بيده إلى ناحيةٍ من السحاب إلا انفرجت وصارت المدينة مثل الجوبة وسال الوادي قناة شهراً ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدث بالجود . وفي رواية قال (اللهم حوالينا ولا علينا اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر) قال فأقلعت وخرجنا نمشي في الشمس . متفق عليه ومنه حديث الأعمى الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه أن يدعو له أن يرد الله تعالى

عليه بصره ففعل. رواه بن ماجة وصححه الألباني فيه حديث رقم ١٣٨٥ ومنه طلب أم سليم منه صلى الله تعالى عليه وسلم أن يدعو لأنس إذ قالت يا رسول الله أنس خادمك ادع الله له قال (اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته) قال أنس فو الله إن مالي لكثير وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون على نحو المائة اليوم . متفق عليه وغير ذلك ، فدلَّ على جواز التوسل بدعاء الحي الصالح دون الميت لأنهم لم يكونوا يتوسلون به صلى الله عليه وسلم بعد موته وهو أفضل الخلق وهم أعلم الناس بهديه وسنته فلو كان جائزاً لما تركوه وانتقلوا إلى العباس أو غيره يسألونه الدعاء لهم ، بل قد كان علماء السلف ينهون عن الدعاء عند قبره عليه الصلاة والسلام فضلاً عن طلب الدعاء منه فقد روى الضياء في المختارة أن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رأى رجلاً يجيءُ إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدعو فنهاه وقال : ألا أحدثك حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تتخذوا قبري عيداً وصلوا علي حيث كنتم فإن صلاتكم تبلغني) وروى بن خزيمة وبن أبي شيبة عن سهيل بن أبي سهيل أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه ومسح قال فحصبني حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا علي حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني) بل جاء عنهم أشد من ذلك فعن سهيل قال : جئت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وحسن بن حسين يتعشى في بيتٍ عند النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فجئته فقال : ادن فتعش قال : قلت لا أريده قال مالي رأيتك وقفت قال وقفت أسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا دخلت المسجد فسلم عليه ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلوا في بيوتكم ولا تجعلوا بيوتكم مقابر لعن الله يهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم) ذكره الألباني في فضل الصلاة على النبي (ص ٣٨) وقال : اسناده صحيح والأفضل أن يدعوا الإنسان لنفسه ولا يطلب من غيره لأن ذلك أكمل في إظهار الذل والافتقار إلى الرب جل وعلا وذلك أحرى بالإجابة إذ ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة ، غير أن طلب الدعاء من

الغير جائز وخاصةً إذا اقترن به إرادة نفع المطلوب منه الدعاء بأن تدعوا له الملائكة بالمثل ولأجل ترغيبه في كثرة الدعاء ونحو ذلك وعليه يحمل قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر (**لا تنسنا يا أخي من دعائك**) رواه أبو داود والترمذي وضعفه الألباني فيهما وفي مشكاة المصابيح حديث رقم (٢٢٤٨)

القسم الثاني / التوسل الممنوع وهو نوعان : بدعي وشركي .

الأول / البدعي : وهو التوسل إلى الله تعالى بما لم يرد في الشرع جواز التوسل به كالتوسل بذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم أو حقهم أو حرمتهم ونحو ذلك .

الثاني / شركي: وهو التوسل بالأموات باتخاذهم وسائط ودعاؤهم وطلب الحوائج منهم والاستعانة بهم ونحو ذلك .

* * *

((حكم زيارة القبور))

زيارة القبور على ثلاثة أقسام :

القسم الأول / زيارة مشروعة : وهي التي يقصد بها تذكر الآخرة والسلام على الميـــت والدعاء له قال صلى الله عليه وسلم (كنت نهيتكم عن زيارة القبـــور فزوروهـــا فإنها تذكركم الموت) رواه مسلم وعند الترمذي (تذكر الآخرة) .

القسم الثاني / زيارة بدعية : وهي التي يقصد بها التقرب إلى الله عند القـــبر واعتقـــاد أن الصلاة أو الدعاء عنده لها مزية ، وهذا من أمور الضلالة بل هو منهيٌ عنـــه إلا الصـــلاة على الميت لمن فاتته الصلاة عليه في المسجد والدعاء له لا الدعاء عنده .

القسم الثالث / زيارةٌ شركية وهي التي يقصد بها التقرب لصاحب القبر بصرف شـــيءٍ من أنواع العبادة له كدعائه والاستعانة والاستغاثة به والذبح والنذر له ونحو ذلك .

* * *

((أحكام الشفاعة))

الشفاعة / هي سؤال الخير للغير وتسمى في زماننا الواسطة وهي مســـتحبةٌ إذا لم يكـــن فيها إضرارٌ بالغير قال صلى الله عليه وسلم (اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه

ما أحب) متفق عليه فإن كان التوسط والشفاعة لشخصٍ يؤدي إلى الإضرار بـآخر فتحـرم كالذين يشفعون لشخصٍ لنيل وظيفةٍ ويحرمون الكفء منها فهذه وساطةٌ محرمـة قـال تعالى {مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا} (٨٥) سورة النساء ومحل بحث الشفاعة في الدنيا كتب الفقه ، وأما الشفاعة في كتب العقائد فيراد بها الشفاعة التي تكون يوم القيامة فهذه يشترط لها شروط :

الشرط الأول / أن يأذن الله عز وجل للشافع أن يشفع لقوله تعالى {مَن ذَا الَّذِي يَشْـفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ} (٢٥٥) سورة البقرة

الشرط الثاني / أن يأذن الله للمشفوع أن يُشْفَعَ له كما قال تعالى {وَلَا تَنفَـعُ الشَّـفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } (٢٣) سورة سبأ وقال تعالى {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّـا مَـنْ أَذِنَ لَـهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} (١٠٩) سورة طـه

الشرط الثالث / أن يرضى الله عن المشفوع له كما قال تعالى{وَكَم مِّـن مَّلَـكٍ فِـي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى} (٢٦) سورة النجم وقال تعالى{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى } (٢٨) سورة الأنبياء والله جل وعلا لا يرضى إلا عـن الموحد كما قال تعالى {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِـالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٨٦) سورة الزخرف وقال تعالى{لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنـدَ الـرَّحْمَنِ عَهْدًا} (٨٧) سورة مريم وأما الكافر والمشرك فلا تنفعهم الشفاعة كما قال تعالى {فَمَا تَـنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} (٤٨) سورة المدثر وقال تعالى{ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ} (١٨) سورة غافر

وعليه نعلم أن كل شفاعةٍ لم تتوفر فيها هذه الشروط فهي شفاعةٌ باطلة قد نفاها الـرب جل وعلا في كتابه كما في قوله {وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَـيْئاً وَلاَ يُقْبَـلُ

مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (٤٨) سورة البقـرة وقوله{وَاتَّقُــواْ يَوْمــاً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (١٢٣) سورة البقرة وقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيــهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢٥٤) سورة البقرة

ونعلم أن الشفاعة ملكٌ لله جل وعلا لا تطلب من غيره كما في قوله تعالى {قُــل لِّلَّــهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٤٤) سورة الزمر فيقال : يــا رب شفع فيَّ نبيك . ولا يقال : يا نبي الله اشفع لي . إذ أنك تطلبها حينئذٍ من غير مالكهــا وتدَّعي أن له فيها حق وهي محض حق الله جل وعلا فتكون قد أشركت مع الله في ملكه غيره ولذلك كانت هذه الشفاعة شركاً ، فإذا كان طلبها من النبي صلى الله عليه وســلم شركاً فما بالك بمن يطلبها من الأحجار والأشجار والأولياء والصالحين وغيرهم ممن هم دون الأنبياء لا شك أنه أضل ولذلك يقول تعالى{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَضُــرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّــمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١٨) سورة يــونس وحجة المتقدمين والمتــأخرين واحدة وهي أن هؤلاء أقرب منا إلى الله فنحن نستشفع بهم عنده كما قال تعالى {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّــارٌ} (٣) ســورة الزمــر ويقولون إن ملك الدنيا لا تدخل عليه إلا عن طريق المقربين منــه ، فكــذلك الله نحــن نتقرب إليه عن طريق المقربين منه ، فنقول سبحان الله شبهتم الخالق العظيم القادر الغــني من كل وجه بالمخلوق الضعيف العاجز من كل وجه ، إن ملك الدنيا مضطرٌ جبراً ولــو كره لقبول شفاعات خاصته من وزراءه وغيرهم لأنه محتاجٌ إلــيهم في تثبيــت ملكــه ومناصرته ولو لم يفعل لتركوه فذهب ملكه ، وأما الله جل وعلا فهو الغني عن الظهــير والمعاون والكل فقيرٌ إليه ، وحين يأذن بالشفاعات في الآخرة فذلك تفضلاً منه ورفعــةً

للشافع ورحمةً بالمشفوع له ، لا عن حاجةٍ إلى أحد من خلقه بل الخلق كلهم محتـــاجون إليه فقراء بين يديه وهو صاحب الملك المطلق والعظمة المطلقة والغنى المطلق فـــلا يجـــوز تشبيهه بملوك الدنيا فذلك تنقصٌ له جل وعلا ، فهو متره عن الشبيه والـــنظير والظهـــير والمشير لا يشبه شيئاً من مخلوقاته ولا يشبهه شيءٌ من مخلوقاته{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُـــوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ} (١١) سورة الشورى

* * *

((عقيدة الطوائف في الشفاعة))

انقسم الناس في الشفاعة إلى ثلاث طوائف :

الطائفة الأولى / المنكرين الذين يقولون لا شفاعة كاليهود والنصارى والخوارج والمعتزلـــة وغيرهم وهم الوعيدية الذين يقولون إن صاحب الكبيرة يخلد في النار فلا تنفعه شـــفاعةٌ

ولا غيرها واستدلوا بقوله تعالى{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (٤٨) سورة البقرة وقوله{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (١٢٣) سورة البقرة وقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢٥٤) سورة البقرة

الطائفة الثانية / الغالين الذين يطلبونها من غير الله كالذين يطلبونها من الأموات كالأنبياء والأولياء والصالحين والأشجار والأحجار وغيرها ويقولون { هَـؤُلاء شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللّهِ}فرد الله عليهم بقوله { قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (١٨) سورة يونس فأنكر عليهم وسماهم مشركين وقال تعالى {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاء قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٣) قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٤٤) سورة الزمر فجعل الشفاعة ملكه وعاب الذين اتخذوا من دونه شفعاء وقال تعالى{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} (٩٤) سورة الأنعام وقال تعالى {وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاء وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} (١٣) سورة الروم
فهذه هي الشفاعة المنفية التي نفاها القران كما في قوله تعالى{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (٤٨) سورة البقرة وقوله{وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} (١٢٣) سورة البقرة وقوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢٥٤) سورة البقرة واستدلت بها الطائفة الأولى في غير موضعها فنفوا مطلق الشفاعة وإنما المنفي هذا النوع من الشفاعة وأما الشفاعة الحقة فهي ثابتةٌ كما أثبتها الرب جل وعلا في كتابه وعلى لسان رسوله

صلى الله عليه وسلم .

الطائفة الثالثة / وهم أهل الحق أهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة الشرعية ونفوا الشفاعة الشركية فجمعوا بين النصوص و لم يأخذوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض كما فعل أهل الضلالة والبدع .

* * *

((الشفعاء يوم القيامة))

ذكر أهل العلم أن للنبي صلى الله عليه وسلم ست شفاعاتٍ في يوم القيامة وهي كالتالي :

١-الشفاعة العظمى والمقام المحمود الذي يحمده عليه الأولون والآخرون وهو شفاعته لأهل الموقف أن يفصل الله بينهم ويحاسبهم .

٢-شفاعته لقومٍ قد استوجبوا النار أن لا يدخلوها ٠

٣-شفاعته لقوم دخلوا النار من أهل الكبائر أن يخرجوا منها ٠

٤-شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها ٠

٥-شفاعته لأقوامٍ من أهل الجنة في أن يرفع الله درجاتهم فيها ٠

٦-شفاعته لعمه أبي طالب أن يخفف الله عنه العذاب حتى يكون أهون أهل النار عذابا ٠

ويشفع الأنبياء والصديقين والشهداء والأفراط وهم الأطفال الذين ماتوا صغاراً واحتسبهم والديهم وتشفع الملائكة وتشفع الأعمال الصالحة كالقران والصيام والصدقة ويخرج الله أقواماً من النار بغير شفاعة ففي الصحيحين من حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه في قصة خبر يوم القيامة وفيه (فيقول الله شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون و لم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضةً من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهرٍ في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عملٍ ولا خيرٍ قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله **معه**) متفق عليه

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / النذر))

النذر لغة / الإلزام .

شرعاً / إلزام المكلف نفسه أمراً ليس بلازم عليه في أصل الشرع ٠

والنذر عبادة لأن الله امتدح عباده الذين يوفون بنذورهم فقال{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} (٧) سورة الإنسان وقال تعالى {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} (٢٧٠) سورة البقرة أي فيجازيكم عليه وقال صلى الله عليه وسلم (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه) رواه البخاري وقد رتب الشارع العقوبة الشديدة على إخلاف النذر فقال تعالى {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ} (٧٧) سورة التوبة فمن أعظم عقوبةً ممن حُوِّلَ قلبه إلى قلب منافق والعياذ بالله ولذلك يخشى على الذين لا يوفون بنذورهم من هذه العقوبة ، فترتيب المدح للموفي بالنذر وترتيب العقوبة للمخلف له يدل على أنه عبادةٌ لله وحينئذٍ يكون صرفها لغيره شركٌ به جل وعلا ، كأن يقول : للولي الفلاني علي نذرٌ أن أعمل كذا وكذا . فهذا النذر شرك ، وأما إن قال : لله عليَّ نذرٌ أن أشرب الخمر أو أن أزني أو أسرق أو لا أصل أرحامي أو نحو ذلك من المحرمات فهذا نذر معصية لا نذر شرك يحرم الوفاء به ويكفر بدله كفارة يمين لقوله صلى الله عليه وسلم (لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٣٤٣٥) وصحيح الجامع حديث رقم (٧٥٤٧) وأما نذر الشرك فلا ينعقد أصلاً لأنه باطل وحينئذٍ لا كفارة فيه وإنما فيه التوبة إلى الله تعالى

وعقد النذر مكروه لأن المرء يلزم نفسه بأمرٍ ليس بلازمٍ عليه في أصل الشرع ، فإذا عقده على نفسه في طاعةٍ وجب الوفاء به وحينئذٍ قد يشق الوفاء عليه كمن يلزم نفسه بصيام شهرين أو أن يتصدق بمبلغ كبير وإذا لم يوفِ بما نذر خُشِيَ عليه من النفاق كما تقدم ولذا كان ابتداء عقده مكروهاً شرعاً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تنذروا فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل) رواه مسلم وغيره .

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / الذبح))

الذبح بقصد التقرب للمذبوح له عبادةٌ لا يجوز صرفها لغير الله كما قال تعالى {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ} (٢) سورة الكوثر وقوله تعالى لنبيه {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }(١٦٣) سورة الأنعام **فجعل** الرب جل وعلا الذبح قرين الصلاة وجعلهما خالصتين له وأمر أن لا يشرك فيهما معه

غيره فدلَّ ذلك على أن الذبح عبادةٌ لا يجوز صرفها لغير الله كما لا يجوز أن يصلي لغير الله فالذي يذبح لغير الله هو كالذي يصلي لغير الله لأنهما اشتركا في صرف نوعٍ من العبادة لغير الله وهذا مدلول الآيتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله من ذبح لغير الله) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (دخل الجنة رجلٌ في ذباب ودخل النار رجلٌ في ذباب) قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال (مر رجلان على قومٍ لهم صنمٌ لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئًا ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال : ليس عندي شيءٌ أقرب . قالوا : قرب ولو ذبابًا ، فقرب ذبابًا فخلو سبيله ، فدخل النار . وقالوا للآخر : قرب . فقال : ما كنت لأقرب لأحدٍ شيئًا دون الله عز جل فضربوا عنقه فدخل الجنة) رواه أحمد في الزهد

وأهل الضلالة من عباد القبور والأولياء يستدلون على جواز الذبح بالذبح للضيوف والأفراح ونحو ذلك فسبحان من نكس بصائرهم وأعمى قلوبهم فلم تعد تفرق بين ما هو عبادةٌ وما هو عادة وما هو جائزٌ وما هو محرم وذلك لبعدهم عن العلم والحق واتباعهم للهوى والضلالة ولأجل الإيضاح نبين أنواع الذبح فنقول :

النوع الأول / الذبح إطعاماً للأهل والولد لمجرد الأكل فهذا جائز وهو عادةٌ وليس بعبادة ويؤجر على إطعامهم إن نوى ذلك لا على الذبح لهم .

النوع الثاني / الذبح للضيوف والأعراس ونحو ذلك بقصد الأكل من الذبائح فهذا جائز وهو عادةٌ وليس بعبادةٍ ويؤجر إن نوى التقرب إلى الله بإكرام الضيف وإعلان العرس لا على نفس الذبح .

النوع الثالث / الذبح بقصد التقرب للمذبوح له كما يذبح المسلمون الأضاحي والهدايا والفدايا والعقائق تقرباً إلى الله جل وعلا فهذه عبادةٌ وليست عادة ولا يجوز صرفها لغير الله فمن صرفها لغير الله فقد أشرك به ، وهذه هي التي تذكر في كتب العقائد وهي التي وردت النصوص بالتحذير من صرفها لغير الله وأن صرفها لغير الله شرك فليعلم هذا .

بل إنه من شدة تحذير الشارع منه منع من الذبح بمكانٍ يذبح فيه لغير الله ، فعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : نذر رجلٌ أن ينحر إبلاً ببوانة ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال (هل كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهلية يعبد) ؟ قالوا : لا . قال (هل كان فيها عيدٌ من أعيادهم) ؟ قالوا : لا . فقال للرجل (أوف بنذرك فإنه لا وفاء بنذرٍ في معصيةٍ ولا فيما لا يملكه ابن آدم) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود حديث رقم (٣٣١٣) وفي مشكاة المصابيح حديث رقم (٣٤٣٧)

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / الاستعاذة))

الاستعاذة هي طلب اللجوء والعصمة من الأمر المخوف .

والاستعاذة بالله هي الإلتجاء والاعتصام بالله من شر خلقه .

والاستعاذة أنواع :

النوع الأول / الاستعاذة المطلقة من كل ذي شر فهذه لا تكون إلا بالله قال تعالى {قُلْ

أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} (٢) سورة الفلق فمن استعاذ بغير الله ليقيه كل الشرور فقد أشرك بالله وجعل له نداً من خلقه .

النوع الثاني / الاستعاذة فيما لا يقدر عليه إلا الله كالاستعاذة من العين والحسد والجآن ونحو ذلك فهذه أيضاً لا تكون إلا بالله فمن استعاذ بغير الله في رد العين والجآن ونحو ذلك فقد أشرك بالله كما قال تعالى {وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا} (٦) سورة الجن

النوع الثالث / الاستعاذة بسببٍ لم يجعله الله سبباً حساً ولا شرعاً كالاستعاذة بالأموات والغائبين ونحو ذلك فهذا أيضاً شرك ، لكونه اعتقد لهؤلاء تصرفاً في الكون فكان مشركاً في الربوبية ، وهو كذلك مشركٌ في الألوهية لأن الاستعاذة عبادة وهي من الدعاء وصرف العبادة لغير الله شركٌ في الألوهية .

النوع الرابع / الاستعاذة بما جعله الله سبباً للعوذ كالاستعاذة بالحي فيما يقدر عليه وكالاستعاذة بالبيوت من حر الشمس ووابل المطر ونحو ذلك فهذه استعاذةٌ جائزة .

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / الاستعانة والاستغاثة))

الاستعانة والاستغاثة / هي طلب مساعدة الغير والاستغاثة أشد من الاستعانة لأنها تكون في حال الإضطرار وأعظم معين ومغيثٍ هو الرب جل وعلا ولذا كان دأب الأنبياء والصالحين الاستعانة والاستغاثة بالرب جل وعلا دون من سواه كما قال تعالى {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُرْدِفِينَ} (٩) سورة الأنفال وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا

حديثي عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون ؟ فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك قال أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا وأسر كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه ٠ رواه مسلم وغيره فإذا كان هذا دأب الصحب لا يستعينون بغير الله فكيف بالأنبياء ٠

والاستعانة والاستغاثة أنواع /

النوع الأول / الاستعانة والاستغاثة بالحي الحاضر فيما يقدر عليه فهي جائزة كما قال تعالى { فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} (١٥) سورة القصص

النوع الثاني / الاستعانة والاستغاثة بالأموات أو الغائبين أو الأحياء الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله كشفاء المريض وإنزال المطر ونحو ذلك فهذه استعانة واستغاثة شركية محرمة كما قال تعالى {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} (٦٢) سورة النمل

وبهذا نعرف الفرق بين الاستعانة ولاستغاثة الشركية وبين الاستعانة والاستغاثة الجائزة ٠

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / التوكل))

التوكل على الشيء / الاعتماد عليه وتفويض الأمر إليه ، وهو أنواع :

النوع الأول / التوكل على الله في جلب المنافع ودفع المضار فهذا من أعظم العبادات وأفضل الطاعات كما قال تعالى {وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (٢٣) سورة المائدة وقال تعالى {وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ} (١٦٠) سورة آل عمران وقال تعالى {وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى

اللّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ } (١٢) سورة إبراهيم

النوع الثاني / التوكل على الأموات والغائبين فهذا توكلٌ شركي لأنه يعتقد أن لهم تصرفاً في الكون والأقدار ولذا اعتمد عليهم فهذا شركٌ في الربوبية والألوهية .

النوع الثالث / التوكل على الحي الحاضر فيما هو جائزٌ شرعاً فيما يقدر عليه فهذا جائز ومحل بحثه باب الوكالة في كتب الفقه إذ المراد به التوكيل في أمرٍ دنيوي ولينتبه فلا يجعل اعتماد القلب بكليته على الوكيل وتعلقه به وإنما على رب الوكيل .

* * *

((من أنواع العبادة التي لا يجوز صرفها لغير الله / الخوف والخشية))

الخوف من الله عبادةٌ عظيمة ينتج عنها زيادة التقوى ومراقبة الله فيترك العبد المعاصي خوفاً من عذاب الله ويفعل الطاعات ليكون أبعد عن النار ولذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم (ما من عبدٍ يصوم يوماً في سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً) أخرجاه في الصحيحين فرغب في فعل الطاعة لأنها تباعد عن عذاب الله وهكذا سائر الطاعات ولذلك يقول الله تعالى {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء } (٢٨) سورة فاطر وقيل في الحكمة : من كان بالله أعرف كان منه أخوف .

والخوف على أنواع :

النوع الأول / الخوف من الله وهو عبادةٌ يؤجر عليها العبد ما لم يصل إلى حد القنوط من رحمة الله ، فيجمع العبد بين خوف الله ورجاءه فيخاف العذاب ويرجوا الرحمة وحينئذٍ لا يقنط وييأس ولا يبطر ويطغى كما قال تعالى {فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} (٩٠) سورة الأنبياء

النوع الثاني / الخوف الجبلي كالخوف من اللصوص وقطاع الطريق والسلاطين الظلمة والخوف من السباع ونحو ذلك فهذا خوفٌ جبليٌ طبعي لا يلام عليه العبد قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام{فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} (٧٠) سورة هود وقال لموسى عليه السلام {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ} (١٠) سورة النمل وقال{فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ} (١٨) سورة القصص وقال عن داود عليه السلام {إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ } (٢٢) سورة ص

النوع الثالث / الخوف الشركي ويسميه بعض العلماء خوف السر وهو الخوف من الأموات والأصنام ونحوها فهذا الخوف لا سبب له حسيٌ ولا شرعي فتبين أنه لم يخف إلا لاعتقاده أن هذا الميت أو هذا الصنم له تصرفٌ في الكون يستطيع من خلاله أن يضره أو يصيبه بأذى فيخافه لأجل ذلك وهذا هو الشرك بعينه وقد كانت الأقوام التي بُعِثَ إليها الأنبياء تعتقد في معبوداتها هذا الاعتقاد كما قال قوم هودٍ لهود كما ذكر الله عنهم {إِن نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوَءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللّهِ وَاشْهَدُواْ أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} (٥٤) سورة هود

النوع الرابع / الخوف الذي يوجب لصاحبه ترك واجب أو فعل محرم ، كترك الجهاد خوف الكفار فهذا محرم وقد قال تعالى {أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ} (١٣) سورة التوبة وقال تعالى {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (١٧٥) سورة آل عمران

* * *

(((مسألة الجهل بالشرك)))

هذه المسألة مهمة جداً ينبغي معرفتها لكثرة الخائضين فيها بغير علم وهي تحتوي على أمرٍ خطيرٍ جداً وهو الشرك وهل يعذر الجاهل الواقع في الشرك بجهله أو لا يعذر ، ويترتب على هذا هل يحكم بكفره أو لا ؟ وهل يخلد في النار أو لا يخلد ؟ ولذلك سأورد كلام أهل العلم في هذه المسألة :

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله : الأمور قسمان قسمٌ يعذر فيه بالجهل وقسم لا يعذر فيه بالجهل فإذا كان من أتى ذلك بين المسلمين وأتى الشرك بالله وعبد غير الله فإنه

لا يعذر لأنه مقصر لم يسأل و لم يتبصر في دينه فيكون غير معذورٍ في عبادته غير الله من أمواتٍ أو أشجارٍ أو أحجارٍ أو أصنام لإعراضه وغفلته عن دينه كما قال الله سبحانه{وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ}(٣) سورة الأحقاف ولأن النبي صلى الله عليه وسلم لما استأذن ربه أن يستغفر لأمه لأنها ماتت في الجاهلية لم يؤذن له ليستغفر لها لأنها ماتت على دين قومها عبَّاد الأوثان ، ولأنه قال لشخصٍ سأل عن أبيه قال : هو في النار فلما رأى ما في وجهه قال (إن أبي وأباك في النار)قلت رواهما مسلم لأنه مات على الشرك بالله وعلى عبادة غير الله فكيف بالذي بين المسلمين وهو يعبد البدوي أو يعبد الحسين أو يعبد الشيخ عبد القادر الجيلاني أو يعبد الرسول محمداً أو يعبد علياً أو يعبد غيرهم فهؤلاء وأشباههم لا يعذرون من باب أولى لأنهم أتوا الشرك الأكبر وهم بين المسلمين والقران بين أيديهم ...وهكذا سنة رسول الله موجودة بينهم ولكنهم عن ذلك معرضون ، والقسم الثاني : من يعذر بالجهل كالذي ينشأ في بلادٍ بعيدة عن الإسلام في أطراف الدنيا أو لأسبابٍ أخرى كأهل الفترة ونحوهم ممن لم تبلغهم الرسالة فهؤلاء معذورون بجهلهم وأمرهم إلى الله عز وجل والصحيح أنهم يمتحنون يوم القيامة فيؤمرون فإن أجابوا دخلوا الجنة وإن عصوا دخلوا النار لقوله جل وعلا{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإسراء ولأحاديث صحيحة وردت في ذلك وقد بسط العلامة ابن القيم الكلام في هذه المسألة في آخر كتابه (طريق الهجرتين) لما ذكر طبقات المكلفين فليراجع هناك لعظم فائدته . انتهى نقلاً من الآلي الحسان وذكر أنه نقله من مجلة البحوث الإسلامية العدد (٢٥)

وقال الشيخ صالح الفوزان : من بلغه القرآن والسنة على وجهٍ يستطيع أن يفهمه لو أراد ثم لم يعمل به و لم يقبله فإنه قد قامت عليه الحجة ، ولا يعذر بالجهل لأنه بلغته الحجة ، والله جل وعلا يقول{ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ} (١٩) سورة الأنعام سواءً كان يعيش مع المسلمين أو يعيش مع غير المسلمين فكل من بلغه القرآن على وجهٍ يفهمه لو أراد الفهم ثم لم يعمل به فإنه لا يكون مسلماً ولا يعذر بالجهل ، إذا بلغه الدليل من القرآن أو من السنة على وجه يفهمه لو أراد أي بلغه بلغته ، وعلى وجهٍ يفهمه ، ثم لم

يلتفت إليه و لم يعمل به فهذا لا يعذر بالجهل لأنه مفرِّط . انتهى

وقال الشيخ عبد العزيز الراجحي / مسألة العذر بالجهل بيَّنها العلماء رحمهم الله وفصَّلها ابن القيِّم رحمه الله في طريق الهجرتين وفي الكافية الشافية وذكرها أئمة الدعوة كالشيخ عبدالله أبابطين وغيرهم وذكر ابن أبي العز شيئاً منها في شرح الطحاوية وخلاصة القول في هذا : أن الجاهل فيه تفصيل : فالجاهل الذي يمكنه أن يسأل ويصل إلى العلم ليس بمعذور فلابد أن يتعلم ولابد أن يبحث ويسأل ، والجاهل الذي يريد الحق غير الجاهل الذي لا يريد الحق ، فالجاهل قسمان : الأول : جاهلٌ يريد الحق . والثاني : جاهلٌ لا يريد الحق ، فالذي لا يريد الحق غير معذور حتى ولو لم يستطع أن يصل إلى العلم لأنه لا يريد الحق ، أما الذي يريد أن يعلم الحق فهذا إذا بحث عن الحق و لم يصل إليه فهو معذور ، والمقصود أن الجاهل الذي يمكنه أن يسأل ولا يسأل أو يمكنه أن يتعلم ولا يتعلم فهو غير معذور ، أما الجاهل الذي لا يمكنه أن يتعلم فهو على قسمين :

- جاهلٌ لا يريد الحق فهو غير معذور .
- وجاهلٌ يريد الحق ثم بحث عنه و لم يحصل عليه فهذا معذور ، والله أعلم .

والجهل الذي يعذر فيه الجاهل لا يعذر في الأشياء الواضحة ، إنما في الأشياء التي تخفى على مثله ، فلو كان هناك إنسانٌ يعيش بين المسلمين ثم فعل الزنا فلما عوقب قال : إني جاهل فلا يقبل منه لأن هذا أمرٌ واضح أو تعامل بالربا وهو يعيش بين المسلمين لا يقبل منه أو عبد الصنم وهو يعيش بين المسلمين في مجتمعٍ موحِّد لا يقبل منه ، لأن هذا أمرٌ واضح ، لكن لو أسلم كافرٌ في مجتمعٍ يتعامل بالربا ويرى الناس يتعاملون بالمعاملات الربوية ثم تعامل بالربا وقال إنه جاهل ، فهذا مثله يجهل هذا الشيء ، أو نشأ في بلادٍ بعيدةٍ و لم يسمع بالإسلام وليس عنده وسائل هذا معذور ، أما الإنسان الذي يفعل أمراً معلوماً واضحاً وهو بين المسلمين فهذا لا يُعذر ، فلابد أن تكون المسألة التي يُعذر فيها دقيقةً خفية تخفى على مثله ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين في قصة الرجل الذي أمر

أهله أن يحرقوه وجمع أهله حينما حضرته الوفاة وقد كان مسرفاً على نفسه فجمع أولاده عند وفاته وقال : أي أبٍ كنت لكم ؟ فأثنوا خيراً ، فقال لهم :إنه لم يفعل خيراً قط وإن الله إن بعثه ليعذبنه عذاباً شديداً فأخذ المواثيق على بنيه أنه إذا مات أن يحرقوه ثم يسحقوه ثم يذروه في البر ، وفي بعض الروايات يذرُّوا نصفه في البر ونصفه في البحر وقال : لئن قدر الله عليَّ ليعذبني عذاباً شديداً ففعلوا به ذلك ، وفي الحديث أن الله أمر كلاً من البر والبحر أن يجمع ما فيه وقال الله له : قم فإذا هو إنسانٌ قائم فقال له : ما حملك على ذلك ؟ قال : خشيتك يا رب ، فرحمه الله ، وهذا الحديث فيه كلامٌ لأهل العلم فبعض العلماء يقول : هذا في شرع من قبلنا ، وأُجيب بأجوبةٍ ولكن أصح ما قيل فيه ما قرَّره شيخ الإسلام ابن تيمية : أن هذا الرجل إنما فعل ذلك عن جهل وأنه ظن أنه يفوت الله إذا وصل لهذه الحالة ، فالرجل غير منكرٍ للبعث وغير منكرٍ لقدرة الله وهو يعلم أنه لو تُرِك و لم يُحرق و لم يُسحق فإن الله يبعثه ، يعتقد هذا ، لكنه أنكر كمال تفاصيل القدرة وظن أنه إذا وصل لهذه الحالة وأُحرق وسُحق وذُرّ أنه يفوت على الله ولا يدخل تحت القدرة ، والذي حمله على ذلك ليس هو العناد ولا التكذيب وإنما الجهل مع الخوف العظيم فغفر الله له ، فلو كان عالماً و لم يكن جاهلاً لم يُعذر ولو كان معانداً لم يُعذر ولكنه ليس معانداً ولا عالماً فاجتمع فيه الجهل والخوف العظيم فرحمه الله وغفر له ، فهذه مسألة خفية دقيقة بالنسبة إليه . انتهى

وقال الشيخ ناصر العقل / إذا لبَّس عليه علماء الشرك فصار مغطىً عليه ولا يبصر الحق من تلبيس علماء السوء الذين يلبسون عليه ويحسنون له الشرك ، قال بعض العلماء: إنه يعذر في هذه الحالة ولكن يعامل في الدنيا معاملة المشركين ، لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم ، وفي الآخرة أمره إلى الله ، حكمه حكم أهل الفترات ، وهذا هو الذي ذهب إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله قال: لا نكفر أحداً حتى تقوم عليه الحجة . وقال آخرون من أهل العلم: إنه لا يعذر أحد بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الله بعث الرسول وأنزل القرآن ، والقرآن يتلى والنصوص واضحة في

بيان الشرك والتحذير منه فلا يعذرون وهما قولان لأهل العلم ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره ، وعلى كل حال من يقول إنه يعذر، يقول: في الدنيا يعامل معاملة المشركين لا يغسل ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن مع المسلمين في مقابرهم ، ولا يتصدق عنه ، ولا يحج عنه، ولا يدعى له بالمغفرة والرحمة ، أما في الآخرة فأمره إلى الله. انتهى

ويمكن تلخيص كلام العلماء في أنه لا يعذر المشرك بالجهل إلا إذا نشأ في بلادٍ بعيدةٍ عن المسلمين وعن أهل العلم و لم يستطع الوصول إليهم لضيق ذات اليد أو لغير ذلك من الأسباب وهو يريد الحق ويسعى جاهداً في تحصيله ، أو يلبَّس عليه علماء السوء بالشبه ثم لا يجد من يبين له الحق مع طلبه له جاهداً فهذا يعذر لقوله تعالى {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإسراء ويمتحن في الآخرة فإن أجاب دخل الجنة وإلا دخل النار ، وأما إن كان لا يريد الحق ولا يسعى في البحث عنه فهذا لا يعذر ولو لم يكن مستطيعاً الوصول إليه لأنه لا يريده وقد أعرض عنه وقد قال تعالى { وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ} (٣) سورة الأحقاف

* * *

((حكم أهل الفترة))

أهل الفترة يمتحنون في الآخرة فيقال لهم ادخلوا النار فمن دخلها أخرجه الله منها ومن أبى أدخله الله إياها ، وإنما نجاتهم وهلاكهم على وفق علم الله بهم لو أرسل لهم رسولاً فمن كان في علم الله أنه سيطيعه فسينجيه الله في هذا الامتحان ومن كان في علم الله أنه لن يطيعه فسيهلكه الله في هذا الامتحان ، لكن قد وردت أحاديث عن بعض أهل الفترة أنهم في النار كإخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن والديه وجده وغيرهم بأنهم في النار فكيف يمكن الجمع بينها وبين أحاديث امتحان أهل الفترة وقوله تعالى{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ

حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإسراء ؟ أجاب عن ذلك الإمام النووي فقال : من مات على ما كان عليه العرب من عبادة الأوثان فهو من أهل النار وليس هذا مؤاخــذةٌ قبــل بلــوغ الدعوة فإن هؤلاء كانت قد بلغتهم دعوة إبراهيم وغيره من الأنبياء صــلوات الله تعــالى وسلامه عليهم (نقله الألباني في حاشية صحيح السيرة ص٢٥)

وقال بن كثير : إخباره صلى الله عليه وسلم عن أبويه وجده عبد المطلب بأنهم من أهــل النار لا ينافي الحديث الوارد من طرقٍ متعددة أن أهل الفترة والأطفال والمجانين والصــم يمتحنون في العرصات يوم القيامة كما بسطناه سنداً ومتناً في (تفســيرنا) عنــد قولــه تعالى{وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً} (١٥) سورة الإســراء فيكون منهم من يجيب ومنهم من لا يجيب فيكون هؤلاء من جملة من لا يجيب فلا منافاة ولله الحمد والمنة .(صحيح السيرة النبوية ص٢٨)

وقال الألباني في الحاشية : جمع جيد جداً لأنه وإن كان من الممكن افتراض أن بعض مــن كان في الجاهلية قد بلغتهم الدعوة فمن الممكن أن نفترض أن بعضهم لم تبلغــه وحينئــذٍ فأمامه الامتحان في عرصات القيامة فمن نجح فقد نجا وإلا فقد هلك وعلى هذا النوع من الهالكين تحمل الأحاديث التي صرحت بعذاب بعض من مات في الجاهلية •

((أحاديث أهل الفترة))

١-عن الأسود بن سريع وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم (أربعةٌ يحتجون يوم القيامة رجلٌ أصم لا يسمع شيئاً ورجلٌ أحمق ورجلٌ هــرم ورجلٌ مات في فترة فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً وأما الأحمق فيقول رب جاء الإسلام وما أعقل شيئاً والصبيان يحذفونني بالبعر وأما الهرم فيقــول رب لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول

فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها سحب إليها) أخرجه أحمد وبن حبان وصححه الألباني انظر حديث رقم (٨٨١) في صحيح الجامع.

٢- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بأربعةٍ يوم القيانة بالمولود وبالمعتوه وبمن مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز فيقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أين ندخلها ومنها كنا نفر قال ومن كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً قال فيقول تبارك وتعالى أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار) رواه أبو يعلى وأبو بكر البزار وقال الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٢٤٦٨) صحيح بطرقه

* * *

((حكم الأطفال في الآخرة))

اختلف العلماء في أطفال المشركين على أقوال :

القول الأول / أنهم في النار مع آبائهم مستدلين بما يلي :

١- عن سلمة بن قيس الأشجعي رضي الله عنه قال: أتيت أنا وأخي النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: إن أمنا ماتت في الجاهلية ، وكانت تقري الضيف ، وتصل الرحم ، وإنها وأدت أختاً لنا في الجاهلية لم تبلغ الحنث. فقال(الوائدة والموؤودة في النار إلا أن تدرك الوائدة الإسلام فتسلم) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٧١٤٣) ومشكاة المصابيح رقم (١١٢)

٢-عن علي رضي الله عنه قال سألت خديجة رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولادها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (هم في النار) فلما رأى ما في وجهها قال لو رأيت مكانهم لأبغضتهم قالت قلت فأولادي منك قال (في الجنة والمشركون وأولادهم في النار) ضعفه الألباني في ظلال الجنة انظر حديث رقم (٢١٣)

٣-وعن عائشة أنها ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أطفال المشركين فقال (إن شئت أسمعتك تضاغيهم في النار) قال الألباني في السلسلة الضعيفة موضوع انظر حديث رقم (٣٨٩٨)

القول الثاني / أنهم في الجنة مستدلين بما يلي :

١- عن سمرة وأنس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أولاد المشركين خدم أهل الجنة) رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني انظر حديث رقم: ٢٥٨٦ في صحيح الجامع ورواه سعيد بن منصور عن سلمان موقوفاً عليه انظر حديث رقم: ١٠٢٤ في صحيح الجامع.

٢- وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر أن يقول لأصحابه هل رأى أحدٌ منكم من رؤيا فيقص عليه ما شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة (إنه أتاني الليلة آتيان وإنهما ابتعثاني وإنهما قالا لي انطلق ...) وفيه فقال (وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فإنه إبراهيم وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة قال فقال بعض المسلمين يا رسول الله وأولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولاد المشركين ...) الحديث بطوله رواه البخاري

الثالث / أنهم يمتحنون كبقية أهل الفترة مستدلين بما يلي :

١- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤتى بأربعةٍ يوم القيامة بالمولود وبالمعتوه وبمن مات في الفترة والشيخ الفاني كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تبارك وتعالى لعنق من النار ابرز فيقول لهم إني كنت أبعث إلى عبادي رسلاً من أنفسهم وإني رسول نفسي إليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يارب أين ندخلها ومنها كنا نفر قال ومن

كتب عليه السعادة يمضي فيقتحم فيها مسرعاً قال فيقول تبارك وتعالى أنتم لرسلي أشد تكذيباً ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار) رواه أبو يعلى وأبو بكر البزار وقال الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٢٤٦٨) صحيح بطرقه

٢-عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مولود ألا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين) رواه البخاري ومسلم

وهذا هو الراجح لأنه يجمع بين النصوص فتكون الأحاديث التي تذكر أنهم في الجنة هم من سبق في علم الله أنهم يعملون بعمل أهل الجنة وعند الامتحان يوم القيامة يطيعون والعاصين في الامتحان الأخروي هم الذين سبق في علم الله أنهم يعملون بعمل أهل الضلالة لو عاشوا وعليهم تحمل الأحاديث في كونهم مع آبائهم المشركين وهذا الذي رجحه بن كثير في تفسيره ، وأما حديث الرؤيا الذي في البخاري فهو عن البرزخ فيكون مكثهم عند إبراهيم عليه السلام مدة البرزخ ويوم القيامة يمتحنون والعلم عند الله

واختلفوا في أطفال المسلمين على أقوال :

القول الأول / التوقف لما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبيٍ من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفورٌ من عصافير الجنة لم يعمل السوء و لم يدركه قال (أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم) رواه مسلم

القول الثاني/ أنهم من أهل الجنة قال بن كثير : حكى القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي عن الإمام أحمد أنه قال: لا يختلف فيهم أنهم من أهل الجنة ، وهذا هو المشهور بين الناس ، وهو الذي نقطع به إن شاء الله عز وجل فأما ما ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر عن

بعض العلماء أنهم توقفوا في ذلك وأن الولدان كلهم تحت المشيئة ، قال أبو عمر: ذهب إلى هذا القول جماعة من أهل الفقه والحديث ، منهم حماد بن زيد وحماد بن سلمة وبن المبارك وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، وقال : وهو يشبه ما رسم مالك في موطئه في أبواب القدر ، وما أورده من الأحاديث في ذلك، وعلى ذلك أكثر أصحابه، وليس عن مالك فيه شيء منصوص إلا أن المتأخرين من أصحابه ذهبوا إلى أن أطفال المسلمين في الجنة وأطفال المشركين خاصة في المشيئة ، انتهى كلامه ، وهو غريب جداً ، وقد ذكر أبو عبد الله القرطبي في كتاب التذكرة نحو ذلك أيضاً، والله أعلم. انتهى (ذكره بن كثير في التفسير عند قوله تعالى ((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)) .

وقد روي الإجماع على القول الثاني وأن الحديث في القول الأول المقصود منه منع عائشة رضي الله عنها أن تشهد لمعين بالجنة أو النار ولو كان طفلاً لأنه قد يكون والديه منافقين أو يرتدا أو غير ذلك فيكون حكمه حكم أطفال الكفار فلا يعلم العواقب وما في النفوس إلا الله .

((من أنواع الشرك : الرياء))

الرياء / هو أن يعمل العمل الصالح ليمدحه الناس ويثنوا عليه .

وهو داءٌ خطير وشرٌ مستطير ، هو الشرك الخفي كما جاء في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر المسيح الدجال فقال (ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟) فقلنا بلى يا رسول الله فقال (الشرك الخفي أن يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل) رواه ابن ماجه والبيهقي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٠) وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال : انطلقت مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا أبا بكر للشرك فيكم أخفى من دبيب النمل) فقال أبو بكر وهل الشرك

إلا من جعل مع الله الهاً آخر قال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده للشرك أخفى من دبيب النمل ألا أدلك على شيءٍ إذا قلته ذهب عنك قليله وكثيره قل اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) رواه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني حديث رقم (٧١٦) وانظر صحيح الجامع حديث رقم (٣٧٣١) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (من سمَّعَ سمَّعَ الله به ومن يرائي يرائي الله به) متفق عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتي به فعرفه نعمه فعرفها قال فما عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار . رواه مسلم فهذه الأحاديث تدلُّ على شدة خطر الرياء وأنه محبطٌ للعمل الذي يقارنه بحيث يبتدئ العمل رياءً وأما إذا ابتدأ العمل لوجه الله ثم طرأ عليه الرياء فهذا إن كان العمل مرتبطاً بعضه ببعض كالصلاة مثلاً فإنه يبطل كله كأن يصلي ركعة ثم في الركعة الثانية يعلم بوجود رجلٍ صالح فيرائي فيما تبقى من صلاته فهذا تبطل صلاته كلها لارتباط أولها بآخرها ، وأما إن كان العمل لا يرتبط بعضه ببعض كالصدقة فلا يبطل مثل أن يتصدق بمائة ريال ثم يعلم بوجود رجلٍ صالح فيتصدق بمائة أخرى رياءً فهنا لا تبطل المائة الأولى لعدم ارتباطها بالمائة الأخرى التي حصلت بعد الرياء ، والحقيقة أنه عند النظر في الأحاديث يدرك الرجل أنه قد يكون مرائياً وهو لا يشعر لذا سمي بالشرك الخفي ومن

تدبر حديث الثلاثة الذين تسعر بهم النار علم أنهم لم يكونوا يشعرون بريائهم وإلا فإن المسلم في الدنيا متيقنٌ أن ربه يعلم البواطن والخفايا ويمقت الكذب على الناس فكيف بالكذب عليه فكيف وقد رأوا ربهم في الآخرة فلا شك أنهم أحرص على عدم الكذب عليه لئلا يعاقبهم ويمقتهم على كذبهم ، فتبين أنهم قالوا ما قالوا وهم شبه متيقنين أنهم صادقين وأنهم ليسوا بمرائين لكن حقيقتهم أنهم مرائين وأنهم يراءون وهم لا يشعرون ، فلزم على المؤمن أن يفتش في قلبه جيداً هل لأحدٍ فيه شركٌ مع الله لعله داخله الرياء وهو لا يشعر .

((من أنواع الشرك : الحلف))

لا يجوز الحلف إلا بالله أو باسمٍ من أسمائه أو بصفةٍ من صفاته ودليل ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحح الترغيب والترهيب حديث رقم (٢٩٥٢) وقال صلى الله عليه وسلم (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت) متفق عليه وعن قتيلة امرأة من جهينة أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : انكم تنددون وإنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت وتقولون والكعبة فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا ورب الكعبة ويقولون ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه الألباني في السلسلة الصحييحة حديث رقم (١٣٦) وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لأن أحلف بالله كاذبًا أحب إلي من أن أحلف بغيره وأنا صادق)رواه الطبراني

وصححه الألباني موقوفاً انظر حديث رقم (٢٩٥٣) في صحيح الترغيب والترهيب ومن الأمثلة على الحلف بغير الله كأن يقول : والنبي ، وحياة النبي ، والكعبة ، والأمانة ، وشرفي ، وحياتي ، وشرف الولي الفلاني أو وكرامته ونحو ذلك .

والحلف بغير الله من الشرك الأصغر إلا إذا صاحبه تعظيم المحلوف به كتعظيم الله تعالى فإنه يكون شركاً أكبر ، والملاحظ من عباد القبور والأولياء أنهم يعظمون من يحلفون به من دون الله كتعظيم الله أو أشد بل لو طُلِبَ من أحدهم أن يحلف بالله كاذبًا لفعل دون ترددٍ ولا خوفٍ لكن لو طُلِبَ منه أن يحلف بالولي الفلاني كاذباً فإنه يضطرب ويتلكأ ولا يفعل، وهذا يدلُّ على أنه يعظم هذا الولي أعظم من تعظيم الله جل وعلا فانظر إلى الضلال المبين .

وكفارة الحلف بغير الله أن يقول : لا إله إلا الله ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم (من حلف منكم فقال في حلفه واللات والعزى فليقل : لا إله إلا الله) متفق عليه

وينبغي عدم الإكثار من الحلف لأن ذلك منافٍ لكمال تعظيم الله تعالى واحترام أسمائه وصفاته وذلك لأن الحلف به أمرٌ عظيم فلا ينبغي أن يقال إلا على تأكيد الأشياء العظيمة المهمة وأما ما عداها فينبغي تتريه أسماء الله وصفاته عنها قال تعالى { وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ } (٨٩) سورة المائدة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للكسب) رواه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمطٌ زان ، وعائلٌ مستكبر ، ورجلٌ جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٠٧٢)

ولا يجوز الحلف بآيات الله إذا كان مراد الحالف الآيات الكونية كالشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والليل والنهار ، فهذه الأشياء مخلوقة ولا يجوز الحلف بشيءٍ من المخلوقات .

وأما الآيات الشرعية وهي آيات القران فيجوز الحلف بها لأنها من كلام الله تعالى وكلامه تعالى صفة من صفاته ، وقد تقدم أنه يجوز الحلف بالصفة ، فتقول وآيات ربي ، وكلام ربي لكن لا يجوز الحلف بالمصحف ولا برب المصحف لأن المصحف يشتمل على ورقٍ وحبرٍ وغير ذلك مما هو مخلوق ولا يجوز الحلف بالمخلوق ، ويشتمل أيضاً على آيات وهي كلام الرب جل وعلا وكلامه صفةٌ منه ليست بمخلوقة وحينئذٍ لا يجوز أن تقول ورب المصحف لأن ما في المصحف كلام الرب وليس من مخلوقاته ولو فعلت لشابهت المعتزلة الذين يقولون القران مخلوق ويجوز الحلف برب المخلوق فتنبه لهذا .

تنبيه / بعضهم يقول : في ذمتي أو في رقبتي ونحو ذلك فإن كان يقصد الحلف بها فلا يجوز لكونها مخلوقة وإن قصد تحمل المسئولية وأنه يتعهد بصحة ما قال فلا حرج لأنه لا يكون مراده الحلف والعلم عند الله .

* * *

((حكم التمائم))

التمائم : هي كل ما يعلق أو يوضع ويعتقد فيه أنه يجلب خيرًا أو يدفع شرًا مثل ما يعلق على الصبيان وفي رقاب الدواب اتقاء العين . وما يوضع في الدار لاتقاء شر الحاسدين أو اتقاء الجن والشياطين ونحو ذلك (انظر إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤالٍ وجواب للسعيدان ١/٥٤)

والتمائم محرمة سواءً كانت تحتوي على طلاسم شركية واستعانات بالجن والموتى وغيرهم وهذه تسمى التمائم الشركية وتحريمها مجمعٌ عليه ، أو كانت التمائم من القران والسنة على الراجح من أقوال أهل العلم لعموم الأحاديث الواردة في النهي عنها ولا دليل

على الجواز إلا ما روي عن عبد الله بن عمرو أنه كان يعلق على بنيه تمائم من القـــران ، فلا شك أن هذا اجتهادٌ منه وهو اجتهادٌ خاطئ لعموم الأدلة الدالة علـــى النـــهي عـــن التمائم كقوله صلى الله عليه وسلم (من علق تميمة فقد أشرك) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٤٥٥) وفي صحيح الجامع حديث رقم (٦٣٩٤) ونصه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنـــه جاء في ركبٍ عشرةٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايع تسعةً وأمسك عن رجـــلٍ منهم فقالوا ما شأنه فقال إن في عضده تميمة فقطع الرجل التميمة فبايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (من علق تميمة فقد أشرك) وعن عيسى بن حمزة قال دخلت على عبد الله بن حكيم وبه حمرة فقلت ألا تعلق تميمة فقال نعوذ بالله من ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من علق شيئاً وكل إليه) رواه أبو داود والترمذي إلا أنه قال فقلنا ألا تعلق شيئاً فقال الموت أقرب من ذلك . حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حـــديث رقـــم (٣٤٥٦) وعـــن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت : كانت عجوزٌ تدخل علينا ترقـــي من الحمرة وكان لنا سريرٌ طويل القوائم وكان عبد الله إذا دخل تنحنح وصوت فـــدخل يوماً فلما سَمِعَتْ صوته احتجبت منه فجاء فجلس إلى جانبي فمسني فوجد مس خـــيطٍ فقال ما هذا فقلت رقى لي فيه من الحمرة فجذبه وقطعه فرمى به وقال لقد أصبح آل عبد الله أغنياء عن الشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الرقي والتمـــائم والتولة شرك) قلت فإني خرجت يوماً فأبصرني فلانٌ فدمعت عيني التي تليه فإذا رقيتـــها سكنت دمعتها وإذا تركتها دمعت قال ذاك الشيطان إذا أطعته تركك وإذا عصيته طعـــن بإصبعه في عينك ولكن لو فعلت كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خيراً لك وأجدر أن تشفين تنضحين في عينك الماء وتقولين أذهب البأس رب الناس اشـــف أنـــت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) رواه أبو داود وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقـــم (١٦٣٢) زاد بن حبان : قالوا يا أبا عبد الرحمن هذه الرقى والتمائم قد عرفناهما فما التولة قال شيءٌ تصنعه النساء يتحببن إلى أزواجهن . صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقـــم (٣٤٥٧) وعن أبي بشير الأنصاري أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رســـولاً (

ألا يبقين في رقبة بعيرٍ قلادةً من وترٍ أو قلادة إلا قطعت) متفق عليه وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما : أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حلقةٌ من صفرٍ فقال ما هذه الحلقة قال هذه من الواهنة قال انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً) رواه بن ماجة وأحمد وزاد (انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا) ورواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب حديث رقم (٢٠١٥) وعن عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من تعلق تميمةً فلا أتم الله له ومن تعلق ودعةً فلا ودع الله له) رواه البيهقي وبن حبان والحاكم وصححه وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة حديث رقم (١٢٦٦) ولابن أبي حاتم عن حذيفة أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى{وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ} (١٠٦) سورة يوسف وعن رويفع بن ثابت رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم (يا رويفع لعل الحياة ستطول بك بعدي فأخبر الناس أن من عقد لحيته أو تقلد وتراً أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظم فإن محمداً منه بريء) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٩١٠)

فهذه الأدلة تفيد تحريم التمائم مطلقاً بلا تمييزٍ بين ما كان من الكتاب والسنة وما كان من دونهما ومن أجاز التمائم من الكتاب والسنة فعليه الدليل ، وفعل الصحابي ليس بحجة إذا خالف النص ، وقد يؤدي تعليق التمائم من الكتاب والسنة إلى امتهانهما كأن تعلق على طفل فيلوثهما بالنجاسات أو نحو ذلك ثم إن تعليق التمائم من الكتاب والسنة يؤدي إلى فتح باب تعليق التمائم من غيرهما وقد جاء الدين بسد الذرائع المفضية إلى الحرام .

ثم من علق التمائم إن كان يعتقد أنها تجلب الخير أو تدفع الشر بذاتها فهذا شركٌ أكبر ، وإن كان يعتقد أن الله هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر وأن هذه التمائم مجرد سبب فهذا شركٌ أصغر لأنه اعتقد سببًا ما ليس بسببٍ لا شرعًا ولا قدرًا . (انظر إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤالٍ وجواب للسعيدان ١/٥٧)

* * *

((حكم الرقى))

الرقى : جمع رقية وهي التداوي بالقراءة والنفث .

وهي نوعان :

١-رقى شركية / وهي ما اشتملت على الاستعانة والاستعاذة والاستغاثة بالشياطين والأولياء وغيرهم أو كانت برموز وتمتمات غير واضحة وهذا النوع لاشك في تحريمه وأنه من الشرك كما قال صلى الله عليه وسلم (إن الرقى والتمائم والتولة شرك) رواه أبو داود وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٦٣٢)

٢-رقى شرعية / وهي ما كانت بالقرآن والسنة والأدعية الصحيحة فهذه جائزة فعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : كنا نرقي في الجاهلية فقلنا يا رسول الله

كيف ترى في ذلك ؟ فقال (اعرضوا علي رقاكم لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شـــرك) رواه مسـلم وقد رقى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال (بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله أرقيـــك) رواه مسـلم وعن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة يعـــني صفرة فقال (استرقوا لها فإن بها النظرة) متفق عليه

وقد اشترط للرقية الشرعية ثلاثة شروط :

الأول / أن تكون من الكتاب والسنة الصحيحة .

الثاني / أن تكون بلسانٍ عربي مبين .

الثالث / أن يعتقد أنها لا تؤثر بذاتها وإنما هي سبب والشافي هو الله تعالى .

مسألة : العين حق وإذا عُرِفَ العائن فإنه يؤمر بالاغتسال كما ورد عن أبي أمامة بـــن سهل بن حنيف قال : مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهـــو يغتســـل فقـــال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث أن لبط به فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له أدرك سهلاً صريعاً قال من تتهمون به قالوا عامر بن ربيعة قال علام يقتل أحـــدكم أخـــاه إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة ثم دعا بماءٍ فأمر عامراً أن يتوضأ فغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه قال ســفيان قـــال معمر عن الزهري وأمره أن يكفأ الإناء من خلفه . رواه بن ماجة وصححه الألباني حديث رقـم (٣٥٠٩) وقـــال بعض أهل العلم إذا أخذ شيئاً من آثاره أو من سؤره ، واغتسل به فإنـــه نـــافع ، وإذا لم يعرفه فالرقية شافيةٌ بإذن الله مع إكثار دعاء الرب جل وعلا ، وينبغي علـــى العبـــد أن يتحصن بالأذكار التي تقيه شرور شياطين الانس والجآن .

تنبيه / لا يجوز للرقاة ولا غيرهم الاستعانة بالجن لأنهم أهل مكرٍ وخـــداع فيســـاعدون

الراقي في بداية الأمر حتى يعلقونه بهم فيصبح غير مستغنٍ عنهم فيوقعونه في المنكرات من حيث لا يشعر ٠

ولا يجوز للرقاة مس النساء الأجنبيات بحجة العلاج ولا يقيسون أنفسهم على الأطباء فإن الطبيب يعتمد على علمٍ جسدي يحتاج من خلاله لمس البشرة بخلاف الراقي فإن اعتماده على العلم الشرعي وهو قراءة القران والأدعية الثابتة من السنة ولا تعلق له بعلم الجسد ولم يرد أن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أحدٌ من أصحابه ولا من الأئمة المقتدى بهم مسوا المرأة أثناء القراءة عليها فيبقى الحكم على الأصل وهو التحريم ، فإن كان القارئ عنده علمٌ بالطب الجسدي كطب الأعشاب وهو ما يسمى بالطب البديل ويحتاج إلى تشخيص المرض لمعرفته وإعطاء المريض أدوية حسية قبل القراءة عليه جاز له المس من أجل ذلك بقدر الضرورة والله أعلم ٠

* * *

((أحكام البركة والتبرك))

التبرك : طلب البركة ، والبركة لغة: النماء والزيادة ٠

اصطلاحاً / كثرة الخير وثبوته ودوامه

وينبغي أن يعلم أن البركة كلها من الله ، كما أن الرزق والنصر والعافية من الله فلا تُطلب إلا من الله ، وطلبها من غيره شرك . وأما ما ورد شرعاً أن فيه بركة من الأعيان والأقوال والأفعال إنما هو سببٌ للبركة وليس مصدرها ، والله جل وعلا يصطفي من مخلوقاته ما يشاء فيجعل فيها بركة كما قال تعالى {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} (٧٣) سورة هود وقوله تعالى {قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا وَبَركَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٤٨) سورة هود وقوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام {وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ} (١١٣)

سورة الصافات وليس لأحدٍ من المخلوقات أن يدعي في شيءٍ من المخلوقات بركةً لم يذكرها الله فيها قال تعالى {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} (٦٨) سورة القصص

ولذا لا يطلق تبارك إلا على الله وحده وقد اختُلِفَ في معناه فقيل أي تعالى وتعاظم وقيل تقدس وقيل جعل البركة في غيره وقيل تفاعل من البركة التي هي كثرة الخير أي أن خير الله قد كثر وعمَّ وثبت ودام وهو الذي رجحه بن القيم وأنكر أن يكون معناه جعل البركة في غيره لأن اللفظة لازمةٌ وهذا متعدٍ وقال الأقرب أنها للوصف لا للفعل كقول (تعالى) أي تفاعل من العلو ولهذا يقرن بين هذين اللفظين فيقال (تباركت وتعاليت) (التبرك أنواعه وأحكامه لناصر الجديع ص٣٥) قلت : لا وجه لإنكار بن القيم فإن أهل العلم قد قالوا تحمل الآية على كل المعاني التي تحتملها ولا خلاف بين المسلمين أن الله عز وجل هو الذي جعل من مخلوقاته أشياء مباركة فيكون معنى تبارك والله أعلم : أي الذي كثر خيره وعمَّ وانتشر حتى جعل من مخلوقاته من يخرج منه الخير وذلك من كمال جوده وكرمه .

وأعظم أسباب البركات الإيمان والتقوى كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (٩٦) سورة الأعراف

والتبرك نوعان :

النوع الأول / تبركٌ مشروع: وهو ما توفرت فيه الشروط التالية:

١- ورود الدليل الشرعي على أن هذه الأعيان والأوصاف مباركة ، لأن هذا أمر توقيفي متوقف على ثبوت الدليل من الكتاب والسنة.

٢- اعتقاد أن البركة من الله تبارك وتعالى ، وأن هذه الأعيان والأوصاف إنما هي أسبابٌ للبركة ، فقد يتحقّق الشيء عند وجود سببه وقد يتخلف لحكمةٍ يعلمها الله تعالى.

النوع الثاني / تبركٌ ممنوع : وهو ما افتقد الشرطين السابقين أو أحدهما مثل اعتقاد البركة في بعض القبور والمغارات والغيران والأحجار والأشجار وبعض الأماكن والأشخاص كالتبرك بذوات العلماء والصالحين ، فإن هذا كله لا يجوز ، فعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة حنين مرَّ بشجرةٍ للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط . فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم . رواه الترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٤٠٨) وفي صحيح الجامع حديث رقم (٣٦٠١)

والتبرك المشروع يكون بالأشخاص وبالأماكن وبالأزمنة وبأقوالٍ وأفعالٍ مخصوصة فالتبرك بالأشخاص نوعين :

الأول / التبرك بذواتهم وما انفصل منهم كريقٍ وشعرٍ وفضل وضوءٍ ونحو ذلك وهذا النوع خاص بالأنبياء والمرسلين لا يشركهم فيه غيرهم ولذلك لم يكن الصحابة أو التابعين يتبركون بغير النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود أكابر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم .

والأدلة على صحة هذا النوع من التبرك :

١-تبرك الصحابة رضي الله عنهم بفضل وضوء النبي صلى الله عليه وسلم ونخامته كما في البخاري في قصة صلح الحديبية أنه (ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه)

٢- عن أنس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة

جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء فما يأتون بإناءٍ إلا غمس يده فيها فربما جاؤوه بالغـداة الباردة فيغمس يده فيها . رواه مسلم .

٣- عن أنس أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى فنحر ثم قال للحلاق (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن ثم الأيسر ثم جعل يعطيه النـاس . رواه مسلم

٤- عن أنسٍ أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخل بيت أم سليم فينـام علـى فراشها وليست فيه ، قال : فجاء ذات يوم فنام على فراشها فأتت فقيل لها : هذا النـبي صلى الله عليه وسلم نام في بيتك على فراشك ، قال : فجاءت وقد عرق واستنقع عرقـه على قطعة أديم على الفراش ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلـك العـرق فتعصـره في قواريرها ففزع النبي صلى الله عليه وسلم فقال (ما تصنعين يا أم سليم) فقالـت : يـا رسول الله نرجوا بركته لصبياننا . قال (أصبت) رواه مسلم

٥- عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال أرسلني أهلي إلى أم سلمة رضـي الله عنـها بقدحٍ من ماء وكان إذا أصاب الإنسان عينٌ أو شيء بعث إليها مخضبه فأخرجـت مـن شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تمسكه في جلجل من فضة فخضخضته لـه فشرب منه. رواه البخاري .

٦-عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا اشتكى يقرأ علـى نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه وأمسح بيده رجاء بركتـها رواه أبوداود وبن ماجة وصححه الألباني

٧- عن عبد الله بن مسعود قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فقـل الماء فقال اطلبوا فضلةً من ماء فجاءوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليل فأدخل يده في الإنـاء ثم قـال (حي على الطهور المبارك والبركة من الله) فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه البخاري في كتاب الأشربة باب شرب البركة وهذا النوع قد انقطع بعد موت الـنبي

صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من أجزاء عينية باقية بيقين بعد موته عند أحد ، وقد ذهب ذلك المتيقن مع انقراض القرون الفاضلة ، وما يدَّعى أنه من آثار النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العصر فهو مشكوكٌ فيه والأقرب عدم صحته وذلك لأسباب :

١-أن الصحابة كانوا يدفنون ما وجد معهم من آثار النبي صلى الله عليه وسلم معهم في قبورهم تبركاً بها كما أوصى أحدهم أن تكون بردة النبي صلى الله عليه وسلم كفنه وكما أوصى أنيس أن تدفن معه العصا التي أهداها له النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل السفياني وأخبره أنه يتوكأ بها في الجنة وغير ذلك .

٢-أنه قد فُقِدَ كثيرٌ من آثار النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت عند خلفاء بني العباس كالبردة وغيرها حين قدم التتار وأحرقوا عاصمة الخلافة العباسية بما فيها من آثار .

٣-تقادم العصور وكثرة الفتن والقلاقل التي حدثت في البلاد الإسلامية وانتقال الملك من قومٍ إلى آخرين وكل فريقٍ يحقد على الآخر ولا شك أنه سيزيل ما لديه من ممتلكات لئلا يمتلكها الآخر .

٤-وجود الكذب في أحاديث الرسول فكيف بآثاره .

تنبيه / ولا تنتقل هذه البركة إلى الآثار الأرضية التي مرّ بها النبي صلى الله عليه وسلم أو صلى أو جلس عليها ونحو ذلك لأن هذا النوع من التبرك لم يكن في عهده صلى الله عليه وسلم، فلم ينقل عن أحدٍ أنه تبرك في زمانه بأثرٍ له أرضي أو لغيره من الأنبياء قبله، وإذا لم ينقل مع توافر الدواعي عُلِمَ أنه لم يكن في زمانه صلى الله عليه وسلم هذا النوع من التبرك . وأما ما ورد عن ابن عمر رضي الله عنه أن كان يتحرى النزول في المواقع التي نزل فيها النبي صلى الله عليه وسلم والصلاة في المواقع التي صلى فيها ، فهذا من ابن عمر من باب تمام الاقتداء والتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم ، لا من باب التبرك بأماكن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم إن هذا اجتهاد من ابن عمر رضي الله عنه ومعلوم أن شرط العمل بقول الصحابي أو فعله عدم المخالف من الصحابة وقد خولف ابن عمر من أبيه وهو أفضل منه ، بل لم يسايره أحد من الصحابة في مثل هذا الصنيع

وأما طلب عتبان بن مالك من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي له في بيتــه ليتخــذه مسجداً عند تعذر الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسلم عند مسيل الوادي ونزول الأمطار فليس مقصودة التبرك بمكان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك البقعة ، وإلا لبقيت تلك البقعة يتبرك بها من جاء بعده من أهله و لم يحصل فعلم أنه إنما أراد إقراره بالصـلاة بجماعته في هذا المكان عند تعذر الصلاة مع النبي صلى الله عليه وسـلم ، ولقـد كـان الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من تتبع الآثار الأرضية للتبرك بها ، فعن المعرور بـن سويد قال: خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة ، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة ، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً، فقال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل: يـا أمـير المؤمنين مسجدٌ صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هم يأتون يصلون فيه فقال: إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، يتبعون آثار أنبيائهم وصالحيهم فيتخذونها كنائس وبيعـاً من أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل فيها وإلا فلا يتعمدها ٠ رواه سعيد بن منصور وقـال الألبـاني في الثمر المستطاب إسناده صحيح على شرط الستة وروى ابن سعد في الطبقات عن نافع قال: كان النـاس يـأتون الشجرة التي يقال لها شجرة الرضوان فيصلون عندها. فبلغ ذلك عمـر بـن الخطـاب فأوعدهم فيها وأمر بقطعها فقطعت ٠ وعند البخاري قال بن عمر : رجعنا مـن العـام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها كانت رحمـة مـن الله ٠ قـال الألباني : هو نص على أن الشجرة لم تبق معروفة المكان يمكن قطعها من عمر فدل ذلك على ضعف رواية القطع الدال عليه الانقطاع الظاهر فيها نفسها ومما يزيدها ضعفاً مـا روى البخاري في المغازي من صحيحه عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال : لقد رأيـت الشجرة ثم أتيتها بعد فلم أعرفها . ومن طريق طارق بن عبد الرحمن قـال : انطلقـت حاجاً فمررت بقومٍ يصلون قلت : ما هذا المسجد قالوا : هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان فأتيت سعيد بن المسيب فضحك فقال : حـدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة فلما خرجنـا مـن العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها . وفي رواية : فعميت علينا فقال سعيد : إن أصحاب

محمد صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها أنتم فأنتم أعلم . أقول (الكلام للألباني) ولئن كنا خسرنا هذه الرواية المنقطعة كشاهدٍ فيما نحن فيه من البحث بعد التأكد من ضعفها فقد كسبنا ما هو أقوى منها مما يصلح دليلاً لما نحن فيه وهو حديث المسيب هذا وحديث ابن عمر : فقد قال الحافظ في شرحه إياه : والحكمة في ذلك أن لا يحصل بها افتتان لما وقع تحتها من الخير فلو بقيت لما أمن تعظيم بعض الجهال لها حتى ربما أفضى بهم الأمر إلى اعتقاد أن لها قوة نفعٍ أو ضر كما نراه الآن مشاهداً فيما هو دونها وإلى ذلك أشار ابن عمر بقوله : كانت رحمة من الله أي كان خفاؤها عليهم بعد ذلك رحمة من الله تعالى .انتهى من تحذير الساجد للألباني

وأنكر أبو بصرة جميل بن بصرة الغفاري على أبي هريرة لما عاد راجعاً من الطور الذي كلم الله فيه موسى وقال (لو لقيتك قبل أن تأتيه ما جئته سمعت رسول الله يقول (لا تضرب المطايا إلا إلى ثلاثة مساجد) رواه أحمد والنسائي والطحاوي بسندٍ صحيح كما قال الألباني في إرواء الغليل ٢٢٨/٣) ورواه مالك في الموطأ والطبراني في الأوسط وغيرهم فتبين بهذا أن بركة ذوات الأنبياء لا تتعدى إلى الأمكنة الأرضية وإلا لزم أن يكون كل أرضٍ وطئوها أو جلسوا عليها أو طريقٍ مروا بها تطلب بركتها ويتبرك بها، وهذا لم يقل به أحد بل هو خلاف سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء قبله ، فلم يتحروا الآثار الأرضية للأنبياء قبلهم ولا أمروا بتحريها وكل ما كان خلاف ذلك فهو سنة الجاهليين .

وهناك شبهٌ يستدل بها بعض قليلي العلم على جواز التبرك بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنها :

الشبهة الأولى/ أنه حيٌ في قبره فيصح التبرك به والاستشفاع كما يصح في حياته .

الجواب /

١-لا تقاس الحياة البرزخية بالحياة الدنيوية فلكلٍ منهما خصائص وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إتخاذ قبره عيداً ولو جاز التبرك به لاجتمع الناس عنده طلباً للبركة فأصبح

عيداً .

٢-أن الصحابة والتابعين وهم خير القرون لم يرد عن أحدٍ منهم أنه تبرك بقبر النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء عنده مستشفعاً به بل روي عن علي بن الحسين أنه رأى رجلا يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو فدعاه فقال ألا أحدثك بحديثٍ سمعته من أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا عليَّ فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم) رواه بن أبي شيبة وروى سعيد بن منصور عن سهل بن سهيل قال رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال هلم إلى العشاء ، فقلت لا أريده ، فقال ما لي رأيتك عند القبر ؟ فقلت سلمت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال إذا دخلت المسجد فسلم ثم قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء .وروى بن أبي شيبة وبن خزيمة عن سهيل بن أبي سهيل أنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فالتزمه ومسح قال : فحصبني حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا بيتي عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا عليَّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني) وهذا يدلُّ على أن السلف كانوا ينكرون على من قصد القبر للدعاء عنده أو التبرك به فالخير في إتباعهم وترك الابتداع .

٣-أنه ليس هناك دليل على جواز طلب البركة والشفاعة منه بعد وفاته بل الأدلة على تحريم إتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد وأعياد تدل على تحريم ذلك .

الشبهة الثانية / تفسيرهم قوله تعالى{ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} (٦٤) سورة النساء بأن هذا هو طلب الشفاعة

منه بعد موته ٠

الجواب /

١-أن المقصود بالآية في حياة النبي صلى الله عليه وسلم لأن الآية نزلت في شأن المنافقين الذين يريدون التحاكم إلى الطاغوت فيأمرهم الله عز وجل بالتوبة والرجوع تائبين مستغفرين ويعرضوا توبتهم على الرسول لعله يستغفر لهم لأن دعاءه أقرب إلى الإجابة وذلك في حال حياته إذ بعد موته لا يمكن أن يستغفر لأحد ٠

٢-أن أهل القرون الفاضلة وبالأخص الصحابة وهم أعلم الأمة بعد نبيها بتفسير كلام الله لم ينقل عن أحدٍ منهم أنه جاء إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يطلب منه أن يستغفر له ولو كان هذا هو المراد بالآية لكانوا أحرص الناس على تطبيقه ٠

٣-أنه لو كان مشروعاً لكل من أذنب أن يأتي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم تائباً مستغفراً داعياً من النبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر له لكان قبره عيداً يجتمع فيه الفئام من الناس وهذا مخالفٌ لنهيه عن اتخاذ قبره عيداً ٠

الشبهة الثالثة / ما رواه الدارمي أن أهل المدينة أصابهم قحطٌ شديدٌ فشكوا ذلك إلى عائشة رضي الله عنها فقالت : انظروا إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاجعلوا منه كوةً إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقف ففعلوا فمطروا حتى نبت العشب وسمنت الإبل حتى تفتقت من الشحم فسمي عام الفتق ٠

والجواب / أن هذا الحديث قد ضعفه جمعٌ من أهل العلم كابن تيمية والألباني وغيرهم قال الألباني هذا سندٌ ضعيفٌ لا تقوم به حجة لأمورٍ ثلاثة :

أولها : أن سعيد بن زيد وهو أخو حماد بن يزيد فيه ضعف قال فيه الحافظ في التقريب : صدوق له أوهام . وقال الذهبي في الميزان : قال يحيى بن سعيد : ضعيف وقال السعدي : ليس بحجة يضعفون حديثه وقال النسائي وغيره : ليس بالقوي وقال أحمد : ليس به بأس كان يحيى بن سعيد لا يستمرئه .

وثانيها : أنه موقوف على عائشة وليس بمرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولو صح لم تكن فيه حجة لأنه يحتمل أن يكون من قبيل الآراء الاجتهادية لبعض الصحابة مما يخطئون فيه ويصيبون ولسنا ملزمين بالعمل بها .

وثالثها : أن أبا النعمان هذا هو محمد بن الفضل يعرف بعارم وهو وإن كان ثقة فقد اختلط في آخر عمره . وقد أورده الحافظ برهان الدين الحلبي في الاغتباط بمن رمي بالاختلاط تبعاً لابن الصلاح حيث أورده في المختلطين من كتابه المقدمة وقال : والحكم فيهم أنه يقبل حديث من أخذ عنهم قبل الاختلاط ولا يقبل من أخذ عنهم بعد الاختلاط أو أشكل أمره فلم يدر هل أخذ عنه قبل الاختلاط أو بعده . قلت : وهذا الأثر لا يدرى هل سمعه الدارمي منه قبل الاختلاط أو بعده فهو إذن غير مقبول فلا يحتج به ، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على البكري : وما روي عن عائشة رضي الله عنها من فتح الكوة من قبره إلى السماء لينزل المطر فليس بصحيح ولا يثبت إسناده ومما يبين كذب هذا أنه في مدة حياة عائشة لم يكن للبيت كوة بل كان باقياً كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم بعضه مسقوفٌ وبعضهم مكشوف وكانت الشمس تنزل فيه كما ثبت في الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في حجرتها لم يظهر الفيء بعد و لم تزل الحجرة كذلك حتى زاد الوليد بن عبد الملك في المسجد في إمارته لما زاد الحجر في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . . ومن حينئذ دخلت الحجرة النبوية في المسجد ثم إنه بنى حول حجرة عائشة التي فيها القبر جدارٌ عالٍ وبعد ذلك جعلت الكوة لينزل منها من ينزل إذا احتيج إلى ذلك لأجل كنسٍ أو تنظيف . (التوسل ص١٢٩)

الشبهة الرابعة / أن عمر طلب أن يدفن بجانب قبر النبي صلى الله عليه وسلم تبركاً .

الجواب / أن عمر أراد أن يكون قريباً من صاحبيه لشدة حبه لهم وليس في كلامه حين طلب ذلك ما يدل على إرادته التبرك .

الشبهة الخامسة / أن الله أمرنا باتخاذ مقام إبراهيم مصلى فيقاس عليه غيره من الأنبياء بجواز اتخاذ آثارهم مصلى.

الجواب / أن هذا خاصٌ بمقام إبراهيم لورود النص عليه بخلاف بقية آثار الأنبياء فتبقى على التحريم لما تقدم .

الشبهة السادسة / ورد في الصحيحين أن سلمة بن الأكوع كان يتحرى الصلاة عند الإسطوانة التي عند المصحف فَسُئِلَ فقال : رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها .

الجواب / ما قصده النبي صلى الله عليه وسلم من الأماكن والأزمان وتردد على العبادة فيه فيشرع التأسي به في ذلك بلا خلاف كقصد صيام الاثنين والخميس وقصد تقبيل الحجر الأسود ونحو ذلك ، وأما ما فعله لا على وجه التحري والقصد وإنما صادف أن حضر وقت عبادةٍ فصام أو صلى أو جلس في ذلك المكان على طريق سفرٍ أو نحوه فهذا هو الذي لا يجوز تتبعه فيه إذ لم يُرِدْ ذلك جزماً وإلا لبينه أو تردد عليه إذ العبادات مبناها على التوقيف والمنع و لم يرد أن الصحابة فعلوا ذلك مع ترددهم بين مكة والمدينة إلا ما رويَ عن بن عمر وتقدم بيان أنه قد خولف ممن هو أعلم منه وقد جاءت الشريعة بسد الذرائع الموصلة للمحرم ولا شك أن تتبع مثل هذا يؤدي إلى الغلو كما فعل أهل الكتاب ، ثم إن الأزمان والأمكنة التي قصدها النبي صلى الله عليه وسلم وتردد عليها للصلاة أو الصيام أو الدعاء لم يكن الصحابة يتمسحون بها رجاء بركةٍ أو غيرها وإنما يفعلون كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل والخير في اتباع السلف وترك ابتداعات الخلف ، ولقد أحدث المبتدعة من هذه الأمة أموراً يتبين للناظر فيها الحكمة من تحريم تتبع آثار الأنبياء فمن ذلك زعمهم أنه يوجد آثار مواطئ للنبي صلى الله عليه وسلم على صخراتٍ فهم يتبركون بها فصخرةٌ في مصر وأخرى في العراق وثالثةٌ في تركيا وأخرى هنا وهناك

ولقد زارها أحد العلماء فوجد أن لكل صخرةٍ مواطئ أقدامٍ تختلف عن الصخرة الأخرى فتيقن أنها من صنع البشر الذين يستغلون حماقة المغفلين في ابتزاز أموالهم باسم التبرك ونحو ذلك ، ومن البدع إحداث أعياد المولد وتحديد مكان ولادة النبي صلى الله عليه وسلم وأن من زارها في ذلك اليوم حصل له كذا وكذا من الخرافات التي لا دليل عليها و لم تكن معروفةً في القرون المفضلة ومن ذلك شد الرحال لزيارة القبور والتبرك بأهلها وربما عبادتهم وكل ذلك مما نهى عنه الشرع وأمر النبي صلى الله عليه وسلم ألا تشد الرحال (أي للعبادة والقربى) إلا إلى ثلاثة مساجد ونهى عن اتخاذ قبره عيداً وقبور غيره من باب أولى فخالفوا النهي وارتكبوا المحظور بحجة التبرك بل زادوا على مجرد التبرك بالذبح والنذر والطواف وصرف أنواعٍ من العبادة لأهل هذه القبور ، فتبينت الحكمة في المنع عن تتبع آثار الأنبياء والصالحين .

((حكم التبرك بذوات غير الأنبياء))

لا يجوز قياس غير الأنبياء صلى الله عليهم وسلم بهم في جواز التبرك بآثارهم وأجزائهم وذلك لما يلي:

١-عدم المقاربة فضلاً عن المساواة بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين غيره ، فهو قياس مع الفارق فلا يجوز .

٢-عدم التأكد من صلاح من دون النبي صلى الله عليه وسلم لمن لم يشهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه لا يتحقق الصلاح إلا بصلاح القلب وهذا أمرٌ لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص ، وعلى فرض تحقق الصلاح فلا يُدرى بما يُختم للعبد والأعمال بالخواتيم فلا يكون أهلاً للتبرك به ، ثم لو تحققنا أنه مات على الصلاح كمن شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة فلا يتبرك بهم لأن طلب البركة من شيءٍ لا يجوز إلا

بنصٍ يدل على أن هذا الشيء مبارك ويجوز التبرك به ولا دليل على جواز التبرك بغير الأنبياء .

٣-أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك بغير النبي صلى الله عليه وسلم، مع أن منهم من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولم يفعله التابعون بأحد من الصحابة رضي الله عنهم فهو إجماع منهم على عدم جواز ذلك إذ لو جاز لفعله ولو قلة منهم .

٤-أن فعل هذا بغير النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن على المفعول به أن يصيبه العجب والغرور وفي ذلك هلاكه.

وهناك شبهات يستدل بها بعض القائلين بجواز التبرك بذوات الأشخاص من الصالحين غير الأنبياء ومنها :

١-ما روي أن الإمام الشافعي بعث الربيع بن سليمان إلى الإمام أحمد ليبشره أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأنه أمره أن يبشر الإمام أحمد بأنه سيمتحن في القول بخلق القران وأن الله سيرفع له بذلك علماً إلى يوم القيامة فدفع أحمد إلى الربيع أحد ثوبيه بشارة فلما رجع الربيع إلى مصر تبرك الشافعي بغسالة ثوب الإمام أحمد.

والجواب / أن هذه القصة غير صحيحة فقد انكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء عند ترجمته للربيع وفي إسنادها أبا عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي قال عنه الذهبي ليس بالقوي وفي تصانيفه أحاديث وحكايات مكذوبة ، ثم إن الشافعي قد لقي من هو خيرٌ من الإمام أحمد كمالك وسفيان بن عيينة وغيرهم فلم يرد أنه تبرك بهم ، وعلى فرض صحتها فهي زلة عالمٍ أخطأ فلا يتابع .

٢-تحنيك الأطفال وقالوا : لماذا يكون الأفضل أن يقوم بعملية التحنيك وهو : مضغ تمر أو عسل أو شيءٍ حلو وتدليك حَنَك الطفل به من يتصف بالتقوى والصلاح ؟ إنما ذلك تبركاً به وتيمناً بصلاح المولود وتقواه .

والجواب / أن المحنِّك يدعو للمولود بالبركة كما في صحيح مسلم عن عائشة أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم . أي: يـدعو لهـم بالبركة ٠وروى البخاري في الأدب المفرد عن أبي موسى الأشعري قال : ولد لي غـلام فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فسماه إبراهيم فحنكه بتمرةٍ ودعا له بالبركة ودفعـه إليَّ ٠ صححه الألباني ٠ وكونه من أهل الصلاح ليكون أقـرب إلى إجابـة دعـاءه لا لانتقال بركته ٠

تنبيه / زعم غلاة الرافضة ومن تبعهم إن البركة الذاتية تنتقل بالنطفة وهذا زعمٌ باطل فإن بن نوح كان كافراً فلم تنتقل إليه بركة أبيه ولو كان ما قالوه صحيحاً لكان الناس جميعاً فيهم بركةٌ ذاتية لأنهم أبناء آدم وهو نبي ثم أولاد نوح كما قال تعالى {وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ} (٧٧) سورة الصافات ولكان اليهود والنصارى مباركين لأنهم أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام وهذا غير صحيح فتبين بطلان هذا القول ٠

((حكم التبرك بأعمال الأشخاص دون ذواتهم))

يجوز التبرك بأعمال الأشخاص وهي عامة لكل من وافق عمله السـنة مـن المسـلمين وتختلف بحسب إتباعه وموافقته لأمر الله ونهيه ، قال أسيد بن حضير في سبب مشـروعية التيمم : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر ٠ رواه النسائي وصححه الألباني فيه حديث رقم (٣١٠) ومعلوم أنه ما كان أسيد ولا غيره يبتغي من أبي بكرٍ أو آله بركةَ ذاتٍ كما كانوا يفعلونه مـع الـنبي صلى الله عليه وسلم من التبرك بشعره وسؤره وفضل وضوئه ونحو ذلك ، فتبين أنـه أراد ما أنزل الله من خيرٍ بسبب أعمالهم الصالحة فبركتهم من هذه الجهة ٠ وكل مسلم بركته على قدر عمله فمن الناس من لو أقسم على الله لأبره ومنهم من لو دعا بالغيث ونحـوه استجيب له فهذه بركة طاعته لربه وهي غير متعديةٍ لغيره بمعنى لا يُتبرك بذاته بل بدعائـه وبعلمه وبدعوته إلى الخير ، وبركته هي انتفاع الناس بعلمه ودعوته وما ينزل الله من خيرٍ بسبب صلاحه وتقواه ، ولذا قيل يجوز أن يقال : أنت رجلٌ مبارك أو فيـك بركـة أو

زارتنا البركة إذا زارهم رجل صالح ويقصدون بركة دعاءه لهم وما يترل الله بسبب طاعته من بركات على الأرض كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } (٩٦) سورة الأعراف وقال أسيد بن حضير حين فقدت عائشة رضي الله عنها عقدها فحبس الناس لأجلها وليس معهم ماء فشرع التيمم فقال أسيد : ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر . أي ما أنزل الله على أهل الأرض من خيرٍ بسببكم . فالمؤمن التقي الصالح يترل الله بسبب صلاحه وتقواه بركاتٍ على أهل الأرض لاكن لا تطلب البركات منه وإنما تطلب من الله جل وعلا إذ أن هذا العبد الصالح قد لا يدري أن هذه البركات نزلت بسببه ، وهو لا يستطيع جلبها أو منعها ، بل لا يدَّعي الصلاح من كان فيه صلاح إذ هو دائم الخوف والحذر لا يأمن من مكر الله ولا يقنط من رحمته فقلبه بين الرجاء والخوف وأما من ادعى الصلاح من غير الأنبياء فلا شك أن الشيطان قد تلاعب به ، ولقد قال سليمان عليه السلام {وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ} (١٩) سورة النمل

((بعض أنواع التبرك المشروع))

من التبرك المشروع / التبرك بأمرٍ شرعيٍّ مثل التبرك بالقران قال الله تعالى {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ} (٢٩) سورة ص ومِن بركته: حصول الأجر الوافر بقراءته فإن القارئ يحصل بكل حرفٍ يقرأه على حسنة والحسنة بعشر أمثالها ويضاعف الله لمن يشاء ، ومن بركته أن فيه شفاءً من الأمراض الحسية والمعنوية ، ومن بركته أن من تمسك به وعمل بما فيه نجى ومن أعرض عنه ضل ، ومن بركته أنه يكون شفيعاً لصاحبه يوم القيامة ويقدم صاحبه في الإمامة واللحد إلى غير ذلك من البركات .

ومن التبرك المشروع / التبرك ببعض الأمكنة التي ورد النص ببركتها كمكة والمدينة

والشام واليمن وتحصل البركة لمن سكنها إذا قام بحقوق الله فيها وترك ما حرم الله عليه وأما التمسح بأحجارها وأشجارها وتربتها لقصد البركة فهذا ضلال وفاعله مأزورٌ غير مأجور بل هو مشرك ، ولم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه أنهم تبركوا بتربتها أو شجرها أو حجرها فتبين أن المراد ببركتها إقامة شرع الله فيها ولذا لم يدعوا النبي صلى الله عليه وسلم للعراق لكونه مصدر الفتن التي هي خلاف إقامة شرع الله .

ومن الأماكن المباركة المساجد الثلاثة قال تعالى {إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ} (٩٦) سورة آل عمران وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة للمدينة وقال تعالى عن المسجد الأقصى {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } (١) سورة الإسراء وهكذا سائر المساجد والتبرك بها يكون بالصلاة والدعاء فيها وحضور حلق العلم فيها من محاضراتٍ ودروس وليس بالتمسح بالجدران والأبواب والشبابيك والتبرك بالكعبة يكون بالإتجاه إليها عند الصلاة والطواف حولها واستلام الحجر الأسود ومسح الركن اليماني طاعةً لله ورسوله وليس بالتمسح بجدرانها وأخذ شيءٍ من كسوتها ومن الأماكن المباركة ما جاء في قصة موسى كما قال تعالى{فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٣٠) سورة القصص وأما قياس عبَّاد الحجر والشجر جواز التبرك بها على الحجر الأسود والركنين والملتزم فنقول إن تقبيل الحجر الأسود واستلام الركنين والملتزم ليس للتبرك وإنما تعبداً لله بذلك ولذا قال عمر حين قبل الحجر الأسود : والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك . متفق عليه

وقد أنكر بن عباس على معاوية رضي الله عنهم مسحه لبقية أركان البيت وأمره ألا يمسح إلا اليمانيين اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم قال شيخ الإسلام بن تيمية : لا نزاع بين الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة العلم أنه لا يقبل الركنيين الشاميين ولا شيئاً من جوانب البيت فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يستلم إلا الركنين اليمانيين وعلى هذا عامة السلف وقال أيضاً : اتفق العلماء على ما مضت به السنة من أنه لا يشرع الإستلام

والتقبيل لمقام إبراهيم اهـ وقال قتادة : إنما أمروا أن يصلوا عنده و لم يؤمروا بمسحه ٠ وقال النووي : لا يقبل مقام إبراهيم ولا يستلمه فإنه بدعة ٠ وقال بن باز : التمسح بالمقام أو بجدران الكعبة أو بالكسوة كل هذا أمرٌ لا يجوز ولا أصل له في الشريعة و لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم وإنما قبل الحجر الأسود واستلمه واستلم جدران الكعبة من الداخل لما دخل الكعبة ألصق صدره وذراعيه وخده في جدارها وكَبَّرَ في نواحيها ودعا ، وأما في الخارج فلم يفعل شيئاً من ذلك فيما ثبت عنه وإن كانت هناك روايةً أنه التزم الملتزم بين الركن والباب لكن في اسناده نظر وفعله بعض الصحابة والملتزم لا بأس به وهكذا تقبيل الحجر سنة أما كونه يتعلق بكسوة الكعبة أو جدرانها أو يلتصق بها فهذا شيءٌ لا أصل له ولا ينبغي فعله لعدم نقله عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن الصحابة رضي الله عنهم وكذلك التمسح بمقام إبراهيم أو تقبيله كل هذا لا أصل له ولا يجوز فعله لأنه من البدع التي أحدثها الناس أما سؤال الكعبة أو دعاءها أو طلب البركة منها فهذا لا يجوز وهو دعاءٌ لغير الله فالذي يطلب من الكعبة أن تشفي مريضه أو يتمسح بالمقام يرجوا الشفاء منه فهذا لا يجوز بل هو شرك نسأل الله السلامة (فتاوى اسلامية ١/٢٤٣)(نقلت هذه النقولات من التبرك أنواعه وأحكامه للجديع ص٤٢٧) فإذا كان هذا في الكعبة التي هي بيت الله فكيف بمن يرتجي البركة من شجر أو حجر أو عين ماءٍ أو غير ذلك لا شك أن جرمه أعظم وضلاله أبين ، ولما قال الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط وهي شجرةٌ كان الكفار يتبركون بها قال النبي صلى الله عليه وسلم (قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) فجعل التبرك بالشجرة عبادةً لها ٠

ومن التبرك المشروع / التبرك ببعض الأزمنة التي ورد النص ببركتها مثل رمضان وليلة القدر كما قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ} (٣) سورة الدخان ويوم عرفة وثلث الليل الأخير وغير ذلك ٠

ومن التبرك المشروع / التبرك ببعض الأطعمة كاللبن قال النبي صلى الله عليه وسلم (إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأبدلنا خيراً منه وإذا شرب لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فإنه ليس شيءٌ يجزي من الطعام والشراب إلا اللبن) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وبن ماجة وغيرهم وحسنه الألباني انظر حديث رقم (٣٨١) في صحيح الجامع وكذلك الزيت قال تعالى {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ} (٣٥) سورة النور وقال صلى الله عليه وسلم (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ) رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٤٩٨) والحبَّةُ السوداء قال صلى الله عليه وسلم (الحَبَّةُ السَّوْداءُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إلاَّ السَّام) رواه البخاري ومسلم والسام: الموت. وماء زمزم قال صلى الله عليه وسلم (إِنَّها مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْم) رواه مسلم زاد الطيالسي (وشفاء سقم) صححه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٢٤٣٥) وعند البزار (زمزم طعام طعم وشفاء سقم) صححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٥٧٢) والعجوة قال صلى الله عليه وسلم (من تصبح بسبع تمراتٍ عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر) متفق عليه والعسل قال تعالى{وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (٦٩) سورة النحل وماء المطر قال تعالى {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ} (٩) سورة ق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحسر عن رأسه إذا نزل المطر ليصيبه منه ويقول (إنه حديث عهدٍ بربه) رواه مسلم

ومن التبرك المشروع / التبرك بهيئةٍ شرعيَّةٍ مثل الاجتماع على الطعام والأكل مِن جوانب القصعة ولعق الأصابع قال صلى الله عليه وسلم (اجْتَمِعُوا عَلى طَعَامِكُم وَاذْكُروا اسْمَ اللهِ تعالى يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ) رواه أبو داود وبن ماجة وبن حبان وقال الألباني حسن لغيره انظر حديث رقم (٢١٢٨) صحيح الترغيب والترهيب وقال صلى الله عليه وسلم (البرَكَةُ تَنْزِلُ في وَسَطِ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَّتَيْهِ، وَلاَ

تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وبن ماجة وقال الألباني صحيح لغيره انظر حديث رقم (٢١٢٣) في صحيح الترغيب والترهيب

وقال صلى الله عليه وسلم (إذا أكل أحدكم فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أيتهن البركة) رواه مسلم والترمذي

((من أنواع التبرك الممنوع / التبرك بالقبور))

((حكم التبرك بالقبور))

لا يجوز التبرك بالقبور والموتى وأدلة ذلك كثيرة منها :

١-أن الأدلة قد وردت بتحريم ذلك كقوله صلى الله عليه وسلم (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك) رواه مسلم وإنما كانوا يتخذونها مساجد تبركاً بها . وعن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي رضي الله عنه ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع صورةً إلا طمستها ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) رواه مسلم فهذه النصوص وغيرها دليل على تحريم التبرك بالقبور ولا دليل على الجواز مطلقاً .

٢-أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهل القرون الفاضلة لم يكونوا يتبركون

بالقبور أو يفعلون شيئاً مما يفعله المبتدعة في العصور المتأخرة والخير في الإتبـــاع وتـــرك الابتداع ٠

٣-أن هذا يورث الغلو وربما التعلق بالميت والإشراك بالله واعتقاد النفع في هذا الميت وقد جاء الدين بسد الذرائع الموصلة للحرام فضلاً عن الشرك ٠

٤-مشابهة اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار وقد نهينا عن التشبه بهم ٠

٥-الإسراف وصرف النفقات الباهظة على بناء القباب وتعلية القبور وإسراجها مع تحريم ذلك كله ٠

٦-إهدار الوقت والطاقة فيما لا ينفع والتعلق بالخيالات والتكاسل عما ينفـــع كـــتعلم الطب والتداوي به بحجة أن بركة صاحب القبر تكفي ونحو ذلك من التحـــدير الـــذي يمارس ضد الجهلاء

٧-إتخاذ القبور أعياداً ومزارات وقد نهينا عن اتخاذ القبـــور أعيـــاداً ويحـــدث في هـــذه الإجتماعات من المنكرات ما الله به عليم ٠

وهناك بعض الشبه التي يوردها الجهال في ذلك ومنها :

الشبهة الأولى/ إستدلالهم على جواز ذلك بقصة أصحاب الكهف وقوله تعالى{قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا}(٢١) سورة الكهف إذ ذكر الله فعلهم و لم ينكره ٠

والجواب عن ذلك /

أنه قد اختلف أهل العلم هل كانوا مسلمين أم كفاراً وعلى القول بأنهم مسلمين فلا دليل على أن شرعهم يبيح لهم ذلك ألا يجوز أنهم اجتهدوا فأخطأوا وليس في الآية أكثر مـــن حكاية قولهم فليس فيها تأييد لهم ولا مدح ولا حث على التأسي بهم بـــل لا يمكـــن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من شرائع الله المتقدمة وقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود والنصارى لكونهم فعلوا ذلك أي فعلوا ما هو محرم في شريعتهم من اتخـــاذ قبـــور الأنبياء والصالحين مساجد ولعل هؤلاء منهم ، ثم لو سلَّمنا أن ذلك شرع من قبلنا فـــلا

نعمل به إذا خالف شرعنا وقد جاء في شرعنا النهى عن مثل هذا العمل ، وقــولهم إن الله ذكره و لم ينكره فغير صحيح إذ جاء الإنكار على لسان رسول الله صلى الله عليه وســلم وهو وحيٌ من الله كما قال تعالى{وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(٤) سورة النجم

الشبهة الثانية / قالوا وجود قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه في المســجد النبــوي وبناء القبة عليه يدل على جواز ذلك

الجواب /

أن النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه دفنوا في حجرة عائشة وكانت خــارج المســجد واستمر الأمر كذلك زمن الصحابة وفي زمن التابعين قام الخليفة الأموي الوليد بن عبــد الملك بتوسعة المسجد النبوي وأدخل الحجرة فيه فأنكر عليه بعض التابعين كســعيد بــن المسيب وغيره فبنى على القبر حيطاناً مرتفعة ثم بنى جداراً من ركــني القــبر الشــماليين وحرَّفهما حتى التقتا حتى لا يتمكن أحدٌ من استقبال القبر ، ذكر ذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم وأما بناء القبة فقد كان زمن المنصور قلاوون ملك مصر عام ٦٧٨هـــ وقد أنكر عليه علماء ذلك العصر ومن بعدهم ، ثم تركت بعد ذلك خوف الفتنة والشر (التبرك أنواعه وأحكامه للجديع ص٤١٢)

الشبهة الثالثة / ما روي عن الشافعي أنه كان يزور قبر أبي حنيفة يرجوا بركــة الــدعاء عنده وأنه كان يقول : إذا نزلت بي شدة أجيء فادعوا عند قبر أبي حنيفة فأجاب .

الجواب / أن هذا لا يصح لوجوه :

١-أن الشافعي قد مرَّ بقبور الأنبياء والصالحين ومنهم أفضل من أبي حنيفة بآلاف المرات و لم يُذكر أنه فعل مثل هذا ولا يمكن أن يترك قبور الأنبياء والصحابة والتابعين ويعمد إلى قبر أبي حنيفة دون غيره .

٢-أن الشافعي لما قدم بغداد لم تكن بها قبور تنتاب للتبرك أو الدعاء أو غيره وإنما حدث ذلك بعد زمن الشافعي بدهور .
٣-أن الشافعي قد نص في كتبه على كراهة تعظيم القبور خشية الفتنة والضلال ومـــراده بتعظيمها الصلاة أو الدعاء عندها إذ لم يوجد في زمنه عبَّاد قبور فيكون مراده ما هم عليه
٤-أن العلماء المتقدمين زمن الشافعي وقبله وبعده قد صنفوا في أوقات الدعاء وأمكنتـــه و لم يذكروا منها القبور فدل على أن هذا لا أصل له .

((أحكام الكهان والعرافين))

الكهان جمع كاهن والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل وقيل الذي يخبر عمَّا في الضمير فيقول أنت تضمر كذا وكذا ومن ذلك قصة النبي صلى الله عليه وسلم مع بن صياد حين أضمر النبي صلى الله عليه وسلم في صدره آيةً من سورة الدخان ((يوم تـــأتي السماء بدخانٍ مبين)) فقال يابن صياد قد خبأت لك خبيئاً فما هو قال : الدخ فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم (أخسأ فلن تعدو قدرك) أي كونك كاهنٌ كذاب . والذي يخبر الكاهن بذلك القرين فإن قرين المخبئ يخبر قرين الكاهن بما خبأ له فيخـــبر قـــرين الكاهن الكاهن بذلك فيظن من لا يعرفه أنه صادق وأنه يعلم الغيب وما في الضـــمائر ، وقد يكون المخبر شيطاناً آخر غير القرين لأن قرين النبي صلى الله عليه وسلم قد أســـلم لاكن قد يكون ذلك قبل إسلامه والعلم عند الله ، وهكذا يخبر الكاهن بالأمور المستقبلية أخذاً من أولياؤه من الجن فإن الجن تسترق السمع من السماء ثم تلقيـــه علـــى الكـــاهن

فيكذب معها مائة كذبة فيصدقه الناس بتلك الكلمة التي سمعت من السماء ، وفائدة الشياطين من ذلك عبادة الكاهن لهم وما يوقع الناس فيه من المحرمات والشركيات كتصديقه بدعوى علم الغيب وهذا كفرٌ لكونه تكذيب لقوله تعالى {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ } (٦٥) سورة النمل ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ((من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) أي بالقران الذي فيه إفراد الله بعلم الغيب . وفائدة الكاهن خدمة الشياطين له وما يحصل عليه من الأموال من المغفلين والحمقى الذين يصدقونه . وهذا هو الاستمتاع الذي ذكره الله في كتابه فقال تعالى {وَيَوْمَ يِحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِيَ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَليمٌ} (١٢٨) سورة الأنعام ويطلق على الكاهن عراف وقيل العراف أشمل فهو يشمل الكاهن والمنجم والرمال وغيرهم من مدعي علم الغيب ، وكلهم من جنسٍ واحد دينهم الكذب وعبادة الشياطين وهدفهم إغواء الناس وأنصارهم الشياطين ، ولذا كان علمهم وعملهم مضادٌ للتوحيد مناقضٌ له فلم يفردوا الله بالعبادة بل تقربوا إلى الشياطين وعصوا رب العالمين وقد أمرهم بمعاداة الشيطان وأولياءه كما قال تعالى {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ} (٦١) سورة يس وقال تعالى {إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} (٦) سورة فاطر فشتان بين من كان من أولياء الرحمن وبين من كان من أولياء الشيطان الذين صدق فيهم قوله تعالى{ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} (١٠٢) سورة البقرة

قال لبيد :

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وإتيان الكهان والعرافين والسحرة والمنجمين ونحوهم على أربعة أنواع :

الأول / أن يسألهم فيصدقهم بما يقولون فهذا يكفر وعلى ذلك أدلة كثيرة منها ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) رواه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٩٣٩) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من أتى كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) قال في الترغيب والترهيب رواه البزار بإسناد جيد قوي وصححه الألباني فيه حديث رقم (٣٠٤٤) وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من تطير أو تطير له أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) رواه البزار بإسناد جيد وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٠٤١) صحيح لغيره

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً فسأله فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم) رواه البزار وأبو يعلى بإسناد جيد موقوفاً وصححه الألباني موقوفاً في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٠٤٨) ورواه الطبراني في الكبير وصحح روايته الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٠٤٩) قال عبد الرحمن بن حسن : هذا يدل على كفر الكاهن والساحر بادعائهما علم الغيب وكذا المصدق لهما إذا اعتقد ذلك ورضي به (فتح المجيد٣٣١) وذكر العثيمين أن من صدقهم وهو يعلم أن الغيب من خصائص الله فهو كافرٌ كفراً أكبر وإن كان يجهل ذلك فكفرٌ أصغر (القول المفيد١/٥٤١)

الثاني / أن يأتيهم وهو عازمٌ ألا يصدقهم وإنما مجرد اطلاع على ما يقولونه فهذا لا تقبل له صلاة أربعين يوماً كما في قوله صلى الله عليه وسلم(من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً) رواه مسلم

الثالث / أن يسألهم ليختبرهم وليتأكد هل هم كهنةٌ حقاً ليحذرهم ويتجنبهم فهذا جائز

الرابع / أن يسألهم ليفضحهم ويكشف للناس كذبهم وخداعهم وعجزهم وليبلغ عنـــهم الجهات المسئولة عن إقامة الحدود ليقيموا عليهم الحدود فهذا واجب على القـــادر علـــى ذلك .

ويمكن معرفة الكهنة والعرافين والسحرة والمنجمين بأمور كثيرة منها :

١- أنه غالبًا ما يسأل عن اسم الأم أو أحد الأقرباء .

٢- أنه غالبًا ما يطلب بعض آثار المريض من ثياب أو ملابس داخلية أو شـــعر أو أظافر .

٣- أنه غالبًا ما يأمر المريض بذبح شيء من الأنعام أو غيرها بشروط يمليها علـــى المريض كترك التسمية عند ابتداء الذبح وأن يكون عند غروب الشمس ونحـــو ذلك .

٤- أنه يخبر المريض عن أمور خاصة مثل من أين قدم وما هو طلبه ونحو ذلك قبل أن يبتدءه المريض لِيُشعِرَ المريض أنه يعلم الغيب .

٥- أنه يُسمَعُ منه تمتماتٍ وعباراتٍ لا يفهم معناها ، وقد يعطي المـــريض بعـــض الأوراق التي فيها عباراتٍ غير مفهومة وأسماء غريبة ، والأظهـــر أنهـــا أسمـــاء الشياطين التي يعبدها ويستعين بها .

٦- عدم حرصه على شعائر الإسلام الظاهرة مع تلبسه ببعض المنكرات والمعاصـــي وهو يدعي أنه يعالج بالقرآن . وغير ذلك .

* * *

((أحكام السحر والسحرة))

((تعريف السحر))

السحر لغةً / ما خفي ولطف سببه ومنه سمي السحر لآخر الليل لأن الأفعال فيه تكون خفية ، وَسَحَرَهُ أَيْ خَدَعَهُ وَمِنْهُ قَوْله تَعَالَى { قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ } (سورة الشعراء ١٥٣) أَيِ الْمَخْدُوعِينَ . وقد يسمي العرب السحر طباً تفاؤلاً بالسلامة ، وَوَرَدَ فِي الْقُرْآنِ بِلَفْظِ الْجِبْتِ ، فَسَّرَهُ عُمَرُ وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو الْعَالِيَةِ وَالشَّعْبِيُّ بِالسِّحْرِ ، وَقِيل : الْجِبْتُ أَعَمُّ مِنَ السِّحْرِ ، فَيَصْدُقُ أَيْضًا عَلَى الْكِهَانَةِ وَالْعِرَافَةِ وَالتَّنْجِيمِ (انظر موسوعة الفقه الكويتية كلمة سحر)

شرعاً / قَال الْبَيْضَاوِيُّ : الْمُرَادُ بِالسِّحْرِ مَا يُسْتَعَانُ فِي تَحْصِيلِهِ بِالتَّقَرُّبِ إِلَى الشَّيْطَانِ مِمَّا لاَ يَسْتَقِل بِهِ الإِنْسَانُ ، وَذَلِكَ لاَ يَحْصُل إِلاَّ لِمَنْ يُنَاسِبُهُ فِي الشَّرَارَةِ وَخُبْثِ النَّفْسِ . قَال : وَأَمَّا مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ كَمَا يَفْعَلُهُ أَصْحَابُ الْحِيَل وَالآْلاَتِ وَالأَْدْوِيَةِ ، أَوْ يُرِيهِ صَاحِبُ خِفَّةِ الْيَدِ فَغَيْرُ مَذْمُومٍ ، وَتَسْمِيَتُهُ سِحْرًا هُوَ عَلَى سَبِيل التَّجَوُّزِ لِمَا فِيهِ مِنَ الدِّقَّةِ ؛ لأَِنَّ السِّحْرَ فِي الأَْصْل لِمَا خَفِيَ سَبَبُهُ . (تفسير البيضاوي عند تفسيره الآية ١٠٢ من سورة البقرة)

وَنَقَل التَّهَانُوِيُّ عَنِ الْفَتَاوَى الْحَامِدِيَّةِ : السِّحْرُ نَوْعٌ يُسْتَفَادُ مِنَ الْعِلْمِ بِخَوَاصِّ الْجَوَاهِرِ وَبِأُمُورٍ حِسَابِيَّةٍ فِي مَطَالِعِ النُّجُومِ ، فَيُتَّخَذُ مِنْ ذَلِكَ هَيْكَلاً عَلَى صُورَةِ الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ ، وَيَتَرَصَّدُ لَهُ وَقْتٌ مَخْصُوصٌ فِي الْمَطَالِعِ ، وَتُقْرَنُ بِهِ كَلِمَاتٌ يُتَلَفَّظُ بِهَا مِنَ الْكُفْرِ وَالْفُحْشِ الْمُخَالِفِ لِلشَّرْعِ ، وَيُتَوَصَّل بِهَا إِلَى الاِسْتِعَانَةِ بِالشَّيَاطِينِ ، وَيَحْصُل مِنْ مَجْمُوعِ ذَلِكَ أَحْوَالٌ غَرِيبَةٌ فِي الشَّخْصِ الْمَسْحُورِ . (التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ٣ / ٦٤٨)

وَقَال الشربيني : مُزَاوَلَةُ النُّفُوسِ الْخَبِيثَةِ لأَقْوَالٍ أَوْ أَفْعَالٍ يترتب عليها أُمُورٌ خَارِقَةٌ لِلْعَادَةِ (مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج كتاب دعوى الدم فصل فيما يثبت موجب القصاص)

وقال بن قدامة والبهوتي: السحر عُقَدٌ وَرُقًى وَكَلاَمٌ يُتَكَلَّمُ بِهِ أَوْ يَكْتُبُهُ ، أَوْ يَعْمَل شَيْئًا يُؤَثِّرُ فِي بَدَنِ الْمَسْحُورِ أَوْ قَلْبِهِ أَوْ عَقْلِهِ مِنْ غَيْرِ مُبَاشَرَةٍ لَهُ (انظر المغني وكشاف القناع باب حكم المرتد)(وانظر موسوعة الفقه الكويتية كلمة سحر)

ويمكن تلخيص التعريفات المتقدمة فنقول : السحر / عقدٌ ورقى شركية مع كتابة طلاسم ورموز يدَّعي الساحر أنها من علم الكواكب والنجوم وخواص المواد وغير ذلك وحقيقتها إستعاناتٌ بالشياطين وشركٌ برب العالمين وينتج من مجموع ذلك طاعة الشياطين له وإيقاع الضرر بالبشر في أبدانهم وعقولهم بإذن الله الكوني القدري .

((حقيقة السحر))

قالت المعتزلة وغيرهم من أهل البدع : أنه ليس للسحر حقيقة إنما هو تخيلات وتمويهات وفي ذلك يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: إن السحر في الحقيقة لا يوجب المضرة لأنه ضربٌ من التمويه والحيلة . وأخذ بهذا القول أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرٍ الإِْسْتِرَابَاذِيُّ وَالْبَغَوِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ وأنكروا جَمِيعِ أَنْوَاعِ السِّحْرِ وَأَنَّهُ فِي الْحَقِيقَةِ تَخْيِيلٌ مِنَ السَّاحِرِ عَلَى مَنْ يَرَاهُ وَإِيهَامٌ لَهُ بِمَا هُوَ خِلاَفُ الْوَاقِعِ ، وَأَنَّ السِّحْرَ لاَ يَضُرُّ إِلاَّ أَنْ يَسْتَعْمِل السَّاحِرُ سُمًّا أَوْ دُخَانًا يَصِل إِلَى بَدَنِ الْمَسْحُورِ فَيُؤْذِيهِ ، وَنُقِل مِثْل هَذَا عَن بعض الْحَنَفِيَّةِ وَأَنَّ السَّاحِرَ لاَ يَسْتَطِيعُ بِسِحْرِهِ قَلْبَ حَقَائِقِ الأَْشْيَاءِ ، فَلاَ يُمْكِنُهُ قَلْبُ الْعَصَا حَيَّةً ، وَلاَ

قَلْبُ الإِنْسَانِ حِمَارًا . قَال الْجَصَّاصُ : السِّحْرُ مَتَى أُطْلِقَ فَهُوَ اسْمٌ لِكُل أَمْرٍ مُمَوَّهٍ بَاطِلٍ لاَ حَقِيقَةَ لَهُ وَلاَ ثَبَاتَ ، قَال اللَّهُ تَعَالَى { فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ } (سورة الأعراف / ١١٦) يَعْنِي مَوَّهُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ تَسْعَى ، وَقَال تَعَالَى { فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّل إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } (سورة الشعراء / ٦٦) فَأَخْبَرَ أَنَّ مَا ظَنُّوهُ سَعْيًا مِنْهَا لَمْ يَكُنْ سَعْيًا وَإِنَّمَا كَانَ تَخْيِيلاً . (أحكام القرآن للجصاص عند الآية (١٠٢) من سورة البقرة)

وذهب أهل المعتقد الصحيح إلى أن السحر من حيث الحقيقة وعدمها نوعان :

النوع الأول / سحرٌ لا حقيقة له وإنما هو تخييلٌ وتمثيل كسحر سحرة فرعون حين خيلوا للناس أن حبالهم وعصيهم تسعى وحقيقتها أنها ثابتة وإنما السحر وقع على أعين الناس كما قال تعالى { فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ }

النوع النوع / سحرٌ له حقيقة وله تأثيرٌ على الأبدان والعقول فيمرض وربما يقتل إذا شاء الله وهذا النوع ثابتٌ بأدلةٍ كثيرة مِنْهَا قَوْله تَعَالَى { قُل أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ } وَالنَّفَّاثَاتُ فِي الْعُقَدِ : هُنَّ السَّوَاحِرُ فلمَّا أمر الله بالاستعاذة منهن عُلِمَ أن لهن تأثيراً وضررا ، وَمِنْهَا قَوْله تَعَالَى { فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ } (سورة البقرة / ١٠٢) فأثبت الضرر لكن لا يكون إلا بإذن الله الكوني القدري كسائر الأدواء . وَمِنْهَا مَا وَرَدَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُحِرَ وقد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي عليه لعائن الله المتتابعة حتى إنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله فقد روى الشيخان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : سُحِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يومٍ وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته ، جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ثم قال أحدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال

لبيد بن الأعصم اليهودي قال في ماذا قال في مشطٍ ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فأين هو قال في بئر ذروان فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر فقال هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء ولكأن نخلها رءوس الشياطين فاستخرجه . متفق عليه وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ الْمُعَوِّذَتَانِ فَمَا قَرَأَ عَلَى عُقْدَةٍ إِلاَّ انْحَلَّتْ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَفَاهُ . فدلَّ على أنه أثَّر في النبي صلى الله عليه وسلم وأمرضه حتى شفاه الله من ذلك . وقد تكاثرت نصوص الكتاب والسنة في بيان حكم السحر والسحرة وبينت خطرهم وحذرت منهم ولو كان مجرد خيالات لا حقيقة لها لما استدعى كلَّ هذا البيان والتحذير ، ثم إن الناس منذ القديم وإلى عهدنا وهم يتأثرون بالسحر ويتضررون به إذا شاء الله وهذا أمرٌ مشاهدٌ محسوس لا ينكره إلا مكابر معارضٌ للعقل والنقل .

((أنواع السحر من حيث الاستعمالات وحكم كل نوع))

الأول / السحر الذي يزعم أهله أنهم يستعينون فيه بالكواكب كسحر الكلدانيين وأهل بابل وغيرهم ، وهؤلاء كانوا قوماً صابئين يعبدون الكواكب السبعة ، ويعتقدون أنها المدبرة للعالم ، وأن حوادث العالم كلها من أفعالها ، وقد قادهم هذا الاعتقاد الباطل إلى اعتقاد أن لها إدراكاتٌ روحانية فإذا قوبلت ببخورٍ خاصٍ ولباسٍ خاصٍ على الذي يباشر البخور مع إقدامه على أفعالٍ خاصةٍ وألفاظٍ يخاطب بها الكواكب كانت روحانية الفلك مطيعةً له ، فمتى ما أراد شيئاً فعلته له على حد زعمهم .

وهذا الذي يزعمون أنه روحانية الفلك إنما هي الشياطين تطيعهم وتخدمهم ليستمروا على شركهم وعبادتهم للكواكب فانظر إلى الغباء المستفحل والضلال المبين .

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ومعلوم أن هذا النوع من السحر كفرٌ بلا خلاف لأنهم كانوا يتقربون فيه للكواكب كما يتقرب المسلمون إلى الله ، ويرجون الخير من قبل الكواكب ، ويخافون الشر من قبلها كما يرجو المسلمون ربهم ويخافونه ، فهم كفرةٌ يتقربون إلى الكواكب في سحرهم بالكفر البواح . (أضواء البيان عند تفسيره لآية (٦٩) سورة طه)

وللسحرة والكهنة والعرافين والمنجمين طرقاً للاستعانة بهذه الكواكب بزعمهم منها :

١- الطلاسم: وهي عبارة عن نقش أسماءٍ خاصةٍ لها تعلق بالأفلاك والكواكب بزعمهم في جسم من المعادن أو غيرها فتحدث خاصية معينة.

٢- النظر في حركات الأفلاك ودورانها وطلوعها وغروبها واقترانها وافتراقها معتقدين أن لكل نجمٍ منها تأثيراً حال انفراده ،كما أن له تأثيراً حال اجتماعه بغيره على الحوادث الأرضية من غلاء الأسعار ورخصها ووقوع الحوادث وهبوب الرياح ونحو ذلك .

٣- النظر في منازل القمر الثمانية والعشرين ، معتقدين التأثير في اقتران القمر بكل منزلٍ منها ومفارقته ، وأن في تلك المقارنة أو المفارقة سعوداً أو نحوساً أو تأليفا أو تفريقاً وغير ذلك .

٤- ما يسمونه بعلم الحرف وهو أن يكتب حروف أبجد هوز... إلخ . ويجعل لكل حرفٍ منها قدراً معلوماً من العدد ، ويجري على ذلك أسماء الآدميين والأزمنة والأمكنة وغيرها ، ويجمع جمعاً معروفاً عنده ويطرح طرحاً خاصاً ويثبت إثباتاً خاصاً ، وينسبه إلى الأبراج الإثني عشر المعروفة عند أهل الحساب ، ثم يحكم على تلك القواعد بالسعود والنحوس وغيرها مما يوحيه إليه الشيطان .

ولا شك أن هذا كله ضلال وكفر وزندقة إذ فيه ادعاء علم الغيب وقد قال تعالى {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (٦٥) سورة النمل وقال تعالى {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ } (٥٩) سورة الأنعام وقال تعالى{عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (٢٦) سورة الجن وقال صلى الله عليه وسلم (من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبةً من السحر زاد ما زاد) رواه أحمد وأبوداود وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٠٧٤)

النوع الثاني / الاستعانة بالجن والشياطين عن طريق التقرب إليهم بالشرك والكفر

كدعائهم والذبح والسجود لهم أو بتدنيس المصحف وإلقاءه في القاذورات أو بسب الله ورسوله أو بغير ذلك من أنواع الشرك والكفر فحينها تطيعه الشياطين وتخدمه وتنفذ له ما يريد .

وهذا لا شك أيضاً أنه كفرٌ صراح بلا خلاف .

النوع الثالث / العقد والنفث فيه قال تعالى{ ومن شر النفاثات في العقد }(الفلق: ٤) والنفاثات في العقد : هن السواحر اللاتي يعقدن الحبال والخيوط وينفثن في كل عقدة حتى ينعقد ما يردن من السحر ، ويستعن ببعض ما ينفصل من جسم المسحور من شعرٍ أو أظافرٍ أو غيرها أو ببعض ملابسه الداخلية الملامسة لجسده . وهذا بعد أن تتكيف نفوسهن بالخبث والشر الذي يردنه بالمسحور فيقع السحر بإذن الله . وربما استعن بالأرواح الخبيثة من شياطين الإنس والجان ، ومن هذا النوع سحر لبيد بن الأعصم اليهودي للرسول صلى الله عليه وسلم .

قال الشنقيطي : ومعلومٌ أن النفوس الخبيثة لها آثارٌ بإذن الله ومن أصرح الأدلة الشرعية في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (العين حق ولو كان شيءٌ سابق القدر لسبقته العين) وهذا الحديث الصحيح يدلُّ على أن همة العائن وقوة نفسه في الشر جعلها الله سبباً للتأثير في المصاب بالعين . (أضواء البيان عند تفسير آية(٦٩) سورة طـــه)

وهذا النوع يكون كفراً إذا كان فيه دعاء واستغاثة بالشياطين أو كان يشتمل على أمرٍ كفري كسب الله ورسوله وامتهان القران والحديث ونحو ذلك وغالب من يعقد العقد وينفث فيها يستعين بهذه الأمور على إيقاع السحر ومن مرَّ على هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رأى عندها العجب العجاب مما يصنعه هؤلاء السحرة من أنواع الكفريات والشرك في عقدهم التي يعقدونها وسحرهم الذي يصنعونه فوجِدَ منهم من كتب آياتٍ بدم الحيض والنفاس أو بالغائط ووجد من كتب أسماء رجالٍ يستغيث بها إنما

هي أسماء الشياطين ووجدَ غير ذلك ، ولذلك قول من يقول إنه لا يكون سحر إلا بكفر قول قوي ٠ وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال صلى الله عليه وسلم (من عقد عقدةً ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد أشرك ومن تعلق شيئاً وكل إليه)

رواه النسائي وضعفه الألباني انظر حديث رقم (٥٧٠٢) في ضعيف الجامع.

النوع الرابع / الشعوذة أو الشعبذة ، ومبناها على خفة اليد والحيل الهندسية ومعرفة خواص المواد ونحو ذلك وليس فيها عقد ولا نفث ولا استعانة بالشياطين ولا غير ذلك مما تقدم إنما تعتمد على الذكاء وخفة الحركة في صرف بصر الناظر من شيءٍ إلى آخر فينبهر الناظر ولو دقق النظر لعلم أنه أمر سهل يستطيعه كل أحد ، فهذه تسميتها سحراً مجازاً . قال بن عابدين : والمراد من الساحر غير المشعوذ ولا صاحب الطلسم ولا الذي يعتقد الإسلام ٠ (رد المحتار كتاب الجهاد مطلبٌ في الساحر والزنديق) وقوله صاحب الطلسم يريد صاحب الحيل الهندسية لا أنه الذي يكتب الطلاسم التي يكون فيها استعانة بالشياطين ونحو ذلك فلا شك أن هذا ساحر كما تقدم ٠

تنبيه / قال الرازي وغيره : ومن هذا النوع سحر سحرة فرعون فإنهم جعلوا الزئبق على الحبال والعصي فحركته حرارة الشمس فتحركت الحبال والعصي فظن الناس أن السحرة هم الذين يحركونها وإنما يحركها الزئبق المنصهر بحرارة الشمس ٠

قلت : يريد أن هذا من الخدع لمعرفتهم بخواص المواد ، والذي يظهر لي أن الأمر ليس كذلك وأنه من السحر الحقيقي لقوله تعالى {فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى } (٦٦) سورة طـه فجعل سبب التخييل هو السحر ولو كان من الخدع لقال (من تلاعبهم) وقال تعالى {فَلَمَّا أَلْقَوْاْ سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} (١١٦) سورة الأعراف فأخبر تعالى أنهم جاءوا بسحر عظيم ولو كان مجرد خدع وتلاعب لما وصفه بذلك ، ثم إن الحيل والخدع قد يتفطن لها بعض الناس وهنا أطبق

الحاضرين جميعاً تخييل السحر وأرهبهم جميعاً فدلَّ على أنه سحرٌ حقيقي .

((حكم السحر))

السحر محرمٌ باتفاق الأئمة بل هو محرمٌ في جميع الأديان السماوية كما في قوله تعالى﴿ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَق ﴾ [البقرة : ١٠٢] أي علم أهل الكتاب في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم أن من اتخذ السحر بضاعةً يتعلمها ويعلمها ويعمل بها لا خلاق له في الآخرة أي لا نصيب له في الجنة .

وأدلة تحريم السحر كثيرة منها قوله تعالى { وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى } (سورة طه / ٦٩) فنفى الفلاح عنهم ، وقال تَعَالَى{ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ } (سورة البقرة / ١٠٢) فَجَعَلَهُ مِنْ تَعْلِيمِ الشَّيَاطِينِ الذين يريدون إغواء بني آدم وَقَال فِي آخِرِ الآْيَةِ { وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ } فَأَثْبَتَ فِيهِ ضَرَرًا بِلاَ نَفْعٍ وكل ما فيه ضررٌ بلا نفع فهو محرم لقول النبي صلى الله عليه وسلم (لا ضرر ولا ضرار) وقال تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ { إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى } (سورة هود / ٧٣) فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ رَغِبُوا إِلَى اللَّهِ فِي أَنْ يَغْفِرَ لَهُمُ السِّحْرَ فدلَّ ذلك عَلَى أَنَّهُ ذَنْبٌ يوجب التوبة منه

وقال النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَات) وذكر منها السحر . متفق عليه

قال في موسوعة الفقه الكويتية / وَفَرَّقَ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ بَيْنَ مَا كَانَ مِنَ السِّحْرِ تَمْوِيهًا وَحِيلَةً ، وَبَيْنَ غيره ، فَقَالُوا : إنَّ الأْوَّل مُبَاحٌ لأِنَّهُ نَوْعٌ مِنَ اللَّهْوِ فَيُبَاحُ مَا لَمْ يُتَوَصَّل بِهِ إِلَى مُحَرَّمٍ كَالإْضْرَارِ بِالنَّاسِ . قَال الْبَيْضَاوِيُّ : أَمَّا مَا يُتَعَجَّبُ مِنْهُ كَمَا يَفْعَلُهُ أَصْحَابُ الْحِيَل بِمَعُونَةِ الآْلاَتِ وَالأْدْوِيَةِ ، أَوْ يُرِيهِ صَاحِبُ خِفَّةِ الْيَدِ فَغَيْرُ مَذْمُومٍ ، وَتَسْمِيَتُهُ سِحْرًا عَلَى التَّجَوُّزِ أو لما فيه من الدقة ا ه‍ــــ . (كلمة سحر في الموسوعة)

قلت : هذا غير صحيحٍ على القول أن سحر سحرة فرعون الذي استعملوه ضد موسى عليه السلام كان من هذا النوع وأنه كانت عصيهم مجوفةً مملوءةً زئبقاً وحبالهم معمولةً من أدمٍ قد حشيت زئبقاً فلمَّا ارتفعت الشمس ذاب الزئبق من حرارتها فتحرك فتحركت الحبال والعصي ، فلاشك أن هذا من التمويه والحيلة ومع هذا فقد ذموا على ذلك وطلبوا التوبة وغفران الذنب وقال تعالى {فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ} (٨١) سورة يونس فجعل عملهم من الإفساد في الأرض وهو محرم . ولكن الذي يظهر لي وذكرته فيما تقدم أن سحرهم لم يكن من هذا النوع وإنما هو من السحر الحقيقي لأن التمويه والخدع لا تنطلي على جميع الناس المشاهدين بل يتفطن لها الأذكياء منهم ولا شك أن موسى عليه السلام أذكى الناس في زمانه ولو انخدع لبين له الوحي حقيقة أمرهم وأن ما صنعوه إنما هو مجرد خدع لمعرفتهم بخواص المواد ولكان في ذلك حجة لموسى عليهم فيخبر الناس بحقيقة سحرهم فينهزمون بذلك فلما لم يفعل موسى ذلك تبين أن سحرهم ليس كذلك بل هو سحرٌ حقيقي ، وعليه فيكون ما ذكره بعض الفقهاء من جواز ما اعتمد على خفة اليد والخداع صحيحاً لأنه ليس سحراً وإنما هو لعبٌ وتسلية ، ولكنه يحرم إن اشتمل على محرم أو أدى إليه كأن يكون طريقاً إلى تعلم السحر الحقيقي أو يكون فيه اختلاس أموال الناس وحقوقهم

أو فيه ادعاء علم الغيب أو غير ذلك من المحرمات فيحرم لذلك ·

((حكم الساحر))

اختلف أهل العلم هل يكفر الساحر أو لا يكفر على قولين :

القول الأول / يكفر بتعلمه وتعليمه سواءً اعتقد حله أو تحريمه وهو قول أبو حنيفة ومالك وأحمد ومروي عن عمر وعثمان وعلي وبن عمر وجندب وحبيب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبد العزيز واستدلوا بقوله تعالى {وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ} (١٠٢) سورة البقرة فقوله تعالى ((وما كفر سليمان)) أي ما كان ساحراً كفر بسحره وقول الملكان (إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر)) أي لا تتعلم السحر فتكفر به · قاله في المغني · واستدلوا بقوله تعالى {قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا

وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ} (٧٧) سورة يونس وقوله {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (٦٩) سورة طـه فنفيُ الفلاح عنهم يدل على كفرهم .

القول الثاني / لا يكفر إلا إذا اعتقد إباحته أو فعل في سحره ما يوجب الكفر قال الشافعي : إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وإن كان لا يوجب الكفر لاكن اعتقد إباحته كفر ، وإلا لم يكفر (انظر فتح المجيد ص٣١٤، وأضواء البيان٣/٣٦) لأن عائشة رضي الله عنها لم تقتل الجارية التي سحرتها بل باعتها بمحضرٍ من الصحابة ولو كانت كافرةً بمجرد فعل السحر وتعلمه لكانت مرتدةً يجب قتلها ولا يجوز استرقاقها .

وأجيب بأنه يحتمل أن معنى سحرتها أي ذهبت إلى ساحرٍ سحر لها ، أو أن هذه الجارية تابت فسقط عنها الكفر والقتل بتوبتها وعلى احتمال أنها هي التي سحرت بنفسها وأنها لم تتب فهو قولٌ لعائشة رضي الله عنها قد خالفها فيه غيرها من الصحابة والتابعين (انظر في الفقه الحنفي فتح القدير كتاب السير باب أحكام المرتدين ورد المحتار كتاب الجهاد مطلب توبة اليائس وفي الفقه المالكي مواهب الجليل شرح مختصر خليل باب الردة وحاشية الدسوقي على الشرح الكبير وفي الفقه الشافعي مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج كتاب دعوى الدم فصلٌ فيما يثبت موجب القصاص وفي الفقه الحنبلي المغني والانصاف كتاب الديات باب حكم المرتد وكشاف القناع باب حكم المرتد)

وإلى قول الشافعي جنح بعض الحنفية والمالكية والحنابلة قال بن عابدين من الحنفية : قال في الفتح : ويجب أن لا يعدل عن مذهب الشافعي في كفر الساحر والعراف وعدمه وأما قتله فيجب ولا يستتاب إذا عرفت مزاولته لعمل السحر لسعيه بالفساد في الأرض لا بمجرد علمه إذا لم يكن في اعتقاده ما يوجب كفره (رد المحتار على الدر المختار كتاب الجهاد مطلب في الساحر والزنديق)

وقال القرافي من المالكية : فالذي يستقيم في هذه المسألة ما حكاه الطرطوشي عن قدماء أصحابنا أنا لا نكفره حتى يثبت أنه من السحر الذي كفَّرَ الله تعالى به أو يكون سحره مشتملاً على كفر كما قاله (ش) (الذخيرة ١٢/٣٧) يريد الشافعي وقال المرداوي من الحنابلة : قوله (فأما الذي يسحر بالأدوية والتدخين وسقي شيءٍ يضر فلا يكفر ولا يقتل ولكن

يعزر) هذا المذهب (الإنصاف كتاب الديات باب حكم المرتد)

قال العثيمين : السحر نوعان :

الأول / شرك وهو الذي يكون فيه عقدٌ ورقى ويستخدم الساحر فيها الشياطين يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور ٠

والثاني / أدوية وعقاقير تؤثر في بدن المسحور فهذه عدوانٌ وفسق (القول المفيد٤٨٩/١ بتصرف يسير)

وقال الشنقيطي : التحقيق في هذه المسألة هو التفصيل فإن كان السحر مما يعظَّمُ فيه غير الله كالكواكب والجن وغير ذلك مما يؤدي إلى الكفر فهو كفرٌ بلا نزاع ومن هذا النوع سحر هاروت وماروت .... وإن كان السحر لا يقتضي الكفر كالاستعانة بخواص بعض الأشياء من دهاناتٍ وغيرها فهو حرامٌ حرمةً شديدة ولكنه لا يبلغ بصاحبه الكفر ا ٠ هـــ ٠ (أضواء البيان ٣٦/٣)

قلت : وقد قيل إن معنى قول الملكين ((فلا تكفر)) أي لا تستعمله على وجهٍ تكفر به أي لا تستعمله في الأمور المكفرة كما يقال خذ المال ولا تفسق به أي لا تستعمله على وجهٍ تفسق به أي لا تستعمله في الفسق ٠ (انظر الذخيرة ٣٣/١٢)

تنبيه / قال بعض أهل العلم : السحر هو ما يكون فيه استعانةٌ بالجن والشياطين فهذا كله كفرٌ ويقتل فاعله ردةً وما عدى ذلك من الأدوية والعقاقير فلا يسمى فاعلها ساحر إذا لم يستعن بالجن والشياطين وحينئذٍ لا يكفر ولا يقتل ٠

قلت : والسحرة يتلاعبون بالناس بتقديم هذه الأدوية والعقاقير وإلا فهم يتعاملون مع الجن والشياطين باطناً ، فيجب الحذر منهم وعدم تصديقهم ٠

والذي يتمعن في نصوص الكتاب والسنة في تكفير الساحر مطلقاً بلا قيد وكذلك إجماع الصحابة على وجوب قتله بلا استتابة ولا سؤال هل كان سحرك بالاستعانة بالشياطين أم بالأدوية والعقاقير يدرك خطورة الأمر وأن تكفيره هو المترجح والعلم عند الله ٠

((حكم قتل الساحر وهل يستتاب))

اختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال :

القول الأول / يقتل بمجرد فعل السحر وتعلمه وهو قول مالك وأحمد وقتله بحد الردة وعليه فلا يقتل الذمي فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحره لكون كفره أصلياً ، إلا أن يقتل بسحره فيقتل قصاصاً إذا كان سحره مما يقتل غالباً وإلا فالدية. (انظر الذخيرة للقرافي ١٢/٣٣) ومواهب الجليل شرح مختصر خليل باب الردة والإنصاف كتاب الديات باب حكم المرتد وكشاف القناع باب حكم المرتد)

القول الثاني / يقتل بمجرد اعترافه بالسحر أو ثبوت ذلك عليه بالبينة فيقتل حد الإفساد في الأرض وعليه فيقتل ولو كان كافراً أصلياً وهو قول أبي حنيفة (انظر رد المحتار على الدر المختار كتاب الجهاد مطلب توبة اليائس)

القول الثالث / لا يقتل إلا إذا اعتقد إباحته أو فعل في سحره ما يوجب الكفر فيقتل ردةً أو قتل بسحره عمداً وكان سحره مما يقتل غالباً فيقتل قصاصاً وإلا فالدية وهو قول

الشافعي . (انظر مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج كتاب دعوى الدم فصل فيما يثبت موجب القصاص)

قلت / وبهذا نعلم أن الأئمة الأربعة مجمعون على أن الساحر يكفر ويقتل إذا استباح السحر أو فعل في سحره ما يوجب الكفر من دعاء غير الله والتقرب إلى الشياطين وادعاء تأثير الكواكب في الحوادث الأرضية والأقدار ونحو ذلك ، ومختلفون في مجرد التعلم والفعل .

ومن وجب قتله من السحرة قتل بلا استتابة في قول أبي حنيفة ومالك وأحمد في المشهور عنه لأن علم السحر لا يزول بالتوبة فلا يؤمن الرجوع ولو باطناً . وقال الشافعي ورواية عن أحمد : يستتاب وتقبل توبته لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم (انظر رد المحتار كتاب الجهاد مطلب توبة اليائس وفتح القدير كتاب السير باب أحكام المرتدين ومواهب الجليل في شرح مختصر خليل باب الردة والذخيرة للقرافي ١٢/٣٣ وأضواء البيان تفسير سورة طه وفتح المجيد ص٣٢٠)

واستدل القائلون بأنه يقتل ولا يستتاب بما يلي :

١-ماروي عن جندب مرفوعاً (حد الساحر ضربة بالسيف) رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم (ضعفه الألباني فيه حديث رقم (١٤٦٠) وقال الشنقيطي : قال بن كثير قد رواه الطبراني من وجهٍ آخر عن الحسن عن جندب مرفوعاً وهذا يقويه كما ترى (أضواء البيان ٣٩/٣) وجندب هذا ليس هو جندب بن عبد الله البجلي بل هو جندب الخير المعروف بقاتل الساحر واسم أبيه كعب وقيل زهير الأزدي الغامدي وقصة قتله للساحر رواها البخاري في التاريخ الكبير عن أبي عثمان النهدي أن رجلاً كان عند الوليد يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله وقال : فليعد رأسه إن كان صادقاً) ورواه البيهقي في الدلائل ومالك في الموطأ كتاب العقول باب ما جاء في الغيلة والسحر وجندب صحابيٌّ جليل لم يكن ليقتل الساحر لولا وجود خبرٍ عنده يدل على وجوب قتله مباشرة دون سؤالٍ هل قتل به أو لم يقتل به ولم يستتيبه وإنما ذكر أن ذلك حده والخبر وإن صحح الترمذي وقفه إلا أن له حكم الرفع إذ الحدود لا تثبت إلا بنص.

٢-ماروي عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة ، قال : فقتلنا ثلاث سواحر . رواه البخاري وسقط قتل الساحر في بعض نسخه ورواه أبو داود وصححه الألباني فيه حديث رقم (٣٠٤٣) والشاهد أمر عمر بقتل السحرة مطلقاً بلا تقييد يدلُّ على أن ذلك حدهم ولو كان هناك تقييدٌ بقصاصٍ أو استتابةٍ لذكره إذ الدماء أمرها عظيم وعمر من أورع الناس في ذلك رضي الله عنه وأرضاه .

٣- ما روي عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها : أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها ، فقتلت . رواه مالك في الموطأ وهي لم تقتل و لم يرد أنها استتابتها و لم تكن حفصة لتفعل ذلك لولا ورود خبر عندها بذلك إذ الدماء أمرها عظيم .

٤-إجماع الصحابة قال أحمد : صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : يريد عمر وابنته حفصة وجندب الخير و لم ينكر عليهم أحد مع توافر الدواعي فدلَّ على إجماع الصحابة رضي الله عنهم على هذا الحكم .

٥-وأما قولهم : إن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ولذلك صحَّ إيمان سحرة فرعون وتوبتهم .

فنقول / أما قولكم إن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرك تقبل توبته فنقول : المشرك كافرٌ أصلي وهذا مرتد وحكمه حكم الزنديق الذي لا تقبل توبته ولو صدَّقنا كل مدَّعي توبة لانتشر الزنادقة وكلما قبض عليهم ادعوا التوبة فظهر الفساد والشر إذ أن علم السحر لا يزول بالتوبة فلا ندري هل صدق في توبته أم لا ؟ وأما حكمه عند الله فإن صدق في توبته قبلها الله منه ما لم تطلع الشمس من مغربها أو تبلغ روحه الحلقوم ولذلك قبل توبة سحرة فرعون ؟ أما نحن فلا نقبل توبته لأنا لا نعلم الغيب ولا ندري هل صدق أم هو كاذب فدفعاً لفسادٍ عظيمٍ عن المسلمين نقتله ولا نقبل توبته .

ثم إن هذا حدٌّ والحدُّ لا يسقط بالتوبة فلو زنا محصنٌ فقبض عليه فقال تبت فإنه يرجم ولا

تقبل توبته وكذا لو سرق قطع ولا يستتاب أو قذف أو شرب الخمر جلد ولا يستتاب فالحدود ليس فيها استتابة فكذلك حد الساحر القتل ولا يستتاب ٠ وقد رجح هذا القول الشيخ محمد العثيمين رحمه الله (القول المفيد ٥٠٩/١)

((حكم النشرة))

النشرة هي / حلُّ السحر بسحرٍ مثله ٠

وهي محرمة لقول جابر رضي الله عنه : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النشرة فقال (هو من عمل الشيطان) رواه أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٥٥٣) وذلك لأن فيها ترويجاً لبضاعة السحرة فأحدهم يسحر والثاني يفك السحر فتروج بضاعتهم ويتعلق الناس بهم وفي ذلك مصادمة للتوحيد ومصادمة للنصوص التي تنهى عن إتيان السحرة والكهان وفيه إعانة لهم على باطلهم وقد نهى الرب جل وعلا عن التعاون على الإثم والعدوان ، وكيف يُطلب الدواء من مجرمٍ إما كافر أو مفسد في الأرض وقد نهينا عن التداوي بالحرام ، ثم إن السحرة يأمرون غالباً من أراد التداوي عندهم بأنواعٍ من الكفريات كالذبح للجان أو ذكر اسم غير الله ، وربما أمروا بمعصية كالزنى أو عمل قوم لوط أو شرب الخمر أو غير ذلك ، وقد أجمع السلف كما تقدم على وجوب قتلهم بلا

استتابة ولم يكونوا ليجمعوا على ذلك إلا لعلمهم بعظيم جرمه وإفساده في الأرض فكيف يطلب الدواء من مجرمٍ قد أوجب الشرع قتله ، فهل يصح أن يكون مقتولاً لصنعته هذا الدواء ثم يتداوي بدواءه الذي قُتِلَ من أجل صنعته هذا تناقضٌ تتره عنه الشريعة المطهرة فلا بد من إتلاف دواءه كما أُتلف هو إذ أنه ودواءه محل إفساد ، والحديث واضحٌ في كونه من عمل الشيطان والشيطان كما أخبر الرب جل وعلا عنه أنه إنما يأمر بالفحشاء والمنكر فهذا دينه والساحر رسوله في تبليغ دينه فمن عمل بما يأمره الساحر فقد عمل بما يأمره الشيطان وترك ما يأمره به الرحمن فشتان بين هذا وبين من يعصي الشيطان ويطيع الرحمن ٠

والواجب أن يتداوى بالرقى من الكتاب والسنة وبالأدوية الحسية المباحة النافعة وأن يلتجئ المسحور إلى الرب جل وعلا في تخليصه من هذا الداء فإن الله وحده هو النافع الضار وقد قال تعالى {وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ } (١٠٢) سورة البقرة فقد يبتلي الله العبد بتسليط الساحر عليه ليرفع درجته ويعلي مكانته ويغفر زلته بصبره ولجأه وتعلقه بربه جل وعلا وإعراضه عن الإلتجاء إلى السحرة والدجاجلة وفي الحديث (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) رواه الترمذي وبن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٥٦٦) ويظهر السخط بالاعتراض على قدر الله وبتناول الأدوية المحرمة وإتيان الكهنة والمشعوذين ٠

وينبغي التحرز من هؤلاء المفسدين من السحرة المجرمين بالتحصن بالأوراد الشرعية كأذكار الصباح والمساء والأكل والشرب والنوم ودخول المترل والخروج منه وأذكار النوم والاستيقاظ وغيرها فهي حصنٌ حصين وسدٌ منيع في وجوه أولئك المفسدين ، ومما ورد أنه يعصم من السحر بإذن الله أكل سبع تمراتٍ على الريق قال صلى الله عليه وسلم (من تصبح بسبع تمراتٍ عجوة لم يضره ذلك اليوم سمٌ ولا سحر) متفق عليه وقال بعض العلماء : إن قوله (عجوة) خرج مخرج الغالب لأن غالب تمر المدينة في زمنه العجوة

ولذا من تصبح بسبع تمراتٍ من أي تمرٍ أجزأه واختاره بن باز .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم (اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة) قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة السحرة . رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم (لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي يقرأ فيه سورة البقرة) رواه مسلم فينبغي الإكثار من قراءتها والمحافظة عليها ولا مانع من تشغيل المسجل بقراءتها قاله بعض أهل العلم ولا شك أن قراءتها أفضل .

وقد روى بن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاءٌ من السحر بإذن الله تقرأ في إناءٍ فيه ماء ثم يصب على رأس المسحور الآية التي في سورة يونس{فَلَمَّا أَلْقَواْ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (٨١) وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} (٨٢) سورة يونس وقوله تعالى {فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} (١١٨) سورة الأعراف إلى آخر الآيات الأربع من سورة الأعراف وقوله تعالى {وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى} (٦٩) سورة طـه . وقال بن بطال : في كتاب وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقاتٍ من سدرٍ أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيدٌ للرجل إذا حبس عن أهله . (نقلها عنهم صاحب فتح المجيد ص٣٣٩) وقد اعترض الشيخ حامد فقي رحمه الله على هذه الآثار وقال إنها لم ترد عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي بدع وكل بدعةٍ ضلالة وتعقبه الشيخ بن باز رحمه الله وقال : إن التداوي بالقران الكريم والسدر ونحوه من الأدوية المباحة ليس من باب البدع بل هو من باب التداوي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام) وثبت في سنن أبي داود في كتاب الطب أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في ماءٍ وصبه على المريض ، وبهذا نعلم أن التداوي بالسدر وبالقراءة في الماء وصبه على المريض ليس به محذور من جهة الشرع إذا كانت القراءة سليمة وكان الدواء مباحاً(تعليق سماحته على فتح المجيد ص٣٣٩)

قلت : المحذور تخصيص آياتٍ معينةٍ لكل داء بلا دليل وقد رأينا من ذلك عجباً فبعضهم يقول إقرأ آية كيت وكيت لطلب الولد وآية كيت للزواج وآية كيت للسكينة وأخرى للسرطان وأخرى لفك السحر وأخرى للعين والحسد وهكذا بلا دليل ثم كان من نتائج ذلك أن من أراد الولد لم يقرأ من القران إلا تلك الآيات وهكذا من أرادت الزواج لا تقرأ إلا آيات الزواج ....الخ فَجُعِلَ أكثر القرآن مهجوراً لأجل ذلك فانظر عاقبة البدع وقد أخبر المولى جل وعلا أن القران كله شفاء كما قال تعالى{وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا} (٨٢) سورة الإسراء ومن هنا ليست تبعيضية وإنما لبيان الجنس أي كله كما قال تعالى {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء } (٤٤) سورة فصلت فتبين أن تخصيص آياتٍ معينةٍ لكل داءٍ بلا دليل بدعةٌ منكرة وشرٌ مستطير والواجب الاستشفاء بالقران كله بلا تخصيص آياتٍ معينة .

وأما قول ابن المسيب رحمه الله لما سئل عن رجل به طب أيحل عنه أو ينشر فقال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح فأما ما ينفع فلم ينه عنه . رواه البخاري فمراده الرقية الشرعية إذ أن بعضهم يطلق على كل ما يحل به السحر نشرة وحينئذٍ لا يخالف ما تقدم من جواز حل السحر بالرقية الشرعية ، وأما إن كان مراده حل السحر بسحر مثله فقوله مردود لمصادمته لنصوص الوحيين ولما قدمنا من الأدلة على تحريم حل السحر بالسحر .

* * *

((أحكام التنجيم))

علم الفلك والنجوم قسمان :

الأول / علم التسيير : وهو ما يستدل به على الأوقات والجهات كمجيء الحـــر والــبرد ومتى يزيد الماء في الآبار ومتى ينقص فإذا طلع المرزم قلَّ الماء في الآبار ونحوها وإذا طلــع سهيل عاد وكثر ، وكمعرفة الشمال بالجدي وهو القطب الشـــمالي ومعرفـــة الجنـــوب بسهيل وهو القطب الجنوبي ، ومعرفة أوقات الزرع وجني الثمار ونحو ذلك فهذا العلـــم جائز قال تعالى {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } (١٦) سورة النحل أي لمعرفـــة الأوقـــات والجهات ، وليس هذا من ادعاء علم الغيب فإن أهل الإرصاد الجوي مثلاً يبنون توقعاتهم على أمور حسية كمسار الرياح والغيوم ونحو ذلك مما يسهل مراقبته عن طريق الأقمـــار الاصطناعية ، وهكذا توقعاتهم بخروج نجمٍ كمذنب هالي أو اصـــطدام نجـــمٍ بـــآخر أو

حدوث كسوفٍ أو خسوف أو غير ذلك مما يمكن معرفته عن طريق مراقبة مسارات النجوم وزوايا انحرافها ونحو ذلك فيتوقعون أن نجماً سيصطدم بآخر بعد كذا وكذا من الزمن بناءً على سرعة سيرهما وتواجههما في مسارٍ واحد وأن نجماً سيراه أهل الأرض بعد كذا وكذا بناء على سرعة مساره وزاوية انحرافه باتجاه الأرض وهكذا فكل علمٍ يمكن معرفته بالحس وليس فيه اعتمادٌ على الشياطين فهو من علم التسيير المباح ولذا قال السفاريني في عقيدته :

فكل معلومٍ بحسٍ أو حجا   فنكره جهلٌ قبيحٌ بالهجا

الثاني / علم التأثير : وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية فيقولون إذا طلع النجم الفلاني فسيكون زلازل وحروب ونحو ذلك ، وإذا طلع النجم الفلاني فسيكون أمانٌ واطمئنان ، وهكذا إذا كانت ولادتك في البرج الفلاني فستكون سعيداً في حياتك ذو ثراء وإذا كانت في البرج الفلاني فستكون تعيساً ذو فقرٍ وحاجة ، وهكذا يستدلون بها على أمورٍ غيبية فهذا كله كذبٌ ودجل قال تعالى {قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} (٦٥) سورة النمل وهذا العلم محرم وادعاء علم الغيب وتصديق من ادعى ذلك كله كفر لتكذيبهم لكلام الله جل وعلا في أن الغيب من خصائصه جل وعلا .

وقد ذكر الشيخ محمد العثيمين رحمه الله أن علم النجوم أربعة أقسام :

الأول / أن يعتقد أنها تؤثر بذاتها في الحوادث الأرضية العامة كالزلازل والبراكين أو الخاصة كالسعادة والشقاوة والربح والخسارة فهذا كله كفر أكبر مخرج من الملة .

الثاني / أنها لا تؤثر بذاتها لكنها سببٌ لهذه الحوادث فهذا كفرٌ أصغر .

الثالث / أن يستدل بها على الفصول وأوقات البذر والحصاد ونحو ذلك فهذا جائز .

الرابع / أن يستدل بها على جهة القبلة ومعرفة أوقات الصلوات ونحو ذلك فهذه مشروعة

وقد تكون فرض كفايةٍ أو فرض عين (القول المفيد ٥٥٠/١)

وقد خلق الله هذه النجوم لثلاث :

١-زينة للسماء كما قال تعالى {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} (٦) سورة الصافات

٢-رجومًا للشياطين كما قال تعالى {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ } (٥) سورة الملك

٣-علامات يُهتدى بها في معرفة المكان والزمان قال تعالى {وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ } (١٦) سورة النحل

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجومًا للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به .

((حكم الإستسقاء بالأنواء))

الأنواء جمع نوء وهو لغةً / من الأضداد فيطلق على النهوض والسقوط فيقال ناء بحمله أي نهض به بجهدٍ ومشقة وقيل أثقله فسقط (انظر لسان العرب كلمة نوأ)

اصطلاحاً / هو وقت سقوط نجمٍ من الأنجم الثمانية والعشرين فجراً في جهة المغرب ونهوض نجمٍ منها مكانه في ساعته في جهة المشرق ومدة كل نجمٍ منها ثلاثة عشر يوماً تقريباً (الفائق في علوم الحديث والأثر ٢٩/٤ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٢١/٥) وهي (الإكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة وسعد الذابح وسعد بُلع وسعد السعود وسعد الأخبية والمقدم والمؤخر والرشاء والشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرفة والجبهة والزبرة والصرفة والعواء والسماك والغفر والزبانا) فالثلاثة الأولى أنواء المربعانية

ثم يليها اثنين للشبط ثم ثلاثة للعقارب ثم اثنين للحميمين ثم اثنين للذراعين ثم ثلاثة للثريا ثم التوييع ثم اثنين للجوزاء ثم المرزم ثم الكليبين ثم أربعة لسهيل ثم أربعة للوسم ، وقد تختلف بعض مسمياتها عند العرب من قبيلةٍ إلى أخرى .

وكانت العرب في الجاهلية تستسقي بالأنواء أي تضيف المطر النازل إليها فيقولون مطرنا بنوء النعايم أو الثريا أو السماك أو غيرها قال تعالى {وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} (٨٢) سورة الواقعة قال بن كثير : قال مجاهد : هو قولهم مطرنا بنوء كذا وكذا .

والإستسقاء بالأنواء على ثلاثة أقسام :

الأول / أن ينسب المطر إليها نسبة إيجاد أي أن هذا النوء هو الذي أوجد المطر وجاء به فلا شك أن هذا كفرٌ أكبر وشركٌ لا يغتفر إذ جعل المخلوق خالقاً ونسب إليه الرزق فهذا شركٌ في الربوبية .

الثاني / أن ينسب المطر إليها نسبة سبب فيقول بسبب النوء الفلاني جاء الله بالمطر ولولا نهوض هذا النجم لما جاء الله بالمطر فهذا كفرٌ أصغر لأنه ربط بين رحمة الله وبين هذا النوء . وقد جاء عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماءٍ كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال (هل تدرون ماذا قال ربكم ؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال قال (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب) متفق عليه

الثالث / أن ينسب المطر إليها نسبة توقيت فيقول وقت نزول المطر في بلادنا هو في وقت طلوع النجم الفلاني فهذا جائز إذا اعتقد أنه مجرد وقتٍ لا سبب ولا إيجاد وأنه قد يأتي الله بالمطر في هذا الوقت وقد يمنعه وقد يأتي به في غير هذا الوقت فكل شيءٍ بإرادة الله وحده . وقد روي أن عمر بن الخطاب قال للعباس عام الرمادة وهو يستسقي : كم بقي

من نوء الثريا ؟ فقال العباس : إن أهل العلم بها يزعمون أنها تعترض في الأفق بعد وقوعها سبعاً ، قال الراوي : فو الله ما مضت تلك السبع حتى أغيث الناس ، رواه البيهقي في السنن الكبرى فمراد عمر السؤال عن وقت نزول المطر عادةً هل بقي منه شيء مع إيقانه أن المطر من عند الله ولاعلاقة له بالنجوم إيجاداً ولا سببية ،

* * *

((الطيرة))

التطير لغةً / التشاؤم قال تعالى{قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ} (٤٧) سورة النمل أي تشاءمنا بك وبمن معك فأجابهم صالح عليه السلام بأن شؤمهم ينتظرهم عند الله في الدار الآخرة لأن جزاء من لم يتبعه النار ،

اصطلاحاً / هي التشاؤم بالطيور وغيرها وقد كان أهل الجاهلية يزجرون الطير فإن اتجه يميناً قالوا سانح أي سنحت الفرصة لتنفيذ العمل وتفاءلوا وإذا اتجه شمالاً قالوا بارح أي مستقر كقول أحد إخوة يوسف{ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ }(٨٠) سورة يوسف وتشاءموا واستقروا مكانهم وتركوا ما كانوا عازمين على فعله ، وإن استقبلهم قالوا ناطح أو نطيح وإذا استدبرهم قالوا قاعد أو قعيد

ويتشائمون من ذلك كله ، وربما كان تشاءمهم بمسموع كتشائمهم بصوت البومة فإذا نعقت على بيت أحدهم قال : نعت إليَّ نفسي أو أحد أهل بيتي ، ويتشاءم أحدهم إذا سمع قائلاً يقول يا خائب يا خسران ونحو ذلك ، وربما كان تشاؤمهم بمرئي كما لو رأى معتوهاً أو مشلولاً أو نحو ذلك ، ويتشائمون بشهر صفر المعروف . فجاء الدين بنبذ هذه المعتقدات وأن هذه المخلوقات لا تضر ولا تنفع وأن الضار النافع هو الله وحده جل في علاه ولذلك وصم النبي صلى الله عليه وسلم المتطيرين بالمشركين لكونهم يعتقدون الضر والنفع فيما سوى الله ، فالطيرة لا تتفق مع التوحيد فالموحدين يعلمون أنه لا يضر ولا ينفع إلا الله وأن هذه المخلوقات ليس بيدها ضرٌ ولا نفع ، وتنافي التوكل والاعتماد على الله وتنافي الرضا بقضاء الله وقدره ، وتزرع في النفس الجبن والخوف والتردد ، وتنزع منه العزيمة والإقدام والشجاعة ، وتجعله أسيراً لوساوس الشيطان وتخويفه ، فأضرارها الدينية والدنيوية كثيرةٌ ولا خير فيها البتة .

والتطير أنواع :

الأول / أن يعتقد المتطير أن ما تطير به هو الذي يجلب الخير أو يدفع الشر بذاته فهذا شركٌ أكبر لأنه اعتقد في المخلوق نفعاً وضراً من دون الله وهذا شرك .

والثاني / أن يعتقد أن الله تعالى هو الذي يجلب الخير ويدفع الشر وأن هذه الأشياء التي تطير بها إنما هي أسباب وعلامات للخير والشر فهذا شركٌ أصغر إذا استرسل معه وصده عن حاجته أو مضى إليها بسببه فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) رواه أبو داود واللفظ له والترمذي وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٠٩٨) وقال الترمذي : سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث (

وما منا إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل) هذا عندي قول ابن مسعود . وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك) قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك قال أن يقول أحدهم (اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك) رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (١٠٦٥)

الثالث / أن يقع في قلبه شيءٌ من التطير فيصده ويدافعه ويستعين بالله ويتوكل عليه ويمضي لمقصده فلا شيء عليه . فعن معاوية بن الحكم رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله أموراً كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتي الكهان قال فلا تأتوا الكهان قال قلت كنا نتطير قال ذلك شيءٌ يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنكم . قال قلت ومنا رجال يخطون قال كان نبيٌ من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك . رواه مسلم وعن عروة بن عامر رضي الله عنه قال ذكرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (أحسنها الفأل ولا ترد مسلما فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله) رواه أبو داود وضعفه الألباني فيه حديث رقم (٣٩١٩)

((حكم التفاؤل))

التفاؤل مشروع فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل) قال قيل وما الفأل قال (الكلمة الطيبة) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا طيرة وخيرها الفأل قالوا وما الفأل ؟ قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم) متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعجبه إذا خرج لحاجةٍ أن يسمع يا راشد يا نجيح . رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٤٩٧٨) وعن بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يتطير من شيء فإذا بعث عاملا سأل عن اسمه فإذا أعجبه اسمه فرح به

ورئي بشر ذلك على وجهه وإن كره اسمه رئي كراهية ذلك على وجهه وإذا دخل قرية سأل عن اسمها فإن أعجبه اسمها فرح به ورئي بشر ذلك في وجهه وإن كره اسمها رئي كراهية ذلك في وجهه . رواه أبو داود وصححه الألباني فيه حديث رقم (٣٩٢٠) وقوله (أحسنها الفأل ، وخيرها الفأل) وفسره بالكلمة الطيبة مع أن الفأل مضادٌ للطيرة في الأصل لاكن لما كان أهل الجاهلية يتفاءلون أحياناً باتجاه الطير لليمين وبسماع مثل كلمة يا رابح ويانجيح ويا راشد ونحو ذلك من الكلمات الطيبة جعله أحسن ما يفعلونه في ذلك ، والتفاؤل فيه حسن ظنٍ بالله وتوكلٌ واعتمادٌ عليه ، بخلاف الطيرة التي فيها سوء ظنٍ بالله وعدم تسليم الأمور إليه ، وكره النبي صلى الله عليه وسلم للاسم المكروه ليس تطيراً بذلك ولكن لمحبته للتفاؤل بالاسم الطيب فلما فاته ذلك بالاسم المكروه حزن ورؤي كراهية ذلك في وجهه عليه الصلاة والسلام بدلالة أول الحديث والله تعالى أعلم .

((حكم التشاؤم بالمرأة والدار والفرس))

اختلف أهل العلم في هذه المسألة لقوله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة المرأة والفرس والدار) متفق عليه وقوله (أن يكن من الشؤم شيءٌ حق ففي الفرس والمرأة والدار) رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه قال قال رجلٌ يا رسول الله إنا كنا في دارٍ كثر فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى دارٍ قلَّ فيها عددنا وأموالنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذروها ذميمة) رواه أبو داود وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٥٨٩) فهذه الأحاديث ظاهرها يعارض الأحاديث التي تنفي الطيرة ولذلك اختلف أهل العلم في هذه الأحاديث على أقوال هي كالتالي :

القول الأول / تخصيص هذه الثلاث وأنها مستثناة من أحاديث النهي عن الطيرة فمعنى الحديث عندهم الطيرة محرمة إلا من هذه الثلاث ، لكن هذا الشؤم قد جاء بتقدير الله وليس كما يعتقد أهل الجاهلية في الطيرة أنها تضر وتنفع بذاتها . قال النووي : واختلف العلماء في هذا الحديث فقال مالك وطائفة: هو على ظاهره وأن الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سبباً للضرر أو الهلاك ، وكذا اتخاذ المرأة المعينة أو الفرس أو الخادم قد يحصل الهلاك عنده بقضاء الله تعالى (المنهاج عند شرحه لباب الطيرة والفأل في كتاب السلام من صحيح مسلم) وقال بن حجر : قال بن قتيبة ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم وأعلمهم أن لا طيرة فلما أبوا أن ينتهوا بقيت الطيرة في هذه الأشياء الثلاثة قلت فمشى بن قتيبة على ظاهره ويلزم على قوله أن من تشاءم بشيءٍ منها نزل به ما يكره قال القرطبي ولا يظن به أنه يحمله على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على أن ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ وإنما عنى أن هذه الأشياء هي أكثر ما يتطير به الناس فمن وقع في نفسه شيءٌ أبيح له أن يتركه ويستبدل به غيره(فتح الباري عند شرحه لكتاب الجهاد والسير باب ما يذكر من شؤم الفرس)

القول الثاني / أن الشؤم الذي قد يقع بهؤلاء الثلاث ظاهرٌ بيِّن بخلاف الطيرة التي كان عليها أهل الجاهلية والتي لا وجه لها حساً ولا عقلاً ولا شرعاً ، فإذا كان شؤم الشيءِ ظاهرٌ بين جاز أن تتشاءم به كما لو قلت : المعاصي شؤمٌ على مرتكبها ، وسوء الخلق شؤم على صاحبه ، والابن العاق شؤم على والديه وهكذا فهذه أمورٌ ظاهرةٌ معروفة شرعاً وحساً فكذلك هذه الثلاث الشؤم الحاصل منها إن حصل ظاهرٌ معروف فقيل : إن شؤم المرأة إذا كانت غير ولود ، وشؤم الفرس إذا لم يغز عليه ، وشؤم الدار جار السوء . وقيل إن شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم، وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وتعرضها للريب ، وشؤم الفرس حرانها وغلاء ثمنها وأن لا يغزى عليها . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاثة من السعادة المرأة الصالحة تراها تعجبك وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك ، والدار

تكون واسعة كثيرة المرافق ، وثلاث من الشقاء المرأة تراها فتسوؤك وتحمل لسانها عليك وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك ، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك ، والدار تكون ضيقةً قليلة المرافق) رواه الحاكم وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٩١٥) وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سعادة ابن آدم ثلاثة ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء) رواه أحمد وغيره وصححه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٩١٤) قال الإمام ابن القيم : وبالجملة فإخباره بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعياناً مشؤومةً على من قاربها وسكنها ، وأعياناً مباركةً لا يلحق من قاربها منها شؤمٌ ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولداً مشؤماً نذلاً يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد من ولايةٍ أو غيرها ، فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر ، والسعود والنحوس ، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركةً ويقضي بسعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة ، ويخلق بعض ذلك نحوساً يتنحس بها من قارنها ، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة ، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس ، وخلق ضدها وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس ، والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس ، فكذلك في الديار والنساء والخيل ، فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر .

القول الثالث / أن هذه الثلاث بحكم طول الملازمة والمصاحبة ، تكون في الغالب محالاً وظروفاً لحصول المكروه فيقع المكروه عندها فيقع الشؤم بها، لا أنها هي سبب ذلك المكروه . بمعنى أنه لو مات من عائلة المرء قومٌ في هذه الدار في زمنٍ يسير فإن المرء قد

يتشاءم بهذه الدار رغم أن المكروه وقع عندها لا بسببها . قال الخطابي: اليُمن والشؤم سمتان لما يصيب الإنسان من الخير والشر والنفع والضر، ولا يكون شيءٌ من ذلك إلا بمشيئة الله وقضائه ، وإنما هذه الأشياء محالٌ وظروفٌ جُعِلَت مواقع لأقضيته ، ليس لها بأنفسها وطباعها فعلٌ ولا تأثيرٌ في شيء ، إلا أنها لما كانت أعم الأشياء التي يقتنيها الناس ، وكان الإنسان في غالب أحواله لا يستغني عن دارٍ يسكنها وزوجةٍ يعاشرها وفرسٍ يرتبطه ، وكان لا يخلو من عارض مكروهٍ في زمانه ودهره أُضيف اليُمن والشؤم إليها إضافة مكانٍ ومحل وهما صادران عن مشيئة الله سبحانه . (أعلام الحديث ١٣٧٩/٢) وقال ابن قتيبة في حديث أنس: إنما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقالٍ لظلها واستيحاشٍ بما نالهم فيها، فأمرهم بالتحول ، وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه ، وإن كان لا سبب له في ذلك ، وحب من جرى على يده الخير لهم وإن لم يردهم به ، وبغض من جرى على يده الشر لهم وإن لم يردهم به . (تأويل مختلف الحديث ص: ٩٩)

القول الرابع / أن أصل الحديث إخبارٌ عما يتشاؤم به أهل الجاهلية غالباً فإنهم أكثر ما يتشائمون به هذه الثلاث لطول صحبتهم لها ، فحصل لبسٌ من الرواة فذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم يثبت الطيرة في هذه الثلاث والحقيقة أنه ينفيها ويذكر ما كان عليه أهل الجاهلية من التطير بهذه الأشياء ولذلك أنكرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الشؤم في هذه الثلاث ، فقد قيل لها إن أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشؤم في ثلاث : في الدار والمرأة والفرس) فقالت والذي أنزل الفرقان على محمدٍ ما قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم قط ، إنما كان أهل الجاهلية يتطيرون من ذلك وفي رواية قالت : ولكن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول (كان أهل الجاهلية يقولون : الطيرة في المرأة والدار والدابة) ، ثم قرأت عائشة رضي الله عنها {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي

كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) سورة الحديد رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٩٩٣) وروى أبو داود الطيالسي عن مكحول أنه قال : قيل لعائشة : إن أبا هريرة رضي الله عنه يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الشؤم في ثلاث : في الدار والمرأة والفرس) فقالت عائشة رضي الله عنها : لم يحفظ أبو هريرة لأنه دخل ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قاتل الله اليهود ، يقولون : إن الشؤم في الدار والمرأة والفرس) فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال الألباني : إسناده حسن لولا الانقطاع بين مكحول وعائشة ، لكن لا بأس به في المتابعات والشواهد إن كان الرجل الساقط من بينهما هو شخص ثالث غير العامريين المتقدمين . وقد روى الإمام أحمد عن أبي معشر عن محمد بن قيس قال : سئل أبو هريرة رضي الله عنه : سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة) ؟ قال : إذاً أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق) . ولكن هذه الرواية ضعيفة لضعف أبي معشر وللانقطاع بين محمد بن قيس وأبي هريرة رضي الله عنه ، وروى الطبري في تهذيب الآثار عن ابن أبي مليكة قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما: كيف ترى في جاريةٍ لي في نفسي منها شيء ؟ فإني سمعتهم يقولون : قال نبي الله صلى الله عليه وسلم (إن كانت الطيرة في شيء ففي الربع والفرس والمرأة) ، قال : فأنكر أن يكون سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم أشد النكرة ، وقال : إذا وقع في نفسك منها شيء ففارقها ، بعها أو أعتقها .

القول الخامس / أن الأحاديث لا تدل على إثبات الشؤم في هذه الثلاث بل تدل على النفي وذلك بحمل رواية الجزم وهي (إنما الشؤم في ثلاث ...) ورواية (الشؤم في ثلاث ...) على رواية التعليق وهي (إن كان الشؤم في شيء ...) وما في معناها . لأن رواية الجزم لم ترد إلا من حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما أما رواية التعليق

فقد وردت من عدة طرق عن عددٍ من الصحابة حتى رويت من طريق ابن عمر نفسه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن كان الشؤم في شيءٍ ففي الدار والمرأة والفرس) متفق عليه وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن كان في شيء ففي المرأة والفرس والمسكن يعني الشؤم) متفق عليه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا عدوى ولا طيرة ولا هام ، إن تكن الطيرة في شيء ففي الفرس والمرأة والدار) رواه أبو داود وصححه الألباني فيه حديث رقم (٣٩٢١) وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن يك في شيءٍ ففي الربعة والمرأة والفرس) رواه مسلم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا طيرة ، والطيرة على من تطير ، وإن تك في شيءٍ ففي الدار والفرس والمرأة) رواه بن حبان وقال بن حجر في الفتح: وفي صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس وعتبة مختلف فيه وهذا يدل على أن رواية التعليق هي المحفوظة ، فتحمل رواية الجزم عليها . ويكون معنى الحديث : لو كانت الطيرة مؤثرة في شيء لكان أول تأثيرها في هذه الثلاث لأنها أكثر ما يلازم المرء لكن لمَّا لم تؤثر فيها ففي غيرها من باب أولى فالأحاديث تدل على النفي لا على الإثبات قال ابن جرير الطبري : وأما قوله صلى الله عليه وسلم (إن كان الشؤم في شيء ففي الدار والمرأة والفرس) فإنه لم يثبت بذلك صحة الطيرة ، بل إنما أخبر صلى الله عليه وسلم أن ذلك إن كان في شيء ففي هذه الثلاث ، وذلك إلى النفي أقرب منه إلى الإيجاب ، لأن قول القائل : إن كان في هذه الدار أحدٌ فزيد . غير إثباتٍ منه أن فيها زيداً ، بل ذلك من النفي أن يكون فيها زيد أقرب منه إلى الإثبات أن فيها زيداً . وقال الطحاوي : لم يخبر أنها فيهن ، وإنما قال : إن تكن في شيء ففيهن ، أي لو كانت تكون في شيء لكانت في هؤلاء ، فإن لم تكن في هؤلاء الثلاثة فليست في شيء . وقال الألباني : الحديث يعطي بمفهومه أن لا شؤم في شيء لأن معناه : لو كان الشؤم ثابتاً في شيءٍ ما لكان في هذه الثلاثة ، لكنه ليس ثابتاً في شيءٍ أصلاً . وعليه فما في بعض الروايات بلفظ (الشؤم في ثلاثة) فهو اختصار وتصرف من بعض الرواة . السلسلة الصحيحة حديث رقم (٤٤٢) وقد روي ما يؤكد عدم الشؤم في هذه

الثلاث فعن مخمر بن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (لا شؤم وقد يكون اليمن في ثلاثة في المرأة والفرس والدار) رواه بن ماجة وصححه الألباني فيه حديث رقم (١٩٩٣) ورواه الترمذي عن حكيم بن معاوية وعن عروة البارقي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الخيل معقودٌ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة) رواه النسائي وصححه الألباني حديث رقم (٣٥٧٤)

القول السادس / أن الشؤم بها يقع على من تطير بها دون من لم يتطير بها واستدلوا بحديث أنسٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا طيرة ، والطيرة على من تطير ...) فقد يجعل الله تعالى تطير العبد وتشاؤمه سبباً لحلول المكروه به ، كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر عنه ٠

القول الراجح / هو القول الثاني وهو أنه ليس المراد أن هذه الثلاث تأتي بالشؤم أو أنها أسبابٌ له وإنما المراد أنه قد يحصل للمرء شرٌ من هذه الثلاث لطول مصاحبته لها فيتزوج الرجل امرأة غير صالحه فتفسده أو تنقص دينه وربما تزوج الغني امرأة كثيرة الطلبات فأتلفت ماله بكثرة طلباتها وربما رزق بمولودٍ منها حصل من وراءه شرٌ كثير ، وهكذا الدابة فكم من سيارةٍ أزهقت صاحبها وكلفته بكثرة أعطالها وتجدد خرابها وكلما أصلح عطلاً بدا آخر ، وهكذا الدار إما بكثرة خرابها أو بوجود جيران السوء عندها أو بغير ذلك فهذا كله شر حصل من هذه الثلاث لكن لم يكن الشؤم من عندها أو بأسبابها إنما السبب معاصي الرجل نفسه فهي أصل كل شؤمٍ على بني آدم فيبتلى بظهور الشؤم في هذه الثلاث أكثر من غيرها لكثرة مصاحبته لها ولحاجته إليها وكثرة تعلقه بها ، ولذا قال أحد السلف : إني لأعصي الله فأرى شؤم معصيتي في خلق دابتي وزوجتي ٠ ولو كان الرجل صالحاً يخاف الله ويخشاه حق الخشية لرزقه الله زوجةً صالحة طيبة كما قال تعالى {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ } (٢٦) سورة النور وهكذا الدار والدابة فلو كان صالحاً لأصلح الله له دابته ومسكنه وبارك له في ذلك

ورزقه من حيث لا يحتسب كما قال تعالى {وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (٩٦) سورة الأعراف

وأما القول الأول فإنه يعارض الأحاديث الصحاح في نفي الطيرة مطلقاً حتى في الحديث الذي ذكر الشؤم في هذه الثلاث قد نفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة فقال (لا عدوى ولا طيرة وإنما الشؤم في ثلاثة المرأة والفرس والدار) متفق عليه فتبين أن الشؤم المذكور في هذه الثلاث غير الطيرة المنفية لأنه لو كان مستثنىً منها لقال (لا طيرة إلا في ثلاث ...) والنبي صلى الله عليه وسلم كان يبين للناس بأوضح عبارةٍ وأسهل كلام .

وأما القول الثالث فيرده أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن الشؤم في هذه الثلاث لا عندها وقد بينا وجه الشؤم بها وأما ما يقع عندها من المصائب فلا يجوز التشاؤم بها لأجل ذلك فهذا من فعل الجاهلية كمن يتشاءم بزوجته لكونها لا تلد الذكور فهذا فعل من لا يؤمن بقضاء الله وقدره وليس للمرأة في ذلك فعلٌ حتى يقع الشؤم منها وهكذا كثرة الموت في الدار إذا لم يكن بسبب تسمم جدرانها أو تهدم أركانها أو نحو ذلك وإلا فلا يجوز التشاؤم بها وأما حديث أنس أن رجلاً قال : يا رسول الله إنا كنا في دارٍ كثر فيها عددنا وأموالنا فتحولنا إلى دارٍ قل فيها عددنا وأموالنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذروها ذميمة) رواه أبو داود وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٥٨٩) فقد أجاب عنه بن قتيبة بقوله : إنما أمرهم بالتحول منها لأنهم كانوا مقيمين فيها على استثقالٍ لظلها واستيحاشٍ بما نالهم فيها، فأمرهم بالتحول ، وقد جعل الله في غرائز الناس وتركيبهم استثقال ما نالهم السوء فيه ، وإن كان لا سبب له في ذلك، وحب من جرى على يده الخير لهم وإن لم يردهم به، وبغض من جرى على يده الشر لهم وإن لم يردهم به . (تأويل مختلف الحديث ص: ٩٩)
قلت : وقد يكون معنى قوله (ذروها ذميمة) أي الطيرة واعتقاد الشؤم في الدار بغير أمرٍ

محسوسٍ ظاهر وأما الموت فلا علاقة للدار به وحينئذٍ يكون تشاؤمكم منها من الطيرة المحرمة (فذروها) أي الطيرة فإنها (ذميمة) لا خير فيها .

وأما القول الرابع فأجيب عنه بأن الحديث ثابتٌ من عدة طرق وعن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم غير أبي هريرة . قال الإمام ابن القيم: قول عائشة هذا مرجوح ، ولها رضي الله عنها اجتهادٌ في رد بعض الأحاديث الصحيحة خالفها فيه غيرها من الصحابة ، وهي رضي الله عنها لَمَّا ظنَّت أن هذا الحديث يقتضي إثبات الطيرة التي هي من الشرك لم يسعها غير تكذيبه ورده ، ولكن الذين رووه ممن لا يمكن رد روايتهم ، ولم ينفرد بهذا أبو هريرة وحده ، ولو انفرد به فهو حافظ الأمة ا.هـ. وقال الحافظ ابن حجر : ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقته من ذكرنا من الصحابة له في ذلك .

وأما القول الخامس فجوابه : أن رواية الجزم ثابتةٌ في الصحيحين فلا يمكن نسفها والقول بأنها غلطٌ من الرواة أو أنهم رووها بالمعنى ثم خالفوا المعنى الصحيح وهم أئمةٌ ثقات ثم إنه يمكن الجمع بين الروايات فلا يصار إلى الترجيح إلا مع تعذر الجمع والجمع ممكن كما بينا .

وأما القول السادس فجوابه أن معنى الحديث (وإثم الطيرة على من تطير) لأن النبي صلى الله عليه وسلم نفى الطيرة فكيف يقال إنه أثبتها بعد نفيه لها هذا تناقضٌ يتره عنه كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون المعنى ما ذكرنا منعاً للتناقض ، وهذا إذا صح الحديث وإلا فقد قال بن حجر في الفتح: في صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس وعتبة مختلف فيه لكن حسنه الألباني كما في طبعة بيت الأفكار الدولية لصحيح بن حبان حديث رقم (٦٠٩٠)

* * *

((العقيدة الصحيحة في العدوى))

العدوى / هي انتقال الداء من المريض إلى الصحيح ٠

وقد وردت أحاديث تبين حقيقة انتقال العدوى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر) رواه مسلم وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا صفر ولا هامة) فقال أعرابي: يا رسول الله. فما بال الإبل تكون في الرمل كأنها الظباء فيجيء البعير الأجرب فيدخل فيها فيجربها كلها؟ قال (فمن أعدى الأول) أخرجاه في الصحيحين وعن جابر رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا عدوى ولا غول ولا صفر) رواه مسلم وقال صلى

الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم (لا يورد ممرضٌ على مصح) رواه مسلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن القدوم إلى بلدٍ فيها طاعون وورد عن عمرو بن الشريد عن أبيه قال كان في وفد ثقيف رجلٌ مجذوم فأرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم إنا قد بايعناك فارجع . رواه مسلم وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذومٍ فأدخلها معه في القصعة ثم قال (كل بسم الله ثقةً بالله وتوكلاً عليه) رواه ابن ماجه وغيره وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٥٨٥)

فهذه الأحاديث يبين بعضها بعضاً وليست متناقضة كما يعتقد الجهلة فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يعتقده أهل الجاهلية من انتقال العدوى بذاتها ، وبين أنه اعتقادٌ باطل وأن العدوى لا تنتقل إلا بتقديرٍ من الله وأن العدوى سببٌ من أسباب المرض لكن قد يوقع الله بها المرض وقد لا يوقع بها المرض ، وأثبت انتقال العدوى بتقدير الله ، وحث على تجنب أسباب المرض ، ثم أراد أن يؤكد بفعله في الحديث الأخير أن العدوى لا تنتقل بذاتها بل هي سبب ولا يلزم من فعل السبب حدوث أسبابه بل كل ذلك بتقدير الله فهو خالق السبب وموجد أسبابه فمن كان في موقفٍ كهذا يريد بيان الحق للناس جاز له أن يقتحم أسباب العطب ليبين للناس أن الله هو الذي بيده الضر والنفع وأن هذه مجرد أسبابٍ إذا شاء الله أن يوقعها أوقعها وإذا شاء أن يمنعها منعها مع تمام توكله على الله واعتماده عليه ألا يجعل هذا السبب يضره كما فعل خالد بن الوليد عندما شرب السم فلم يضره وقد ألقي إبراهيم في النار وهي سبب للإحراق فكانت عليه برداً وسلاماً وفي هذا الخبر مؤاكلة النبي صلى الله عليه وسلم للمجذوم والجذام من الأمراض المعدية بتقدير الله ومع هذا لم ينتقل هذا الداء إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد اختلف العلماء في هذه الأحاديث على عدة أقوال :

القول الأول وهو الراجح / ما قدمنا من أن المنفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن

العدوى تنتقل بذاتها بغير تقديرٍ من الله فنفى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الاعتقاد وإلا فإن انتقال بعض الأمراض من المريض إلى الصحيح لا نفي فيه فإنه معلومٌ حساً وشرعاً فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم (لا يورد ممرضٌ على مصح) رواه مسلم قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن : أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره والعبد مأمورٌ باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية فكما أنه يؤمر ألا يلقي نفسه في النار أو الماء مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم وكالقدوم على بلد الطاعون فإن هذه أسبابٌ للمرض والتلف ، فالله سبحانه هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر سواه ، وأما إذا قوي التوكل على الله والإيمان بقضاء الله وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب إعتماداً على الله ورجاءً منه ألا يحصل به ضرر ، ففي هذه الحالة تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كانت مصلحة عامة أو خاصة وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال (كل بسم الله ثقةً بالله وتوكلاً عليه) وروي ذلك عن عمر وابنه وسلمان ونظيره ما روي عن خالد بن الوليد أنه أكل السم ٠١٠ هـ (فتح المجيد ٣٤٤)

القول الثاني / أن الأمر باجتناب المرضى منسوخٌ بأحاديث إنكار العدوى ونسب هذا القول لعمر بن الخطاب وعيسى بن دينار من المالكية

ويجاب / بأن دعوى النسخ لا بد لها من دليل ثم إن الحديث الذي فيه الأمر بالفرار من المجذوم هو نفسه الحديث الذي فيه نفي العدوى فقد قال صلى الله عليه وسلم (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وفر من المجذوم فرارك من الأسد) رواه البخاري فتبين أن الأمر بالفرار من المجذوم لا يعارض نفي العدوى كما ذكرنا في القول الأول ٠ قال النووي في شرح مسلم : حكى المازري والقاضي عياض عن بعض العلماء أن حديث (

لا يورد ممرض على مصح) منسوخ بحديث (لا عدوى) وهذا غلط لوجهين: أحدهما: أن النسخ يشترط فيه تعذر الجمع بين الحديثين و لم يتعذر بل قد جمعنا بينهما. والثاني: أنه يشترط فيه معرفة التاريخ وتأخر الناسخ وليس ذلك موجوداً هنا ·

القول الثالث / ترجيح الأحاديث التي فيها نفي العدوى على الأحاديث التي فيها الأمر باجتناب المرضى وقالوا عن حديث (فر من المجذوم) أنه شاذٌ مخالفٌ للأحاديث المتكاثرة في نفي العدوى وقد أنكرته عائشة رضي الله عنها واخبرت أن لها مولىً كان به هذا الداء وكان يأكل ويشرب من آنيتها ·

ويجاب / بأنه لا يصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع بين الأحاديث وقد بيناه ·

القول الرابع / ترجيح الأحاديث التي فيها الأمر باجتناب المرضى على الأحاديث التي فيها نفي العدوى لأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه عنده والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر فالمصير إليها أولى وأما حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال (كل ثقةً بالله وتوكلاً عليه) فقد ضعفه الألباني(انظر مشكاة المصابيح حديث رقم (٤٥٨٥) وقال بن حجر : فيه نظر وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ورجح وقفه على عمر وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أكل معه وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة ·

ويجاب / بأن حديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهم فلا يُعَلُ بتراجع أبي هريرة ، ثم إنه لا يصار إلى الترجيح مع إمكان الجمع بين الأحاديث وقد بيناه ·

القول الخامس / تخصيص ما ورد به النص أنه معدي كالجذام والجرب والبرص ونحوها من عموم حديث (لا عدوى) ويبقى ما سواها على نفي العدوى ونسب هذا القول إلى الباقلاني وبن بطال ·

ويجاب / بأن التخصيص لا بد له من دليل ٠

القول السادس / أن المرض قد ينتقل بالملامسة والمخالطة والعدوى المنفية هي التي يعتقد انتقالها بغير ملامسة ولا مخالطة كمن يفر من بلد الطاعون فهذا منهيٌّ عنه لكونه اعتقد العدوى بغير ملامسةٍ ولا مخالطة ٠

ويجاب / بأن أهل بلد الطاعون قد يختلطون لحاجة الناس بعضهم لبعض وإنما نهي عن الفرار من بلد الطاعون خشية أن ينتقل الوباء إلى بلدٍ آخر فهو إلى إثبات العدوى أقرب منه إلى نفيها ٠

القول السابع / أن الأمر بمجانبة المرضى هو من باب سد الذرائع التي توصل للمحرم فخشية أن يصاب الصحيح بنفس مرض المريض بتقدير الله فيعتقد أنه من العدوى المنفية فيقع فيما اعتقده أهل الجاهلية فسداً لهذا الباب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمجانبة المرضى ، ونسب هذا القول لمالك والطبري والطحاوي وبن خزيمة وغيرهم ٠
ويجاب / بأن انتقال بعض الأمراض من المريض إلى الصحيح ثابتٌ بالطب ، والشرع لا يصادم ما أثبته أهل الاختصاص فتعين أن يكون المراد ما ذكرنا من أن العدوى المنفية هي التي كان يعتقدها أهل الجاهلية ، وليس المراد نفي العدوى مطلقاً بدليل أنه نفى في الأحاديث أموراً لا يمكن نفي حقيقتها كشهر صفر والأنواء والغول وهم نوع من الجن والهامة وهي البومة فتبين أن المراد نفي معتقدات أهل الجاهلية فيها لا نفي وجودها ٠

مسألة / قول النبي صلى الله عليه وسلم (فمن أعدى الأول) أي أنتم تعلمون أن الأول لم يأته الجرب بعدوىً تنتقل بطبعها وإنما جاءه بتقدير الله فكذلك الإبل التي أعداها هذا البعير الأول ليس انتقال العدوى منه إليها انتقالاً بالطبيعة بغير تقديرٍ من الله بل هو بتقدير الله وهذا من أقوى الأجوبة المفحمة لمن يدَّعي أن العدوى تنتقل بذاتها بغير تقديرٍ من الله

فسبحان من أعطى نبيه جوامع الكلم .

قوله صلى الله عليه وسلم (ولا هامة) قيل هي البومة وقيل هي طائرٌ آخر فيتشائمون به إذا وقع على بيت أحدهم أو سمعوا نعاقها وقالوا تنعى لنا أنفسنا أو أحد أهل دارنا (فتح المجيد٢٤٦) وقيل إنهم كانوا يزعمون أن هذا الطير هو روح الميت وأنها تصرخ طلباً للثأر إذا كان مقتولاً (القول المفيد١/٥٦٣) .

قوله صلى الله عليه وسلم (ولا صفر) قيل هو شهر صفر المعروف كانوا يتشائمون به وربما تشائموا بغيره من الشهور كشوال في النكاح خاصة فأخبرت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن النبي عقد عليها وتزوجها في شوال وكانت أحظى نسائه عنده وربما تشاءموا بيوم الأربعاء وهكذا حياتهم شومٌ في شوم فأبطلها الإسلام وجاء بالفأل لأن فيه حسن ظنٍ بالله بخلاف الطيرة التي يكون فيها سوء ظنٍ بالله وتعلقٌ بغيره .

قال النووي في شرحه لمسلم قوله صلى الله عليه وسلم (ولا صفر) فيه تأويلان:

أحدهما: أن المراد تأخيرهم تحريم المحرم إلى صفر وهو النسيء الذي كانوا يفعلونه وبهذا قال مالك وأبو عبيدة.

والثاني: أن الصفر دواب في البطن وهي دود وكانوا يعتقدون أن في البطن دابةً تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها أعدى من الجرب ، وهذا التفسير هو الصحيح ، وبه قال مطرف وابن وهب وابن حبيب وأبو عبيد وخلائق من العلماء ، وقد ذكره مسلم عن جابر بن عبد الله راوي الحديث فيتعين اعتماده ، ويجوز أن يكون المراد هذا والأول جميعاً ، وأن الصفرين جميعاً باطلان لا أصل لهما .انتهى

قوله صلى الله عليه وسلم (ولا غول) جمعها غيلان وهي شياطينٌ تتراءى للناس في أسفارهم فتخيفهم وتضلهم عن الطريق وفي الحديث (إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان) فنفى النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون الغيلان قادرةً على إضلال البشر بغير تقديرٍ

من الله كما كان يعتقد أهل الجاهلية ، بل إن من ذكر الله وحافظ على أوراده وتحصيناته وتعلق بربه لم تستطع أن تؤذيه ولا تضله ٠

قوله صلى الله عليه وسلم (ولا نوء) نجومٌ كان أهل الجاهلية يعتقدون أنها تأتي بـالمطر وربما تشائموا من بعضها وتقدم الحديث عنها في باب الاستسقاء بالأنواء ٠

* * *

((حكم قول لو))

يختلف حكم قول (لو) باختلاف استعمالها فيكون على النحو التالي :

١-إن استعملها متسخطًا بها على أقدار الله فهي حرام كما قال تعالى {الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} (١٦٨) سورة آل عمران وقال تعالى {ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ

الصُّدُورِ} (١٥٤) سورة آل عمران وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم فتفتح له باب التحسر والاعتراض على قضاء الله والتسخط على أقداره وغير ذلك

٢-أن يقولها متطلعًا إلى المعصية فيكون له وزر المعصية التي تمنى حصولها فعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إنما الدنيا لأربعة نفر) ثم ذكر منهم (وعبد رزقه الله مالا و لم يرزقه علما يخبط في ماله بغير علم ولا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهذا بأخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء) رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٠٢٤)

٣-أن يقولها متطلعاً إلى طاعةٍ لا يستطيعها فله أجر ما تمنى فعله من الطاعات كما قال صلى الله عليه وسلم (إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأفضل المنازل وعبد رزقه الله علما و لم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء ....) رواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٠٢٤) وكقوله صلى الله عليه وسلم (لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي ولجعلتها عمرة) رواه مسلم من حديث جابر الطويل في الحج

٤-استعمالها للبيان والتوضيح للمتعلم بغير اعتراضٍ على قدر ولا تحسرٍ على أمر فهذا جائز كقوله تعالى {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} (٢٢) سورة الأنبياء وكقوله تعالى {وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ } (٩٦) سورة البقرة وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُواْ

واتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّه خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ } (١٠٣) سورة البقـرة والنصوص في مثل ذلـك كثيرة .

(((مسألة الحكم بغير ما أنزل الله وتحكيم القوانين الوضعية)))

لا يجوز الحكم بغير ما أنزل الله ولا التحاكم بالقوانين الوضعية فإن ذلك شرك مع الله في التشريع والطاعة قال تعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} (٦٥) سورة النساء وقال تعالى {أَلَمْ تَـرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيـدًا} (٦٠) سـورة النساء وقال تعالى {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} (٥٠) سورة المائدة وقال تعالى {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً} (١١٤) سـورة الأنعـام وقد بيَّن أهل العلم هذه المسألة فقال الشيخ عبد العزيز الراجحي : ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أن من بدَّل الشريعة بغيرها من القوانين فإن هذا من أنواع الكفر ومثَّـل لذلك بالمغول الذين دخلوا بلاد الإسلام وجعلوا قانوناً مكوناً من عدة مصادر يسـمى (

الياسق) وذكر كفرهم وذكر هذا أيضاً الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله فقد قال في أول رسالته (تحكيم القوانين): إن من الكفر المبين استبدال الشرع المبين بالقانون اللعين .أ.هـ فإذا بدَّل الشريعة من أولها إلى آخرها كان هذا كفراً من أنواع الكفر والردة ، وقال آخرون من أهل العلم : إنه لابد أن يعتقد استحلاله ولابد أن تقام عليه الحجة وذهب إلى هذا سماحة شيخنا عبد العزيز بن باز رحمه الله وقال : إنه لابد أن تقوم عليه الحجة لأنه قد يكون جاهلاً بهذا الأمر وليس عنده علم ، فلابد أن يبين له حتى تقوم عليه الحجة فإذا قامت عليه الحجة فإنه يحكم بكفره .انتهى

وقال الشيخ صالح الفوزان : من نحّى الشريعة الإسلامية نهائياً وأحل مكانها القانون فهذا دليلٌ على أنه يرى جواز هذا الشيء ، لأنه ما نحاها وأحل محلها القانون إلا لأنه يرى أنها أحسن من الشريعة ، ولو كان يرى أن الشريعة أحسن منها لما أزاح الشريعة وأحل محلها القانون ، فهذا كفرٌ بالله .

وقال الشيخ ناصر العقل : يبدو لي أن كثيراً ممن يقعون في الحكم بغير ما أنزل الله أحياناً ليس هذا بإرادتهم ، يأتون إلى سدة نظامٍ وضع له دستورٌ أيام الاحتلال الغربي لبلاد المسلمين ، ثم جاء حكامٌ يرثون هذه النظم ، قد يكون بعضهم يكره الحكم بغير ما أنزل الله ، ورأينا من البعض محاولات جادة كما كان من ضياء الحق وغيره للعودة إلى حكم الله ، ولكن ترده قوى كثيرة ، وربما يؤدي عمله إلى مفاسد عظمى تفسد أمن البلاد وتوقع في كوارث . فإذن أنا لست بهذا أعتذر عنهم ، ولكن أقول يجب أن نحتاط في ديننا للحكم على العباد لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) فإذن الإكراه والتأول والجهل والالتباس أيضاً ، كل هذه موانع من تكفير المعين ... فلذلك لا يجوز الاستعجال في تكفير دولةٍ أو مؤسسةٍ أو نظامٍ أو حزبٍ أو جماعةٍ أو هيئةٍ أو شخص ، لا يجوز التسرع بتكفيره ما لم تُطَبَّق عليه الشروط ، ويجب

أن نفرق بين الحكم على المعينين والحكم العام الشرعي ١٠هـــ

ويمكن تلخيص حالات الحكم بغير ما أنزل الله والتحاكم إلى القوانين الوضعية بما يلي :

أولاً / أن واضع القانون الذي بدل به الشريعة كافرٌ كفراً أكبر دون نظرٍ هل هو مستحلٌ أو غير مستحل لأن فعله يدل على استحلاله لذلك وعليه كلام الشيخ صالح الفـــوزان ، لاكن لابد من إقامة الحجة عليه بأن يقال له إن فعلك هذا كفرٌ أكبر فإن أصـــرَّ عليـــه حكمنا بكفره وعليه كلام الشيخ بن باز .

ثانياً / الحاكم بهذا القانون الذي قد وضع قبله ، يبين له ويقال : إن اســـتبدال أحكـــام الشريعة بهذه القوانين كفر ، فإن أصر على الحكم بها و لم يبد عذراً كإكراه ونحوه حكمنا بكفره لأنه يكون مستحلاً لها أو معتقداً أنها أفضل من أحكام الشريعة فيكفر بذلك كلـــه الكفر الأكبر .

ثالثاً / الذي يحكم بالشريعة لاكن حكم ببعض بنود هذه القوانين مما يخالف الشريعة غير مستحلٍ لها ولا معتقدٍ أنها أفضل من الشريعة ولكن لغلبة شهوة وهوى مع إقراره بعصيانه فهذا قد ارتكب كبيرةً لكن لا يحكم بكفره .

رابعاً / الذي يتحاكم إلى هذه القوانين الوضعية فهذا إن كان راضٍ بها أو معتقدًا جـــواز التحاكم إليها أو مفضلاً أحكامها على أحكام الشريعة ، فهذا كافرٌ الكفر الأكبر ودليـــل

ذلك قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} (٦٠) سورة النساء وقوله تعالى {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} (٦٥) سورة النساء

وأما من كان مجبراً على التحاكم إليها إما لأن خصمه ألزمه بالحضور إلى هذه المحكمة الوضعية أو لأنه لايستطيع الوصول إلى حقوقه إلا برفع الأمر إلى هذه المحكمة الوضعية لعدم وجود محاكم شرعية في الدولة التي هو فيها أو لغير ذلك من الأسباب الملزمة فلا حرج إذا كان كارهاً لذلك غير معتقدٍ جوازه .

((من نواقض التوحيد : النفاق))

النفاق نوعان : إعتقادي / وهو إبطان الكفر وإظهار الإيمان وصاحبه مخلدٌ في النار كما قال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا} (١٤٥) سورة النساء

والثاني / عملي وهو ارتكاب صفة من صفات المنافقين التي لا تخرج من الدين وهذا لا يكفر ما لم يرتكب أمراً مكفراً .

ويتميز المنافقون بصفات من أبرزها ما يلي :

١-الخلف في الوعد والغدر في العهد والكذب في الحديث والخيانة في الأمانة والفجور في المخاصمة ، قال صلى الله عليه وسلم (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان) متفق عليه وقال (أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا أؤتمن خان ، وإذ حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) متفق عليه .

٢-لمز المؤمنين في عباداهم والسخرية منهم كما قال تعالى {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٧٩) سورة التوبة وقال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ} (١٣) سورة البقرة فيسخرون من اللحية وتقصير الثوب والحجاب ويصفون من يطبق الشريعة بالمتأخر والرجعي والإرهابي وغير ذلك .

٣-أهم يريدون التحاكم إلى الطاغوت ، كما قال تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا} (٦٠) سورة النساء وإذا دعوا إلى تحكيم الكتاب والسنة صدوا وأعرضوا عن ذلك كما قال تعالى {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا} (٦١) سورة النساء

٤- مخادعة المؤمنين والكيد لهم قال تعالى {يُخَادِعُونَ اللّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ} (٩) سورة البقرة وقال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً} (١٤٢) سورة النساء

٥-الفرح بانتصار الكفار على المسلمين والحزن بانتصار المسلمين كما قال تعالى {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ} (٥٠) سورة التوبة

((كيفية التعامل مع المنافقين))

١- معاملتهم بالظاهر فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعاملهم معاملة المسلمين فيسمح لهم بدخول المسجد والصلاة معه ويسمح لهم بالخروج معه للجهاد وغير ذلك .

٢-مجاهدتهم بالحجة والبرهان والإغلاظ عليهم ، قال تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (٧٣) سورة التوبة

٣-الإعراض عنهم كما قال تعالى {سَيَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ} (٩٥) سورة التوبة وقال تعالى {وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً } (٨١) سورة النساء

٤-عدم الصلاة على من ظهر نفاقه ويعامل معاملة الكافرين في ذلك كما قال تعالى {وَلاَ تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ } (٨٤) سورة التوبة

((الإيمان بالملائكة))

يتضمن الإيمان بالملائكة عدة أمور أهمها :

١- التصديق الجازم بوجودهم قال تعالى {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ} (٢٨٥) سورة البقرة وقال تعالى { وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا} (١٣٦) سورة النساء وقال تعالى {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ } (١٧٧) سورة البقرة وقد تواترت نصوص الوحيين بإثبات وجودهم ووجوب التصديق بهم وأن من لم يؤمن بهم فهو كافر لإنكاره معلوماً من الدين بالضرورة ٠

٢-أن الله خلقهم من نور فعن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال (خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم) رواه مسلم

٣-الإيمان بما ورد من صفاتهم الخِلقية والخُلُقية فمن صفاتهم الخِلقية أن لهم أجنحة كما قال تعالى{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (١) سورة فاطر وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام وله ستمائة جناح . متفق عليه وأنهم عظيمي الخِلقة فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أذن لي أن أحدث عن ملكٍ من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٨٥٤) ومنها أنهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون ويتمثلون في صورة البشر قال تعالى {وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ} (٧٠) سورة هود وقال تعالى في قصة مريم عليها السلام {فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} (١٧) سورة مريم ومن صفاتهم الخُلُقية أنهم لا يعصون الله مطلقاً يخشونه ويبتدرون بتفيذ أمره قال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } (٢٨) سورة الأنبياء وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} (٦) سورة التحريم وعن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وملكٌ واضعٌ جبهته ساجداً لله) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٤٤٩)

٤-الإيمان بمن ذكروا في الكتاب والسنة بأعيانهم وأعمالهم كجبريل وهو موكلٌ بالوحي وميكائيل وهو موكلٌ بالقطر وإسرافيل وهو الموكل بالنفخ في الصور ومالك خازن جهنم ورضوان خازن الجنة ومنكر ونكير الموكلان بسؤال أصحاب القبور وملك الموت الموكل بقبض أرواح العباد وملك الجبال والحفظة وهم الملائكة الذين يكتبون أعمال العباد كما قال تعالى {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (١٢) سورة الإنفطار وغير ذلك .

٥-الإيمان بأن الملائكة لا يضرون أحداً ولا ينفعونه إلا بأمر الله وأنهم لا يشفعون لأحدٍ إلا بإذن الله وأنه لا يجوز أن يصرف لهم شيءٌ من أنواع العبادة مطلقاً قال تعالى { قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا } (١١) سورة الفتح وقال تعالى {وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاء وَيَرْضَى} (٢٦) سورة النجم وقال تعالى {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّن دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ} (٢٩) سورة الأنبياء وقال تعالى {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلاَئِكَةَ وَالنِّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} (٨٠) سورة آل عمران

حقوق الملائكة :

١-أن نحبهم ونواليهم لأنهم من عباد الله الصالحين وهم يحبون أهل الإيمان ويبغضون أهل الكفر والعصيان ويستغفرون للمؤمنين كما قال تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٧) سورة غافر وقال تعالى

{تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ} (٥) سورة الشورى

٢–أن نتجنب ما يؤذيهم كارتكاب المعاصي فإنهم مؤمنون يتأذون برؤية معصية العباد لله ، وأن نتجنب ما يؤذي المؤمنين فإنهم يتأذون مما يتأذى منه المؤمنون فيتأذون من رائحة الثوم والبصل ويكرهون التصاوير فلا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة .

من ثمرات الإيمان بالملائكة :

١–اليقين بعظمة الخالق جل في علاه فإذا كانت هذه هي عظمة الملائكة وهم خلقٌ من خلق الله أيقنا بعظمة الخالق وقدرته التي لا منتهى لها .

٢–أن نوقن أن الله غنيٌ عنا ولو شاء لأهلكنا جميعاً فله عبادٌ غيرنا يسبحون له الليل والنهار لا يفترون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٣–أن الإيمان بالملائكة يدعونا أن نكثر من عبادة الله ما استطعنا فإن الملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون ونحن وهم فقراء محتاجون إلى الرب جل وعلا فلنقتدي بهم على قدر طاقتنا إذ طاقة الملائكة أعظم من طاقتنا فلا يمكن لبشرٍ أن يتعبد الليل والنهار بلا فتور ولكن يعمل بقدر طاقته بلا تكاسل ويستعين بالرب جل وعلا ، وهكذا سائر الأعمال الصالحة كتحسين صفوف الصلاة كما قال صلى الله عليه وسلم (ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها) فقلنا يا رسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها قال (يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف) رواه مسلم ومن ذلك البحث عن حلق العلم

والتواضع لأهله فإن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع ، ومن ذلك الاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومحبتهم وإرادة إيصال الخير لهم وغير ذلك .

٤-شكر الله تعالى على عنايته بنا حيث وكل بنا ملائكةً يحفظوننا من الشرور بأمر الله ويكتبون ما نعمله حتى تطمئن نفوسنا ألا يضيع من أعمالنا الصالحة شيء وأن كنا نوقن أن ربنا جل وعلا لا يضل ولا ينسى ولكن زيادة تفضلٍ من ربنا لتطمئن نفوسنا . وأن نشكر ربنا جل وعلا أن جعل من عباده من يدعو لنا ويعيننا على الطاعة .

((الإيمان بالكتب))

هو التصديق الجازم بأن لله كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله لهداية عباده ولا يعلم عددها إلا الله فنؤمن بها جملة ونؤمن بما سمي لنا منها تفصيلاً وهي التوراة والإنجيل والزبور والقرآن وصحف إبراهيم وأنها جميعاً قد حرِّفت وبدلت سوى القران فهو محفوظٌ بحفظ الله إلى يوم القيامة كما قال تعالى{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}(٩) سورة الحجر بخلاف الكتب المتقدمة فقد أوكل الله حفظها إلى أمم من أنزلت عليهم كما قال تعالى {إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء } (٤٤) سورة المائدة فلم يقوموا بالأمانة بل بدلوا وغيروا مع تطاول السنين وبعدهم عن عهد رسولهم قال تعالى{أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} (٧٥) سورة البقرة وقال تعالى {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ} (١٣) سورة المائدة والقران ناسخٌ لما

تقدمه من كتب فيجب العمل بالقران دون غيره من الكتب المتقدمة كما قال تعالى {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (٤٨) سورة المائدة وقال تعالى {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (٨٥) سورة آل عمران

ثمرات الإيمان بالكتب

١-شكر الرب جل وعلا الذي لم يتركنا هملاً فنضيع بل أنزل إلينا كتباً نعرف من خلالها طريق الحق والهدى فنتبعه ونعرف طريق الضآلين فنجتنبه .

٢-أن نعتني بالكتاب الكريم فنتدارسه تلاوةً وحفظاً وفهماً وتطبيقاً وأن نجعله منهج حياتنا فنسير على هداه ونلتزم بآدابه وأحكامه .

((الإيمان بالرسل))

هو الإيمان بأن لله تعالى أنبياءً ورسلاً من البشر بعثهم لهداية الناس ودلالتهم إلى الصراط المستقيم وليبلغوا للناس كلام ربهم جل وعلا ، فبلغوا رسالات ربهم على أكمل وجه ذلك لأنهم مصطفين من الرب جل وعلا كما قال تعالى{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} (٧٥) سورة الحج فاختار الله خيرة البشر لهذه المهمة العظيمة وقد عصمهم الرب جل وعلا من كبائر الذنوب ومن الخيانة والتكاسل في أداء الرسالة والأنبياء والرسل كثير لا يعلم عددهم إلا الله والمذكور في القران منهم خمسة وعشرون وأولهم نوح وقيل آدم وقيل أول الأنبياء آدم وأول الرسل نوح وآخرهم جميعاً محمد صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً ، فيجب علينا الإيمان بهم جميعاً والإيمان بمن سمى الله منهم في كتابه على التفصيل وهم: آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وإدريس ويونس وأيوب وشعيب وموسى وهارون واليسع وذا الكفل وداود وسليمان والياس وزكريا ويحي وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه

عليهم أجمعين.

وقيل إن أولوا العزم منهم خمسة وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} (٧) سورة الأحزاب وبقوله تعالى {شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } (١٣) سورة الشورى قلت : ولا دليل في الآيتين على ما ذكروا والصحيح أن جميع الرسل هم أولوا عزم وأما قوله تعالى {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ } (٣٥) سورة الأحقاف فمن هنا لبيان الجنس لا للتبعيض أي جنس الرسل أصحاب عزائم فاصبر كصبرهم واقتدي بهم فإنك يا محمد منهم .

ويجب احترام جميع الأنبياء والرسل ومحبتهم وتعظيمهم من غير غلو وأن لا نفرق بينهم وأن نعتقد أنهم أكمل الخلق علماً وعملاً وأحسنهم خلقاً وأصدقهم قولاً ، وأن الله خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وبرأهم من كل عيبٍ وخلقٍ رديء . وقد ذكرت جملةً من حقوق الأنبياء وخصائصهم في كتابي أخلاق الأنبياء فراجعه إن شئت .

مسألة / الفرق بين النبي والرسول أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي جاء مجدداً لشريعة من قبله ، وأما قول من قال إن النبي من بعث بشرع و لم يؤمر بإبلاغه فلا شك أنه خطأ إذ هذا يتناقض مع مهمة الأنبياء والرسل وهي الدعوة إلى الله وتبليغ دينه وقد أمر الله بتبليغ دينه وتوعد من كتم علماً بوعيدٍ شديد فإذا كان هذا للدعاة والعلماء وعموم المسلمين فكيف بالأنبياء المصطفين لا شك أن هذا الأمر عليهم ألزم والوعيد أشد وقد قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ } (٥٢) سورة الحج فتبين أن النبي مرسل لا كن لا بشرعٍ جديد .

وسب الأنبياء كفر قال تعالى {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ

وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ (٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} (٦٦) سورة التوبة وقال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا} (٥٧) سورة الأحزاب وقال تعالى {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٦١) سورة التوبة ويقتل ساب الرسول فعن علي رضي الله عنه أن يهوديةً كانت تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فخنقها رجل حتى ماتت فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم دمها . رواه أبو داود وقال الألباني في إرواء الغليل : وإسناده صحيح على شرط الشيخين وعن بن عباسٍ رضي الله عنهما : أن أعمى كانت له أم ولد ، تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه ، فينهاها فلا تنتهي ، ويزجرها ، فلا تنزجر ، قال : فلما كانت ذات ليلة ، جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه ، فأخذ المغول (سيف قصير) فوضعه في بطنها ، واتكأ عليها فقتلها ، فوقع بين رجليها طفل ، فلطخت ما هناك بالدم ، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجمع الناس فقال (أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حقٌ إلا قام) فقام الأعمى يتخطى رقاب الناس وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أنا صاحبها ، كانت تشتمك وتقع فيك فأنهاها فلا تنتهي وأزجرها فلا تنزجر ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ، وكانت بي رفيقة فلما كانت البارحة ، جعلت تشتمك ، وتقع فيك ، فأخذت المغول فوضعته في بطنها ، واتكأت عليها حتى قتلتها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ألا اشهدوا أن دمها هدر) أخرجه أبو داود والنسائي وقال الألباني في الإرواء : إسناده صحيحٌ على شرط مسلم وقصة قتل كعب بن الأشرف اليهودي لأنه سب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله فقام محمد بن مسلمة فقال : أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال (نعم) خرجاه في الصحيحين فهذه الأدلة تدل على كفر ساب النبي وأنه يقتل وعليه إجماع أهل العلم قال ابن المنذر : أجمع عامة العلماء على أنه يجب على سابه القتل ، قاله أحمد ومالك والليث والشافعي .أ.هـ وقال إسحاق بن راهويه : أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب الرسول أو دفع شيء مما أنزل أو قتل نبياً أنه كافر وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله . أ.هـ . وقال الخطابي :

لا أعلم أحدا اختلف في وجوب قتله أ٠هـ . وقال محمد بن سحنون : أجمع العلماء على أن شاتم الرسول المتنقص له كافر ومن شك في كفره فإنه يكفر ا٠هـ٠ (انظر كتاب إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤالٍ وجواب للسعيدان) وقد اختلفوا هل يستتاب أو لا يستتاب والقول الراجح عند الأكثر أنه لا يستتاب بل يقتل ولو قال تبت لأن العفو عنه من حق النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم قد مات فلا نعلم هل سيعفوا عنه أم لا ، بخلاف ساب الله جل وعلا فإنه يستتاب لأن الله حيٌ لا يموت وإذا لم يعف عنه فسيأخذه أخذ عزيزٍ مقتدر ٠

((الصحابة))

الصحابة / جمع صحابي وهو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به ومات على ذلك ٠

فقولنا (مؤمناً به) يخرج به المشركون والمنافقون لأنهم لم يؤمنوا به حقيقة ٠

وقولنا (ومات على ذلك) يخرج به المرتدون لأنهم ماتوا على الكفر ٠

والصحابة الكرام كلهم عدول بتعديل الله لهم كما قال تعالى {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٠٠) سورة التوبة وقال تعالى {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (١٨) سورة الفتح وقال تعالى {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا} (٢٩) سورة الفتح وقال

تعالى {لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ جَاهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٨٨) سورة التوبة وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) متفق عليه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه وعن أبي بردة عن أبيه قال رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسه إلى السماء . فقال (النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أنا أتى أصحابي ما يوعدون وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون) رواه مسلم فهم أفضل الأمة بعد نبيها ، فيجب توقيرهم واحترامهم والشهادة لهم بالفضل والذب عنهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم وقد وعد الله عز وجل الصحابة جميعاً الجنة كما قال تعالى {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٠٠) سورة التوبة وقال تعالى { لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} (١٠) سورة الحديد والحسنى الجنة ، فمن تنقص أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أو حكم له بكفرٍ أو نارٍ فهو الضال المنحرف المكذب لكتاب الله وسنة نبيه وهو الأحق بالنقص والأوجب له وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) متفق عليه وذلك لأنهم نقلة الدين وأنصاره وأمناؤه وإنما عرفنا الكتاب والسنة من طريقهم فلهم الفضل علينا في ذلك . قال أبو زرعة رحمه الله : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا لِيُبطلوا الكتاب والسنة والجرح بهم أولى وهم

زنادقة ا.هـــ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم (لعن الله من سب أصحابي) رواه الطبراني وحسنه الألباني انظر صحيح الجامع حديث رقم (٥١١١) وعن رياح بن الحارث قال : كنت قاعداً عند فلانٍ في مسجد الكوفة وعنده أهل الكوفة فجاء سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فرحب به وحياه وأقعده عند رجله على السرير فجاء رجلٌ من أهل الكوفة يقال له قيس بن علقمة فاستقبله فسب وسب فقال سعيد من يسب هذا الرجل قال يسب علياً قال ألا أرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسبون عندك ثم لا تنكر ولا تغير أنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وإني لغني أن أقول عليه ما لم يقل فيسألني عنه غداً إذا لقيته أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ...الخ ، ثم قال : لمشهد رجلٍ منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبر فيه وجهه خيرٌ من عمل أحدكم عمره ولو عمِّر عمر نوح . رواه أبو داود وصححه الألباني فيه حديث رقم (٤٦٥٠) وإنما كان لهم ذلك دون غيرهم لأنهم نصروا الدين زمن ضعفه ولأنهم هم الذين قد بلغوا الدين لمن بعدهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (من دل على خيرٍ فله مثل أجر فاعله) فكل عملٍ فاضلٍ نفعله فلهم مثل أجرنا لأنهم هم الذين دلونا على هذا العمل نقلاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك يجب أن نشكر لهم فضلهم علينا وأن نكون كمن قال الله فيهم {وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} (١٠) سورة الحشر وأن نترضى عنهم لأن الله أخبرنا أنه قد رضي عنهم في قوله تعالى{لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} (١٨) سورة الفتح وأن نوقن أنهم أعلم الأمة بعد نبيها وأحسنها أخلاقاً وأصفاها قلوباً وأعمقها ديناً وورعاً قال ابن مسعود رضي الله عنه : إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمدٍ خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمدٍ صلى الله عليه وسلم فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه ، يقاتلون على دينه فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء) حسنه الألباني في تخريجه للطحاوية وقال أيضاً (

من كان مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة . أولئك أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة أبرها قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً اختارهم الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم) رواه رزين

وأما من ادعى أنهم قد ارتدوا جميعاً بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم كما يدعي الرافضة أعداء الإسلام فهذا مكذبٌ للكتاب والسنة ومبطلٌ لها فكيف يمتدحهم الله عز وجل في كتابٍ يتلى إلى يوم القيامة وهم قد ارتدوا هذا تكذيبٌ لله وادعاءٌ أنه لا يعلم الغيب ولا يعلم أن هؤلاء الممدوحين سيرتدون وأنهم لا يستحقون هذا الثناء والمدح وأن الله قد خذل دينه ونبيه واختار لصحبة نبيه شرار الخلق فهذا تنقصٌ لله جل وعلا وهو تنقص للنبي صلى الله عليه وسلم واتهامٌ له بأنه مغفل ليس عنده معرفة باختيار الأصحاب وأنه قد سلَّم أصول الدين الذي بعث به إلى قومٍ أشرار فعبثوا بالكتاب والسنة وحرفوهما وزادوا ونقصوا فيهما فيا للعجب كم في هذا من الكفر الصراح ومع هذا لا يعقل القوم ما يقولون وهم دهماء الرافضة وأما علماءهم فالأظهر أنهم يعلمون وأنهم يقصدون هدم الإسلام وإبطاله باتهام نقلته فإذا كان نقلة هذا الدين أشرارٌ خبثاء مرتدون فكيف نقبل ديناً نقلوه إلينا فانظر كيف يريدون هدم الدين ولكن الدين قائم والحق ظاهر وهو منصور بنصر الله إلى يوم القيامة ومهما حاول أعداء الدين الدس فيه وتحريفه فلن يستطيعوا فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً أن وفقنا لاتباع منهج الحق والسير على خطى النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام وأبعدنا عن هؤلاء الزنادقة .

((حكم التفضيل بين الصحابة))

الصحابة يتفاضلون فأفضل الصحابة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي وهم الخلفاء الأربعة فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لا نعدل بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا

نفاضل بينهم . رواه البخاري وفي رواية لأبي داود قال كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم . ولا شك أن علياً بعدهم في الأفضلية بإجماع الأمة . ثم بقية العشرة المبشرين بالجنة وهم طلحة والزبير وسعدٌ وسعيد وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف ثم أهل بدرٍ ثم أهل أحدٍ ثم أهل بيعة الرضوان قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل النار أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة) رواه مسلم ثم من أسلم قبل الفتح وقاتل أعظم من الذين أسلموا بعد الفتح ، والمهاجرين أفضل من الأنصار لأنهم جمعوا بين الهجرة والنصرة .

((هل الخلافة لأبي بكر الصديق بالنص أم بالشورى))

اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين :

القول الأول / أنها ثبتت بالنص وأدلتهم كما يلي :

١- عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال أتت النبي صلى الله عليه وسلم امرأة فكلمته في شيء فأمرها أن ترجع إليه قالت يا رسول الله أرأيت إن جئت و لم أجدك ؟ كأنها تريد الموت . قال (فإن لم تجديني فأتي أبا بكر) متفق عليه

٢- عن عائشة رضي الله عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه (ادعي لي أبا بكرٍ أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر) رواه مسلم

٣- تقديم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر للإمامة في الصلاة دليلٌ على تقديمه في الإمامة الدنيوية ، ولذلك قال عليٌ رضي الله عنه لمّا سئل عن سبب تقديمهم لأبي بكر : رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا أفلا نرضاه لدنيانا .

القول الثاني / أنها ثبتت بالشورى إذ لم يرد نصٌ جليٌ في الوصية لأبي بكرٍ بالخلافة

ولاكن الصحابة الكرام أجمعوا بالشورى على أفضليته وعلى أنه أحق بالإمامة ،

وأقول قد علم النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي أن الناس سوف يقدمون أبا بكر رضي الله عنه ولذلك لم يوصي له فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم (لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه وأعهد أن يقول القائلون أو يتمنى المتمنون ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون أو يدفع الله ويأبى المؤمنون) رواه البخاري

((أهل البيت))

اختلف أهل السنة في أهل البيت على أقوال :

القول الأول / أنهم أزواجه وأولاده ومن أدلتهم :

١- قوله تعالى عن زوجة إبراهيم عليه السلام {قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ} (٧٣) سورة هود والخطاب لزوجة إبراهيم عليه السلام

٢- قوله تعالى عن موسى {فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ } (٢٩) سورة القصص والمراد زوجته وذريته ،

٣- قوله تعالى لزوجات النبي صلى الله عليه وسلم{وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا} (٣٣) سورة الأحزاب وسياق الآيات قبل وبعد هذه الآية يدلُّ على أن المراد بأهل البيت هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ،

٤- قوله تعالى في قصة كيد امرأة العزيز ليوسف عليه السلام{وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ

قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (٢٥) سورة يوسف تريد نفسها ٠

٥- قوله تعالى {وَلَمَّا أَن جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} (٣٣) سورة العنكبوت فاستثنى امرأته من أهله فدلَّ على أن الأهل يشمل الزوجة والأولاد ٠

٦- عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليكم قال قولوا (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) متفق عليه إلا أن مسلماً لم يذكر (على إبراهيم) في الموضعين . وقد فسر الآل في الرواية الأخرى بالأزواج والذرية فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك قال قولوا (اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) متفق عليه فتبين أن المراد بالآل في الحديث الأول هم الأزواج والذرية لأن المطلق يحمل على المقيد ٠

٧- قول عائشة رضي الله عنها : ما شبع آل محمد من خبر الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم . متفق عليه تريد أزواجه ٠ ويؤيده ما ورد عن أنس رضي الله عنه أنه مشى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبز شعير وإهالة سنخة ولقد رهن النبي صلى الله عليه وسلم درعاً له بالمدينة عند يهوديٍ وأخذ منه شعيراً لأهله ولقد سمعته يقول ما أمسى عند آل محمدٍ صاع برٍ ولا صاع حبٍ وإن عنده لتسع نسوة . رواه البخاري وعن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تقول والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم

الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منايح فكانوا يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه . رواه البخاري ومسلم

٨- ما رواه بن أبي شيبة أنَّ خالد بنَ سعيد بعث إلى عائشةَ رضي الله عنها ببقرةٍ من الصَّدقةِ فردَّتْها، وقالت: إنَّا آلَ محمَّدٍ لا تَحلُّ لنا الصَّدقة .

القول الثاني / أنهم بني هاشم وأدلتهم كما يلي :

١- قول النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى قريشًا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم) رواه مسلم

٢- أن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب والفضل بن العباس بن عبد المطلب طلبا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم من العاملين على الصدقة ليكون لهم نصيبٌ فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن هذه الصدقات إنما هي أوساخ الناس وإنها لا تحل لمحمدٍ ولا لآل محمد) رواه مسلم

٣- قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا إلا يومٌ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلٌ من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٣٠٤) ومعلومٌ أن المهدي من ذرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٤- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فينا خطيباً بماءٍ يدعى خماً بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تاركٌ فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا

بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغب فيه. ثم قال (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكـــركم الله في أهـــل بيتي) فقال له حصين : ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال: نساؤه من أهل بيته. ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: وهم؟ قـــال: هم آل عليٍ وآل عقيلٍ وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم ، وفي رواية : فقلنا: من أهل بيته نســـاؤه ؟ قـــال: لا. وايم الله ، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر. ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومهـــا. أهل بيته أصله ، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده ، رواه مسلم

ويجاب : بأن رابط الميثاق الغليظ وهو النكاح قد أدخلهن في الآل ولذلك حَرُمَ زواجهن من غير النبي صلى الله عليه وسلم بعد مماته وكن أمهات المؤمنين وكن زوجـــات الـــنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة وقد نصَّ النبي صلى الله عليه وسلم على الصـــلاة عليهن كما قدمنا وقد حرمن من الصدقة وصار لهن حقٌ في الخمس وقد دخلن في قـــول النبي صلى الله عليه وسلم (اللَّهمَّ اجعل رزقَ آل محمَّد قوتاً) وقوله في الأضحية (اللَّهـــمَّ هذا عن محمدٍ وآل محمد) فلم يكن يضحين عن أنفسهن في حياته وكان رزقهن قوتا ،
وإن قيل يدل على عدم دخولهن كون مواليهن تحل عليهم الصدقة فلم يمنع النبي صلى الله عليه وسلم التصدق على بريرة مولاة عائشة بينما قال لأبي رافع مـــولاه عنـــدما أراد أن يأخذ من الصدقة (مولى القوم من أنفسهم وإنا لا تحل لنا الصدقة) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصـــححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقـــم (٢٢٨١) فالجواب : أن دخول أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الآل إنما هو بالتبعية للنبي صلى الله عليه وسلم حين تزوجهن وقبل أن يتزوجهن لم يكن مـــن الآل ، بخلاف بني هاشم فالتحريم عليهم بالأصالة ولذلك دخل مـــواليهم ، ولم يـــدخل موالي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لكونهم فرعٌ عن فرع فلـــم يـــدخلوا في الآل لأن دخول أصلهم في الآل بالتبعية لا بالأصالة ،

القول الثالث / أنهم جميع اتباعه إلى يوم القيامة وهو قول النووي من الشافعية والمـــرداوي من الحنابلة وأدلتهم كما يلي :

١-أن الآل يطلق على الأتباع قال تعالى {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُـــومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٤٦) سورة غافر أي أتباعه .

٢-قوله تعالى عن إسماعيل عليه السلام{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّـــهِ مَرْضِيًّا} (٥٥) سورة مـريم وقد فسر بعضهم الأهل هنا بالأتباع قال القرطبي في تفسيره : قـــال الحسن: يعني أمته. وفي حرف ابن مسعود {وكان يأمر أهله جـــرهم وولـــده بالصـــلاة والزكاة} ا.هـــ.وقال البغوي : أي: قومه وقيل: أهله وجميع أمته .

القول الرابع / أنهم علي وفاطمة والحسن والحسين واستدلوا بما يلي :

١-عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم غداةً وعليـــه مـــرطٌ مرحلٌ من شعرٍ أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جـــاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء عليٌ فأدخله ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا . رواه مسلم وعن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وسلم قال : نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم { إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً} في بيت أم سلمة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسناً وحسيناً فجللهم بكساءٍ وعليٌ خلف ظهره فجلله بكساءٍ ثم قال (اللهم هؤلاء أهل بـــيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) قالت أم سلمة وأنا معهم يا نبي الله قال (أنـــت على مكانك وأنت إلى خير) رواه الترمذي وقال هذا حديث غريب وصححه الألباني

٢-قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية { فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَـــا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ }(٦١) سورة آل عمـران دعا رسول الله صـــلى الله

عليه وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال (اللهم هؤلاء أهلي) رواه مسلم

٣-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرةً من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم (كخ كخ) ليطرحها ثم قال (أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة) متفق عليه وعن أبي الحوراء قال قلت للحسن ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أخذت تمرةً من تمر الصدقة فجعلتها في فيَّ فأنتزعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بلعابها فألقاها في التمر فقيل يا رسول الله ما عليك من هذه التمرة لهذا الصبي قال (إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة) رواه بن خزيمة وصحح إسناده الأعظمي

والجواب / أن هذه الأحاديث لا تدلُّ على التخصيص وإنما تدلُّ على التفضيل وأن هؤلاء هم أفضل آل البيت لا أنهم هم آل البيت فقط بدلالة ما قدمنا من الأدلة ، وإنما أدخلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى لا يقول قائل إن آل البيت إنما هو النبي وأزواجه وأولاده فقط فهنا جاءت السنة دالةً على أن علياً وأولاده يدخلون في آل البيت ، وأما نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دلَّ على دخولهن في آل البيت القران .

القول الخامس / أنهم جميع من تحرم عليهم الصدقة وهم بني هاشم ومواليهم وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو القول الراجح لأنه يجمع بين الأدلة والواجب الجمع بين الأدلة ما أمكن .

((عقيدة أهل السنة في آل البيت))

يعتقد أهل السنة قاطبةً وجوب محبة آل البيت جميعاً وتوليهم لإسلامهم ولقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن عبد المطلب بن ربيعة قال: دخل العباس رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إنا لنخرج فنرى قريشاً تحدث فإذا رأونا سكتوا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ودر عرقٌ بين عينيه ثم قال (والله لا يدخل قلب امرئٍ إيمانٌ حتى يحبكم لله عز وجل ولقرابتي) رواه أحمد والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٠٨٧) وأما من كان منهم كافراً فلا نواليه ولا نحبه ولا يغنيه قربه من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قال النبي صلى الله عليه وسلم (إنَّ آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء ، وإنَّما وليِّيَ اللهُ وصالِحُ المؤمنين) متفق عليه قال الشاعر :

لعـــمرُك مـــا الإنـــسانُ إلاَّ بدينه

فلا تترك التقوى اتِّكالاً على النَّسب

لقد رفع الإسلامُ سلمانَ فـــارسٍ

وقد وضع الشركُ النَّسيبَ أبا لهب

((العلاقة بين الصحابة وآل البيت))

لا شك أن العلاقة بينهم علاقة وطيدة فقد روى البخاري أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال لعليٍّ رضي الله عنه: والذي نفسي بيدِهِ لَقرابةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبُّ إليَّ أنْ أَصِلَ من قرابَتِي • وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن أبا بكر رضي الله عنه قال: ارقُبُوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته .رواه البخاري قال ابن حجر : أي احفظوه فيهم ، فلا تؤذوهم ولا تُسيئوا إليهم . وعن عُقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صلَّى أبو بكر رضي الله عنه العصرَ ، ثم خرج يَمشي فرأى الحسنَ يلعبُ مع الصِّبيان فحمله على عاتقه وقال:بأبي شبيهٌ بالنبي لا شبيهٌ بعلي • وعليٌّ يضحك . رواه البخاري وكان عمر يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول : اللَّهمَّ إنَّا كنَّا نتوسَّل إليك بنبيِّنا صلى الله عليه وسلم

فتسقينا، وإنَّا نتوسَّلُ إليك بعمِّ نبيِّنا فاسقِنا .رواه البخاري والمراد بدعائه وإنما اختار العباس لقرابته من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يختر علياً لأن العم أقرب من بن العم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر عن عمه العباس (أَمَا عَلِمتَ أنَّ عمَّ الرَّجلِ صِنْوُ أبيه) متفق عليه ولذلك كان عمر يقول للعباس : والله لإِسلاَمُك يوم أسلمتَ كان أحبَّ إليَّ من إسلامِ الخطاب لو أسلَمَ ، لأنَّ إسلامَك كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب . وقد تزوج عمر أم كلثوم بنت علي وهي بنت فاطمة الزهراء . وهكذا سائر الصحابة كانوا يتولونهم ويحبونهم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوصية الرسول صلى الله عليه وسلم بهم في غدير خم حين قال عليه الصلاة والسلام (أذكركم الله في أهل بيتي) يرددها مراراً فكان الصحابة أول العاملين بهذه الوصية .

وكذلك فإن الآل يوالون الصحابة ويحبونهم ولا أدلَّ على ذلك من المصاهرات التي كانت بينهم ومن تبادل الأسماء والكنى وإنما يسمي المرء غالباً باسم من يحب . ومن النصرة والتأييد لهم فقد كان علياً رضي الله عنه وزيراً للخلفاء الثلاثة ودافع هو وأبنائه عن عثمان يوم الدار وكانوا يخرجون مع الصحابة في المعارك ويشاركونهم الجهاد في سبيل الله ، وكانوا يثنون عليهم ويبغضون من يبغضهم .

((عقيدة أهل البدع في آل البيت))

افترق أهل البدع في الآل إلى طائفتين :

الأولى / طائفة غالية ، وهم الشيعة فقد غلوا في آل البيت غلواً فاحشاً حتى جعلوهم شركاء لله في علم الغيب وتدبير الكون وصرفوا لهم أنواعاً من العبادات التي هي محض حق الله عز وجل كالسجود والذبح والنذر وغيرها .

الثانية / طائفة قالية ، وهم النواصب والخوارج الذين نصبوا لآل البيت العداء وكفَّروهم وجعلوهم غرضاً لسهامهم وانتقصوهم حقهم .

فكلا الطائفتين على ضلالة ، ووفق الله أهل السنة أهل المعتقد الصحيح للوسطية والاعتدال فلم يغلوا في آل البيت و لم ينقصوهم حقهم بل كانوا على خير عقيدةٍ في آل البيت فأحبوهم وأكرموهم ولكن لم يتخذوهم آلهةً من دون الله بل أنزلوهم مترلتهم ٠

ومن تتبع عقيدة الشيعة علم أنهم يكذبون على آل البيت وينسبون لهم من الأقوال المنكرة والعبارات المستهجنه ما يتره عنه عوام المسلمين فضلاً عن آل البيت وذلك ليروج باطلهم وينتشر مذهبهم في أوساط الجهلاء ٠ قال ابن القيم في بيان أسباب قبول التأويل الفاسد: السبب الثالث: أن يَعْزُو المتأوِّلُ تأويلَه إلى جليلِ القَدْر نبيلِ الذِّكر مِن العقلاء أو مِن آل بيت النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أو مَن حصل له في الأمَّة ثناءٌ جميل ولسانُ صِدق ليُحلِّيه بذلك في قلوب الجُهَّال فإنَّه من شأن الناسِ تعظيمُ كلامِ مَن يَعظُمُ قدْرُه في نفوسهم حتى إنَّهم لَيُقدِّمون كلامَه على كلام الله ورسوله ويقولون: هو أعلمُ بالله منَّا٠وبهذا الطريق توصَّل الرافضةُ والباطنيَّةُ والإسماعليَّةُ والنُّصيريَّة إلى تنفيقِ باطلهم وتأويلاتِهم حين أضافوها إلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لِمَا علموا أنَّ المسلمين متَّفقون على مَحبَّتِهم وتعظيمِهم ، فانتمَوا إليهم وأظهروا مِن مَحبَّتِهم وإجلالهم وذِكر مناقبهم ما خُيِّل إلى السَّامع أنَّهم أولياؤهم ، ثم نفقوا باطلَهم بنسبتِه إليهم.فلا إله إلاَّ الله كم مِن زندقَةٍ وإلحادٍ وبدعةٍ قد نفقت في الوجود بسبب ذلك وهم بُرآءُ منها. مختصر الصواعق المرسلة (٩٠/١)

((الإيمان باليوم الآخر))

وهو الإيمان بأن هناك حياةً أخرى بعد الموت يبعث الناس فيها جميعاً من قبورهم أحيـــاء بعد موهتم وذلك للحساب والجزاء على الأعمال التي عملوها في الدنيا فمن كان محســـناً فله الجنة ومن كان مسيئاً فله النار ، فيجب الإيمان بذلك وهو ركنٌ من أركان الـــدين لا يتم إلا به ومن جحده كفر ، ويجب الإيمان بكل ما ورد مما يكون في الدار الآخرة ومـــا قبلها مما يدل عليها كأشراط الساعة وعذاب القبر ونعيمه والحشر ونشر الصحف والميزان والصراط وتفاصيل ذلك مما ثبتت به النصوص ٠

فمن علامات الساعة الصغرى التي ظهرت / بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وموته وفـــتح بيت المقدس وكثرة الموت واستفاضة المال وظهور نار بالمدينة تضيء لها أعنـــاق الإبـــل ببصرى وظهور مدعي النبوة وظهور الجهل ونقص العلم وانتشار الزنا والربـــا وكثـــرة الزلازل وسرعة مضي الوقت وتضييع الأمانة وغير ذلك ٠

قال صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين) متفق عليه وعن عوف بن مالك قـــال أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبةٍ من أدم فقال (اعدد ستاً بـــين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم ثم استفاضـــة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً ثم فتنة لا يبقى بيتٌ من العرب إلا دخلته ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا . رواه البخاري الأخيرتين لم تظهرا بعد وقوله (كقعاص الغنم) هو داء يصـــيب

الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة وظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر فمات فيه أكثر من خمسة وعشرين ألفًا من المسلمين . وعن أبي هريـــرة أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان تكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يـــزعم أنـــه رسول الله وحتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان ويظهر الفتن ويكثر الهـــرج وهو القتل وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صـــدقته وحـــتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به وحتى يتطاول الناس في البنيان ....) متفق عليـــه وقال (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) متفـــق عليـــه وقال (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر وحتى تقاتلوا التـــرك صـــغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة) متفق عليـــه ذكر أهل العلم أن هذه الصفات وجدت في التتار .

ومن العلامات الصغرى التي لم تظهر :

١-كثرة الفتن فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وســـلم قـــال (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمنـــاً ويصبح كافراً يبيع دينه بعرض من الدنيا) رواه مســـلم وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلـــم يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً القاعد فيها خيرٌ مـــن القائم والقائم فيها خيرٌ من الماشي والماشي فيها خيرٌ من الساعي فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دُخِلَ على أحدٍ منكم بيته فليكن كخير ابني آدم) رواه أحمد وأبو داود وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٠٤٩) وقال صلى الله عليه وسلم (إن بين يدي الساعة الهرج القتل ما هو قتل الكفار ولكن قتل الأمة بعضها بعضا حتى أن الرجل يلقـــاه أخوه فيقتله ينتزع عقول أهل ذلك الزمان ويخلف لها هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم

على شيء وليسوا على شيء) رواه أحمد وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٠٤٧) وقال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج وهو القتل) رواه البخاري وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي يوم لا يدري القاتل فيم قتل ؟ ولا المقتول فيم قتل ؟ فقيل كيف يكون ذلك ؟ قال الهرج القاتل والمقتول في النار) رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال كنا قعوداً عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الاحلاس فقال قائلٌ وما فتنة الأحلاس ؟ قال (هي هربٌ وحرب ثم فتنة السراء دخنها من تحت قدمي رجلٌ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما أوليائي المتقون ثم يصطلح الناس على رجلٍ كوركٍ على ضلع ثم فتنة الدهماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمةً فإذا قيل انقضت تمادت يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين فسطاط إيمانٍ لا نفاق فيه وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه . فإذا كان ذلك فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) رواه أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٤٠٣)

والفتن تنقسم إلى فتن شهوات وفتن شبهات والثانية هي الأخطر وهي ناتجةٌ عن الأولى في الغالب فإذا انغمس الناس في الشهوات وارتكبوا المعاصي والحرمات نسوا العلم وظهر فيهم الجهل وسلط الله عليهم أهل الضلالة فلبسوا عليهم بالشبه فأردوهم في الحافرة أو جعل بأسهم بينهم وذلك من الفتن التي أمرها خطير وشرها مستطير وقد قال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول يا ليتني مكان صاحب هذا القبر وليس به الدين إلا البلاء)رواه مسلم قيل ليس تمنيه ذلك بسبب الدين وإنما هو لأمر الدنيا كما قال الحافظ في الفتح والذي يظهر لي العكس وأنه بسبب الدين حينما يرى الفتنة في الدين فيخشى من ذهاب دينه فيتمنى الموت وهذا جائزٌ عند أهل العلم ولذا لم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم فعله ولو كان لأمر الدنيا لأنكره فيكون معنى قوله (وليس به الدين) أي ليس ذلك بسبب نقص الدين فهي

تزكية له لا ذم لأن ذلك دليل صلاح المرء لأن الفساق لا يهمهم أن يذهب الدين ، وهذا الحديث يدلُّ على شدة الفتن التي تكون في آخر الزمان ، وقد بيَّن الشارع الأمور التي تعصم منها فينبغي معرفتها والعمل بها عند حصول هذه الفتن فمن ذلك :

أولاً / الاعتصام بالكتاب والسنة ففيهما الهدى والحق والطريق المستقيم البين قال عليه الصلاة والسلام (تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي) رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٩٣٧) وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودعٍ فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) رواه أحمد أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٥٤٩)

ثانياً / لزوم الجماعة والبعد عن أهل الفرقة الخارجين على جماعة المسلمين فقد قال صلى الله عليه وسلم (من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١٨٥) وقال صلى الله عليه وسلم (من رأى من أميره ما يكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهلية ومن قاتل تحت رايةٍ عميةٍ يغضب لعصبيةٍ أو يدعو لعصبيةٍ أو ينصر عصبية فقتل فقتلة جاهلية ومن خرج على أمتي بسيفه يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه) رواه مسلم وعن الحارث الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (آمركم بخمس بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله وإنه من خرج من الجماعة قيد

شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثى جهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٣٦٩٤) وقال صلى الله عليه وسلم (ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الأمر ولزوم الجماعة فإن دعوتهم تحيط من وراءهم) رواه أبو داود والترمذي والنسائي وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٩٠) وقال (ستكون بعدي هنات وهنات فمن رأيتموه فارق الجماعة أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه فإن يد الله مع الجماعة وإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض) رواه النسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٣٦٢١) والأحاديث في هذا الأمر كثيرة .

ثالثاً / رد الأمر إلى الكتاب والسنة وإلى أهل العلم العالمين بهما قال تعالى {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً} (٨٣) سورة النساء والحذر من الخوض فيما ليس للإنسان به علم فقد قال تعالى {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} (١٥) سورة النور وقد روى بن ماجة عن بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً (إياكم والفتن فإن وقع اللسان فيها مثل وقع السيف) ضعفه الألباني انظر حديث رقم(٢٢٠٥) في ضعيف الجامع وفي الحديث الصحيح (ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت) متفق عليه

رابعاً / الإكثار من الطاعات فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (العبادة في الهرج كهجرةٍ إلي) رواه مسلم وذلك لأن الناس في الفتنة يغفلون عن العبادة وينشغلون بما هم فيه فكان المشتغل في العبادة هو الذي قد تعلق بالله ووكل أمره إليه ، وقد قال تعالى {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} (٢٩) سورة الأنفال وإذا بان له الحق من الباطل لم يسقط في الفتنة .

٢-حسر الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه قال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجلٍ منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو) رواه مسلم وقد جاء النهي عن الأخذ منه لكونه فتنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك الفرات أن يحسر عن كتر من ذهب فمن حضر فلا يأخذ منه شيئا) متفق عليه

٣-أن تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل زكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) رواه مسلم

٤-خروج القحطاني قال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم (لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) رواه مسلم فقيل هو نفسه وقيل غيره لأنه قد ورد عند أحمد أن الجهجاه من الموالي والقحطاني ليس من لموالي والعلم عند الله .

٥-قتال اليهود فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) رواه مسلم

٦-خروج المهدي وهو محمد بن عبد الله من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال عليه الصلاة والسلام (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٣٠٤) وفي رواية (لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي) وهي عند أحمد والترمذي أيضاً وصححها الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٢٧٥) قال عليه الصلاة والسلام (المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة) رواه أحمد وبن ماجة وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٧٣٥) وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المهدي مني أجلى الجبهة وأقنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين) رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٧٣٦)

فقوله (أجلى الجبهة) أي الذي انحسر الشعر عن جبهته ، وقوله (أقنى الأنف) القنا في الأنف طول ورقة أرنبته مع حدبٍ في وسطه ، ذكر ذلك صاحب النهاية .

وأنكر بعض أهل العلم خروج المهدي بحجة أن البخاري ومسلم لم يخرجا عنه شيئاً في صحيحيهما ولحديث (ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم) رواه بن ماجة والحاكم وضعفه الألباني في ضعيف الجامع حديث رقم (٦٣٤٨)

وأجيب : بأن صاحبي الصحيحين قد اشترطا شروطاً في الأحاديث التي يخرجاها في صحيحيهما و لم تنطبق تلك الشروط على أحاديث المهدي وليس معنا ذلك أنها ضعيفة بل قد نص البخاري أنه يحفظ مائتي ألف حديث و لم يخرج في الصحيح إلا أربعة الآف

حديث وترك كثيراً خشية ملال الطول وأحاديث المهدي قد صححها أهل العلم وهي أشبه بالمتواترة لكثرتها ، وأما حديث (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) فهو حديث ضعيفٌ لا تقوم به حجة وعلى فرض صحته فمعناه لا مهدي بالكمال إلا عيسى .

((عقيدة الشيعة في المهدي))

لما توفي الإمام الحادي عشر الحسن العسكري وكان عقيماً لا يولد له اضطرب أمر الشيعة وكاد أن يندرس المذهب مما حدا بعلماء المذهب الذين سيذهب خمسهم ومتعتهم إلى اختراع القول بأن الإمام الحسن العسكري قد ولد له ولد وقد اختبأ في سرداب في سامراء وهو المهدي المنتظر وسيخرج آخر الزمان ، ثم ذكروا له غيبةً صغرى وغيبةً كبرى فكان في الصغرى يكلم بعض الشيعة من السرداب وهم نوابه في الغيبة وهم (عثمان بن سعيد العمري ثم ولده محمد بن عثمان ثم حسين بن روح ثم علي بن محمد السيمري) وادعى الأخير أن الإمام قال له : لا توصي أحداً يقوم مقامك فقد وقعت الغيبة الكبرى ومن ادعى أنه رآني قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب (المهدي المنتظر للشيخ عثمان الخميس ص٧٦) فصدقه الرافضة على أنه قد ذكر لهم أمراً لو دققوا النظر فيه لانتبهوا فإن الصيحة تكون وقت قيام القيامة فمعنى كلامه أنهم لن يروه إلا بعد قيام القيامة أي في الدار الآخرة فانظر إلى غباء الشيعة وقلت انتباههم ، وفائدة النواب من ذلك مادية ومعنوية فالمادية الأموال التي تقدم لهم ليوصلوها للمهدي ، والفائدة المعنوية هي التميز بين الشيعة بصفته نائب الإمام .فهذا هو مهدي الشيعة المزعوم وهو يفترق عن المهدي الحقيقي في عدة أمور :

أولاً / أن مهدي الشيعة لا حقيقة له وإنما هو من اختراع أهل العمائم حتى لا يذهب ما يجنوه من حمقى الشيعة ولذلك أنكر جعفر بن محمد بن علي أخو الحسن العسكري أن يكون لأخيه ولد فرموه بأبشع الألقاب حتى صار يعرف عند الشيعة بالكذاب حتى لا

يفسد عليهم ما اخترعوه (المهدي المنتظر للشيخ عثمان الخميس ص٧٨ نقلاً عن الكافي للكليني ١/٥٠٣-٥٠٦) والاضطراب الكبير عند الشيعة في تحديد ولادته ومن هي أمه ومتى غاب وغير ذلك من أكبر الأمور التي تدل على خرافية هذه الشخصية عند الشيعة. (انظر المهدي المنتظر لعثمان الخميس فقد ذكر كثيراً من هذه التناقضات نقلاً عن كتب الشيعة)

ثانياً / أن المهدي الحقيقي يواطئ اسم أبيه اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم فاسم أبيه عبد الله ومهدي الشيعة اسم أبيه الحسن العسكري .

ثالثاً / أن مهدي الشيعة يقتل العرب ويهدم الكعبة وغير ذلك من أنواع الفساد بينما مهدي السنة يملأ الأرض قسطاً وعدلاً .

إلى غير ذلك من الفروقات وهي كثيرة وقد ذكر الشيخ عثمان الخميس في كتابه المهدي المنتظر أكثر من (٧٠) فرقاً بين مهدي الشيعة ومهدي السنة فراجعه إن شئت .

٧-غدر الروم وقتالهم فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية وفتح قسطنطينية خروج الدجال) رواه أبو داود وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٤٢٤) وعن ذي مخبر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (ستصالحون الروم صلحاً آمنا فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول فيرفع رجلٌ من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة) وزاد بعضهم (فيثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة) رواه أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٤٢٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذٍ فإذا تصافوا قالت الروم خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم فيقول المسلمون لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لا يفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية فبينا هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون وذلك باطل فإذا جاؤوا الشام خرج فبينا هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم فأمهم فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء فلو تركه لانذاب حتى يهلك ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته) رواه مسلم وعن يسير بن جابر قال هاجت ريحٌ حمراء بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هجيري إلا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة قال فقعد وكان متكئاً فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراثٌ ولا يفرح بغنيمةٍ ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال عدوٌ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت الروم تعني قال نعم وتكون عند ذاكم القتال ردةً شديدة فيشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌ غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌ غير غالب وتفنى الشرطة ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌ غير غالب وتفنى الشرطة فإذا كان يوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتلون مقتلةً إما قال لا يرى مثلها وإما قال لم ير مثلها حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتاً فيتعاد بنو الأب كانوا مائةً فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأي غنيمةٍ يفرح أو أي ميراثٍ يقاسم فبينما هم كذلك إذ سمعوا بأسٍ هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ إن الدجال قد خلفهم في ذراريهم فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني لأعرف

أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم هم خير فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذٍ أو من خير فوارسٍ على ظهر الأرض يومئذ) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال (هل سمعتم بمدينةٍ جانبٌ منها في البر وجانبٌ منها في البحر ؟ قالوا نعـــم يا رسول الله قال لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق فإذا جاؤوهـــا نزلوا فلم يقاتلوا بسلاحٍ و لم يرموا بسهم قالوا لا إله إلا الله والله أكـــبر فيســـقط أحـــد جانبيها) قال ثور بن يزيد الراوي لا أعلمه إلا قال (الذي في البحر ثم يقولوا الثانيـــة لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر ثم يقولوا الثالثة لا إله إلا الله والله أكبر فيفـــرج لهم فيدخلوها فيغنمون فبينا هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال إن الدجال قـــد خرج فيتركون كل شيء ويرجعون) رواه مسلم

* * *

((العلامات الكبرى))

عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر . فقال ما تذكرون ؟ . قالوا نذكر الساعة . قال (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية (نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر) وفي رواية (وريح تلقي الناس في البحر) رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا) رواه مسلم قيل المراد أول الآيات الكونية لأن خروج المسيح الدجال ونزول بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج قبل ذلك وهؤلاء جميعاً من البشر فقد لا يستغرب بعض الحمقى من البشر خروجهم لكن إذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس أجمعون لأنهم رأوا أمراً غريباً لكن لا ينفعهم إيمانهم وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث إذا خرجن (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا) طلوع الشمس من مغربها

والدجال ودابة الأرض) رواه مسلم

((المسيح الدجال))

سمي بالمسيح لأن عينه ممسوحة كما جاء في صفته ولأنه يمسح الأرض في أربعين يوماً وسمي بالدجال لأنه كذابٌ دعي بل هو أعظم الكذابين لكونه يدعي أنه الله ولذلك إذا قيل الدجال فلا يتبادر إلى الذهن غيره .

وهو رجلٌ من بني آدم من أصلٍ يهودي يخرج في آخر الزمان فيدَّعي النبوة ثم يدَّعي الألوهية ويدعو الناس إلى عبادة نفسه ويعطيه الله من الخوارق ما يجعل كثيراً من الناس يصدقونه وذلك من الإبتلاء فيحي الموتى ويأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويكون معه جنةٌ ونار ويمر على الخربة فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل إلى غير ذلك من الخوارق فيفتتن الناس به فتنةً عظيمة ويفرُّ الصالحون منه إلى الجبال وغيرها ولا ينجو من فتنته إلا من عصمه الله ، وقد وردت أحاديث كثيرة في بيان خبره وتجلية أمره وبيان صفته وطريق العصمة منه فنذكر طرفاً منها :

أولاً / بيان صفته :

هو شابٌ أحمر البشرة أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافئة أي مفضوخة وقيل ورد بلفظين (طافئة وطافية) فالطافئة هي التي ذهب ضوؤها ، والطافية هي الظاهرة البارزة فالأولى

عينه اليمنى والثانية عينه اليسرى ، وعينه اليمنى ممسوحة فليست بناتئة أي بارزة ولا جحراء أي غائرةٍ وعينه اليسرى عليها (ظفرة غليظة) قال في النهاية الظفرة لحمة تنبت عند المآقي وهي مقدمة العين فتبين بهذا أن كلتا عينيه معيبة ولذا ورد عند مسلم من حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (الدجال أعور العين اليسرى) وورد في الحديث المتفق عليه أنه أعور العين اليمنى ولذلك اختلف العلماء فذهب بن حجر وغيره إلى الترجيح فرجحوا الحديث المتفق عليه بأنه أعور العين اليمنى وذهب القاضي عياض إلى الجمع بين الروايات وقال كلتا عيني الدجال معيبة فاليمنى قد ذهب ضوؤها وهي المطموسة والممسوحة والطافئه والعين اليسرى هي التي عليها ظفرةٌ غليظة وقال إن الأعور من كل شيء هو المعيب لا سيما ما يختص بالعين فكلا عيني الدجال معيبة عوراء إحداهما بذهابها والأخرى بعيبها. ورجح هذا النووي والقرطبي . (أشراط الساعة للوابل ٢٨٢/٢٨٣)

وهو جعد شعر الرأس بل ورد أنه (قطط) أي شديد الجعودة وهو جسيمٌ في هيئته وعظامه قصيرٌ في قامته على أن القصر إنما ورد عند أبي داود لكن صححه العلماء والجسامة في الصحيحين . (أفحج) أي بعيد ما بين الفخذين (فيه دفأ) أي انحناء أي أن ظهره ليس مستقيمًا معتدلاً بل فيه انحناء . مكتوبٌ بين عينيه كافر أو كفر إما مجموعةً أومفرقة .

وإليكم الأحاديث الدالة على هذه الصفات /

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الدجال (رجلٌ أحمر جسيمٌ جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية أقرب الناس به شبهاً ابن قطن) متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله لا يخفى عليكم إن الله تعالى ليس بأعور وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية) متفق عليه وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من نبيٍ إلا أنذر

أمته الأعور الكذاب ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر) متفق عليه وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال(إن الدجال ممسوح العين عليها ظفرةٌ غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتبٌ وغير كاتبٍ) رواه مسلم
وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا إن المسيح الدجال رجلٌ قصيرٌ أفحج جعدٌ أعور مطموس العين ليست بناتئةٍ ولا جحراء فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٤٥٩)
• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (وأما مسيح الضلالة فإنه أعور العين ، أجلى الجبهة عريض النحر ، فيه دفأ) رواه أحمد وحسنه ابن كثير وقال أحمد شاكر إسناده صحيح وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ألا أحدثكم حديثاً عن الدجال ماحدث به نبيٌ قومه ؟ إنه أعور وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار وإني أنذركم كما أنذر به نوح قومه) متفق عليه وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن الدجال يخرج وإن معه ماءً وناراً فأما الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق وأما الذي يراه الناس ناراً فماء بارد عذب فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماءٌ عذبٌ طيب) متفق عليه وعن حذيفة أبي مسعود رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لأنا أعلم بما مع الدجال من الدجال ، معه نهران يجريان أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض والآخر رأي العين نارٌ تأجج فإما أدركهن واحد منكم فليأت النهر الذي يراه ناراً ثم ليغمس ثم ليطأطئ رأسه فيشرب فإنه ماءٌ بارد وإن الدجال ممسوح العين اليسرى عليها ظفرةٌ غليظة مكتوبٌ بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمنٍ كاتبٌ وغير كاتب) متفق عليه

ثانياً / قصة خروجه وفتنته

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال فقال (إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فامرؤٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شابٌ قطط عينه طافيه كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارجٌ خلةً بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله فاثبتوا . قلنا يا رسول الله وما لبثه في الأرض ؟ قال أربعون يوماً يومٌ كسنة ويومٌ كشهر ويومٌ كجمعة وسائر أيامه كأيامكم . قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم . قال لا اقدروا له قدره . قلنا يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرىً وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهروذتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدرمنه مثل جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافرٍ يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى إلى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ....) رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال (يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذٍ رجلٌ هو خير الناس أو من خير الناس فيقول له أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه فيقول الدجال أرأيتم إن قتلت هذا ثم

أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرةً مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه) متفق عليه وعند مسلم في رواية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج الدجال فيتوجه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين فيلقاه المسالح مسالح الدجال . فيقولون له أين تعمد ؟ فيقول أعمد إلى هذا الذي خرج . قال فيقولون له أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول ما بربنا خفاء . فيقولون اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه . قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال فيأمر الدجال به فيشبح . فيقول خذوه وشجوه فيوسع ظهره وبطنه ضرباً . قال فيقول أو ما تؤمن بي ؟ قال فيقول أنت المسيح الكذاب . قال فيؤمر به فيؤشر بالمنشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه . قال ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي قائماً قال ثم يقول له أتؤمن بي ؟ فيقول ما ازددت إلا بصيرة . قال ثم يقول يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحدٍ من الناس . قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً قال فيأخذه بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين) رواه مسلم وعن أم شريك قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليفرن الناس من الدجال حتى يلحقوا بالجبال قالت أم شريك قلت يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال هم قليل) رواه مسلم وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة) رواه مسلم وعن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق همته المدينة حتى يترل دبر أحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك . متفق عليه عن فاطمة بن قيس رضي الله عنها قالت قال صلى الله عليه وسلم وقد جمع الناس (إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبة ولكن جمعتكم لأن تميماً الداري كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن

مسيح الدجال حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخمٍ وجذام فلعب بهم الموج شهراً في البحر ثم أرفؤوا إلى جزيرةٍ في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقالوا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قالوا وما الجساسة قالت أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق قال لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانةً قال فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقاً مجموعةً يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما أنت قال قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم قالوا نحن أناسٌ من العرب ركبنا في سفينةٍ بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهراً ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدري ما قبله من دبره من كثرة الشعر فقلنا ويلك ما أنت فقالت أنا الجساسة قلنا وما الجساسة قالت اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعاً وفزعنا منها و لم نأمن أن تكون شيطانة فقال أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر قال أسألكم عن نخلها هل يثمر قلنا له نعم قال أما إنه يوشك أن لا تثمر قال أخبروني عن بحيرة الطبرية قلنا عن أي شأنها تستخبر قال هل فيها ماء قالوا هي كثيرة الماء قال أما إن ماءها يوشك أن يذهب قال أخبروني عن عين زغر قالوا عن أي شأنها تستخبر قال هل في العين ماء وهل يزرع أهلها بماء العين قلنا له نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها قال أخبروني عن نبي الأميين ما فعل قالوا قد خرج من مكة ونزل يثرب قال أقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه قال لهم قد كان ذلك قلنا نعم قال أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه وإني مخبركم عنى إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة فهما محرمتان على كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدةً أو واحداً منهما استقبلني ملكٌ بيده السيف صلتاً يصدني عنها

وإن على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته في المنبر هذه طيبة هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة ألا هل كنت حدثتكم ذلك فقال الناس نعم فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ألا أنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو) وأومأ بيده إلى المشرق قالت فحفظت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم

عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يا أيها الناس إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال وإن الله عز وجل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيجٌ لكل مسلم وإن يخرج من بعدي فكلٌ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم وإنه يخرج من خلة بين الشام والعراق فيعيث يميناً وشمالاً يا عباد الله أيها الناس فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه قبلي نبي (إنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي ثم يثني فـ) يقول أنا ربكم ولا ترون ربكم حتى تموتوا وإنه أعور وإن ربكم ليس بأعور وإنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب أو غير كاتب ؛ وإن من فتنته أن معه جنةً وناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلي بناره فليستغث بالله وليقرأ فواتح الكهف (فتكون برداً وسلاماً كما كانت النار على إبراهيم) وإن من فتنته أن يقول للأعرابي أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك فيقول نعم فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك ، وإن من فتنته أن يسلط على نفسٍ واحدةٍ فيقتلها ينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين ثم يقول انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه ثم يزعم أن له رباً غيري فيبعثه الله ويقول له الخبيث من ربك فيقول ربي الله وأنت عدو الله أنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك مني اليوم ، وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه فلا يبقى لهم سائمة إلا هلكت ، وإن من فتنته أن يمر بالحي فيصدقونه فيأمر

السماء أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه وأمده خواصر وأدره ضروعاً ، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة لا يأتيهما من نقب من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة حتى يترل عند الضريب الأحمر عند منقطع السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى فيها منافقٌ ولا منافقةٌ إلا خرج إليه فتنفي الخبيث منها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قيل فأين العرب يومئذ قال هم يومئذ قليل (وجلهم ببيت المقدس) وإمامهم رجلٌ صالح فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى ليتقدم عيسى فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم فصل فإنها لك أقيمت فيصل بهم إمامهم فإذا انصرف قال عيسى افتحوا الباب فيفتحون ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ؛ وينطلق هاربا (ويقول عيسى إن لي فيك ضربة لن تسبقني) فيدركه عند باب لد الشرقي فيقتله فيهزم الله اليهود فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق إلا قال يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله فيكون عيسى بن مريم في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً يدق الصليب ويذبح الخترير ويضع الجزية ويترك الصدقة فلا يسعى على شاة ولا بعير وترفع الشحناء والتباغض وتترع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليد يده في في الحية فلا تضره وتضر الوليدة الأسد فلا يضرها ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا الله وتضع الحرب أوزارها وتسلب قريش ملكها وتكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ويكون الثور بكذا وكذا من المال ويكون الفرس بالدريهمات (قالوا يا رسول الله وما يرخص الفرس قال لا

تركب لحرب أبداً قيل فما يغلي الثور قال تحرث الأرض كلها) وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنواتٍ شدادٍ يصيب الناس فيها جوعٌ شديد يأمر الله السماء السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله فلا تقطر قطرة ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء فلا يبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله قيل فما يعيش الناس في ذلك الزمان ؟ قال التهليل والتكبير والتحميد ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام) رواه بن ماجة وبن خزيمة والحاكم وغيرهم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٨٧٥) إلا ما بين القوسين فقد ضعفه في ضعيف الجامع حديث رقم (٦٣٨٤)

ثالثاً / طرق العصمة منه :

١-الاستعاذة بالله من شره فعن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو في الصلاة يقول (اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم) فقال له قائل ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله فقال (إن الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن شر المسيح الدجال) رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول (قولوا اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات) رواه مسلم

٢-قراءة فواتح سورة الكهف فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) رواه مسلم وفي حديث النواس مرفوعاً (فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف) رواه مسلم

٣-سكنى مكة والمدينة فعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها فيترل السبخة فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج إليه كل كافرٍ ومنافق) متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال) متفق عليه وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال لها يومئذ سبعة أبواب على كل بابٍ ملكان) رواه البخاري

٤-تجنبه والبعد عنه قدر المستطاع فعن عمران بن الحصين رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من سمع بالدجال فلينأ عنه فو الله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به الشبهات) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٦٣٠١)

((نزول عيسى بن مريم عليه السلام))

قال تعالى {وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا} (١٥٩) سورة النساء وقال تعالى {وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ} (٦١) سورة الزخرف أي علامةٌ على قربها

وقال صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ليوشكن أن يترل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً وإماماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) متفق عليه ولهما (كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم) وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فيترل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل لنا فيقول لا إن بعضكم على بعضٍ أمراء تكرمة الله لهذه الأمة) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده ، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا أو ليثنينَّهما) رواه مسلم

صفاته /

هو ربعة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير فيه حمرةٌ بسمرة شديد نضارة البشرة وصفاء اللون جعد الجسد أي مجتمعه مكتتزه (مفتول العضلات) عريض الصدر سبط الشعر أي

شعره منبسطاً مسترسلاً ليس بالجعد له لمة وهي الشعر المتدلي الذي جاوز شحمة الأذنين فإذا بلغ المنكبين فهو جمة يتزل في آخر الزمان وقد رجل شعره وينطف منه مـــاء كأنمـــا أغتسل لتوه والأدلة على ذلك كما يلي :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليلـــة أســـري بي لقيت موسى فنعته فإذا رجل مضطرب رجل الشعر كأنه من رجال شنوءة ولقيت عيسى ربعة أحمر كأنما خرج من ديماس (يعني الحمام) ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به) متفـــق عليه قوله في صفة موسى عليه السلام (مضطرب) المضطرب : الطويل (وورد في بعـــض الروايات (ضرب) وهو النحيف فهو عليه السلام طويلٌ نحيف ولكـــن ورد في بعـــض الروايات أنه جسيم والجسيم ضد النحيف مما حدا بالتيمي وبن التين أن يشكا في دخول بعض ألفاظ الحديث في بعض وقالا إن الجسيم إنما ورد في صـــفة الـــدجال لا في صـــفة موسى قال بن حجر : والذي يتعين المصير إليه ما جوزه عياض أن المراد بالجسيم في صفة موسى الزيادة في الطول ويؤيده قوله في الرواية التي بعد هذه كأنه من رجال الزط وهـــم طوالٌ غير غلاظ ووقع في حديث الإسراء وهو في بدء الخلق رأيت موسى جعداً طـــوالاً واستنكره الداودي فقال لا أراه محفوظاً لأن الطويل لا يوصف بالجعد وتُعُقِبَ بأنهمـــا لا يتنافيان وقال النووي الجعودة في صفة موسى جعودة الجسم وهو اكتنازه واجتماعـــه لا جعودة الشعر لأنه جاء أنه كان رجل الشعر ٠ انتهى من فتح الباري

وقوله في صفة عيسى (كأنما خرج من ديماس) وفسره عبد الرزاق بالحمام والمراد مـــن ذلك وصفه بصفاء اللون ونضارة الجسم وكثرة ماء الوجه قال النووي : قال الهـــروي في هذا الحديث قال بعضهم: الديماس هنا هو الكن أي كأنه مخدر لم ير شمساً (شرح مسلم)

وعن بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (رأيت عيســـى وموسى وإبراهيم فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر وأما موسى فآدم جسيم ســـبط كأنه من رجال الزط وأما إبراهيم فانظروا إلى صاحبكم – يعني نفسه) رواه البخـــاري والجعودة

هنا جعودة الجسم وهو اكتنازه واجتماعه لا جعودة الشعر فإنه قد جاء أنه عليه السلام سبط الشعر فعن بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينما أنا نائم رأيتني أطوف بالكعبة فإذا رجلٌ آدم سبط الشعر بين رجلين ينطف رأسه ماءً فقلت من هذا قالوا هذا ابن مريم ثم ذهبت ألتفت فإذا رجلٌ أحمر جسيم جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبة طافية قلت من هذا قالوا الدجال أقرب الناس به شبهاً ابن قطن) رواه مسلم وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (رأيتني الليلة عند الكعبة فرأيت رجلاً آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدم الرجال له لمة كأحسن ما أنت راءٍ من اللمم قد رجلها فهي تقطر ماء متكئاً على عواتق رجلين يطوف بالبيت فسألت من هذا ؟ فقالوا هذا المسيح بن مريم) متفق عليه قال بن حجر : والأحمر عند العرب الشديد البياض مع الحمرة والآدم الأسمر ويمكن الجمع بين الوصفين بأنه أحمرَّ لونه بسببٍ كالتعب وهو في الأصل أسمر . (انتهى من فتح الباري) قلت : ويمكن أن يكون العكس وأنه اسمرَّ لونه من الشمس والتعب وهو في الأصل أبيض وهذا أكثر من الأول ، والذي يظهر لي أن لونه كذا بلا تعب وأنه أحمر مائلٌ إلى السمرة قال في الفائق : آدم : افعل مشتق من الأدمة ، وهي حمرةٌ تميل إلى السواد ، وجمعه : ادم وأوادم وقال الأزهري الآدم الأبيض وهو قول الدينوري .وقال الجوهري / قالوا : الأدمة في الناس شِربَةٌ من سواد وفي الإبل و الظباء بياض .وقال بن الأثير : هي في الناس السمرة الشديدة وقيل هو من أدمة الأرض أي لونها وبه سمي آدم عليه السلام .

فهؤلاء أهل اللغة قد اختلفوا في معنى آدم و لم يختلفوا في معنى أحمر فيرد ما اختلفوا فيه إلى ما لم يختلفوا فيه على أنه سوف يعرف قطعاً إذا نزل آخر الزمان لمعرفتنا بوقت نزوله ومكانه ولو لم نعرف لونه الآن على أننا نقطع أن السنة لا اضطراب بينها وأنه يمكن الجمع بين الروايات بما ذكرنا من كونه عليه السلام أحمراً مائلاً إلى السمرة إن صح كون معنى آدم أسمر وإن كان معناه أبيض فحينئذٍ يزول الإشكال لأن الأحمر عند العرب

الأبيض بالإجماع .

مكان نزوله /

عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وهو الجامع الأموي الآن قال صلى الله عليه وسلم (فيترل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر وإذا رفعه تحدرمنه مثل جمانٍ كاللؤلؤ فلا يحل لكافرٍ يجد من ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه) المهرودتين : قال في لسان العرب : أَي في شُقّتين أَو حُلَّتين قال الأَزهري قرأْت بخط شمر لأَبي عدنان أَخبرني العالم من أَعراب باهلة أَن الثوب المهرود الذي يصبغ بالورس ثم بالزعفران فيجيء لونه مثل لون زَهْرة الحَوْذانةِ فذلك الثوب المَهْرُودُ ويروى في مُمَصَّرَتَيْن ومعنى المُمَصَّرتين والمهرودتين واحد وهي المصبوغة بالصُّفْرة من زَعْفران أَو غيره . انتهى فينزل وقد أقيمت الصلاة ، فيطلب منه الإمام أن يتقدم فيأبى ويصلي خلفه ، ثم يخرج لقتال الدجال فيقتله قال صلى الله عليه وسلم (فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍ فيقتله ثم يأتي عيسى إلى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ....) رواه مسلم

وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخرج الدجال فيمكث أربعين (لا أدري أربعين يوماً أو شهراً أو عاماً) فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث في الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحاً باردةً من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرةٍ من خيرٍ أو إيمانٍ إلا قبضته) رواه مسلم وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (فيترل عيسى عليه السلام فيقتله ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنةً إماماً عدلاً وحكماً مقسطاً) رواه أحمد وبن حبان وغيرهما وقال الألباني في قصة المسيح : إسناده صحيح وجمع بينهما بن كثير بأن الرواية الأولى هي مكثه بعد نزوله في آخر الزمان والرواية الثانية مجموع مكثه في الأرض فإنه رفع وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين ثم يترل فيعيش سبعاً فتكتمل له أربعين سنة .

* * *

((خروج يأجوج ومأجوج))

وهما قبيلتان من بني آدم مفسدتان في الأرض بشكلٍ عظيم وكانتا موجودتـــان زمـــن ذا القرنين وكان قد ملك الأرض فاشتكى من بناحيتهم إليه منهم فبنى عليهم سداً من حديدٍ ونحاس يحول بينهم وبين الناس وأخبرهم أنه سيبقى إلى آخر الزمان وقد ذكر الله قصـــتهم في سورة الكهف قال تعالى{وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْـــرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَـــبَبًا (٨٥)} إلى قولـــه تعـــالى {حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَـــا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَـــلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًـــا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَـــالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧) قَالَ هَـــذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨) وَتَرَكْنَا بَعْضَـــهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا} (٩٩) سورة الكهـــف وقال تعالى {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٦) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَـــإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَـــالِمِينَ} (٩٧) سورة الأنبيـــاء وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل يوماً فزعاً يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شرٍ قد اقترب فتح اليوم من ردم يـــأجوج

ومأجوج مثل هذه) وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها . قالت زينب فقلت يا رسول الله أفنهلك وفينا الصالحون ؟ قال نعم إذا كثر الخبث) متفق عليه وقال صلى الله عليه وسلم في قصة قتل عيسى عليه السلام للدجال (فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍ فيقتله ثم يأتي عيسى بن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى إني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدرٍ ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردي بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة) وفي رواية (فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء ، فيرمون بنشابهم إلى السماء ، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبًا دمًا) رواه مسلم وهذا يدل على أن أعدادهم كبيرة جدا وورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يقول الله تعالى يا آدم فيقول لبيك وسعديك والخير كله في يديك . قال أخرج بعث النار . قال وما بعث النار ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين فعنده يشيب الصغير (وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس

سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) قالوا يا رسول الله وأينا ذلك الواحد ؟ قال أبشروا فإن منكم رجلاً ومن يأجوج ومأجوج ألف ثم قال والذي نفسي بيده أرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا . فقال أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا فقال أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة فكبرنا قال ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود) متفق عليه

((من علامات الساعة الدخان))

كما قال تعالى {فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١٠) يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١١) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ} (١٢) سورة الدخان وعن حذيفة رضي الله عنه قال : اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة ، فقال (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر منها (الدخان) رواه مسلم وعن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا فأتاه رجلٌ فقال يا أبا عبد الرحمن إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا أيها الناس اتقوا الله من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم فإن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم " قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدباراً فقال اللهم سبع كسبع يوسف قال فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله " فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم " إلى قوله " إنكم عائدون " قال أفيكشف عذاب الآخرة " يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون " فالبطشة يوم بدر وقد مضت آية الدخان والبطشة واللزام وآية الروم ٠ رواه مسلم

وأجيب بأن الدخان الذي رأته قريش إنما هو مجرد توهم من شدة الجوع وأما الدخان الذي جاءت به النصوص فهو حقيقي موصوف بأنه دخان مبين أي بينٌ واضح ليس مجرد توهم . وأنه يغشى الناس جميعاً ، وليست قريشًا وحدها . وأنه يكشف ويرفع عن الناس بعد وقوعه عليهم فدلَّ على أنه مغايرٌ لما ذكره بن مسعود رضي الله عنه .

((طلوع الشمس من مغربها))

قال صلى الله عليه وسلم (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا) متفق عليه وعن حذيفة رضي الله عنه قال : اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة ، فقال (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر منها (طلوع الشمس من مغربها) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (بادروا بالأعمال ستاً) وذكر منها (وطلوع الشمس من مغربها) رواه مسلم وقال (ثلاثٌ إذا خرجن (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) رواه مسلم وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غربت الشمس (أين تذهب ؟) قلت الله ورسوله أعلم . قال (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد ولا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ويقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى (والشمس تجري لمستقر لها) قال مستقرها تحت العرش) متفق عليه وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه) رواه مسلم وعن معاوية رضي الله

عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) رواه أحمد وأبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٧٤٦٩) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا) رواه مسلم

((خروج دابة الأرض))

قال تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ} (٨٢) سورة النمل وعن حذيفة رضي الله عنه قال : اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة ، فقال (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر منها (الدابة) رواه مسلم وقال صلى الله عليه وسلم (بادروا بالأعمال ستاً) وذكر منها (ودابة الأرض) رواه مسلم وقال (ثلاثٌ إذا خرجن (لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض) رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا) رواه مسلم وقوله تعالى (تكلمهم) إما أن يكون من الكلام وهو الحديث فتحدث الناس وإما أن يكون من الكلم وهو الجرح ويؤيد هذا ما ورد عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ثم يعمرون فيكم حتى يشتري الرجل الدابة فيقال ممن اشتريت فيقول من الرجل المخطم) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٩٢٧) ووردت أحاديث في صفة الدابة ومكان خروجها ولكني رأيت العلامة المحدث الألباني قد ضعفها فتركتها ، والواجب الإيمان بخروج الدابة في آخر الزمان وأنها

تسم الناس على خراطيمهم أي أنوفهم وربما كانت تحدثهم وأن الناس سوف يستغربونها ويتعاظمهم أمرها إذ لو كانت دابةً عاديةً أو قريبةً من العادية لما كانت آية تدلل النـــاس على قرب قيام الساعة ٠

* * *

((خروج نار من اليمن تسوق الناس إلى الشام))

فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال اطلع النبي صلى الله عليه وســـلم علينـــا ونحن نتذاكر . فقال ما تذكرون ؟ . قالوا نذكر الساعة . قال (إنها لن تقوم حتى تـــروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس مـــن مغربهـــا ونـــزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخســـف بـــالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشـــرهم) وفي رواية (نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر) وفي رواية في العاشرة (وريـــح تلقي الناس في البحر)رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم (يحشر الناس على ثلاث طرائق : راغبين راهبين ، واثنان على بعير ، وثلاثـــة على بعير ، وأربعة على بعير ، وعشرة على بعير ، وتحشر بقيتهم النار تبيت معهم حيـــث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتصبح معهم حيث أصبحوا ، وتمسي معهـــم حيـــث أمسوا) رواه مســـلم وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال (أول أشراط الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) رواه البخاري

ولا اضطراب بين الأحاديث فهي آخر العلامات العشر وأول آيات قيام الساعة فالساعة تقوم بعدها مباشرةً فتحدث الصيحة وتتشقق الأرض والسماء وتتناثر النجوم والكواكب إلى غير ذلك فهي أول علامات الساعة من هذه الحيثية وهي آخر العلامات العشر ٠ قال بن حجر : فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيـــات العظـــام

المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مـــريم ، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحـــوال العـــالم العلـــوي وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب ، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس . فتح الباري

قلت وإنما رجح ذلك لأنه قد ثبت أن نزول عيسى بن مريم عليه الســـلام يكـــون بعـــد خروج الدجال وقد ثبت أن عيسى عليه السلام لا يقبل من الناس الجزية ولا يقبل منـــهم إلا الإسلام ولو كانت التوبة قد حجبت بطلوع الشمس من مغربها لم يكن ليجبرهم على أمرٍ لا فائدة لهم منه إذ لا ينفعهم إيمانهم بعد طلوع الشمس من مغربها كما تقدم ، فتبين بذلك أن طلوع الشمس من مغربها يكون بعد ذلك .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتركون المدينـــة على خير ما كانت. لا يغشاها إلا العوافي (يريد عوافي السباع والطير) ثم يخرج راعيـــان من مزينة. يريدان المدينة. ينعقان بغنمهما. فيجدانها وحشاً. حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما) رواه مسلم

* * *

((الموت وحياة البرزخ))

كل الناس سيموتون بل كل المخلوقات إلا الله الحي الذي لا يموت قال تعالى {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} (٢٧) سورة الرحمن وقال تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ} (١٨٥) سورة آل عمران وقال تعالى {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} (٧٨) سورة النساء وقال تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (٣٥) سورة الأنبياء وقال تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (٥٧) سورة العنكبوت وقال تعالى {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا} (١٦) سورة الأحزاب والموت هو أول منازل الآخرة ومن مات فقد قامت قيامته كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحاح وإذا حضره الموت كشف له العالم الغيبي فرأى الملائكة ورأى الشياطين وبشر بالجنة أو النار قال تعالى {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ (١٩) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (٢٠) وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢١) لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } (٢٢) سورة ق فأما إن كان من أهل النعيم فيبشر بروح وريحان ورب راضٍ غير غضبان قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ} (٣٠) سورة فصلت تتنزل عليهم الملائكة عند الموت ألا تخافوا مما أمامكم من الحساب ولا تحزنوا على من خلفكم من الأهل والذرية وأبشروا بالجنة ، وأما إن كان والعياذ بالله من أهل الجحيم فيبشر

بسخطٍ من الله وغضب قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (٩٣) سورة الأنعام ولا تكاد روحه تخرج من جسده من شدة الخوف فتضطر الملائكة إلى ضربه ونزع روحه بالقوة كما قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ} (٥٠) سورة الأنفال وقال تعالى {فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} (٢٧) سورة محمد ثم إذا مات الإنسان انتقل إلى حياة البرزخ وهي حياته في القبر وهو إما منعمٌ أو معذبٌ في قبره وقد ثبت عذاب القبر ونعيمه بالأدلة من الكتاب والسنة قال تعالى عن آل فرعون {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (٤٦) سورة غافر فذكر تعالى أن النار تعرض عليهم قبل قيام الساعة وقال تعالى {وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} (٤٧) سورة الطور وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولَمَّا يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً ثم قال إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفان الجنة وحنوطٌ من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماءٍ

مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عــز وجــل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولون له مــن ربــك ؟ فيقول ربي الله فيقولون له ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولان له وما علمك ؟ فيقــول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشــوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشــر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت ؟ فوجهك الوجــه يجــيء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي . قــال وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه مــن الســماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك المــوت حــتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفــة وجــدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي بهــا إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ (ومن يشرك بــالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان لــه ما دينك ؟ فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقــول

هاه هاه لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت ؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٦٧٦) وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) متفق عليه وعن عائشة رضي الله عنها أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال (نعم عذاب القبر حق) قالت عائشة رضي الله عنها فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر . متفق عليه وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائطٍ لبني النجار على بغلةٍ له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال من يعرف أصحاب هذه الأقبر فقال رجل أنا قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا في الإشراك فقال إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه ثم أقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال) رواه مسلم وعن عثمان رضي الله عنه أنه إذا وقف على قبرٍ بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا فقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن القبر أول منزلٍ من منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما رأيت

منظراً قط إلا القبر أفظع منه) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١٣٢) وعـن عثمـان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال (استغفروا لأخيكم ثم سلوا له بالتثبيت فإنه الآن يسأل) رواه أبو داود وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١٣٣) والأدلة على ذلك كثيرة متواترة

((البعث والحساب))

البعث لغة / الإثارة والتحريك قال تعالى{إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا} (١٢) سورة الشمس أي ثار وتحرك لقتل الناقة ومنه حديث عائشة رضي الله عنها (فبعثت البعير فإذا العقد تحته)

اصطلاحاً / إثارة الناس من قبورهم وتحريكهم لأرض المحشر ليحاسبوا على أعمالهم ٠

والحساب لغة / العد ٠

اصطلاحاً / هو مجازاة الناس بأعمالهم يوم القيامة ٠

والأدلة على البعث كثيرة وقد تنوعت دلالات النصوص على إثبات البعث فمن ذلك :

١-تأكيده بالقسم كما قال تعالى{زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٧) سورة التغابن

٢-تأكيده بالعقل ببيان أن الإعادة أهون من الخلق الأول كما قال تعالى{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} (٢٧) سورة الروم وقال تعالى{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ } (١٠٤) سورة الأنبياء وقال تعالى{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } (٧٩) سورة يـس

٣-تأكيده بالعقل ببيان أن إحياء الموتى أهون من خلق السماوات والأرض كما قال

تعالى {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (٣٣) سورة الأحقاف وقال تعالى {لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (٥٧) سورة غافر

٤-الاستدلال على ذلك بإحياء الموتى في الدنيا كما في قوله تعالى {فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} (٧٣) سورة البقرة وقال تعالى ﴿{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ} (٢٤٣) سورة البقرة

٥-الاستدلال على ذلك بإخراج النبات كما قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْموْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} (٥٧) سورة الأعراف وقال تعالى {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} (٩) سورة فاطر وقال تعالى {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ } (١٩) سورة الروم وقال تعالى {وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (١١) سورة الزخرف

والأدلة على الحساب أيضاً كثيرة قال تعالى {لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} (١٨) سورة الرعد وقال تعالى {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ} (٢١) سورة الرعد وأخبر تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال {رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ} (٤١)

سورة إبراهيم وقال تعالى {لِيَجْزِي اللّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٥١) سورة إبـراهيم وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٣٩) سورة النـــور وقال تعالى {هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ} (٥٣) سـورة ص وقال تعالى {الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (١٧) سورة غـافر وقال تعالى {وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ} (٢٧) سـورة غـافر وقـال تعـالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٣) سورة الحجر والحساب يكون للكفار وأما المؤمنون فإن كان من أهل الكبائر وقد قدِّر له أن يدخل النار فسوف يحاسب فعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل فيه وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حـديث رقـم (١٢٦) وإن كان من أهل الجنة فتعرض عليهم أعمالهم عرضاً ولا يناقشون الحساب فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (من نوقش الحساب عُـذِبَ) فقلت أليس يقول الله ((فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً)) فقال (إنما ذلك العرض وليس أحدٌ يحاسب يوم القيامة إلا هلك) رواه البخاري ومسلم وغيرهما قال تعالى {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ} (١٨) سورة الحاقـة وعن بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى يـدني المـؤمن فيضع عليه كنفه وستره من الناس ويقرره بذنوبه فيقول أتعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول نعم أي رب حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال فـإني قـد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ؛ وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) متفق عليه

والمؤمن توزن حسناته وسيئاته فمن ثقلت موازينه بأن رجحت حسناته على سيئاته دخل الجنة برحمة الله ، ومن خفت موازينه بأن رجحت سيئاته على حسناته دخل النار بعدل الله ، وأما من تساوت حسناته وسيئاته فهم أهل الأعراف وهو مكانٌ بين الجنة والنار ينظرون منه إلى أهل الجنة وإلى أهل النار ومآلهم إلى الجنة برحمة الله .

وأما الكفار فلا توزن أعمالهم ولكن تحصى عليهم سيئاتهم ويقررون بها وأما ما عملوا من أعمال صالحة فيجعلها الله هباءً منثوراً فلا ينفع كافر عمل صالح قال تعالى {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} (١٠٥) سورة الكهف وقال تعالى {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا} (٢٣) سورة الفرقان وقال تعالى {مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ} (١٨) سورة إبراهيم وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٣٩) سورة النور

وأول ما يحاسب عنه العبد يوم القيامة من حقوق الله الصلاة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإن انتقص من فريضة قال الرب انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله على ذلك) رواه الترمذي والنسائي وبن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٠٢٠)

وأول ما يحاسب عنه العبد من حقوق الناس الدماء فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء) متفق عليه وعند النسائي (أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس في الدماء) قال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب صحيح لغيره حديث رقم (٢٤٣٥)

إشكال وجوابه / قال تعالى {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٣) سورة الحجر وقال تعالى {فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} (٦) سورة الأعراف وقال تعالى {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} (٧٨) سورة القصص وقال تعالى {فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ} (٣٩) سورة الرحمن فهل يسأل الكفار يوم القيامة عن أعمالهم أو لا يسألوا ؟

اختلف أهل العلم في الجمع بين هذه الآيات على أقوال هي كالتالي :

الأول /: لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم ، لأن الله عز وجل علمها منهم ، وكتبتها الملائكة عليهم ، وهذا قول الحسن وقتادة ومرويٌ عن ابن عباس ٠

الثاني /: لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم. وهو قول مجاهد ومرويٌ عن بن عباس ٠ قال بن كثير : وكأن هذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار، فذلك الوقت لا يسألون عن ذنوبهم، بل يقادون إليها ويلقون فيها، كما قال تعالى {يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ } (٤١) سورة الرحمن أي: بعلامات تظهر عليهم. وقال الحسن وقتادة: يعرفونهم باسوداد الوجوه وزرقة العيون.

الثالث / أنهم لا يسألون سؤال استفهام واستخبار وإنما سؤال توبيخ وتقريع فلا يسألهم هل عملتم كذا وكذا ؟ لأنه أعلم بذلك منهم ، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا ؟

وهو مرويٌ عن بن عباس .

الرابع / أنهم يسألون في مواطن ولا يسألون في مواطنٍ أخرى لطول يوم القيامة وهو قول عكرمة وقال قتادة قد كانت مسألة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

الخامس / أنهم لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ.

السادس / لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم وهو قول أبو العالية .

قلت : وجميع الأقوال المذكورة الاختلاف فيها ليس من اختلاف التضاد فالله جل وعلا لا يسألهم عن ذنوبهم ليعلمها بعد جهله بها حاشا وكلا بل هو سبحانه علام الغيوب وهو أعلم بالمرء من نفسه ولكن يسألهم ليقررهم بها وهذا من كمال عدله بهم وهو سؤالٌ تقريعي لا استفهامي ولا للشفقة بهم أو رحمة ولا يسأل المجرم عن ذنب غيره ولا شك أنه ليس كل وقت القيامة وقتٌ للسؤال بل يسألون في وقت ولا يسألون في وقتٍ آخر من ذلك اليوم والملائكة تعرف الكفار بعلاماتٍ تكون فيهم .

لكن الراجح عندي في الجمع بين الآيات هو القول الثالث وأن المنفي هو سؤال الاستخبار والمثبت سؤال التقريع والتوبيخ لأن سؤال الاستخبار يقتضي انتقاص الرب جل وعلا بأنه لا يعلم ما هي ذنوب الكفار إلا بعد أن يستعلمهم عنها وهذا ممتنعٌ في حق الرب جل وعلا فبقي أن يكون المثبت سؤال التقريع والتوبيخ ، ونظير ذلك في القران آيات الشفاعة فقد نفتها آياتٌ وأثبتتها آياتٌ أخرى فعُلم أن المنفي منها ماكان موهماً انتقاص الرب جل وعلا وهو ما كان فيه شرك والمثبت ما سلم من ذلك .

قال الشنقيطي : اعلم أولا أن السؤال المنفي في قوله هنا{فَيَوْمَئِذٍ لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ} وقوله {وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} (٧٨) سورة القصص أخص من السؤال المثبت في قوله{فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٩٣) سورة الحجر لأن هذه فيها تعميم السؤال في كل عمل ، والآيتان قبلها ليس فيهما نفي السؤال إلا عن الذنوب خاصة ، وللجمع بين هذه الآيات أوجه معروفة عند العلماء.

الأول منها: وهو الذي دل عليه القرآن ، وهو محل الشاهد عندنا من بيان القرآن بالقرآن هنا، هو أن السؤال نوعان: أحدهما سؤال التوبيخ والتقريع وهو من أنواع العذاب ، والثاني هو سؤال الاستخبار والاستعلام. فالسؤال المنفي في بعض الآيات هو سؤال الاستخبار والاستعلام ، لأن الله أعلم بأفعالهم منهم أنفسهم كما قال تعالى {أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ} [المجادلة:٦]وعليه فالمعنى: {لا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلا جَانٌّ} ، سؤال استخبار واستعلام لأن الله أعلم بذنبه منه. والسؤال المثبت في الآيات الأخرى هو سؤال التوبيخ والتقريع، سواء كان عن ذنب أو غير ذنب ، ومثال سؤالهم عن الذنوب سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [آل عمران:١٠٦] ومثاله عن غير ذنب قوله تعالى {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ} [الصافات:٢٤-٢٦] وقوله تعالى {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعّاً، هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ، أَفَسِحْرٌ هَذَا} الآية [الطور:١٣-١٥] وقوله{أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ} [الأنعام:١٣٠]أما سؤال الموءودة في قوله{وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ} [التكوير:٨] فلا يعارض الآيات النافية السؤال عن الندب ، لأنها سئلت عن أي ذنبٍ قتلت وهذا ليس من ذنبها ، والمراد بسؤالها توبيخ قاتلها وتقريعه ، لأنها هي تقول لا ذنب لي ، فيرجع اللوم على من قتلها ظلماً . وكذلك سؤال الرسل ، فإن المراد به توبيخ من كذبهم وتقريعه ، مع إقامة الحجة عليه بأن الرسل قد بلغته . (أضواء البيان)

* * *

(الحوض)

الْحَوْضُ فِي اللُّغَةِ : مُجْتَمَعُ الْمَاءِ . وجمعه أَحْوَاضٌ وَحِيَاض . (موسوعة الفقه الكويتية كلمة حوض)

اصطلاحاً / المراد بالحوض في كتب العقائد هو الحوض الذي يكون للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة يسقي منه أمته .

ولكل نبيٍ حوض يوم القيامة فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل نبي حوضاً وإنهم ليتباهون أيهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة) رواه الترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢١٥٦)

وأما صفة حوض النبي صلى الله عليه وسلم فطوله مسيرة شهر وعرضه كذلك ماءه أبيض من اللبن وأحلى من العسل وريحه أطيب من المسك والآنية التي يشرب منه بها كعدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ولا يشرب منه إلا الصالحون من أمة محمدٍ صلى الله عليه وسلم ويطرد عنه غيرهم وأدلة ذلك كما يلي :

١-عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من يشرب منها فلا يظمأ أبداً) متفق عليه

٢-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد النجوم وإني لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه) قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذٍ ؟ قال (نعم لكم سيماء ليست لأحدٍ من الأمم تردون عليَّ غراً

من أثر الوضوء) وفي رواية (ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غراً محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك) رواه مسلم

٣-عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني فرطكم على الحوض من مرَّ علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم فأقول إنهم مني . فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؟ فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي) متفق عليه

٤-عن بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) متفق عليه

٥-عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إني فرطكم على الحوض وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة) رواه مسلم

تنبيه / يعتقد بعض الناس أن الحوض هو الكوثر وليس كذلك بل هما متغايران فالحوض في عرصات يوم القيامة كما تقدم ، وأما الكوثر فهو في الجنة والأدلة على ذلك كثيرة منها ما ورد عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهرٍ حافتاه الدر المجوف قلت ما هذا يا جبريل ؟ قال الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أذفر) رواه البخاري وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الكوثر نهرٌ في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج) رواه ابن ماجه والترمذي وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٧١٩)

والحوض لا يكون جاريًا ، وأما النهر فإن ماءه جار ، والحوض يطرد عنه ناس ولا

يمكنون من الشرب منه بينما لم يرد ذلك في الكوثر .

* * *

((نشر الدواوين))

معنى الدواوين في كتب العقيدة هي صحائف أعمال الناس التي كتبتها الملائكة فإنها تعطى للناس يوم القيامة ليقرءوا ما عملوه في أيام الدنيا ، ونشرها فتحها .

والناس في ذلك على قسمين :

القسم الأول / الصالحون ويأخذون كتابهم باليمين .

القسم الثاني / هم الكافرون وأهل النار من عصاة الموحدين ويأخذون كتابهم بالشمال أو من وراء ظهورهم .

وقد تكاثرت الأدلة على ذلك فقال تعالى {وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا } (١٤) سورة الإسراء وقال تعالى {وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ } (١٠) سورة التكوير وقال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ} (٣١) سورة الحاقة وقال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا} (١٢) سورة الإنشقاق وقال تعالى{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا

كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (٤٩) سورة الكهف ٠وقد ورد عن بعض السلف أنه سيقرأ يومئذٍ القارئ والأمي وهو كذلك فإن الذي أقدرهم على أن يقرءوا ما كتب على جبين الدجال قادرٌ على أن يجعلهم يقرءون صحفهم ٠

((وضع الموازين))

الموازين جمع ميزان وهو الذي توزن به أعمال العباد يوم القيامة وله كفتان أحدهما توزن به الأعمال الصالحة والآخر توزن به الأعمال السيئة فمن ثقلت كفة ميزانه بالأعمال الصالحة فهو الفائز الناجي ومن خفت كفة ميزان الأعمال الصالحة وثقلت كفة ميزان الأعمال السيئة فهو الخاسر قال تعالى {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } (٤٧) سورة الأنبياء وقال تعالى {وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يِظْلِمُونَ} (٩) سورة الأعراف قال تعالى {فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ (١٠١) فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}(١٠٣) سورة المؤمنون وقال تعالى{فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ (٦) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ} (١١) سورة القارعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم) متفق عليه وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماوات والأرض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها) رواه مسلم وعن أبي سلمى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول (بخٍ بخٍ لخمس ما أثقلهن في الميزان لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء المسلم فيحتسبه) رواه النسائي واللفظ له وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (١٥٥٧) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وإن الله يبغض الفاحش البذيء) رواه الترمذي وبن حبان وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٢٦٤١) وعن أنس رضي الله عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة فقال (أنا فاعل . قلت يا رسول الله فأين أطلبك ؟ قال اطلبني أول ما تطلبني على الصراط . قلت فإن لم ألقك على الصراط ؟ قال فاطلبني عند الميزان قلت فإن لم ألقك عند الميزان ؟ قال فاطلبني عند الحوض فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن) رواه الترمذي وقال الألباني في مشكاة المصابيح إسناده جيد وصححه في الصحيحة حديث رقم (٢٦٣٠) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجلٍ مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر ؟ قال لا يارب فيقول بلى . إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله فيقول احضر وزنك . فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء) رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٧٧٦)

ومن فضل الله جل وعلا وكريم منته على الناس أن يوضع الرجل بجسده في ميزان حسناته لعلها تثقل ولكن من الناس من هو ثقيل الوزن في الدنيا ولا كن في ميزان الآخرة هو أخف من جناح بعوضة فالأجساد تثقل بالعمل الصالح وتخف بحسبه لا بحسب ما فيها من اللحم والدم والعظام قال صلى الله عليه وسلم (إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة) وقال اقرءوا{فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا}(١٠٥)

سورة الكهف متفق عليـه وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم (مم تضحكون؟) قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه فقال (والذي نفسي بيده لهما أثقـل في الميزان من أحد) رواه أحمد وأبو يعلى وغيرهما وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة حديث رقم (٣١٩٢)

وأما من تساوت حسناتهم وسيئاتهم فأولئك يحبسون على سورٍ بين الجنة والنـار وهـم أصحاب الأعراف الذين ذكرهم الله في كتابه في قوله تعالى{ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥) وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧) }سورة الأعراف

قال بن كثير : واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم وكلـها قريبـة ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة وابـن عباس وابن مسعود وغير واحد من السلف والخلف رحمهم الله.(انتهى من تفسيره) ومـآل أهـل الأعراف الجنة برحمة الله ، قال بن كثير : قال العَوْفي عن ابن عباس أنـزلهم الله بتلـك المنزلة ليعرفوا من في الجنة والنار وليعرفوا أهل النار بسواد الوجـوه ويتعـوذوا بـالله أن يجعلهم مع القوم الظالمين. وهم في ذلك يحيون أهل الجنة بالسلام ((لم يـدخلوها وهـم يطمعون)) أن يدخلوها ، وهم داخلوها إن شاء الله. وكذا قال مجاهـد ، والضـحاك ، والسدي ، والحسن ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وقال مَعْمَر عن الحسن: إنه تلا هذه الآية { لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ } قال: والله ما جعل ذلـك الطمـع في قلـوبهم إلا لكرامة يريدها بهم. وقال قتادة : قد أنبأكم الله بمكانهم من الطمع .

((الصراط))

هو جسرٌ منصوبٌ على متن جهنم يسير عليه الناس كما قال تعالى {وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا} (٧٢) سورة مريم وقد جاء في السنة بعض صفاته فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يوم القيامة (ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم) متفق عليه وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله قال فيقول إبراهيم لست بصاحب ذلك إنما كنت خليلاً من وراء وراء اعمدوا إلى موسى صلى الله عليه وسلم الذي كلمه الله تكليماً فيأتون موسى صلى الله عليه وسلم فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه فيقول عيسى صلى الله عليه وسلم لست بصاحب ذلك فيأتون محمداً صلى الله عليه وسلم فيقوم ويؤذن له وترسل معه الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً فيمر أولكم كالبرق قال قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمر البرق قال ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين ثم كمر

الريح ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً قال وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوش في النار والذي نفس أبي هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعين خريفاً) رواه مسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرةٍ بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمدٍ بيده لأحدهم أهدى بمترله في الجنة منه بمترله كان له في الدنيا) رواه البخاري

* * *

((الجنة والنار))

الجنة دار أولياء الله والنار دار أعدائه ويتضمن الإيمان بهما عدة أمور منها :

١-الإيمان بأنهما موجودتان الآن في مكانٍ الله أعلم به قال تعالى في شأن النار{فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} (٢٤) سورة البقرة وقال تعالى {وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }(١٣١) سورة آل عمران وقال تعالى{أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} (١٥١) سورة النساء وقال تعالى {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} (١١) سورة الفرقان وقال تعالى في شأن الجنة{وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} (١٣٣) سورة آل عمران وقال تعالى {سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاء وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ} (٢١) سورة الحديد فبين المولى جل وعلا أنه قد أعدهما والإعداد بمعنى التجهيز أي تم تجهيزهما لأهلهما ، وأما الأدلة من السنة فكثيرة منها ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء . واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء) متفق عليه وفي حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعاً (فينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها) وقال في الكافر (فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها) رواه أحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (١٦٧٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فهو أشد ما تجدون من الحر وأشد ما تجدون من الزمهرير) متفق عليه وعنه أيضاً قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) متفق عليه

٢- الإيمان بأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً ، وقالت الجهمية بفناء الجنة والنار ، وروي عن بعض أهل العلم من أهل السنة القول بفناء النار وقولهم مردود لمصادمته للنصوص ولمخالفته لإجماع السلف وأهل القرون الفاضلة على أن الجنة والنار باقيتان أبداً لا تفنيان كما قال تعالى في آياتٍ كثيرة عن أهل الدارين ((خالدين فيها أبداً)) وقال تعالى عن أهل النار {يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} (٣٧) سورة المائدة وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (١٦٧) سورة البقرة وقال تعالى {وَعَدَ الله الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ} (٦٨) سورة التوبة وقال تعالى {أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ} (٤٥) سورة الشورى وقال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} (٣٦) سورة فاطر

وقال عن أهل الجنة {لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ} (٤٨) سورة الحجر وقال تعالى {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ} (٥٦) سورة الدخان وقال تعالى {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ} (٢١) سورة التوبة

٣-ألا يشهد لمعين أنه من أهل الجنة أو أنه من أهل النار إلا من شهد له الوحي بذلك ، ولكن نرجو للمحسن الثواب ونخاف على المسيء العقاب ، وقد أخبر الوحي أن المشرك

والكافر والمنافق في النار وأن المؤمن في الجنة فنشهد بذلك على جهة الإجمال ، ونشهد على جهة التفصيل بمن ذكروا بأعيانهم في نصوص الوحيين .

((الإيمان بالقدر))

هو التصديق الجازم بأن كل شيءٍ قد قدره الله جل وعلا كما قال تعالى {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا } (٢) سورة الفرقان وقال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} (٤٩) سورة القمر وقال تعالى {وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا} (٣٨) سورة الأحزاب وعن ابن الديلمي قال أتيت أُبيَّ بن كعب فقلت له قد وقع في نفسي شيء من القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبي قال لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار قال ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (١١٥)
ولفظ بن ماجة أن أبياً قال : ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله فأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أبي وقال لي ولا عليك أن تأتي حذيفة فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا وقال ائت زيد بن ثابت فاسأله فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكره . صححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم(٥٢٤٤)

والإيمان بالقدر يستلزم الإيمان بأربع مراتب ذكرها أهل العلم وجمعها الناظم بقوله :

علمٌ كتابة مولانا مشيئته   وخلقه وهو إيجادٌ وتكوين

المرتبة الأولى / العلم: وهو الإيمان الجازم بأن الله عز وجل بكل شيء عليم ، وأنه جل وعلا يعلم ما كان وما سيكون وأنه لا يخفى عليه شيءٌ في الماضي والمستقبل والحاضر قال تعالى { وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (١٦) سورة الحجرات وقال تعالى {إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} (١١٥) سورة التوبة وقال تعالى {رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللّهِ مِن شَيْءٍ فَي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء} (٣٨) سورة إبراهيم وقال تعالى {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} (١٢) سورة الطلاق

المرتبة الثانية / الكتابة : وهي الإيمان الجازم بأن الله قد كتب كل شيء فلا يكون شيء إلا وهو مكتوب عند الله تعالى في اللوح المحفوظ كما قال تعالى {وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} (١٢) سورة يس وقال تعالى {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} (٣٨) سورة الأنعام وقال تعالى {وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٥٩) سورة الأنعام وقال تعالى {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٦١) سورة يونس وقال تعالى مخبراً عن محاجة موسى وفرعون {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى} (٥٢) سورة طه وقال تعالى {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٧٠) سورة الحج وقال تعالى {وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي

السَّمَاء وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٧٥) سورة النمل وقال تعالى{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ} (٣) سورة سبأ وقال تعالى{وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (١١) سورة فاطر وقال تعالى{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) سورة الحديد وعن أبي حفصة قال قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة) يا بني إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من مات على غير هذا فليس مني) رواه أبو داود وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٠١٨) ورواه الترمذي بلفظ (إن أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب فجرى بما هو كائنٌ إلى الأبد) صححها الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢٠١٧) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) رواه مسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فقال يا غلام (احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في مشكاة المصابيح حديث رقم (٥٣٠٢) وفي صحيح الجامع حديث رقم (٧٩٥٧)

والكتابة نوعان : كتابةٌ لا تتغير ولا تتبدل وهي التي في اللوح المحفوظ وكتابةٌ تتبدل

وتتغير على وفق ما في اللوح المحفوظ وهي ثلاثة أنواع :

١- الكتابة اليومية كما قال تعالى{يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ} (٢٩) سورة الرحمن قال المفسرون : من شأنه أن يجيب داعياً ويغيث مضطراً ويكشف كرباً ويعطي سائلاً ويفك عانياً ويشفي سقيماً ويغفر ذنباً ويرفع قوماً ويضع آخرين. قال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض، يحيي حياً، ويميت ميتاً، ويربي صغيراً، ويفك أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ، ومنتهى شكواهم. نقلاً من بن كثير فذكر المفسرون بعض ما يصنعه الله في خلقه يومياً لتوضيح معنى الآية فدلَّ هذا على المقدور اليومي ، كذا قال أهل العلم ولا يظهر لي أنه حدث كتابة وتغيير فيها إنما يحدث الله في خلقه ما قد كتبه عليهم في اللوح المحفوظ .

٢-كتابة حولية أي سنوية وتكون في ليلة القدر فإنه يقدر فيها مقادير الخلائق إلى مثلها من العام القادم كما قال تعالى {فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ} (٤) سورة الدخان قال بن كثير : أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر وأبي مالك ومجاهد والضحاك وغير واحد من السلف. من تفسيره وقال البغوي : قال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال حتى الحجاج، يقال: يحج فلان ويحج فلان . قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق ، وما يكون في تلك السنة. من تفسيره

٣-كتابة عمرية أي بعمر الإنسان فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا

ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) متفق عليه واللفظ لمسلم وقد حمله بعض أهل العلم على المرائي بدليل حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة) رواه مسلم

فهذه الأنواع الثلاثة تتغير كما قال تعالى{يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاء وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} (٣٩) سورة الرعد وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) متفق عليه وعن سلمان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٢٤٨٩) فتبين أن المكتوب العمري والحولي يتغيران وتغيرهما إنما هو على وفق ما كتب في اللوح المحفوظ فإن الله كتب في اللوح المحفوظ أن هذا الإنسان عمره كذا لكننا زدناه له إلى كذا لأنه وصل رحمه أو دعا ربه وقد ينتقص من عمره إذا قطع رحمه كما قال تعالى{وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (١١) سورة فاطر

تنبيه / حديث بن مسعود رضي الله عنه قد أضاف بعضهم فيه لفظ (نطفة) مما جعل بعض أهل العلم يتوقعون أن الملك لا يكتب إلا بعد (١٢٠) يوماً وليس كذلك فإن الكتابة تتم بعد الأربعين الأولى ويتشكل الجنين فيها ولفظ نطفة ليست في الصحيحين فما تقدم لفظ مسلم ولفظ البخاري هو (إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربعة ...) الحديث ويشهد لما ذكرنا روايات في صحيح مسلم فقد روى حديث بن مسعود بلفظ (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة) وروى عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة

حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود يقول:الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعـــظ بغيره. فأتى رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له حذيفة بن أســـيد الغفاري. فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقـــال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إذا مـــر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة ، بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها. ثم قال: يا رب! أذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء. ويكتب الملـــك. ثم يقول: يا رب! أجله. فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك. ثم يقول: يـــا رب! رزقـــه. فيقضي ربك ما شاء. ويكتب الملك. ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده. فلا يزيد على مـــا أمر ولا ينقص) وروى عن حذيفة بن أسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (يـــدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين ، أو خمسة وأربعين ليلة. فيقـــول: يـــا رب! أشقيٌ أو سعيد؟ فيكتبان. فيقول: أي رب! أذكرٌ أو أنثى؟ فيكتبان. ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه. ثم تطوى الصحف. فلا يزاد فيها ولا ينقص) وروى عن حذيفة بن أسيد الغفاري أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني هـــاتين يقـــول (إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة. ثم يتصور عليها الملك) قال زهير: حسبته قال الـــذي يخلقها (فيقول: يا رب! أذكرٌ أم أنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقـــول: يـــا رب! أسويٌ أو غير سوي؟ فيجعله الله سوياً أو غير سوي. ثم يقول: يا رب! ما رزقـــه؟ مـــا أجله؟ ما خلقه؟ ثم يجعله الله شقياً أو سعيداً) وفي رواية (أن ملكاً موكلاً بـــالرحم. إذا أراد الله أن يخلق شيئاً بإذن الله ، لبضعٍ وأربعين ليلة) فهذه الروايـــات تـــدل علـــى أن تشكيل خلق الجنين يكتمل في الأربعين الأولى وهو ما أثبته الطب الحديث وقالوا إن خلق الجنين يتبين في الأسبوع السادس بعد اثنتين وأربعين يوماً فكأنهم اقتصوا حديث حذيفـــة الغفاري وألصقوه في كتبهم وتبين لذوي العقول أن ما قاله النبي صلى الله عليـــه وســـلم وحيٌ من عند الله العزيز العليم .

المرتبة الثالثة / المشيئة : وهي الإيمان الجازم أن كلما يحدث في الوجود إنما هــو بمشــيئة الواحد المعبود الله جل في علاه كما قال تعالى {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} (٣٠) سورة الإنسـان وقال تعالى {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٢٩) سورة التكوير وقال تعالى { وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَــاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَــا يُرِيدُ} (٢٥٣) سورة البقــرة وقال تعالى {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِــهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاءُ اللّهُ لَهَدَى النَّــاسَ جَمِيعًا} (٣١) سورة الرعد وقال تعالى {وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلكِن يُضِلُّ مَن يَشَــاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء} (٩٣) سورة النحل

المرتبة الرابعة / الخلق : وهو الإيمان الجازم أن الله خالق كل شيء قال تعالى {ذَلِكُمُ اللّــهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيــلٌ} (١٠٢) ســورة الأنعـام وقال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} (٦٢) سورة الزمــر وقــال تعــالى {ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ } (٦٢) سورة غافر وقــال تعــالى {أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُــوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} (١٦) سورة الرعــد حتى ما يفعله الناس من الخير والشر كما قال تعــالى {وَاللَّــهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٩٦) سورة الصـافات وإنما قدَّره الله عليه على وفق علمــه الســابق بهــذا الإنسان أنه سيختار هذا الطريق فقدَّره له ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (ما منكم من أحدٍ ، إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة). قالوا: يا رسول الله ، أفــلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال (اعملوا فكلٌ ميسرٌ لما خلق له ، أما من كان مــن أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهــل الشقاوة. ثم قرأ{فأما من أعطى واتقى. وصدق بالحسنى}الآية) روياه في الصحيحين

فأفعال العباد هي من الله تعالى خلقًا وإيجادًا وتقديرًا ، وهي من العباد فعلاً وكسبًا وهم محاسبون على فعلهم الذي اختاروه بمشيئتهم لا على ما قدره الله لهم

* * *

((حكم الاحتجاج بالقدر))

الاحتجاج بالقدر أنواع :

النوع الأول / الاحتجاج بالقدر عند نزول المصائب فيقول قدَّر الله عليَّ ذلك فهذا جائز إذا لم يتضمن الاعتراض على قضاء الله وقدره لقوله تعالى {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (٢٢) سورة الحديد وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} (١١) سورة التغابن قال بن مسعود : هي المصيبات تصيب الرجل فيعلم أنها من عند الله فيسلم لها ويرضى .رواه سعيد بن منصور وقال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيسلم الأمر لله ويرضى بذلك . رواه البيهقي في شعب الإيمان وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم

النوع الثاني / الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية التي قد تاب منها فهذا أيضًا جائز لما ورد في محاجة موسى وآدم عليهما الصلاة والسلام ، وإن كان بعض أهل العلم يقول إنما احتج آدم بالقدر على مصيبة إخراجه من الجنة فهو من النوع الأول .

النوع الثالث / الاحتجاج بالقدر على فعل المعصية مسوغًا لنفسه بهذا الاحتجاج الاستمرار عليها فهذا محرم ، لأن العبد لا يعلم بالمقدور إلا بعد وقوعه وما يدريه أن الله قدَّر عليه ذلك فلماذا لا يترك المعصية ويستمر في الطاعات ويحتج بالقدر لو كان صادقاً ولو قيل له اترك الأكل والشرب وإن قدر الله أن يأتيك فسيأتيك فلا يحتج بالمقدور على أمر دنياه ولكن يحتج به على أمر آخرته وقد قال الله تعالى راداً على هؤلاء الذين يحتجون بالقدر على اقتحام المعاصي {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) قُلْ فَلِلّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (١٤٩) سورة الأنعام والمعنى أهم سيقولون إن الله قدَّر علينا أن نشرك إذ لو شاء لمنعنا من الشرك وهدى آباءنا إلى التوحيد فاتبعناهم ومنعهم من تحريم السائبة والوصيلة والحام وغيرها فكنا لهم تبعاً وهذا يدلُّ على أن الله راضٍ عن شركنا وذلك لأننا نتقرب بهذه الآلهة إلا الله . وظنوا أن ذلك حجة لهم وإنما هو حجة عليهم إذ أنهم قد أدركوا ما حل بالأمم المكذبة من قبل حين أذاقهم الله العذاب الشديد ، ثم أمرهم الله أن يبينوا الدليل على ما ذكروا وأنه لا دليل عندهم إلا الظنون وحقيقتهم الكذب الصراح ولكن الحجة لله عليهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب مع تمام قدرته على هداية الجميع ولكنه يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله وكل ذلك عن حكمة وعزة {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (٤٦) سورة فصلت قال بن كثير : هذه مناظرة ذكرها الله تعالى وشبهة تشبثت بها المشركون في شركهم وتحريم ما حرموا ، فإن الله مطلع على ما هم فيه من الشرك والتحريم لما حرموه وهو قادر على تغييره بأن يلهمنا الإيمان أو يحول بيننا وبين الكفر فلم يغيره فدل على أنه بمشيئته وإرادته ورضاه منا ذلك ولهذا قال { لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ } كما في قوله{ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ } قال تعالى { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } أي: بهذه الشبهة ضل من ضل

قبل هؤلاء. وهي حجة داحضة باطلة لأنها لو كانت صحيحة لما أذاقهم الله بأسه ودمـــر عليهم وأدال عليهم رسله الكرام وأذاق المشركين من أليم الانتقام{ قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِـــنْ عِلْمٍ } أي: بأن الله راض عنكم فيما أنتم فيه { فَتُخْرِجُوهُ لَنَا } أي: فتظهروه لنا وتبينوه وتبرزوه { إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ } أي: الوهم والخيال. والمراد بالظن هاهنـــا: الاعتقـــاد الفاسد. { وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ } أي: تكذبون على الله فيما ادعيتموه. قال علي بـــن أبي طلحة عن ابن عباس{ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا } وقال { كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّـــذِينَ مِـــنْ قَبْلِهِمْ } ثُمَّ قَالَ { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } فإنهم قالوا: عبادتنا الآلهـــة تقربنـــا إلى الله زُلْفَى فأخبرهم الله أنها لا تقربهم وقوله { وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا } يقول تعـــالى: لـــو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين.وقوله تعالى { قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم{ قُلْ } لهم يا محمد { فَلِلَّـــهِ الْحُجَّـــةُ الْبَالِغَةُ } أي: له الحكمة التامة ، والحجة البالغة في هداية من هَدى ، وإضلال من أضـــل { فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ } وكل ذلك بقدرته ومشيئته واختياره، وهو مـــع ذلـــك يرضى عن المؤمنين ويُبْغض الكافرين . (انتهى من تفســيره) وقال تعالى في آية أخرى{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِـــن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ } (٣٥) سورة النحل وقـــال تعالى {وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُـــونَ} (٢٠) سورة الزخرف فحجة الله على عباده قد قامت بإرسال الرسل وإنزال الكتـــب كمـــا قـــال تعالى{رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَـــانَ اللّـــهُ عَزِيزًا حَكِيمًا } (١٦٥) سورة النساء والقدر سرٌ مكنون لا يعلمه إلا الله فمن احتج به فقد ادعـــى علم ما لم يعلم وشارك الله فيما هو من محض اختصاصه .

وقد أمر الله بالإيمان بالقدر وأمر بفعل الأوامر واجتناب النواهي فهذا يبين أنه لا تنـــاقض بين القدر والشرع ، فالمحتج بالقدر كأنه يقول الله يأمرنا وينهانا بما لا فائدة في فعلـــه أو

تركه لأنه مقدر وهذا اتهامٌ لله جل وعلا بأن أوامره ونواهيه إنما هي عبث لا فائدة فيها فأي منكرٍ أعظم من هذا .

((المشروع عند نزول المصائب))

من أصيب بمصيبة فينبغي عليه أموراً منها :

أولاً / أن يتيقن أنها بقضاء الله وقدره فيرضى ويسلم لما قضاه الله وقدره عليه ويصبر ويحتسب ولا يجزع ويتسخط على أمر الله بقولٍ أو فعل فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) متفق عليه وأما دمع العين وحزن القلب بلا تسخط فجائز فعن أنس رضي الله عنه قال دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي سيف القين وكان ظئراً لإبراهيم فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف وأنت يا رسول الله ؟ فقال (يا ابن عوف إنها رحمة) ثم أتبعها بأخرى فقال (إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) متفق عليه

ثانياً / ينبغي أن يعلم العبد أن هذه المصيبة قد يكون سببها ما كسبت يداه من الذنوب والآثام كما قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (٤١) سورة الروم وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (٣٠) سورة الشورى فيدعوه ذلك إلى التوبة والإنابة .

ثالثاً / ينبغي أن يعلم أن المصائب تكفر الذنوب فعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما يصيب المسلم من نصبٍ ولا وصبٍ ولا همٍ ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه) متفق عليه

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله إنك لتوعك وعكاً شديداً . فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم) قال فقلت ذلك لأن لك أجرين ؟ فقال أجل . ثم قال (ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله تعالى به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها) متفق عليه

رابعاً / أن يعلم أن الله يحبه إن كان مؤمناً كما قال صلى الله عليه وسلم (من يرد الله به خيراً يصب منه) رواه البخاري وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط) رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٢١١٠) وعن أبي سعيد رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موعوك عليه قطيفة فوضع يده فوق القطيفة فقال ما أشد حماك يا رسول الله قال (إنا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر) ثم قال يا رسول الله من أشد الناس بلاء قال (الأنبياء) قال ثم من قال (العلماء) قال ثم من قال (الصالحون كان أحدهم يبتلى بالقمل حتى يقتله ويبتلى أحدهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة يلبسها ولأحدهم كان أشد فرحا بالبلاء من أحدكم بالعطاء) رواه ابن ماجه وابن أبي الدنيا في كتاب المرض والكفارات والحاكم واللفظ له وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٤٠٣)

خامساً / أن يقول الأوراد الشرعية الثابتة في ذلك ومنها قول (إنا لله وإنا إليه راجعون) كما قال تعالى {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} (١٥٧) سورة البقرة وكقول (اللهم

أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرًا منها) فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به (إنا لله وإنا إليه راجعون) اللهم آجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها . فلما مات أبو سلمة قالت أي المسلمين خيرٌ من أبي سلمة ؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم . رواه مسلم وكقول (قدر الله وما شاء فعل) لقول النبي صلى الله عليه وسلم (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان) رواه مسلم وكقول الإنسان لأخيه عند نزول مصيبة الموت بأحد أهله (اصبر واحتسب فإن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى) فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال أرسلت ابنة النبي صلى الله عليه وسلم إليه أن ابناً لي قبض فأتنا . فأرسل يقرئ السلام ويقول (إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب) متفق عليه وغير ذلك مما ورد .

* * *

((حكم ترك الأخذ الأسباب اعتماداً على القدر))

الإيمان بالقدر لا يتنافى مع الأخذ بالأسباب فيجب على العبد مع الإيمان بالقدر الاجتهاد في العمل والأخذ بأسباب النجاة مع الالتجاء إلى الله تعالى والاعتماد عليه قال تعالى {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ} (٦٠) سورة الأنفال وقال تعالى {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ } (١٥) سورة الملك وقال تعالى {وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى}(١٩٧) سورة البقرة وقال عليه الصلاة والسلام (احرص على ما ينفعك

واستعن بالله ولا تعجز) رواه مسلم وقال عليه الصلاة والسلام (اعملوا فكل ميسر لما خلق له) متفق عليه فالله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها وجعل هذا الأثر مرتبطٌ بهذا السبب فلا يزول الجوع والعطش إلا بالأكل والشرب فيحصل الشبع والري فهذا الأثر وهو الشبع والري حصل بسبب الأكل والشرب وهكذا زال المرض لما أكلت هذا الدواء واندفع العدو لما قابلته بهذا السلاح وهكذا ، ومن طلب أثراً بلا سبب عدَّ مجنوناً عند الناس كمن يطلب الولد وهو غير متزوج . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاطى الأسباب وهو أعظم المؤمنين بالقدر وأعظم المتوكلين على الرب جل في علاه ، ولكن ينبغي أن يعلم المؤمن أن الأسباب لا تنفع بذاتها بل بمشيئة الله .

تنبيه / كل من اتخذ سببًا لم يدل عليه الحس والشرع فهو مشركٌ شركاً أصغر، وإن اعتقد أنه الفاعل بذاته فشرك أكبر كمن يعتقد أن التمائم سببٌ في جلب الخير أو دفع الشر فهذا مشركٌ شركاً أصغر وإن اعتقد أنها هي التي تجلب الخير وتدفع الشر بذاتها فهو مشركٌ شركاً أكبر . وهكذا في سائر ما لم يجعله الله سبباً لا شرعاً ولا قدراً فلا يجوز اتخاذه سبباً لأن حقيقة هذا العمل هو مشاركة الله في خلقه لأن الأسباب ومسبباتها كله من خلق الله فمن ربط بين أسبابٍ وآثارٍ لم يجعلها الله كذلك كان قد جعل نفسه نداً لله وشريكاً له في خلقه ولولا أنه جهل أن فعله يؤدي لذلك لقلنا أنه مشركٌ شركاً أكبر .

* * *

((هل الله خالق للشر وهل ينسب الشر إليه))

لا شك أن الله جل وعلا خالق كل شيء ومن جعل للشر خالقاً غير الله فقد جعل مع الله رباً آخر وكان كالمانوية الذين يجعلون إلهاً للخير وهو النور وإلهاً للشر وهو الظلمة وهكذا من نسب خلق الشر لغير الله وقد قال تعالى {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} (٦٢) سورة الزمر وأما فعل الشر فلا يجوز نسبته إلى الله لأن نسبة الشر إلى الله انتقاصٌ له فلا يفعل الشر إلا المفسدين فهذا انتقاصٌ للرب وانتقاص الرب كفر وقد قال صلى الله عليه وسلم (لبيك

وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس إليك) رواه مسلم فالله تعالى لا يفعل إلا الخير والمخلوق هو الذي يفعل الشر ، فالله خالق المخلوق وخالق فعله كما قال تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٩٦) سورة الصافات لكن الفعل صدر من المخلوق ، فمثلاً / الله جل وعلا خلق إبليس وهو شر ولكن الذي يفعل الشرور هو إبليس ولكنه لا يستطيع أن يوسوس مثلاً إلا إذا شاء الله ذلك وكان مكتوباً عنده قد قدَّر ذلك عليه فالله خالق إبليس وخالق الوسوسة وإبليس هو الفاعل للوسوسة والله لا يرضاها منه فعلاً وإن كان قد قدر ذلك عليه خَلقاً ، وهكذا الحشرات السامة ، الله الذي خلقها وخلق سمومها ولكن هي التي نفثته في المخلوقات الأخرى فهي العآضة واللادغة والله الذي أقدرها على ذلك وقدر ذلك عليها ، وهكذا الداء ، الله الذي خلقه وأقدره على الفتك بالجسم لكن هو الذي فتك بالجسم فهو الفاعل وإن كان الله هو الخالق ، ففرقٌ بين الخلق والفعل ، فالله هو خالق الشر ولكن لا ينسب الشر إليه ولكن إلى من فعله وهم المخلوقات ، وإن كان الله قد قدَّر عليهم ذلك ولكنه جل وعلا جعل لهم مشيئة فهم الفاعلون بمشيئتهم ولذلك ينسب إليهم ، ونسبة فعلٍ إلى غير من فعله ظلم ، فكيف ينسب الشر وهو إفساد إلى العلي العظيم الكريم المنان لا شك أن هذا أعظم الظلم وأبشعه . فكل الخير والنعم منه وحده جل في علاه ، وكل الشرور مما كسبت أيدينا كما قال تعالى {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (٤١) سورة الروم وقال تعالى {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ} (٣٠) سورة الشورى فإذا عملنا الشر عاقبنا الله فسلط علينا المخلوقات الشريرة ففعلت فعلها باختيارها وبتقدير الله عليها وعلينا لحكمٍ عظيمة نعلم القليل ويخفى علينا الكثير منها فمما نعلم تكفير السيئات ورفعة الدرجات بالصبر على هذا الشر الذي فَعَلَتْهُ فينا هذه المخلوقات الشريرة بتقدير الله ، ومنها الندم والتوبة والرجوع إلى الله جل وعلا ، ومنها كثرة الدعاء والإيمان بقدرة الله وقدره وغير ذلك . وقد تُسَلَطُ هذه المخلوقات الشريرة على من لم يفعل الشر كالأنبياء وذلك رفعةً لدرجاتهم وإعلاءً لمقامهم ، فتبين بهذا أن الله خلق هذه

المخلوقات الشريرة لخيرٍ يريده بنا جل وعلا فلله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً .

قال الشيخ خالد السبت : الشر ليس في أفعال الله ولكن في مفعولاته أي مخلوقاته فالحيات والعقارب والشياطين هذه فيها شرور لكن لما خلقها الله خلقها لحكمةٍ وخير .

* * *

((الإرادة والمشيئة الإلهية))

الإرادة لغةً / هي المشيئة . وتعجب حين تعلم أن أهل اللغة فسروا الإرادة بالمشيئة وفسروا المشيئة بالإرادة . ولكن وجدت في تاج العروس قوله : قال الجوهريّ : المَشِيئَة : الإرادة ومثله في المصباح والمُحكم وأَكثرُ المتكلِّمين لم يُفرِّقوا بينهما وإن كانتا في الأَصل مُختلِفَتَيْنِ فإنَّ المَشِيئَة في اللُّغة : الإيجاد . والإرادة : طَلَب . (تاج العروس باب الهمزة ش ي أ)

اصطلاحاً / إرادة الله جل وعلا تنقسم إلى قسمين :

١-إرادة كونية / وهي سنن الله الكونية كالخلق والرزق والإحياء والإماته والإعزاز والإذلال ونحو ذلك قال تعالى{تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ} (٢٥٣) سورة البقرة وقال تعالى{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ } (٧) سورة الأنفال وقال تعالى{فَلاَ تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ} (٥٥) سورة التوبة وقال تعالى{وَلاَ يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (٣٤) سورة هود وقال تعالى{خَالِدِينَ فِيهَا مَا

دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ } (١٠٧) سورة هـود وقـال تعالى {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا} (١٨) سورة الإسراء وقال تعالى {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ } (١٦) سورة الحج وقال تعالى {تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ} (١٠٨) سورة آل عمران وقال تعالى {وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ} (٣١) سورة غافر فهذه إرادة كونية وهي التي تقع لا محالة فالهداية مثلاً بيد الله فمن أراد الله له الهداية فسيهتدي ولو اجتمع عليه من باقطارها ليضلوه والعكس مثله فمن أراد الله له الضلالة فلن يهتدي ولو اجتمع عليه من باقطارها ليهدوه وهكذا سائر إرادات الله الكونية .

٢-إرادة شرعية / وهي إرادة فعل الأحكام الشرعية فإن الله أراد من عباده أن يطيعوه فيقوموا بما أمر به ويجتنبوا ما نهى عنه ، ولكن قد يفعل العباد ما أمر الله به وقد لا يفعلوا وقد يجتنبوا ما نهى الله عنه وقد لا يجتنبوا ، ويترتب على هذه الإرادة الحساب .

فتبين بهذا أن الإرادة الشرعية تختلف عن الإرادة الكونية في أمور منها :

١- أن الإرادة الكونية نافذة فلابد أن تقع ، وأما الإرادة الشرعية فمتعلقة بالعباد وعليها يحاسبون فمن فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه أدخله الله جنته ومن ترك ما أمر الله به وفعل ما نهى الله عنه كان مستحقاً لعقاب الله .

٢- أن الإرادة الكونية لا تستلزم المحبة فليس كل ما أراده الله كونًا يلزم أن يكون محبوبًا له فالله أراد الهداية بقومٍ والضلالة بآخرين وليست الضلالة محبوبة إليه لكن أرادها لحكم ومصالح يعلمها جل وعلا ولا نعلمها ، وأما الإرادة الشرعية فإنها تستلزم المحبة فكل ما شرعه الله لعباده فإنه يحبه وكل ما نهاهم عنه فإنه يبغضه .

٣-أن الإرادة الكونية قد تكون مرادة لذاتها كالهداية وقد تكون مرادة لغيرها كالضلالة فالله أراد أن يكون من عباده مهتدي وضآل حتى يتميز الخبيث من الطيب من العباد وحتى يتبين من يؤمن بالله ويتبع رسله ممن يتكبر ويتعاظم على الله وحتى يقوم سوق الجهاد وبذل النفوس في سبيله جل وعلا بين أوليائه وأعدائه وغير ذلك من الحكم والمصالح العظيمة التي لا يعلمها إلا الله ، وأما الإرادة الشرعية فإنها مرادة لذاتها فالله يريد من عباده أن يؤمنوا به وأن يطيعوه ويجتنبوا ما نهى عنه .

وقد يسأل مسترشد فيقول : لماذا يضل الله أقواماً ويهدي آخرين ؟

فالجواب / أن ذلك راجع إلى سابق علم الله فالله جل وعلا أعدل العادلين {إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ } (٤٠) سورة النساء {وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ} (٤٦) سورة فصلت فهو سبحانه لم يجبر العباد على الهداية أو الضلالة ولكنه سبحانه علم بأن هؤلاء المهتدين سيسلكون طريق الهداية فحكم لهم بها ، وعلم أن الآخرين سيختارون طريق الضلالة فحكم لهم بها ، فذلك راجع لسابق علم الله تعالى وإلا فإن الله ليس بظلام للعبيد ومن شك في ذلك فقد ضلَّ سواء السبيل ٠

وقد يسأل مسترشد آخر فيقول : لماذا لم يساوي الله بين الناس في الأرزاق ؟

فالجواب / أن المساواة ليس فيها عدل بل فيها ظلم ، كيف يساوى بين العامل والتارك كيف يساوي بين من يبذل ويكدح ومن هو خامل ونائم ، ثم لو سوى بينهم في الأرزاق فمن يخدم الآخر كما قال تعالى{أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ} (٣٢) سورة الزخرف فتتعطل الخدمات ويضطرب أمر الناس فكان من رحمة الله بعباده أن فرق بينهم ليخدم بعضهم بعضاً وتصلح أمورهم ، ثم إن الله جعل الدنيا دار ابتلاء لا دار جزاء فابتلى الفقير بالفقر ليرى مدى صبره ورضاه بما قُسِمَ

له وابتلى الغني بالغنى ليرى مدى شكره وعدم بطره وابتلى كلاً منهما بالآخر فابتلى الغني بالفقير ليرى هل يتصدق عليه ويواسيه بما أتاه الله أم يبخل ويتكبر عليه وابتلى الفقير بالغني ليرى هل ينظر فيما أوتى فيجزع لم لم يؤتى مثله أو يقنع ويعلم أن كلاً من عند الله ، ثم إن الله قد يبتلي الإنسان بالفقر لعلمه تعالى أن هذا الإنسان لو كان غنياً لطغى وتكبر فرحمةً به لئلا ينتقل في دار الخلود إلى النار جعله فقيراً ليخلد في الجنة في النعيم وكذا الغنى لو كان فقيراً لجزع وتسخط فرحمةً به جعله غنياً وحبسه نصف يوم خمسمائة عام بعد الفقراء لأن الغنى فيه تلذذ .

* * *

((عقيدة الجبرية والقدرية والرد عليهم))

الجبرية / سموا جبرية لأن مذهبهم أن العبد مجبور وليس له قدرة ولا اختيار على فعله ، بل هو كالريشة في مهب الريح ، وكالميت بين يدي غاسله . والجبرية هم الجهمية والأشعرية وغيرهم .

القدرية / وهم أتباع معبد الجهني وأخذها عنه غيلان الدمشقي وأخذها عنه عمرو بن عبيد ومذهبهم أن العبد مخير لا مسير وهو الذي يخلق فعله وقد كانوا ينكرون علم الله السابق وينكرون القدر فيقولون لم يقدر الله على العبد شيئاً ولم يكتب في اللوح المحفوظ عن العبد شيئاً ، ويقولون : إن الأمر أُنُفْ أي جديد لا يعمله الله تعالى إلا بعد وقوعه من العبد ، ويسمون ذلك العدل ويقولون إن إثبات القدر ظلم فكيف يقدر الله على العبد الكفر والضلالة والمعصية ثم يعاقبه عليها ، وبلاؤهم من جهلهم إذ ما فقهوا معنى القدر حتى خاضوا فيه بغير علم وقد قال صلى الله عليه وسلم (إذا ذكر القدر فأمسكوا) رواه الطبراني وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٥٤٥) وعن يحيى بن يعمر قال : أول من تكلم في القدر معبد الجهني قال فخرجت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حتى أتينا المدينة فقلنا لو لقينا رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألناه عما أحدث هؤلاء القوم قال فلقينا

عبد الله بن عمر وهو خارج من المسجد قال فاكتنفته أنا وصاحبي قال فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت يا أبا عبد الرحمن إن قوماً يقرؤون القــرآن ويتقفــرون العلــم ويزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني منــهم بــرئ وأنهم مني برءا والذي يحلف به عبد الله لو أن أحدهم أنفق مثل أحد ذهباً ما قبل ذلــك منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره . رواه الترمذي وصححه الألباني

فلما رأى المتأخرون أن هذا لا يقوله من فيه ذرة إيمان اضطروا إلى إثبات العلم لكن بقوا على نفي القدر فقالوا يعلم ما العبد صانع ولكن لم يقدر عليه شيئاً .

وقال أهل السنة : العبد مسيرٌ من وجه ومخيرٌ من وجهٍ آخر فهو مسيرٌ فيما يخــص الإرادة الكونية متى يخلق متى يموت متى يبعث ما رزقه ونحو ذلك ، وهو مخيرٌ فيما يخــص الإرادة الشرعية هل يعمل الطاعة ويسير على طريق الهداية أم يعمل المعصية ويسير على طريــق الضلالة فهو مخيرٌ في ذلك ويحاسب على ما هو مخيرٌ فيه دون ما هو مجبرٌ عليه وذلك غاية العدل وعين الإنصاف ، وأما كون هذا العبد أو ذاك قد قدر الله عليه الكفــر والضــلالة فذلك التقدير راجع إلى علم الله السابق أن هذا العبد سيختار هذا الطريق فقــدره عليــه فالعبد هو الذي اختار هذا الطريق و لم يجبره الله عليه وإنما كتب الله عليه مــا ســيعمله فالحجة لله على العباد وليس للعباد حجة على الله بعد بيان الحق لهم وأمرهم بالسير عليــه وقدر الله مخفي عنهم وليسوا محاسبين عليه وإنما يحاسبون على أعمالهم الــتي اختاروهــا بأنفسهم كما قال تعالى {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّــا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا} (٢٩) سورة الكهــف فجعل لهم مشيئة وبين لهم عقاب الكافر حتى يحذر الناس من هذا الطريق ويسلكوا طريق السلامة فمن كفر بعد ذلك فهو الظالم لنفسه لاختياره بنفسه الطريق الموصل للعذاب الذي حذره الله منه .

فأثبت أهل السنة أن العباد فاعلون حقيقة وأن أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقــة لا

على جهة المجاز، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم كما قال تعالى {وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ} (٩٦) سورة الصافات وأثبتوا للعبد اختيارا وإرادة ومشيئة تتبع لإرادة الله ومشيئته كما قال تعالى {لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (٢٩) سورة التكوير

* * *

((ثمرات الإيمان بالقدر))

١-تبريد حرارة المصيبة فإن العبد إذا آمن بالقدر وعلم أن ما أصابه هو بتقدير الله عليه أيقن أن ذلك خير أراده الله به كما قال تعالى {وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} (٢١٦) سورة البقرة وقال تعالى {فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} (١٩) سورة النساء فعندئذٍ تطيب نفسه ويرتاح باله وتخف مصيبته ٠

٢- السعادة الدنيوية والأخروية ففي الدنيا يكون قرير العين منشرح الصدر هادئ البال بعيداً عن الوساوس والقلق ، وفي الآخرة يفوز برضى الرب جل وعلا وبجنة عرضها السماوات والأرض فأنعم بها من ثمرة ٠

((الإمام والجماعة))

من عقيدة أهل السنة طاعة الإمام في غير ما حرم الله ولو كان ظالماً جائراً ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً . ولا يجوز الخروج على الإمام وشق عصا الطاعة ما لم يرو كفراً ظاهراً جلياً فعله عن عمدٍ بلا جهلٍ ولا إكراهٍ ولا تأويل فعندئذٍ يخرج عليه أهل الحل والعقد من أهل الصلاح والعلم إن رأوا أن عندهم المقدرة على ذلك ، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان . متفق عليه وإن فعل ما دون ذلك من المعاصي ولو كبائر لا تبلغ الكفر فلا يجوز الخروج عليه فإن أمر الجماعة أمر عظيم في الدين ولذلك حرم الله جل وعلا مفارقتهم فقال تعالى {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} (١٠٣) سورة آل عمران وقال تعالى {وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا} (١١٥) سورة النساء

والإمام هو من ثبتت إمامته بإجماع الأمة ، أو ببيعة ذوي الحل والعقد منهم ، أو بوصية كولاية العهد ونحوها ، أومن تغلب حتى اجتمعت عليه الكلمة فحينئذٍ تجب طاعته بالمعروف ويحرم الخروج عليه إلا إذا ظهر منه كفر بواح فيه من الله برهان .

((الولاء والبراء))

الولاء يقتضي أمرين المحبة والنصرة ، والبراء يقتضي أمرين البغض والمعاداة . فيجب على المؤمن أن يكون ولاءه لله فيحب أولياء الله ويدافع عنهم ويكون براءه من أعداء الله فيبغض أعداء الله ولو كانوا أقرب الناس إليه كما قال تعالى {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) سورة المجادلة وقد بين الله جل وعلا منهم الذين ينبغي على المؤمن أن يواليهم فقال تعالى {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} (٥٦) سورة المائدة فإنما أداة حصر ، أي : يجب حصر الولاية فيمن ذكروا ونفيها عمن عداهم.

ولقد حذر الله جل وعلا من موالاة الكفار فقال تعالى {لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللّهِ الْمَصِيرُ} (٢٨) سورة آل عمران وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا} (١٤٤) سورة النساء وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (٥١) سورة المائدة وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (٥٧) سورة المائدة وقال تعالى {يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٢٣) سورة التوبة وقال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاء وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٢) لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} (٤) سورة الممتحنة والولاء والبراء عقيدةٌ قلبية ولذلك يجهل كثيرٌ من المسلمين معنى الولاء والبراء فيستجيزون قتل الأنفس المعصومة بحجة البراء وربما استجازوا ظلمهم وأكل أموالهم ومعاملة الكافرين عموماً بالغلظة دون تفريقٍ بين المحاربين والمسالمين إلى غير ذلك من السلبيات التي يفعلها بعض المسلمين ظانين أن ذلك من تحقيق الولاء والبراء وليس كذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتلطف في دعوته مع الكافرين ولا يظلم أحداً منهم وهو صلى الله عليه وسلم خير من يطبق عقيدة الولاء والبراء ، وإنما تظهر موالاة الكافرين في مثل ما يلي :

١-عدم تكفيرهم أو الشك في كفرهم .

٢- التحاكم إليهم عند نزول الحوادث وترك التحاكم للشريعة .

٣- مودهم ومحبتهم والسعي الحثيث في تحقيق ما يرضيهم ولو كان بمخالفة الإسلام .

٤- الركون إليهم أي الاعتماد عليهم في كل الأمور دون المسلمين .

٥- اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين بتوليتهم الأمور الهامة في الدولة .

٦- التشبه بهم في عاداتهم أو عباداتهم ومشاركتهم في أعيادهم ونحو ذلك .

٧- إكرامهم وتعظيمهم كتصديرهم في المجالس وبداءتهم بالسلام ونحو ذلك .

((البدع والمبتدعين))

البدعة لغة : هي الشيء المخترع لا على مثال سابق ، ومنه قوله تعالى {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنْ الرُّسُلِ } (٩) سورة الأحقاف أي لست أول رسول ، فقد أرسل قبلي رسل .

والبدعة اصطلاحاً : إحداث شيء في الدين لم يرد به الشرع ومنه قوله تعالى {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ} (٢٧) سورة الحديد

والبدعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} (٢١) سورة الشورى وقال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (١٥٣) سورة الأنعام

وقال صلى الله عليه وسلم (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) متفق عليه ولمسلم (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وعن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في خطبته (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة) رواه مسلم وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حديث رقم (٣٧)

وقد أجمع السلف على وجوب الاتباع وترك الابتداع فقالوا : ما ابتدع قومٌ بدعة إلا رفع من السنة بقدرها. قال بن مسعود رضي الله عنه: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم. وقال بن

عمر رضي الله عنهما : كل بدعة ضلالة وإن رآها الناس حسنة . وقال محمد بن أسلم : من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام . وقال الفضيل بن عياض : إن العمل إذا كان خالصاً و لم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً و لم يكن خالصاً لم يقبل ، حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص ما كان لله تعالى والصواب ما كان على السنة.

واعلم أن البدعة أحب إلى الشيطان من المعصية ، لأن العاصي قد اعترف بذنبه فهو يرتكب الذنب وهو خائف وجل ، بخلاف صاحب البدعة فهو يفعلها وهو فرح مسرور لأنه يرى أنها تقربه إلى الله ولذلك تكون التوبة في أصحاب البدع أقل لأن الاعتراف بالذنب أول خطوات التوبة .

* * *

((أقسام البدع))

تنقسم البدع من حيث نوعها إلى قسمين :

القسم الأول / البدع الإعتقادية وهي التي تكون في أمور العقيدة كبدعة التعطيل وإنكار الصفات وبدعة الإرجاء وبدعة تكفير مرتكب الكبيرة وغيرها .

القسم الثاني / البدع العملية وهي التي تكون في العبادات كإحداث صلاة أو صيام أو عيد أو غيرها لم يأتي بها الشرع ، فالعبادات مبناها على التوقيف .

وتنقسم البدع من حيث حكمها إلى نوعين :

النوع الأول / بدعٌ مكفرة وهي التي تخالف أصول العقيدة ومسلمات الدين كبدع الرافضة كدعاء الموتى والذبح والنذر لهم وكاتهام النبي صلى الله عليه وسلم في عرضه وفي صحبه وغير ذلك ، وكبدعة القدرية الأوائل الذين ينكرون علم الله السابق ونحو ذلك .

النوع الثاني / بدعٌ غير مكفرة كبدعة الوعيدية والمرجئة وبدعة الموالد وبدعة شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة ونحو ذلك ٠

وتنقسم البدع العملية إلى ثلاثة أقسام :
القسم الأول / البدع التي تكون في أصل العبادة وذلك بأحداث عبادة لم ترد في الشرع كإحداث صلاة أو صيام أو حج أو عيد غير ما شرع ٠

القسم الثاني / البدع التي تكون في وصف العبادة بحيث يكون أصل العبادة مشروع لكنه زاد أو نقص أمراً منها كزيادة ركعة أو سجود أو تشهد في صلاة أو نقص ذلك منها أو جعل الذكر بعد الصلاة جماعياً أو زاد عدد حصى الجمار أو أنقص منها أو غير ذلك ٠

القسم الثالث / ما يكون خارج العبادة كتخصيص زمان أو مكان للعبادة لم يرد به الشرع كتخصيص ليلة النصف من شعبان وليلته بصيام أو قيام أو تخصيص قبر بالدعاء عنده ونحو ذلك ٠

تنبيه / ليس في الدين بدعة حسنة وبدعة سيئة فكل البدع سيئة وأما قول النبي صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) رواه مسلم فليس معناه إحداث بدعة ولكن إحياء سنة قلَّ العمل بها ، ولذلك قال عمر حين رأى الناس مجتمعين في صلاة التراويح : نعمت البدعة هذه ٠ من باب المشاكلة أي إذا كنتم تقولون بدعة فنعمت البدعة التي يكون فيها إحياء سنة لأنه قد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد صلى التراويح في جماعة ثم تركها خشية أن تفرض على الأمة فلمَّا توفي رسول الله صلى الله

عليه وسلم وانقطع الوحي أحيا عمر رضي الله عنه هذه السنة لأنها لن تفرض بعد انقطاع الوحي ، فكان عمر أحق بقول النبي صلى الله عليه وسلم (من سن في الإسلام سنةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً)

((حكم الصلاة خلف المبتدع))

لا يصلى خلف من كانت بدعته مكفرة كالرافضة ومن صلى خلفهم أعاد الصلاة ، ولا يصلى خلف الداعي إلى بدعته ولو كانت بدعته غير مكفرة لأن ذلك يفتن الناس فيظن الجاهل أن الناس ما صلوا خلفه إلا لكونه حرياً بالإمامة وأن قوله في بدعته صحيح ، فإن زال هذا الخطر بأن كان جميع المصلين يعلمون بحاله وخطئه وكانت بدعته غير مكفرة فيجوز الصلاة خلفه لأن بن عمر وغيره صلوا خلف نجدة الحروري ولم يعيدوا . وإن لم يكن داعية لبدعته وكانت بدعته غير مكفرة فيجوز الصلاة خلفه وتركها أولى إذا وجد جماعة من غيرهم ، ومثله صاحب الكبيرة .

* * *

((حكم الصلاة على المبتدع))

لا يصلى على من كانت بدعته مكفرة كالجهمية والقدرية الأوائل والرافضة وغلاة الصوفية ونحوهم لأنهم كفارٌ فيعاملون معاملة الكفار ، وأما إن كانت بدعته غير مكفرة كالأشاعرة والماتريدية والمعتزلة ونحوهم فيجوز الصلاة عليهم ومعاملتهم معاملة عصاة المسلمين ، فإن كانت المصلحة أن يتخلف الإمام وأهل العلم عن الصلاة عليه زجراً وتنبيهاً للناس ، فإن الناس إذا علموا أن الإمام أو أهل العلم تخلفوا عن الصلاة عليه من أجل هذه البدعة أو هذه المعصية فإنهم سيحذرون من مواقعتها ، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يصلي على الغال ولا على قاتل نفسه ولا على المديون حتى تحمل دينه

أحد الصحابة فأدرك الناس خطر هذه المعاصي ٠

((صفات أهل البدع))

١-إتباع المتشابه وترك المحكم كما قال تعالى {هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ} (٧) سورة آل عمران قال صلى الله عليه وسلم (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم) متفق عليه

٢-تفسير النصوص بأهوائهم وبما يوافق معتقداتهم دون اعتبار لشروط التفسير المعتبرة ولا أخذٍ عن الصحابة فمن بعدهم من الراسخين في العلم ٠

٣- تقديم العقل على النقل ورد النصوص الثابتة بحجة أن العقل لا يقبلها ٠

٤- عدم الاهتمام بالأسانيد واعتمادهم على روايات مكذوبة وأحاديث موضوعة ٠

٥- تقديم آراء الرجال على نصوص الوحيين فلا يقبلون من النصوص إلا ما وافق مذهبهم وما عارضه أولوه إن استطاعوا أو ردوه ٠

٦- كثرة الجدال والخوض بالباطل بلا علم ٠

٧-الوقيعة في أهل السنة ورميهم بأبشع الألقاب كالحشوية والمشبهة ونحو ذلك ٠

٨-أنهم ينتسبون إلى مؤسس لهم كالأشاعرة نسبة إلى أبي الحسن الأشعري ، والجهمية نسبة إلى الجهم بن صفوان ، والماتريدية نسبة إلى أبي منصور الماتريدي ، والكلابية نسبة إلى محمد بن سعيد بن كلاب ونحو ذلك ٠

* * *

((أبرز طوائف المبتدعة))

تقدم الكلام على أصناف أهل البدع وتاريخ ظهورهم في المدخل ولكن نعرج على بعض الأمور التي لم نذكرها هناك :

الفلاسفة الباطنية

أصل الفلسفة من اليونان وكان الفلاسفة يعظمون الشرائع والإلهيات ويثبتون وجود الله وأن الله فوق العرش وأن العالم حادث خلقه الله ، ومنهم أفلاطون شيخ أرسطو فلما جاء أرسطو ابتدع القول بأن العالم قديم كقدم الله لم يخلقه الله بمشيئته وقدرته، ولم يثبت وجودا لله ولا للملائكة ولا للكتب ولا للرسل ولا لليوم الآخر ولا للقدر. وكان الفلاسفة يسمونه المعلم الأول ثم جاء الفارابي فنهج نهجه في إلحاده وزندقته وكانوا يسمونه المعلم الثاني ثم جاء بن سيناء وهو المعلم الثالث فحاول أن يجمع بين الفلسفة والإسلام فأثبت وجودين: وجود واجب ، ووجود ممكن ، وجود واجب وهو وجود الله ، ووجود ممكن وهو وجود المخلوق ، لكن وجود الواجب هو وجود مطلق في الذهن فليس له اسم ولا صفة ولا خلق الخلق بقدرته بل العالم قديم ، وعلى هذا يكون إثباته لوجود الله لا معنى له ، وهكذا إثباته للملائكة فإنه جعلهم أشكال نورانية ليسوا ذوات وربما قال هم القوى العقلية التي تبعث على الخير. وأما الكتب فقال هي معنًا يفيض من العقل الفعال على الرجل العبقري الذي يسمى الرسول وهو من تتوفر فيه هذه الصفات : قوة الإدراك وقوة التخيل والتخييل وقوة التأثير.فمن توفرت فيه هذه الصفات صار نبياً رسولاً ويمكن أن يحصل عليها الإنسان بالمران والخبرة فليست اصطفاءً من الله ،

والفلسفة مرتبة أعلى من النبوة ، فالنبوة فلسفة العامة ، والفلسفة نبوة الخاصة ، ونبوة الخاصة أعلى من نبوة العامة ، ولا يثبت اليوم الآخر ولا البعث ولا النشور ولا الجنة ولا النار، ولا الحلال ولا الحرام. وهو من الإسماعيلية الباطنية وغالب الفلاسفة من الإسماعيلية الباطنية وحقيقة مذهبهم أنه لا يوجد إله ولا نبي ولا ملائكة ولا كتب ولا يوم آخر ولا جنة ولا نار ولا غير ذلك وأن النبي إنما هو رجلٌ ذكي أراد إصلاح الناس فاخترع لهم وجود إله وشرائع وحساب وجنة ونار حتى يستقيم العامة . ولاشك أن هؤلاء زنادقة ملاحدة أجمع المسلمون على تكفيرهم وإخراجهم من الفرق الثلاث والسبعين التي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن الأمة تفترق عليها .

* * *

((الجهمية))

أتباع الجهم بن صفوان ومذهبهم في الإيمان أن المعرفة تكفي فإذا عرفت الله فأنت مؤمن وعلى هذا يكون إبليس وفرعون وسائر الكفرة مؤمنون لأنهم يعرفون الله ، ولا شك أن هذا ضلال مبين . وهم مرجئة خلص في باب الوعد والوعيد ، وفي باب القدر جبرية وفي باب الأسماء والصفات معطلة بل هم رؤوس المعطلة وأول من قال به وقد عطلوا الأسماء والصفات جميعاً .

والجهمية طائفتان :

الطائفة الأولى / تقول بالحلول والاتحاد . وأن الله حلَّ في المخلوقات أو اتحد بها . والفرق بين الحلول والاتحاد أن الحلول يكون فيه تباين بين اللاهوت والناسوت بين الحالِّ والمحلول فيه فالماء مثلاً حلَّ في الكأس فيمكن فصله عنه ، بخلاف الاتحاد فيكون فيه تمازج بين اللاهوت والناسوت كما يمتزج الماء مع اللبن فلا يمكن فصله عنه .

والطائفة الثانية / تقول بنفي النقيضين عن الله فيصفونه بأنه لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوقه ولا تحته ، ولا متصل به ولا منفصل عنه ، فهذا يكون معدومًا ووجود هذا

الذي يتصف بهذه الأوصاف ممتنع.
ولاشك في كفر كلا الطائفتين ، قال الشيخ عبد العزيز الراجحي : والجهمية خـــارجون عن الفرق الاثنتين والسبعين وكذلك القدرية الغلاة وكذلك الرافضة فهذه الفرق الثلاث خارجون من الاثنتين والسبعين فرقة ، لأن الجهمية نفوا الأسماء والصفات ، ونفي الأسماء والصفات ينتج العدم ، فشيء لا اسم له ولا صفة لا وجود له إلا في الذهن نســأل الله العافية ، فشيء لا داخل العالم ولا خارجه ولا فوقه ولا تحته ولا مباين له ولا محايف لـــه ولا منفصل عنه وليس له سمع ولا بصر ولا قدرة ولا إرادة ولا علم ماذا يكون ؟!! هـــذا مستحيل ، ولهذا كان كفرهم كفراً أكبر مخرجاً عن الملة . وقال الفوزان : تكفير السلف للجهمية تكفير بالكفر الأكبر لأنهم جحدوا كلام الله عز وجل، قالوا : كلام الله مخلـــوق ، وجحدوا أسماء الله وصفاته فهم معطلة ، وهم مكذبون لما في القرآن وما في السنة مـــن إثبات أسماء الله وصفاته ، وأيضاً يعتقدون بالحلول وأن الله تعالى حال في كل مكان تعالى الله عمّا يقولون . فمقالاتهم تقتضي الكفر الأكبر ، فتكفير السلف لهم هو من الـــتكفير بالكفر الأكبر ، إلا من كان جاهلاً مقلداً اتبعهم وهو يظن أنهم على حـــق و لم يعـــرف مذهبهم و لم يعرف حقيقة قولهم فهذا قد يعذر بالجهل.

* * *

((المرجئة))

سموا بذلك من الإرجاء وهو التأخير لأنهم يرجون العمل أي يؤخرونه ويخرجونـــه مـــن الإيمان ، وقيل سموا بذلك من الرجاء لأنهم أخذوا بأدلة الوعد والرجـــاء وتركـــوا أدلـــة الوعيد والخوف وقالوا لا يضر مع الإيمان طاعة كما لا ينفع مع الكفر معصية .
وهم أربعة فرق :
الفرقة الأولى / الذين يقولون الإيمان هو مجرد المعرفة ، ولو لم يحصل تصـــديق بالقلـــب ،

وهذا قول الجهمية فمن عرف الله بقلبه فهو مؤمن ولو فعل جميع الأعمال الكفرية بعد ذلك فلا تؤثر في إيمانه ، فلو سبَّ الله أو سبَّ الرسول أو سبَّ دين الإسلام أو أشرك أو قتل الأنبياء فلا يكفر ما دام يعرف ربه بقلبه وهو شر الأقوال لأن فيه اتهام الله بالعبث في بعث الرسل وإنزال الكتب على قومٍ مؤمنين كفرعون وهامان وعاد وثمود بل وحتى إبليس لأنهم جميعاً يعرفون الله . ولا شك أن هذا سبٌ لله ورسوله وتكذيبٌ للكتاب والسنة وذلك أعظم الكفر .

الفرقة الثانية / الذين قالوا إن الإيمان هو تصديق القلب فقط ، وهذا قول الأشاعرة وهو باطل لأن الكفار مصدقين بقلوبهم كما قال تعالى {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ} (٣٣) سورة الأنعام ولكن لم ينفعهم لما استكبروا عن النطق بالشهادتين وعن القيام بأعمال الجوارح

الفرقة الثالثة / الذين قالوا إن الإيمان هو النطق باللسان ولو لم يكن هناك تصديق بالقلب وهو قول الكرامية ، ولا شك أن هذا قول باطل لأن المنافقين الذين هم في الدرك الأسفل من النار ينطقون بالشهادتين ولكنهم لا يعتقدون تصديق ذلك بقلوبهم فلم ينفعهم ذلك كما قال تعالى {إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (٢) سورة المنافقون

الفرقة الرابعة / الذين يقولون الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان ولكنهم يخرجون العمل من مسمى الإيمان وهم مرجئة الفقهاء وأول من قال بذلك على ما قيل هو حماد بن أبي سليمان وأخذها منه تلميذه أبو حنيفة وانتشرت منه ، وهم يوجبون الأعمال ويؤثمون من لم يقم بها لكنهم يخرجونها من مسمى الإيمان .

وأما ما عليه السلف وأهل السنة أن العمل من الإيمان وقد تقدم الكلام على ذلك في فصل الإيمان والكفر من هذا الكتاب فراجعه إن شئت .

تم الفراغ من هذا الكتاب في (٢٨ / ٢ / ١٤٣٢هـ) نفع الله به وجعله خالصاً لوجهه والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

((أهم المراجع))

١- إتحاف أهل الألباب بمعرفة التوحيد والعقيدة في سؤالٍ وجواب للسعيدان

٢- فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ طبعة دار السلام السادسة

٣- القول المفيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين طبعة دار بن الجوزي الثانية

٤- حاشية كتاب التوحيد لعبد الرحمن بن قاسم الطبعة الخامسة و لم تذكر دار الطباعة وأظنها دار بن القاسم لأحفاد الشيخ رحمه الله

٥- المصباح المنير في تهذيب تفسير بن كثير إعدَّ بإشراف الشيخ صفي الرحمن المباركفوري طبعة دار السلام الأولى

٦- (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) للشيخ عبد العزيز الجليل

٧- فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة لعبد المحسن بن حمد العباد البدر

٨- أهل البيت وحقوقهم الشرعية لصالح الدرويش

٩- المنتظر لعثمان الخميس

١٠- البداية والنهاية لابن كثير

١١- أضواء البيان لمحمد الأمين الشنقيطي

١٢- صحيح الجامع الصغير للألباني

١٣- برنامج مكتبة الألباني الإصدار الثاني

١٤- برنامج موسوعة الحديث النبوي إنتاج موقع روح الإسلام

١٥- برنامج موسوعة فتاوى الإمامين واللجنة إنتاج موقع روح الإسلام

١٦- برنامج موسوعة علوم اللغة إنتاج موقع روح الإسلام

((الفهرس))